الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) رحمه الله

سألوني الجزء الأول

ملحق سألوني الجزء الأول

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

المجلد الخامس

سلسلة جمع تراث علماء الكويت - ٢ -

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبد الله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) رحمه الله

٥

تأسست عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بمكتبة الكويت الوطنية

ISBN: 978-9921-802-03-0

البريد الإلكتروني (الإيميل)

Info@alnouri.org

هاتف: (٢٢٥٤٠٢٨٠)، (٢٢٥٤٠٢٧٠)، فاكس: (٢٢٥٤٠٢٦٠)

جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

جمعيةٌ كويتيّةٌ خيريّةٌ تُساهِمُ في بناءِ المُجتمعاتِ وتنمِيَتِها

وتُكملُ المَسيرةَ الخَيِّرَةَ للمغفور له بإذن الله الشَّيخ عبد الله النُّوري رحمه الله

جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) رحمه الله

سألوني الجزء الأول

ملحق سألوني الجزء الأول

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

المجلد الخامس

سلسلة جمع تراث علماء الكويت - ٢ -

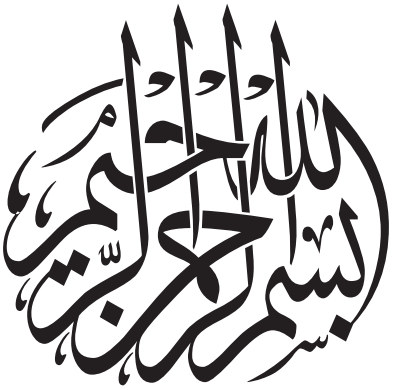
بسم الله الرحمن الرحيم

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) رحمه الله

سألوني الجزء الأول

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمة

الحمد لله الَّذي منَّ على عباده المؤمنين إذ بعث فيهم ﴿رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩]، بعثه بالإسلام الَّذي ارتضاه لهم؛ ليكونوا شهداء على النَّاس، ويكون الرَّسول عليهم شهيدًا، وختم برسالته رسالات الأنبياء، وأرسله بالدِّين الَّذي خَتَمَ به الأديان، وجعله نظامًا أبديًّا خالدًا يوافِقُ كلَّ زمانٍ وعصرٍ، ويصلُحُ لكلِّ قومٍ ومِصرٍ، وقد أَنِسَت فيه البشريَّة ما ترتاح إليه من عدلٍ وإحسانٍ وحُرِّيَّةٍ ومعرفةٍ وهدايةٍ ومساواةٍ.

لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، خَلَقَ الخلقَ وبَسَطَ لهم الرِّزقَ، وأنعم عليهم بالهداية، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسرَاء: ١٥]، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، أرسله إلى النَّاس كافَّة، فبلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمَّة، ودعا إلى الخير والفلاح، وأرشد إلى الحقِّ والصَّلاح، وأخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور ومن الجهالة إلى المعرفة، صلَّى الله عليه وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين وصحبه المُهتدين والتَّابعين إلى يوم الدِّين، وبعدُ:

فقد خَلَقَ اللهُ آدمَ ليكون خليفةً في الأرض، ووَرِثَ بنوه هذه الخلافة

من بعده بأمر الخالق جلَّ شأنه.

وتناسل البنون وتكاثروا، وامتدَّت رقعة سُكَّانهم على البسيطة، وتعدَّدت الميادين، وتشعَّبت المسالك، واختلطت اللُّغات، وتباينت التَّقاليد والعادات، وأُشكِلَت تبعًا لذلك مُشكلات.

ومطالبُ الإنسانِ لا تَقِفُ عندَ حدٍّ، والإنسان أنيسٌ بطبعه، فإذا عجز عن حلِّ مشكلةٍ من مشكلاته، أو فكِّ عُقدةٍ من عقد أموره؛ التمس لهذا الحلِّ عقلًا غير عقله، وتفكيرًا غيرَ تفكيره، والتفت إلى صديقٍ له يستجديه[1] رأيًا، ويلتمس منه تفكيرًا.

وقد كان من مشكلات القضايا الَّتي ظهرت في حياة الإنسان: الزَّواجُ والطَّلاقُ في الأسرة، وعلاقاتٌ اجتماعيَّةٌ مُختلفةٌ لا يُحصيها عدٌّ في المعاملات، والمواريث، والنَّفقات، والعِدَّة، وكان منها في العقائد والعبادات أيضًا أمورٌ كثيرةٌ يحكمها الدِّين وتدخل فيها الإباحة أو الحرام، وأحكامٌ شرعيَّةٌ ينتُجُ عنها جزاءٌ أو عقابٌ، وقد يقلق الإنسان منه ويهتزُّ له خوفًا فيدفعه خاطره إلى أن يسأل عارفًا يَطمَئِنُّ إليه ليلتمس منه الجواب الصَّحيح.

وكتاب «سألوني» الَّذي أُقدِّمُهُ لإخوتي القُرَّاء يَحمِلُ في صفحاته أسئلةً كثيرةً سألها سُكَّان الكويت وغيرهم عن مشكلات عُرِضَت يستشيرني أهلها في حلِّها.

والرَّسول ﷺ قال: «**تركتُ فيكم أمرين ما إن تمسَّكتم بهما لن تضِلُّوا**

(١) استجداه: طلب منه العطيَّة مسترحمًا متوسِّلًا. انظر: معجم اللُّغة العربيَّة، لأحمد مختار عمر (١/ ٣٥٢).

بعدي؛ كتاب الله وسنَّتي»[١]، فكان من لُطفِ الله بي وتوفيقه لي أنِّي كنت أستمدُّ الإجابة من هذين المصدرين؛ كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام.

وكان لي منذ سنة (١٩٥٤م) برنامجًا على شاشة التِّلفاز أُجيب فيه عن أسئلة مَن يسأل، وما أكثر الأسئلة! فمنها رسائل تأتيني بالبريد الخاصِّ، ومنها أسئلة شفويَّة في محطَّةِ التِّلفاز أو الهاتف، فأُجيب بعض من سأل على الشَّاشة بالقدر الَّذي يسمح به وقت البرنامج، أو بالبريد إن كانتِ الرِّسالةُ مؤيَّدةً بالعنوان، مُستشهِدًا في أكثر الأوقات بالدَّليل؛ آيةٍ من كتاب الله أو حديثٍ من قول رسوله ﷺ.

وكتابي هذا «سألوني» جمعت فيه أهمَّ الأسئلة وأجوبتها، وقسَّمته إلى جزأين؛ يحتوي الأوَّل منه على الأسئلة ذات الطَّابع العامِّ، والثَّاني على الأسئلةِ الَّتي تتناول الأمور الفقهيَّة مُبوَّبةً في أبوابها، مُتَّبِعًا بذلك طريقة مشايخنا مؤلِّفي كتب الفقه في التَّرتيب لا في الأسلوب؛ لأنِّي سلكت في إجابتي هذه التَّعبيرَ اليسير حتَّى يفهم المُتعلِّم وغيره، والقارئ والسَّامع، والصَّغير والكبير على حدٍّ سواء.

ويسعدني أن أُهدي كتابي هذا إلى كلِّ مسلمٍ تمسَّك بالإسلام واعتزَّ به دينًا، وجعل من رسول الله ﷺ أُسوةً، واتَّخذ من التَّقوى زادًا، وأدَّى ما افترض الله عليه إيمانًا واحتسابًا، وأحسن معاملته مع النَّاس ورعًا ونزاهةً وخُلُقًا.

إلى هذا وإلى أمثاله أُهدِي كتابي هذا، سائلًا المولى ﷻ أن يجعل فيه

(١) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (٢٠٣٣٧).

النَّفع لمن التمس النَّفع، وأن يجعله لي يوم القيامة ذُخرًا، ويزيدني به أجرًا، والحمد لله ربِّ العالمين.

المُؤلِّفُ: عبدُ اللهِ النُّوريُّ

الباب الأوَّل

مع كتاب اللّه الكريم

أسباب نزول آيات القرآن

السُّؤال:

هل لآيات القرآن الكريم أسباب نزول؟

الجواب:

نعم، القرآن الكريم نزل في مدَّة (٢٣) سنة، وكانت الآيات تنزل منجَّمةً، ومعنى منجَّمة: مُفرَّقة حسب الحوادث، فمثلًا: سورة التَّوبة نزل معظمها بعد غزوة تبوك، وأوَّلها نزل سنة (٩هـ)[١] بعد فتح مكَّة[٢].

وسورة الفتح نزلت في غزوة الحُدَيْبِيَة[٣]، وسورة البقرة نزلت في السَّنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في السَّنة الثَّانية[٤] وهكذا، وأوَّل ما نزل من القرآن في مكَّة الآيات الخمس من سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العَلق: ١-٥]، بينما نزل آخرها في السَّنة الرَّابعة بعد البعثة[٥].

أمَّا تحديد السُّور فقد أثبت ذلك النَّبيُّ ﷺ وحدَّده، وأمَّا التَّرتيب

---

(١) أي: سنة (٦٣٠م).
(٢) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (١٠/ ٥٠).
(٣) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١٦/ ٢٥٩).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٢٠١).
(٥) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (٢٠/ ١١٧).

فقيل: إنَّ ذلك اجتهادٌ من قُرَّاء الصَّحابة، بينما احتجَّ بعض النَّاس أنَّهم أخذوا هذا التَّرتيب عنه ﷺ.

الحروف المبدوءة بها السُّور

السُّؤال:

ما سرُّ الحروف الَّتي تبدأ بها بعض السُّور القرآنيَّة مثل: الم، حم، الر، آلمص؟

الجواب:

اختلف المُفسِّرون في هذه الحروف، فقال بعضهم: إنَّها سرُّ الله في القرآن، فهي من المُتشابه الَّذي انفرد الله بعلمه[١]، وقال بعضهم: إنَّها أسماء للسُّور الَّتي بَدَأَت بها[٢]، وقيل: إنَّها أيمان أقسم الله تعالى بها[٣]، وقال بعضهم: هي حروف تأتي في أوائل السُّور لِلَفْتِ الأذن حتَّى تسمع، وتنبيهًا للعقل حتَّى يعي، وإنَّها تُشير إلى إعجاز القرآن الكريم[٤]، فإنَّ المشركين حينما سمعوا القرآن افتروا عليه وقالوا: إنَّه من كلام محمَّد ﷺ، وليس من كلام الله. فأنزل الله هذه الحروف؛ ليقول لهم: إنَّ القرآن مؤلَّفٌ من مثل هذه الحروف الَّتي تصوغون منها كلامكم، فهو نزل بلغتكم

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١/ ١٥٤).
(٢) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (١/ ٥٩).
(٣) انظر: التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور (١/ ٢٠٦).
(٤) انظر: زهرة التفسير، لأبي زهرة (١/ ٩٧).

وحروفكم، وليس بلغة غريبة عنكم، فإن كان كما تزعمون من كلام محمَّد، فمحمَّدٌ واحدٌ منكم، ولغته لغتكم، وأنتم فرسان حلبات الكلام، وأمراء البيان، وفحول التَّعبير، فإن كنتم صادقين في زعمكم فهاتوا مثل هذا القرآن، فإنَّا نتحدَّاكم في جهةٍ أنتم تعرفونها، وتمهرون وتفخرون بها.

ويقصُّ القرآن ما جاء في تحدِّي الله تعالى لهم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٣-٢٤].

وللصُّوفيَّة شطحات في تفسير هذه الحروف لا محلَّ لذكرها هنا، ونعوذ بالله من الاعتقاد بها.

عروبة القرآن وفضله على العرب

السُّؤال:

يُنكِرُ بعض النَّاس أنَّ القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ، وأنَّ له فضلًا على العرب في تقريب لغتهم، نرجو الرَّدَّ على هؤلاء لبيان الحقيقة.

الجواب:

كثيرٌ من الآيات الكريمة الَّتي نزلت من عند الله شاهدة بعروبة كتابه الكريم، فقد قال الله في سورة النَّحل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النّحل: ١٠٢-١٠٣].

وفي سورة الشُّعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢-١٩٥].

وفي سورة يوسف: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يُوسُف: ١-٢].

وفي سورة الزُّمر: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٧-٢٨].

وفي سورة الشُّورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشّورىٰ: ٧].

وفي سورة طه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طٰه: ١١٣].

وفي سورة الزُّخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣].

وفي سورة الأحقاف: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وهناك آيات كثيرة، يضيق المجال هنا في حصرها.

ولو أنَّ هذا المُعترِض على كتاب الله المُلحِد به قال: إنَّ القرآن عرَّب كثيرًا من الكلمات غير العربيَّة ككلمة كذا وكذا لكان أولى به، ولكنَّه - قاتله الله - ضلَّ الصَّواب، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٨٨].

والقرآن عرَّب أممًا كثيرة، فقد عرَّب شرق العراق من فارسيَّته، وشمال الشَّام من روميَّته، ومصر من قبطيَّتها، وشمال إفريقيَّة من بربريَّته،

والسُّودان من نوبيَّته، وكان قبل قد عرَّب الأندلس والحبشة، فلماذا يعجز عن تعريب كلمات وقد عرَّب أقوامًا؟!

وقد صدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**إنَّ الله لا يَقبِضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يَقبِضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتَّى إذا لم يبقَ عالِمًا اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلُوا، فأفتوا بغيرِ علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**»[(١)]، والله أسأله أن يوفِّقنا إلى ما فيه الرَّشاد.

السُّور وعدد آياتها

السُّؤال:

نعلم أنَّ في القرآن (١١٤) سورة، وفي عنوانات السُّور نقرأ مثلًا: سورة يوسف (١١١) آية، (١٢) ركوع، فما معنى ذلك؟

الجواب:

المعروف أنَّ الآيات لها فواصل، فقد تكون الآية طويلة كآية الكُرسيِّ، وآية النُّور، وآية الدَّين، وآية التَّحريم في سورة المائدة، وقد تكون قصيرة، كآيات المُدَّثِّر، وآيات سورة القمر.

وقد تكون الآية من كلمة واحدة كما في سورة الرَّحمن: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٦٤]، أو من كلمتين كما في سورة المُدَّثِّر: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ [المدَّثِّر: ٢١].

أمَّا الرُّكوعات فهي فواصل ذُكِرَت في المصاحف في ختام آيات،

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٠٠)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٣).

وكأنَّها دليلٌ على أنَّ ما بعد هذه الآية بدءٌ لموضوع، ولذا يركع الإنسان إذا كان يُستَحبُّ الرُّكوع للقارئ الَّذي يُحِبُّ الإطالة في قراءة القرآن في أثناء الصَّلاة.

آخر ما نزل من القرآن

السُّؤال:

بعض العلماء يقولون: إنَّ آخر سورة نزلت من القرآن هي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النّصر: ١]، والَّذي نعرفه أنَّ آخر ما نزل من القرآن هي آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: ٣]، فأيُّ القولين أصحُّ؟

الجواب:

إنَّ آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣]، هي جزء من آية في سورة المائدة، وهي ثالث آية فيها، أمَّا سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] فهي سورة كاملة، فإذا كان المقصود السُّؤال عن آخر ما نزل من القرآن، فنستطيع الإجابة عنه بما يأتي:

فقد أُخبِرَ أنَّ سورة النَّصر نزلت على النَّبيِّ ﷺ في مِنى[1]، وكذلك نزلت آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣]، فعاش بعدها ثمانين يومًا، ثُمَّ نزلت آية الكلالة بعدها بثلاثين يومًا، وهي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (٢٠/ ٢٣٢).

﴿يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النِّسَاء: ١٧٦] إلى آخر الآية من سورة النِّساء، وعاش النَّبيُّ بعدها خمسين يومًا، وبعد (١٥) يومًا نزلت آية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] إلى آخر الآية من سورة التَّوبة، ثُمَّ بعد (١٤) يومًا نزلت الآية (٢٨١) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]، هذه الآية عاش النَّبيُّ ﷺ بعد نزولها واحدًا وعشرين يومًا، ثُمَّ انتقل إلى الرَّفيق الأعلى.

أمَّا سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النّصر: ١]، فهي سورة كاملة، نزلت على النَّبيِّ ﷺ، وهو في حجَّة الوداع في مِنى، فقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «هو أَجَلُ رسول الله ﷺ، أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النّصر: ١]، وذلك علامة أجلك»، والحديث رواه البخاريُّ[(١)].

ومعناه: أنَّه قد تمَّ عملك، وانتهت مُهِمَّتُك، فقد أدَّيت الأمانة، وبلَّغت الرِّسالة، ونصحت الأُمَّة، وفي بعض الرِّوايات أنَّ الرَّسول ﷺ لَمَّا نُزِّلت عليه هذه السُّورة قال: «**نُعِيَت إليَّ نفسي**»[(٢)]، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وجعلنا من حزبه المُفلحين.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٩٧٠).
(٢) رواه أحمد، رقم: (١٨٧٣).

أسئلة عن القرآن

السُّؤال:

من الَّذي جمع القرآن؟ وهل جُمِعَ في عهد النَّبيِّ أم في عهود الصَّحابة؟ ومَن القُرَّاء في تلك العهود؟ وما أوَّل سورة أُنزِلَت؟

الجواب:

نحن المسلمين نرى أنَّ القرآن حقيقة علميَّة ثابتة كالشَّمس لا شكَّ فيها، وكالقمر في مرأى العين، فهو مُنَزَّلٌ أنزله الله على رسوله كما هو، لم يزد فيه حرفًا، ولم ينقص، والشَّواهد على ذلك كثيرة.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مكتوبًا، وسوره معروفة، وآياته بيِّنة، ومواضع هذه الآيات من السُّور كما هي الآن معلومة، ولكنَّه لم يكن مجموعًا في مُجلَّدٍ واحدٍ، بل كان محفوظًا في صدور النَّاس، مكتوبًا في رقاع وعُسُب[١] ولخاف[٢].

وتوفِّي رسول الله ﷺ والقرآن مكتوب في السُّطور، محفوظ في الصُّدور، وحُفَّاظُهُ هم أُمَّة محمَّد ﷺ.

وفي عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بدأ قتال أهل الرِّدَّة، وقتال مُسيلمة الكذَّاب، وذهب في هذه الحروب مئاتٌ من الحُفَّاظ، ووجب جمع

---

(١) العسب: جمع عسيب، وهو جريدُ النَّخل إذا نُحِّيَ عنه حوضه. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣/ ٣٦٨).

(٢) اللِّخاف: حجارةٌ بيضٌ رِقاق. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٤/ ٣٦٠).

القرآن وإيداعه في حِرْزٍ حَرِيز[١].

قال أبو بكر رضي الله عنه: «إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ[٢] يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن، وإنِّي أخشى أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنِّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتَّى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الَّذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنَّك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهِمُكَ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتَّبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ ممَّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتَّى شرح الله صدري للَّذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبَّعت القرآن أجمعه من العُسُب، واللِّخاف، وصدور الرِّجال، حتَّى وجدت آخر سورة التَّوبة مع أبي خزيمة لم أجدها مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبَة: ١٢٨]، حتَّى خاتمة براءة، فكانت الصُّحف عند أبي بكر حتَّى توفاه الله، ثُمَّ عند عمر حَيَاتَهُ، ثُمَّ عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه»[٣].

وكان النَّاس يحفظون القرآن عن شوقٍ لحفظه، ويتدارسونه في بيوتهم، ومحافلهم، وأسواقهم، ومجامعهم؛ تعبُّدًا بدراسته دون ريبة.

واتَّسع الفتحُ الإسلاميُّ، ودخل النَّاس في الدِّين من الشَّام وأرمينيا

---

(١) حرز حريز: أي: الموضع الحصين. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٣٣).
(٢) استحرَّ القتلُ: أي: اشتدَّ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٨٢).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٩٨٦).

وأذربيجان والعراق، وبدأ اللَّحن يظهر، والعجمة تبين، واللَّكنة الغريبة تُسمَع، واشتكى النَّاس ذلك إلى عثمان، فطلب عثمان من حفصة الأمانة الَّتي عندها، فأرسلت بها إليه، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزُّبير وسعيد بن العاص وعبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام وجماعة غيرهم بنسخه، فنسخوا من تلك المجموعة أربع نسخ وزَّعوها على الأقطار الإسلاميَّة، وكانت أوَّل النُّسخ كُتِبَت كاملة من القرآن بعد النُّسخة الأولى، ولم يمضِ وقتٌ على إرسال هذه النُّسخ حتَّى نُقِلَ منها آلاف الآلاف.

وقد رأيت بعيني مصحفًا في متحف المسجد الأقصى الشَّريف مكتوبًا، قيل لي: إنَّه بخطِّ الحسن بن عليِّ بن أبي طالب عليهما السَّلام، وكان مفتوحًا على صحيفة من سورة البقرة وموضوعًا في صندوق من زجاج.

ومنذ ألف وأكثر من ثلاثمئة سنة والقرآن هو القرآن، لا تبديل لكلماته ولا تغيير في ألفاظه، لم يزد فيه - كما قلت - ولم ينقص منه حرفًا، وألَّف الله به بين القلوب، وجمع به الشَّمل، ووحَّد به الكلمة، وعرَّب به أممًا لم تكن تعرف العربيَّة قبل دخول القرآن فيها، والقرآن هو الَّذي حفظ لغتنا من التَّفكُّك والانحلال والانقسام والإبادة.

أمَّا عن القُرَّاء فهم كثيرون جدًّا، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ اختصَّ منهم من لم يشغله شاغل غير القرآن، وهم سِتَّة: أُبَيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدَّرداء، وسعيد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية.

أمَّا أوَّل ما نزلَ من القرآن فالآيات الأولى من سورة العلق، وآخر سورة نزلت قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: ١].

كتابة ألفاظ آيات القرآن

السُّؤال:

نلحظ في بعض كلمات القرآن أنَّها تُكتب بغير ما تُلفظ، مثلًا: الصَّلاة والزَّكاة، تُكتب: صلوات وزكوات؛ بإضافة الواو إليها، ومثلًا: أيعبأ، مكتوبة بزيادة واو وألف، وهكذا، مع أنَّ القواعد الإملائيَّة فيها مُخَالَفَةٌ كثيرةٌ وكبيرةٌ لهذه الكتابة.

الجواب:

القرآن كُتِبَ في عهد الصَّحابة قبل وجود القواعد الإملائيَّة بعشرات السِّنين، واحتفظ المسلمون بتلك الكتابة خوفًا من استغلال أعداء الإسلام تَغَيُّرَها؛ لكيلا يُقال: حُرِّف كتاب الله، أو بُدِّل. وبقي النَّاس محتفظين بهذه القاعدة الإملائيَّة لكتاب الله إلى ما شاء الله.

ترجمة القرآن

السُّؤال:

كنت أقرأ في المصحف، ورأتني سيِّدة هنديَّة وأُعجِبَت به، وأرادت أن تقرأ فشُقَّ عليها ذلك لعدم إلمامها باللُّغة العربيَّة، وطلبت إليَّ أن أُتَرجِمَ لها القرآن، فهل ترجمته عملٌ مشروعٌ؟

الجواب:

التَّرجمة غير التَّفسير، وغير الشَّرح، فإذا تُرجِمَ ذهبت هذه الطَّلاوة والحلاوة، فمثلًا: الإنسان منَّا يقرأ الكتاب، أو المقال، أو الرِّسالة مرَّة واحدة، فيملُّ قراءتها في الثَّانية، أمَّا في الثَّالثة، فقد يكره ما يقرأ.

أمَّا القرآن فلا يملُّ القارئ قراءته، ولا السَّامع سماعه، وهذا مِصداقٌ لقول النَّبيِّ ﷺ في وصفه القرآن أنَّه «**لا يَخلَقُ من كثرة الرَّدِّ**»[(١)]؛ أي: لا يعتق ولا يبلى، فكلَّما كرَّر الإنسان قراءته تبدَّت له معانٍ ومفاهيم لم تظهر له من قبل، وإذا استمع إلى قارئ جديد شعر أنَّه يسمع كلامًا جديدًا.

ولا عجب، فالقرآن هو الَّذي حاز إعجاب الوليد بن المغيرة، وكان حاذقًا بفنون الفصاحة والبيان، وعندما سأله نفرٌ من قريش ليقول كلمة يجمعون بها رأيهم لتكذيب الرَّسول ﷺ أمام العرب؛ حاز القرآن إعجاب الوليد، فردَّ على النَّفر من قريش يصف القرآن بقوله: «والله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة[(٢)]»[(٣)].

فإذا تُرجِمَ فلن تبقى هذه الطَّلاوة، وأصبح المفهوم غير المفهوم؛ ولهذا قال بعض العلماء: إنَّ ترجمةَ القرآنِ جنايةٌ على فصاحة القرآن، ومحوٌ لحلاوة منطقه، ولكن لم يمنعوا شرحه أو تفسيره، ومهما بلغت فصاحة الإنسان في اللُّغة الَّتي يريد أن يُترجم بها القرآن فلن يستطيع التَّرجمة، وإذا كان السَّائل يُتقن اللُّغة الإنجليزيَّة أو الهنديَّة فيمكن أن يشرح لها معنى الآيات دون أن يتعرَّض إلى ترجمة.

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (١٧٨٦).

(٢) الطلاوة: الحسن والبهجة. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٨/ ٥٠٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١٠/ ١٦٥).

الخشوع في استماع القرآن

السُّؤال:

حضرنا في مسجد نستمع لقارئ يتلو آيات الله البيِّنات، فإذا انتهى القارئ من قراءة آية صاح بعض الحاضرين: الله الله، فهل هذا مخالفة لآداب استماع القرآن؟

الجواب:

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ورحمة الله تنزل على المُنصتين الخاشعين، ويقول سبحانه في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال: ٢-٣]، والوَجل: الخشوع، وهو لا يكون مع الصِّياح والتَّهريج، ويقول تعالى في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، والخشوع لا يكون بقول: الله الله. وإنَّما هو أن تطمئنَّ وتُنصت وتتدبَّر آيات الله؛ لتنفذ إلى قلبك وتقع منك موقع العِبرة والتَّأثُّر، والصِّياح أمرٌ مخالفٌ للشَّرع، والقائل: (الله الله) ما يقولها إلَّا استحسانًا لصوت القارئ لا لمعنى القرآن، فإنَّه لا يمكن أن يحصل الإنسان على معنى القرآن مع الصِّياح بالاستحسان.

والله تعالى عاب على أولئك الَّذين تضيع المعاني منهم في غمرة الصِّياح ويفقدون التَّدبُّر بالقرآن، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمَّد: ٢٤-٢٥].

إنَّ القرآن نزل من عند الله؛ لنستمع إليه حين يُتلى بخشوع ووقار ونفهم معانيه وما يطلبه إلينا الله من العمل بنصوصه وروحه؛ لأنَّه أُنزِلَ رحمةً من الله لعباده، فهو شفاءٌ لأمراض القلوب وعلل النُّفوس من غلٍّ وحقد وبغضاء وكراهية وشرٍّ، إنَّه أُنزِلَ ليهدي البشريَّة للَّتي هي أحسن، فلو استمعنا إليه بهذا الصِّياح والتَّهريج ضاع المعنى، وضاع معه الهدى والخير.

كتاب الله له قُدسيَّة

السُّؤال:

كثيرًا ما يرى المارُّ أوراقًا مطبوعة أو مخطوطة ملقاة على الأرض أو في القمامات، مكتوب عليها: بسم الله، أو الله أكبر، أو آيات قرآنيَّة. فهل من اللَّائق بكتاب الله أن يُلقى على الأرض؟ وما موقف الَّذي يُمزِّق المصحف في ثورة غضب؟

الجواب:

اسم الله محترمٌ مُعَظَّم، ويجب أن يُصان، سواء كُتِبَ بالعربيَّة أم بغيرها، والقرآن كتاب الله وكلامه، نزل به الرُّوح الأمين على رسول الله محمَّد بن عبد الله ﷺ، فكان من المرسلين والمنذرين، وقد وصفه الله في سورة الواقعة بأنَّه: ﴿كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقِعَة: ٧٨-٧٩]، فهو كتابٌ مُطهَّر، وإلقاؤه في الطَّريق إهانة له.

فعلى كلِّ مسلم في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان وعقل أن يحترمَ مقدَّسات الله ويُجلَّها، وأوَّل هذه المُقدَّسات كتاب الله وكلامه واسمه.

أمَّا هذا الرَّجل الَّذي مزَّق كتاب الله العزيز بدعوى غضب فهو قليل الإيمان، فلو كان واقفًا أمام رئيس له أو رجل يحترمه ما استطاع أن يتكلَّم كلمة خارجة عن الأدب؛ لأنَّه سيحترم هذا الضَّابط أو هذا المعزب.

وكتاب الله هو كتاب ربِّ الضَّابط، وربِّ المعزب، وخالق الخلق، ومن بيده الحياة والموت.

وعلى هذا الرَّجل إن كان مؤمنًا أن يستغفر الله، ويتوب إليه، ولا يعود إلى عمله المشين، وليس هناك من تكفير إلَّا التَّوبة.

الَّذي يحفظ القرآن وينساه

السُّؤال:

قرأت القرآن ونسيته؛ لأنَّني تزوَّجت وانشغلت بأعمال البيت وتربية الأطفال، وعندما أسمع تلاوةً ينشرح لها صدري وأجلس باكيةً، فهل عليَّ ذنبٌ لنسيان ما قرأت؟ وهل عليَّ أن أُعيد قراءة القرآن حتَّى أخرج من الذَّنب؟

الجواب:

إنَّ قراءة القرآن طاعة، وما أشغلكِ عنه من إدارة للبيت ورعاية للزَّوج وتربية للأطفال طاعة أيضًا، ولعلَّ ثواب تربيتكِ جيلًا للمستقبل ينفع الوطن والأُمَّة أعظم؛ لأنَّ هذا نفعٌ عامٌّ، وتلاوة القرآن نفعٌ خاصٌّ، وأخبرنا الدِّين أنَّ ما عمَّ نفعه يعظم أجره، ويبقى ذكره، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦].

أمَّا ما سمعته السَّائلة من أنَّ حافظ القرآن أو قارئه إذا نسيه يُحشر أعمى، فالآية الكريمة هي قوله تعالى من سورة طه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، والمفهوم من لفظ هذه الآية الكريمة وظاهر معناها أنَّها أُنزِلَت فيمن سَمِعَ الحقَّ وأعرض عنه، ودُعِيَ إلى الهدى وتصامَّ عن سماعه.

أمَّا السَّيِّدة السَّائلة فقد أشغلها عن طاعة الله في قراءة كتابه قيامُها بأمانة أُسنِدَت إليها، وهي رعاية بيتها وزوجها وأطفالها.

وصول ثواب القرآن إلى المَيِّت

السُّؤال:

سألنا بعض الأخوة: هل يجوز إهداء ثواب قراءة القرآن للموتى في الأيَّام المباركة؛ كليلة النِّصف من شعبان، أو رمضان، أو الأعياد، وهل يصل ثواب القراءة إلى الموتى؟

الجواب:

نعم يصل، وأفضل العبادات بعد الصَّلاة قراءة القرآن، وقد ورد في الحديث عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**عليك بتلاوة القرآن فإنَّه نورٌ لك في الأرض، وذخرٌ لك في السَّماء**»(١).

وفي حديث آخر رواه مسلم، عن أبي أمامة الباهليِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(٢)، إلى غير ذلك من أحاديث كثيرة وردت في فضل قراءة القرآن، وفضل قارئيه، وما أعدَّ الله لهم من ثواب وفضل.

والقرآن يُقرأ دائمًا وفي كلِّ وقتٍ، وأفضل وقت لقراءته قُبيل صلاة الفجر أو بعدها، لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩].

أمَّا إهداء القراءة، أو ما نُسمِّيه نحن التَّثْوِبَة؛ فأمر لم يرد به أثر، إنَّما المشروع دعاءٌ يدعو به الإنسان عند ختم القرآن، فيدعو لنفسه ولإخوانه المسلمين، ويسأل الله أن يتقبَّل منه ما قرأ، ثمَّ يترحَّم على نفسه وعلى والديه وسائر موتاه وموتى المسلمين من أُمَّة محمَّد ﷺ.

أمَّا أن تكون الختمة لفلان ولفلان فأمر يجب أن تسبقه النِّيَّة.

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٤٥٩٢).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٨٠٤).

قراءة القرآن بالأجر

السُّؤال:

بعض النَّاس يعطون أجرة للمشايخ؛ ليقرؤوا الصَّمديَّة؛ أي سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] أكثر من مرَّة، أو ليقرؤوا سورًا أخرى من القرآن، فهل يُثاب القارئ والمقروء له على ذلك؟

الجواب:

قراءة القرآن عبادة، سواء قرأ الإنسان سورة أم ختمة، وقد فضَّلها بعض العلماء، وجعلها في الدَّرجة الثَّانية بعد الصَّلاة، والقراءة في الفجر أفضل من أيِّ وقتٍ غيره؛ لقوله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٨].

ولا يجوز بيع العبادة، وثمنها حرام على البائع، سواء كانت العبادة صلاة أم صيامًا أم قراءة قرآن على الموتى أم حجًّا إلَّا من استعان بشخص ليحجَّ له نيابة عنه، فيدفع له تكاليف الحجِّ.

ويجوز إهداء ثواب القراءة لمن يريد من المسلمين، ويجب أن تسبق نيَّةُ الإهداء قراءة القرآن؛ أي: أن ينوي من يريد إهداء الثَّواب لِمَن سيهديها.

أسماء السُّور وطبعات المصحف المختلفة

السُّؤال:

اطَّلعت على كتاب الله، فإذا به سورة باسم بني إسرائيل بدلًا من سورة الإسراء، وسورة نساء بدلًا من سورة النِّساء، وسورة مائدة بدلًا من سورة المائدة، وهكذا، فهل يجوز أن يوجد هذا التَّغيير في كتاب الله؟

وهل الطَّبعة الباكستانيَّة تختلف مثلًا عن الإيرانيَّة، وهل الطَّبعة الإيرانيَّة تختلف عن الطَّبعة العربيَّة؟

الجواب:

ليس في القرآن تبديلٌ ولا تغييرٌ، فهو هو كما أُنزِل وكما كُتِبَ وقت نزوله، وهو لا يفنى ولا يبلى ولو طال الدَّهر، وقد اطَّلعنا على مصاحف في متحف القدس منذ عهد بني أُميَّة، ومصاحف في دار الكتب المصريَّة منذ عهد الفاطميِّين، ومصاحف كثيرة بعدها مكتوبة، هي المصحف نفسه الَّذي بيدك الآن.

أمَّا ما ذكرت من أسماء السُّور فهي عناوين أو أسماء، لا أكثر ولا أقلُّ، سمَّى بها رسول الله ﷺ سور القرآن لتُعرَف بها، فمثلًا: براءة، لها اسم براءة، والتَّوبة، والقتال؛ لأنَّها براءة من المشركين، ولأنَّها فُرض فيها القتال بقوله تعالى في سورة التَّوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ولأنَّ التَّوبة على المهاجرين والأنصار والثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا مذكورة فيها.

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ١] سمَّاها الرَّسول سورة الإسراء؛ لأنَّ الإسراء ذُكِرَ بها، وسمَّاها سورة بني إسرائيل؛ لأنَّها تبحث في قصَّة بني إسرائيل، ورسالة موسى ونزول الآيات التِّسع وإفساد بني إسرائيل في الأرض، وتسليط عباد الله أولي البأس الشَّديد عليهم، إلى آخر ما هنالك من أمر.

والسُّورة المبدوءة بـ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسَان: ١] سمَّاها الرَّسول ﷺ: سورة الإنسان، وسورة الدَّهر؛ لأنَّ فيها ذكر الإنسان والدَّهر.

وسورة: تبَّت، سُمِّيَت تَبَّت، وسُمِّيَت المسد، وسُمِّيَت اللَّهب، ثلاثة أسماء لسورة واحدة صغيرة من سور القرآن.

ثُمَّ هذه أسماء لا أثر لها بنصِّ القرآن، فنصُّ القرآن محفوظٌ لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، ولا يصل إليه تحريف؛ لأنَّ الَّذي أنزله قال متعهدًا بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩]، وقد مرَّت على آخر آية نزلت منه (١٣٧٦) سنة، والقرآن هو هو كما أنزل، وستمرُّ آلاف السِّنين إلى أن تقوم السَّاعة، وهو هو كما أنزل.

والأسماء الَّتي ذُكِرَت للسُّور تكون تبعًا لاجتهاد مَن كتب القرآن، فأيُّ اسمٍ أعجبه كتبه، مثلًا سورة محمَّد، يصحُّ له أن يكتبها باسم سورة محمَّد أو باسم سورة القتال.

هل المصحف تعويذة؟

السُّؤال:

هل يُباح تعليق المصحف في الرَّقبة للكبار والصِّغار تعويذةً؟

الجواب:

المصحف كتاب دين وأحكام ونظام حياة، وهداية يهتدي بها الإنسان؛ ليخرج من ظلمات الجهالة والضَّلال.

وتعليق المصحف في الرَّقبة للصِّغار والكبار بِدعَة، وقد قال الرَّسول ﷺ: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»(١)، وهو كتابٌ مُقدَّس، يجب أن نُقدِّسه أكثر من كلِّ شيءٍ، ونحترمه فوق كلِّ شيء؛ لأنَّه كتاب الله العظيم.

والله جلَّ جلاله هو الرَّبُّ المعبود، فواجبٌ علينا أن نحفظ هذا الكتاب الَّذي أرسله إلينا لنعبده على هداه، فنكرمه، ونبعده من كلِّ ما يُهينه، ويَمسُّ قدسيَّته.

وتعليق المصحف في الرَّقبة لا يكون تكريمًا للمصحف، ووضعه على الأطفال لا يكون احترامًا ولا تقديسًا له، فتكريمه يكون بتلاوته، وحفظه، والعمل به؛ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وليس لاستعماله تعويذة لحفظ النَّفس ممَّا تكره، ولا حرز يوضع في البيوت مُغلقًا ونقدِّس شكله وأوراقه.

فلو أنَّ إنسانًا تلقَّى خطابًا من صديقٍ عزيزٍ ففتحه وشاهد رسمه ثمَّ

(١) رواه النَّسائيُّ، رقم: (١٧٩٩).

طواه ووضعه في مكانٍ دون أن يقرأ محتوياته، ويقف على مضمونه، ويستجيب لما يطلبه إليه، وغير ذلك ممَّا يكون صدًى لقراءته الخِطاب، ومعرفة مضمونه، هل يكون هذا التَّصرُّف من المُرسَل إليه الخطاب رشيدًا وحكيمًا؟ وهل هذا دليلٌ على احترامِهِ وحُبِّه للمُرسِل منه الخطاب؟ لا، إنَّما يكون في هذا العمل إهانةٌ للمُرسِل، وإهمالٌ لشأنه وعدم احترامٍ له.

كذلك القرآن، نغلِّفه بجلدٍ ثمين، ونضعه في مكان على حدة، ونكتفي بالنَّظر إلى رسمه وتقديسه، نفعل هذا دون أن ننظر إلى ما فيه من أخبار، وقصص، وآيات، وأحكام، وحدود، ونُذُر[1]، وبشرى، وغير ذلك من مضامينه[2].

ولَمَّا كان هذا شأن القرآن عند النَّاس، ومبلغ حظِّه منهم من الاهتمام والتَّقدير، أخبرنا القرآن ما قاله الرَّسول ﷺ لربِّه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفُرقان: ٣٠].

وإنَّ القرآن كتاب هداية، وحياة، وعمل، وإلى السَّائل بعض الآيات الَّتي تُبيِّن وظيفة القرآن وسبب إنزاله، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩].

(١) النُّذُر: جمع النَّذير، وهو الاسم من الإنذار. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٢٠١).

(٢) مضمون الكتاب: ما في ضِمنِه وطَيِّه، والجمع مضامين. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٥/ ٣٣٩).

الموتُ في سبيل الله أُمنيَّة كلِّ مسلم

السُّؤال:

مواطنة تسأل عن الآية: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النِّسَاء: ٧٨]، والآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٨].

الجواب:

الآية الأولى في سورة النِّساء، رقم (٧٨)، وهي قول الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النِّسَاء: ٧٨] إلى آخر الآيات الخمس.

نزلت في المنافقين الَّذين قالوا في قتلى أُحُد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا. فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النِّسَاء: ٧٨][(١)]، ومن طلب الموت وهِبَت له الحياة.

والأُمَّة لا بُدَّ لها من فدائيِّين يدافعون عنها، وعن مستقبلها، والموت أجل، والحيُّ لا بُدَّ أن يفنى، وللحياة نهاية، وكريم النَّفس لا يرضى بالذِّلَّة، فهو لا يرضى بغير واحد من اثنين؛ عِش عزيزًا أو مُت كريمًا.

أمَّا الآية الثَّانية فهي رقم (١٤٨) من سورة البقرة، يقول الله فيها: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ

(١) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٢/ ٢٥٢).

ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾﴾ [البَقَرَة: ١٤٨]، وهذه الآية نزلت مع الآيات الَّتي أمرنا الله ﷻ فيها بالتَّوجُّه إلى الكعبة في صلاتنا، وأنَّ اللهَ بيده الجهات جميعها ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١١٥]، وأَمرُ الله واجب الطَّاعة، وبطاعته الخير.

لا تزر وازرة وزر أخرى

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التّحريم: ١٠]؟ **وما هذه الخيانة؟**

الجواب:

الأنبياء رسل الله إلى النَّاس، يدعونهم إلى الحقِّ والطَّريق السَّويِّ، ولا بُدَّ أن يكون في طريق هذه الدَّعوة والرِّسالة عناصر سيِّئة تصدُّ النَّاس عن طريق الحقِّ، وتُشوِّهُ معالم الهدى لهم، ودعاة السُّوء موجودون في كلِّ زمان ومكان، ومنهم عمُّ النَّبيِّ الشَّقيق أبو لهب، فقد روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: «**يا صباحاه**» فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**أرأيتم إن حدَّثتكم أنَّ العدوَّ مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تُصدِّقوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتۡ

يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ١]، إلى آخرها[(١)].

وكانت امرأة أبي لهب؛ أمُّ جميل بنت حرب على رأي زوجها في عداوة رسول الله، وهي الَّتي سمَّاها الله حمَّالة الحطب؛ لأنَّها كانت تَحمِلُ الشَّوك فتضعه في طريق الرَّسول ﷺ[(٢)]، فكان أبو لهب وامرأته أكثر النَّاس إيذاءً لرسول الله ﷺ.

وامرأة نوح خانت زوجها لَمَّا كانت تستهزئ به مع المستهزئين، وتُحرِّض النَّاس عليه وتهاجمه، وتساعدهم على جمع الحطب؛ لحرق السَّفينة الَّتي كان يبنيها لينقذ بها المؤمنين من غرق الطُّوفان، فوقفت مع قومها موقف العدوِّ المهاجم لزوجها، تُكذِّبه، وتُسفِّه رأيه، وتحطُّ من قيمة دعوته.

وهكذا كانت امرأة لوط مع قومها، تهاجم الحقَّ الَّذي جاء به لوط، وتدلُّ قومها على ضيوفه مبالغةً في الإيذاء به، وهي تعلم شأن قومها وانحرافهم.

فكانت خيانتهما خيانة في الدَّعوة، وليست خيانة في الفاحشة، فالله جلَّ جلاله أجلُّ وأعظمُ من أن يجعل في بيت من بيوت أنبيائه امرأة بغيٌّ تخون زوجها في عرضها.

ومعنى ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التّحـريم: ١٠] تفسِّرُها آيتانِ في كتاب الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المـدَّثِّر: ٣٨]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام: ١٦٤]؛ فلا يُعذَّبُ إنسانٌ بذنبِ آخرَ، وقولُ رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٩٧٢)، ومسلم، رقم: (٢٠٨).
(٢) انظر: المختصر في أخبار البشر، لعماد الدين إسماعيل أبو الفداء (١/ ١١٩).

لأهله وعشيرته وهو يَعِظُهُم: «**يا بني هاشم، يا بني عبد المُطَّلِب، أنقذوا أنفسكم من النَّار، فإنِّي لا أملك لكم من الله شيئًا**»(١)، وقال لهم هذا؛ لأنَّه لا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان، فالمشركون من أهل النَّبيِّ وعشيرته ليسوا ناجين من النَّار لأنَّهم من عشيرته، ولا يمكن أن يشفع هو فيهم.

لقد كفرت هاتان المرأتان، فقيل: ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التّحْريم: ١٠]، فلم ينفعهما كونهما زوجتين لنبيَّين، فإنَّ أمر الخيانة في العقيدة جرمٌ كبير، ولا يفيد إلَّا الإيمان، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

وفيما قصَّ القرآن علينا من مثل هذا في سورة هود، قِصَّة ولد نوح الَّذي قال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هُود: ٤٢]، لكنَّه عصى فكان من المُغرقين، ثُمَّ نظر له أبوه وهو يتخبَّط في الأمواج، فقال ضارعًا إلى الله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هُود: ٤٥]، فكان الجواب من ذي الجلال والإكرام العادل الحكيم: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هُود: ٤٦]، ليس معنى هذا أنَّه دخيل على أهلك، لا، إنَّما لأنَّ الكفر قطع العلاقة بينه وبين الإيمان الَّذي دعوته إليه حتَّى في الميراث، فلا يرث الكافر مؤمنًا، ولا المؤمن كافرًا، ولو كان يملك مال قارون!

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٠٤).

الشَّجرة الَّتي أكل منها آدم

السُّؤال:

قال الله في كتابه العزيز من سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٥].

أرجو تفسير هذه الآية، وأين موضع هذه الجنَّة؟ وما هذه الشَّجرة الَّتي مُنِعَ آدم أن يأكل منها؟

الجواب:

قبل أن نجيب السَّائل عن سؤاله نودُّ أن نذكر هنا: هذه الآية من الأعراف؛ لأنَّها تفيد هذا المعنى وهي قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعرَاف: ١٩].

اختلف المُفسِّرون في الجنَّة هذه الَّتي وعد الله آدم بأنَّه ما دام يسكنها لا يجوع ولا يعرى، ولا يظمأ ولا يضحى، فقال بعض المُفسِّرين: الوصف الَّذي وصِفَت به جنَّة آدم بأنَّ ساكنها لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ ولا يضحى يمكن أن يتحقَّق في كثيرٍ من جنَّات الأرض، حيث يجد من يعيش فيها ما يكفي مطالب الحياة وضروراتها، والله ﷻ وصف جنَّتين في الدُّنيا بوصفٍ يشبه أنَّ من يكون فيهما لا يجوع ولا يعرى؛ الأولى في سورة البقرة: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، والثَّانية في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ [الكهف: ٣٢][(١)].

وما ذكره القرآن الكريم عن آدم وجنَّته لا يعطي حكمًا قاطعًا بأنَّ جنَّة آدم كانت هي الجنَّة الَّتي وعد الله بها المُتَّقين، ولا يدفع القول: إنَّها كانت جنَّة من جنان الأرض من تلك الحدائق والغابات المبثوثة في بقاعٍ شتَّى، مليئة بمختلف الثِّمار والطُّيور والحيوان، وتخرج بطبيعتها أن تكون من صنعة إنسان.

وقيل: إنَّها جنَّة أخرى خلقها الله امتحانًا لآدم عليه السلام، وما وصفت به جنَّة آدم بأنَّ ساكنها لا يجوع ولا يعرى، ولا يظمأ ولا يضحى، يمكن أن يتحقَّق في كثير من جنَّات الأرض كما قلنا.

وفي الأرض جنَّات كثيرة، تثمر طوال العام، وإنِّي أميل إلى القول: إنَّ جنَّة آدم كانت في مكان ما من الأرض، وقد مال إلى هذا القول الشَّيخ أحمد مصطفى المُراغيُّ في «تفسيره»[(٢)]، وقاله الألوسيُّ في «تفسيره» أيضًا[(٣)].

وقال هذا القول أيضًا من الأقدمين أبو مسلم الأصفهانيُّ في «تفسيره»: واختلف في الجنَّة الَّتي سكنها آدم عليه السلام؛ فقال بعض المُتكلِّمين: كان بستانًا جعله الله تعالى له امتحانًا ولم يكن جنَّة المأوى فإنَّ تلك لَمَّا تُخلق، وقيل: كانت جنَّة المأوى، وسُمِّيت جنَّة الخلد

(١) انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١/ ٧٥).
(٢) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (١/ ٩٠).
(٣) انظر: تفسير الألوسي، لشهاب الدِّين الألوسي (١/ ٢٣٥).

لدوامها بعد أن يدخلها المثابون، ومن قال: لم تكن تلك جنَّة الخلد؛ لأنَّه لا تكليف في الجنَّة[١].

إنَّ الله جلَّ شأنه خلق آدم ليكون خليفة في الأرض، والخليفة لا بُدَّ أن يكون في مكان خلافته لا خارجها، والجنَّة جزاء بعد الموت، وجنَّة الآخرة أُعِدَّت للمتَّقين، فهي مُحَرَّمة على الشَّيطان؛ لأنَّه بعيدٌ من التَّقوى، وجنَّة الآخرة دار نعيم وراحة وعصمة، لا يقع فيها عصيانٌ ولا مخالفةٌ، فلا يصحُّ أن تقع فيها مخالفة آدم، والجنَّة دار متعة، فلا يجوز أن يمنع أحد عن شيء ممَّا فيها؛ لهذا فمن العقل أن تكون الجنَّة الَّتي سكنها آدم هي غير الجنَّة الَّتي وُعِدَ بها المتَّقون.

أمَّا الشَّجرة فلم يذكر القرآن نوعها ولا اسمها، وإنَّما عرفها آدم وحده؛ لأنَّ الرَّبَّ جلَّ شأنه حدَّثه عن هذه الشَّجرة بالإشارة الكاشفة أو المعيَّنة، لكنَّ الشَّيطان خلع على الشَّجرة أوصافًا، فقال لآدم: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ [طه: ١٢١]؛ لأنَّ الإنسان في غريزته حُبُّ الاستطلاع، ولدت معه، وتمكَّنت منه وهو طفل، فذاق الشَّجرة وتعرَّفها وأكل منها، وكلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ، كما قال الشَّاعر قيسُ بن الملوَّح:

وَزَادَنِيْ كَلَفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مُنِعَتْ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا[٢]

ولا يهمُّنا نوعيَّة الشَّجرة وإن قال المُفسِّرون ما قالوا استنادًا إلى غير

(١) انظر: تفسير الأصفهاني، للرَّاغب الأصفهاني (١/ ١٥٤).
(٢) انظر: أدب الدِّين والدُّنيا، للماوردي (١/ ٥٤).

دليل؛ فمنهم مَن قال: إنَّها السُّنبلة، ومنهم من قال: إنَّها شجرة التِّين[١]، ومنهم من قال: إنَّها شجرة العنب[٢].

والقرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة لم يذكرا جنس هذه الشَّجرة، ولا من أيِّ نوعٍ هي، ولو كانت في معرفتنا لها فائدة لَذكرَها الله ورسوله لنا.

الآيات الَّتي تحدَّثت عن الهجرة

السُّؤال:

أرجو ذكر الآيات الكريمة الَّتي جاءت في موضوع الهجرة، وكم آية هي؟ وفي أيِّ سورة؟ مع تفسير هذه الآيات.

الجواب:

إنَّ ما أحفظه من الآيات في هذا الموضوع ثلاث آيات:

الأولى: الآية (٣٠) من سورة الأنفال، وهي: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

والثَّانية: الآية (٤٠) من سورة التَّوبة، وهي: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١/ ٣٠٥).
(٢) انظر: تفسير الطَّبري، لمحمَّد بن جرير الطَّبري (١/ ٥٥٥).

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

أمَّا الثَّالثة: فهي الآية (١٣) من سورة محمَّد، وهي: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾ [محمَّد: ١٣].

أوَّلًا: في الآية الأولى تذكيرٌ بما كان بعد أن تغيَّر الحال، وتبدَّل الموقف، وهو تذكير يوحي بالثِّقة واليقين في الحاضر والمستقبل، وقد كان الماضي خوفًا وقلقًا، والحاضر أمنًا وطمأنينةً، يُبشِّر بمستقبل عظيم، يُصدِّقه قوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٤-٥].

وقد قصَّ ابن عبَّاس رضي الله عنهما قِصَّة هذا المكر، فقال: «تشاورت قريش ليلةً بمكَّة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النَّبيَّ ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلعَ الله نبيَّه ﷺ على ذلك، فبات عليٌّ رضي الله عنه على فراش رسول الله، وخرج النَّبيُّ ﷺ حتَّى لَحِقَ بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًّا، يحسبون أنَّه النَّبيُّ ﷺ، فلمَّا أصبحوا ثاروا إليه، فلمَّا رَأَوْهُ عليًّا رضي الله عنه ردَّ الله تعالى مَكرَهُم، فقالوا: أين صاحِبُكَ هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصُّوا أَثَرَهُ، فلمَّا بَلَغُوا الجبل ومرُّوا بالغار رَأَوا على بابه نسيجَ العنكبوتِ، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نَسْجٌ على بابه، فمكث فيه ثلاثًا»[(١)]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

صورة عميقة التَّأثُّر، ذلك حين تتراءى للخيال ندوة قريش، وهم

(١) انظر: تفسير الطبري، لمحمَّد بن جرير الطبري (١١/ ١٣٦).

يتآمرون ويتذاكرون ويدبِّرون ويمكرون، والله من ورائهم مُحيط، يمكر بهم ويبطل كيدهم، وهم لا يشعرون، فأين قدرتهم من قدرة ربِّ العالمين؟!

ثانيًا: جاءت هذه الآية بعد حثِّ المسلمين على الخروج في سبيل الله، ولومهم على التَّثاقل، وتحذيرهم من عذاب الله إذا تثاقلوا؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ منصورٌ، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: ٤٠]، فحين ضاقت قريش بمحمَّد ذرعًا، كما تضيق القِوى الغاشمة بكلمة الحقِّ دائمًا، لا تملك لها دفعًا، ولا تطيق عليها صبرًا، فائتمرت به[(١)]، وقرَّرت أن تتخلَّص منه؛ أطلعه الله على ما ائتمرت، وأوحى إليه بالخروج، فخرج وحيدًا إلَّا من صاحبه الصِّدِّيق، لا جيش ولا عُدَّة، وأعداؤه كُثُر، وقوَّتهم إلى قوَّته ظاهرة، والسِّياق يرسم مشهد الرَّسول ﷺ وصاحبه: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التّوبَة: ٤٠]، والقوم على إثرهما يتعقَّبون، والصِّدِّيق يجزع، ويقول: «لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا»، وقد أنزل الله سكينته على الرَّسول، فتراه يُهَدِّئ من روع أبي بكر، ويطمئن قلبه، ويقول: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما؟**»[(٢)]، وكانت العاقبة نصرًا مؤزَّرًا من عند الله بجنود لم يرها النَّاس، جعل كلمة الَّذين كفروا السُّفلى ذلَّةً وصغارًا، وجعل كلمة الله هي العُليا منتصرة قويَّة نافذة[(٣)]، والله عزيزٌ لا يذلُّ أولياءه، حكيمٌ يُقَدِّر النَّصر لمن يستحقُّه، ومن كان مع الله كان الله معه.

ثالثًا: قيل: إنَّ هذه الآية نزلت في الطَّريق بين مكَّة والمدينة، في أثناء

---

(١) يأتمرون به: أي يتشاورون عليه ليقتلوه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٩).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٦٥٦).

رحلة الهجرة، تسليةً للرَّسول ﷺ، وتسرية عنه، وتهوينًا من شأن المشركين الجبَّارين الَّذين وقفوا في وجه الدَّعوة، وآذوا أصحابها، فقد أهلك الله الجبَّارين الَّذين كانوا أقوى شأنًا، وأكثر ثراءً، وأعظم جندًا من أهل مكَّة، فلم يكن هناك ناصرٌ لهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمَّد: ١١].

قال قتادةُ وابنُ عبَّاس: «لَمَّا خرج النَّبيُّ ﷺ من مكَّةَ إلى الغار التَفَتَ إلى مكَّةَ وقال: «**والله إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأَحَبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خَرَجتُ**»[(١)]، فَنَزَلَتِ الآية»[(٢)].

الشَّجرة الملعونة في القرآن

السُّؤال:

ما الشَّجرة الملعونة الَّتي ذكرها الله في الآية الكريمة في سورة الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٦٠]؟

الجواب:

الشَّجرة الملعونة هذه هي شجرة الزَّقوم الَّتي ذكرها الله في كتابه في الآيات الكريمة من سورة الدُّخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٩٢٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.
(٢) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١٦/ ٢٣٥).

سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدّخان: ٤٣-٥٠].

وقد كان لحديث شجرة الزَّقُّوم مثار استهزاء وسخريَّة في الأوساط الجاهليَّة، وإنكارٌ من الكافرين؛ كيف تنبُتُ الشَّجرة في النَّار وغذاءُ النَّار خشب الشَّجر؟! فبيَّن الله جلَّ جلاله أنَّه من الممكن أن تنبت الشَّجرة في النَّار، وأن تكون فتنة، فلينكر المنكر، وليُصَدِّق المُصَدِّق.

وأوضح جلَّ شأنه أنَّ هذه الشَّجرة كما جاء في سورة الصَّافَّات: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الصَّافات: ٦٤-٦٧].

وقد وجد هذا القول سبيلًا إلى بعض ضعاف الإيمان من صغار العقول الَّذين دخلوا في الإسلام، فوقع الشَّكُّ في نفوسهم، فكان ذلك سببًا في ارتدادهم، نسأل الله السَّلامة.

ووصف الشَّجرة بأنَّها ملعونة لكونها طعامًا كريهًا، لا يأكله إلَّا الخاطئون، ونحن في كلامنا الآن إذا كرهنا طعم شيء قلنا: إنَّه خبيث أو كريه؛ لأنَّنا استخبثنا طعمه وكرهناه.

الله والعرش

السُّؤال:

قال الله في كتابه العزيز في سورة السَّجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدة: ٤]. **أُحِبُّ**

أن أعلم أين كان ربُّنا قبل إيجاد العرش.

الجواب:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: ٧]، وقال جلَّ جلاله في سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبيَاء: ٣٠].

من هذا يتبيَّن لنا أنَّ عرش الله كان موجودًا قبل أنَّ يخلق السَّموات والأرض، وأنَّ الماء كان قبلهما موجودًا؛ لأنَّه خلق من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ، وأنَّ السَّموات والأرض كانتا قبل خلقهما شيئًا واحدًا، ففُصل بعضهما عن بعض، أمَّا قبل ذلك فأمور غيبيَّة يجب علينا أن نؤمن بها ولا نسأل عنها، فالقرآن لم يخبرنا عن شيء من ذلك، ولا عِلمَ لنا إلَّا ما علَّمنا القرآن، والله أعلم.

لون خمرة الجنَّة وطعمها

السُّؤال:

نقرأ في سورة محمَّد الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محَمَّد: ١٥]، **فما هذه الخمرة الَّتي وُعِدَ بها المُتَّقون في الجنَّة؟ وهل الجنَّة مُحرَّمة على شارب الخمر؟**

الجواب:

لقد بيَّن الله ﷻ لنا في سورة الصَّافَّات صفة خمر الجنَّة بقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصَّافات: ٤٥-٤٧].

فخمرة الجنَّة صافيةٌ شفَّافةٌ، وليس بها كحول تتلف بها الصِّحَّة، ويضيع بها العقل، وتخور بها القِوى، فهي إن شربها الشَّارب تلذَّذ بها؛ لأنَّها لذَّةٌ للشَّاربين، ولا تضرُّ عقلًا، ولا تُذهِبُ نشاطًا، ولا تضرُّ صِحَّة، ولا غول فيها ولا كحول مثلما في الخمور الأخرى.

أمَّا كون الجنَّة مُحرَّمة على شارب الخمر فالرَّسول ﷺ قال في الخمر الَّتي تُسكِر: «**لا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمنٌ**»[1]، والمقرَّر شرعًا أنَّ غير المؤمن لا يدخل الجنَّة ولا يشمُّ ريحها.

الآيات الأربع الأولى من سورة الذَّاريات

السُّؤال:

يقول الله ﷻ: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذّاريَات: ١-٦].

أرجو تفسير هذه الآيات الكريمة.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٥٧٨)، ومسلم، رقم: (٥٧).

الجواب:

ممَّا جاء في كتب التَّفسير قولهم: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾: الرِّياح، ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾: السَّحاب، ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾: السُّفُن، ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾: الملائكة[1].

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ يعني: الرِّياحَ الَّتي تذرو التُّرَابَ ذروًا، يُقال: ذَرَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ وأَذرَت.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾: السَّحاب تَحمِلُ ثُقلًا من الماء.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾: السُّفُن تجري في الماء جريًا سهلًا.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾: الملائكة يُقَسِّمُونَ الأمور بين الخلق على ما أُمِرُوا به، وقد أقسم الله تعالى بهذه الأشياء؛ لِمَا فيها من الدَّلالة على صنعه وقدرته[2].

وفي هذه الآيات الأربع أقسم الله بشيءٍ من مخلوقاته، فكما أقسم بالفجر واللَّيل والعصر والضُّحى والطُّور والتِّين أقسم بالرِّياح وأفعالها أيضًا؛ بأنَّ ما توعدون به من حشر وبعث وإحياء بعد موت، ونشر بعد فناء، وحساب على ما عملتم من عملٍ وعدٌ صادقٌ، وأنَّ الدِّين - وهو الجزاء - واقعٌ، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزَلة: ٧-٨].

وهذا الدِّين واقع ولا بُدَّ منه، فهم يسألون أيَّان يوم الدِّين، سؤال إنكار واستهزاء، ولكنَّ الدِّينَ واقعٌ رغم أنوفهم.

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (١٧/ ٢٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٧/ ٣٧١).

الأسماء الَّتي علَّمها آدم للملائكة

السُّؤال:

قرأت في سورة البقرة هذه الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البَقَرَة: ٣١]، **فما هذه الأسماء الَّتي علَّمها آدم، ولم تعرفها الملائكة؟ وأرجو شرح الآيات الكريمة للموضوع ذاته.**

الجواب:

الأسماء الَّتي علَّمها الله لآدم قد تكون العلوم، وليس غريبًا أن يُعلِّمها الله لِمن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، أو تكون الأجناس النَّباتيَّة والحيوانيَّة الَّتي خلقها الله في هذه الأرض للإنسان، كما قال جلَّ شأنه قبل هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩]، فألهمه معرفة أسمائها وخواصِّها وصفاتها، أو يكون الله ﷻ قد أودع هذا الإنسان سرَّ المعرفة، فخلق له قلبًا حافظًا مُبدعًا، ولسانًا لافظًا، وجعل فيه سرَّ خلقه وخلافته، وسرَّ نموِّ هذا الكون وارتقائه، وجعله زينة هذه الدُّنيا بكلِّ ما فيها من بدائع وجمال، هذا ما أدركته من معنى الأسماء، والله أعلم.

أمَّا الآيات الكريمة فهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٠-٣٣].

ومعنى هذه الآيات الكريمة هو أنَّ الله جلَّ شأنه بإرادته العُليا وعلمه الأزليِّ وقرارِه لَمَّا خلق كلَّ ما في الأرض للإنسان قدَّر استخلافه في الأرض، ومنحه مقاليدها، فقال للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، والخليفة: هو الَّذي يملك زمام ما استُخلِفَ فيه، ولكنَّ الملائكة لم يعرفوا من هذا الخليفة، فقد كانت لديهم شواهد وتجارِب سابقة من مخلوقات سبقت آدم على هذه الأرض أفسدت فيها، وسفكت الدِّماء، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، ثُمَّ علَّم آدم الأسماء بالفطرة الَّتي أودعت فيه، ثُمَّ عَرَضَ هذه الأسماء على الملائكة، وطلب إليهم أن ينبِّئوه بها إن كانوا يعلمون، أو كانوا صادقين بما ذكره من صفاتهم، وسيكونون خيرًا من هذا الخليفة وهم يسبِّحون الله ويُقدِّسونه، ولا يفتُرون لحظة عن عبادته، ولكنَّ الله الَّذي كرَّم آدم وبنيه، وألهم آدم سرَّ المعرفة؛ ليواجه بها مجاهيل الطَّبيعة والحياة - كما ألهمه سرَّ الإبداع الَّذي يستطيع به أن يُبدِّد الظَّلام فينير طريق الحياة ويرفع من شأنها لينعم بها الأحياء - جعل آدم عليمًا بأسمائهم، فلمَّا أنبأهم، قال الله لملائكته: هذا هو خليفتي في الأرض، وقد قلت لكم: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٣].

نقل الدَّم من سليم إلى مريض

السُّؤال:

يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فهل الدَّم الَّذي يؤخذ من إنسان سليم لآخر مريض يدخل ضمن هذا الدَّم المسفوح الَّذي ورد في الآية؟

الجواب:

الدَّم حرامٌ لا يُباح بوجهٍ من الوجوه، ودمُ الإنسانِ محرَّمٌ كجسمه لا يُباح منه عضو أو دم أو نفس إلَّا على وجه القِصاص، وبالشُّروط الَّتي أباحها الشَّارع، والإنسان المؤمن بدنُهُ مُحرَّمٌ حيًّا كان أو ميِّتًا، لكن هناك مصالح ومفاسد، وهناك منافعُ ومضارُّ، فإن رجحت المفاسد أو المضارُّ وجب المنع، وصار ردُّ المفاسد في هذه الحال أولى من جلب المصالح، وإذا رجحت المصالح والمنافع على المفاسد وجب اتِّباع المصالح.

وإنَّ بدن الإنسان محترم، لا يباح منه شيء، لكن لو رأينا رجلًا قويًّا شابًّا معافًى نشطًا في صِحَّة تامَّة، وقال الطَّبيب: إنَّ أخذ مقدار من الدَّم لا يؤثِّر فيه. فأخذناه فأعطيناه إلى هذا المريض الَّذي أوشك هلاكه لسَلِمَ، فهُنا مصلحة لإحياء نفس، ومضرَّة لا تتجاوز (١٪)، لا شكَّ في

أنَّ المصلحة هنا أرجح، وأخذ الدَّم للمريض الموشك على الهلاك لإنقاذه أولى.

ومن المعلوم أنَّ الطِّبَّ في عصرنا هذا وصل إلى درجة لا أستطيع أن أقول هي درجة الكمال، لكنَّها درجة لم نشهدها في العصور الغابرة، ولا في السِّنين القريبة الماضية، والشَّارع أمرنا بالتَّداوي خاصَّةً وعامَّةً، فقال الرَّسول ﷺ: «**يا عباد الله تداووا؛ فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاء**»[1]، وإذا تعيَّن الدَّواء، وحصول المنفعة وجب إنقاذ النَّفس من التَّهلكة لا سيَّما في المباح.

بقي عليَّ أن أقول: الدَّم المسفوح حرام على طاعم يطعمه، فهل هذا الدَّم الَّذي نأخذه من إنسان سليم إلى إنسان آخر مريض نعدُّه مسفوحًا؟ وهل نأخذه طعامًا لهذا المريض؟

والجواب: لا شكَّ في أنَّه ليس دمًا مسفوحًا، ولا مانع من أن نأخذه علاجًا لمريض أشرف على الهلاك، ثمَّ إنَّني لم أسمع يومًا من الأيَّام أنَّ دم حيوان أُنقِذَ به إنسان.

فإنَّ الدَّم الَّذي نعطيه وننقِذُ به حياة آدميٍّ نأخذه من آدميٍّ، من قوَّته، بل من روحه، فهو ليس بخبيث، وإنَّما هو مكرَّم ككرامة الإنسان، أخرجه المعطي عن رغبته، وأعطاه إيثارًا لغيره، بذل من قوَّته لقوَّة غيره، ومن حياته لإنقاذ حياة إنسان مثله، فهو ليس من جنس الدَّم المسفوح المطلوب شرعًا اجتنابه والابتعاد منه، لا سيَّما أنَّ الإنسان أُمِرَ بالإيثار، وأيُّ إيثارٍ أكبر وأكرم من أن يبذل الإنسان من دمه لإنقاذ أخيه؟!

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٣٨)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وإذا كان الإيثارُ بالمالِ مكرُمةً، فهو بالنَّفسِ أكرم، والَّذي يأخذ الدَّم ويعطى إليه هو مُضطَرٌّ إليه غير باغٍ ولا عادٍ، فبهذه الحالة لا إثم عليه.

أخيرًا أقول: إنَّ الطِّبَّ تقدَّم، ولا ضررَ على مَن بذل دمه، ولا خطرَ ولا تحريمَ في دمٍ أُعطِيَ لمريضٍ أشرف على الهلاك، فالمصلحة راجحة.

والإسلام لا يقف حاجزًا دون المصالح الرَّاجحة، أو النَّافعة، ويجاري الأحوال والأزمان، ويتَّبع المنافع والمصالح، ولا قصور فيه من جميع الوجوه.

وليس في الإسلام نصٌّ واضح يُحَرِّم أخذ الدَّم من إنسان إلى آخر ولا من إنسان إلى إنسانة أو منها إلى إنسان، ولا يُحرِّم بينهما ولو كانا في سنِّ الرَّضاع، لا سيَّما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى**»[(١)]، والمؤمنونَ كما قال الرَّسول ﷺ: «**كالبنيان يشدُّ بعضهم بعضًا**»[(٢)].

الحسنات الَّتي تمحو السَّيِّئات

السُّؤال:

ما معنى التَّوبة؟ وما السَّيِّئات الَّتي يمحوها الحجُّ المبرور؟

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٦).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٠٢٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٥).

الجواب:

قال رسول الله ﷺ: «**التَّوبة النَّصوح النَّدم على الذَّنب حين يفرط منك فتستغفر الله تعالى ثُمَّ لا تعود إليه أبدًا**»(١)، وقال أيضًا: «**التَّائب من الذَّنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذَّنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربِّه**»(٢).

من هذا نفهم أنَّ التَّوبة متى كانت صادقة مقرونة بالنَّدم على ما فرَّط التَّائب في ماضيه، كانت كفَّارة لِمَا قبلها من السَّيِّئات.

والحجُّ المبرور هو الحجُّ الَّذي يكون صاحبه قد تاب من سيِّئاته، وندم على ما فرَّط منه؛ لهذا كان الحجُّ توبة مقرونة بعمل صالح.

والله ﷻ قال في كتابه العزيز في آخر سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفُرقان: ٦٨-٧١].

من هذا نفهم أنَّ الحجَّ المبرور هو حجُّ امرئٍ أخلص التَّوبة لله، وصدق العزم ألَّا يعود إلى السَّيِّئات، ومَن كانت هذه نيَّته صحَّت توبته وقُبِلَت، والتَّوبة الصَّادقة تَجُبُّ ما قبلها؛ أي: إنَّها تمحو عن صاحبها السَّيِّئات الَّتي كان قد ارتكبها.

---

(١) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمَّال، رقم: (١٠٣٠٢).

(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٦٧٨٠).

والسَّيِّئات نوعان: فما كان منها خاصًّا بالمذنب نفسه، لا تتعدَّى حدوده، أو دائرته الشَّخصيَّة، قال أهل العلم: إنَّ أمرها لله، والله غفور واسع الرَّحمة، أمَّا الذَّنب المُتعلِّق بحقِّ غيره، كالحقوق الماليَّة، أو الاعتداء، أو الغيبة، أو القذف، أو غير ذلك من الذُّنوب الَّتي تمسُّ بشخص، أو أشخاص يتعدَّى بها الجاني عليهم، فقالوا: إنَّ هذه تتوقَّف على عفو المجنيِّ عليهم، وفي الحديث أنَّ الرَّسول ﷺ قال في المُفلِسِ من أُمَّته: «**يأتي يوم القيامة بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّار**»(١)، نسأل الله لنا وللسَّائل نجاة من عذاب الله، وتوبة صادقة، تُنجِينا من النَّار، ومن غضب الله القهَّار.

تفسيرٌ لغويٌّ في قِصَّة يوسف مع إخوته

السُّؤال:

جاء في سورة يوسف عليه السلام قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يُوسُف: ١٥]، **ونحن نعلم أنَّ القرآن مُنزَّه عن النَّقص، وسؤالي هو أنَّ (لمَّا) تأتي شرطيَّةً، فأين جواب الشَّرط؟ وما شأن الواو الَّتي تسبق لفظة أوحينا؟**

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨١).

الجواب:

في سورة يوسف قَصَّ الله قِصَّة يوسف وإخوته أبناء يعقوب، وجاء في هذه القِصَّة أنَّ أولاد يعقوب حسدوا أخاهم يوسف؛ لأنَّه أحبُّ إلى أبيهم منهم، وأنَّهم بعد هذا قرَّروا أخذه من أبيه؛ ليلقوه في غيابة الجُبِّ - البئر -، وذهبوا به فعلًا، فلمَّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ، نفَّذوا ما أجمعوا عليه.

وجواب لَمَّا الشَّرطيَّة تُفسِّره جملة: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ﴾ [يُوسُف: ١٥]، ومعنى ذلك أنَّهم نفَّذوا ما أجمعوا عليه.

والواو الَّتي تسبق أوحينا: واو عطف؛ عطف جملة على جملة، أو أنَّ جملة ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ [يُوسُف: ١٥] تُفسِّر الجواب، كأنَّ جواب لَمَّا: كانت عناية الله معه. فالمعنى يكون حينئذٍ: فلمَّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ؛ صحبته عناية الله وأوحينا إليه، إلى آخره، والله تعالى أعلم.

فرعون والآيات التِّسع

السُّؤال:

أرجو تفسير هذه الآيات من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ

جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسرَاء: ١٠١-١٠٣].

وأرجو بيان هذه الآيات التِّسع، وكيف نوفِّق ونجمع بين قوله تعالى هنا: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ [الإسرَاء: ١٠٣] وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: ٩٢]؟

الجواب:

الآيات التِّسع هي المعجزات الَّتي أيَّد اللهُ نبيَّه موسى بها، وهي: العصا، واليد، والطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضَّفادع، والدَّم، ونقص الثَّمرات، وسنوات القحط.

فكلَّما جاءهم موسى بآية من هذه الآيات قال فرعون في كبرياء وغرور: إنَّ هذا سحر؛ لأنَّ كلمة التَّوحيد والحقِّ ليس لها في عرف الطَّاغية الظَّالم مكان، وهو الطَّاغية الجبَّار، ولا يتصوَّر هذه المعاني، ولا يَظُنُّ أنَّ أحدًا من النَّاس يملك قواه العقليَّة يجابهه بكلمة حقٍّ.

أجابه موسى المُطمئنُّ إلى نصرة الله الَّذي أرسله بالحقِّ مُبشِّرًا ومنذرًا، وأرسله به مُشرقًا منيرًا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسرَاء: ١٠٢]؛ فالله ﷻ هو الَّذي أيَّده بهذه الخوارق الواضحة المكشوفة، لكنَّ الطَّاغية فرعون لجأ إلى قوَّته المادِّيَّة، وقرَّر أن يزيد موسى وقومه جورًا وظلمًا، ويبيدهم موتًا، ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسرَاء: ١٠٣]، وكذلك الطُّغاة عندما يعجزون عن مجابهة الحقِّ لا يُفكِّرون إلَّا بالبطش أو النَّفي، وسُنَّة الله تجري بإهلاك الطُّغاة الظَّالمين، وتوريث المستضعفين الصَّابرين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القَصَص: ٥].

ثُمَّ تحكي الآيات الكريمة قول الله ﷻ: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسرَاء: ١٠٣]، وأورث الأرض الَّذين كانوا يستضعفون، فسكنوها وعمروها، ثُمَّ بعد فنائهم يُبعثون وأعداؤهم إلى جزاء الآخرة، ويحضرون للحساب جميعًا.

أمَّا الآيتان اللَّتان ورد فيهما قول الله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ [الإسرَاء: ١٠٣] و﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يُونس: ٩٢]؛ فالإغراق معناه: الموت غرقًا؛ إذ يموت في الماء خنقًا، و﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يُونس: ٩٢]؛ أي: ننجي بدنك من التَّلف، بحيث لا تأكله الأسماك، ولا يذهب مع التَّيَّار، فيدرك مَن وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك، لتكون لمن خلفك آية وعبرة، يتَّعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة الظُّلم والظَّالمين، والتَّصدِّي لقوَّة الله ووعيده بالتَّكذيب، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يُونس: ٩٢].

وآية يونس لا تنافي آية الإسراء، ففرعون مات غرقًا، ثُمَّ أنجى الله بدنه من التَّلف، وجسمه باقٍ حتَّى اليوم، هذا هو الجواب للسَّائل.

ولقد رأينا فرعون موسى في دار الآثار المصريَّة ببدنه سالمًا، لم تأكله أسماك البحر، ولم يذهب به تيَّاره، فهو باقٍ بقاء الأجيال؛ ليكون آيةً على قدرة الله تعالى لمن خلف فرعون من أجيال، ولمن استخلفهم بعدها من أجيال قادمة.

معنى التَّوفِّي في قِصَّة عيسى

السُّؤال:

أرجو التَّفضُّل بإجابتي عن معنى قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: ١١٦]، **إلى قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: ١١٧]، **وقوله تعالى في سورة آل عمران:** ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٥] **إلى قوله تعالى:** ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٦].

وما معنى كلمة: ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المَائدة: ١١٧] **الَّتي ورد ذكرها في سورة المائدة؟ وكلمة:** ﴿وَكَهْلًا﴾ [آل عِمرَان: ٤٦] **الَّتي وردت في سورة آل عمران؟**

وهل يرجع سيِّدنا عيسى عليه السلام إلى الأرض؟ ويُكلِّمُ النَّاس، ويقتل الأعور الدَّجال؟

الجواب:

اختلف المُفسِّرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] في سورة آل عمران، فقال بعضهم: قد رُفِعَ حيًّا بجسمه وروحه، وإنَّه سينزل آخر الزَّمان، فيحكم بين النَّاس بشريعتنا، ثُمَّ يتوفَّاه الله.

وبعضهم قال: إنَّ الآية على ظاهرها، وإنَّ التَّوفِّي هو الموت العاديُّ، والرَّفع بعده للرُّوح، ولا غرابة في خطاب الشَّخص وإرادة روحه، فالرُّوح

هي حقيقة الإنسان، والجسد كالثَّوب المُستعار يزيد وينقص ويتغيَّر[١].

ثُمَّ إنَّ حديث الرَّفع وإنزال عيسى في آخر الزَّمان الَّذي رواه أبو هريرة: «**والَّذي نفسي بيده، لَيُوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عدلًا، فَيَكسِرَ الصَّليب، ويقتُلَ الخنزير، ويَضَعَ الجِزيَةَ، ويَفِيضَ المال حتَّى لا يقبَلَهُ أحدٌ، حتَّى تكونَ السَّجدة الواحدةُ خيرًا من الدُّنيا وما فيها**»[٢] حديثُ آحاد لم يثبت في الكتب الصِّحاح؛ لهذا فإنَّنا نؤمن بأنَّ عيسى عليه السلام حجبه الله عن اعتداء المعتدين عليه، ثُمَّ توفَّاه كما توفَّى غيره من الأنبياء، ورفعه إليه، وبذلك كان دعاء سيِّدنا محمَّد ﷺ في احتضاره: «**اللَّهُمَّ ألحقني بالرَّفيق الأعلى**»[٣].

أمَّا كلام عيسى عليه السلام للنَّاس في الكهولة فقد أدركها صلوات الله عليه؛ لأنَّه عاش مرحلة الكهولة، والكَهْلُ من الرِّجال: مَن وَخَطَهُ الشَّيبُ؛ أي: خالطَهُ ورأيتَ له بَجالَةً، أو من جاوز الثَّلاثينَ، وقيل: مَن زادَ على ثلاثينَ سنة إلى الأربعين، وقيل: هو من ثلاثٍ وثلاثينَ إلى تمام الخمسين[٤].

ومعنى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عِمرَان: ٤٦]: كلَّمَهُم في المهد حينَ بَرَّأَ أُمَّهُ فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مَريَم: ٣٠]، وأمَّا كلامه وهو كهل فإذا أنزلَهُ الله أنزله على صورة ابنِ ثَلَاثٍ وثلاثينَ سَنَةً؛ وهو الكَهلُ، فيقول لهم كما قال في المهد.

وقيل: وفائدةُ الآية أنَّهُ أعلَمَهُم أنَّ عيسى عليه السلام يُكَلِّمُهُم في المهدِ

(١) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (٣/ ١٦٩).
(٢) أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، رقم: (٣٤٤٨).
(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٤٩٦)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٤) انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٠/ ٣٦٠).

ويَعِيشُ إلى أن يُكَلِّمَهُم كَهلًا، إذ كانت العادةُ أنَّ مَن تَكَلَّمَ في المهد لم يعش[١]، وهي بشارة لمريم بأنَّ ابنها سيعيش حتَّى يكون رجلًا سويًّا، والله أعلم.

شهادة الرَّجل والمرأة في المعاملات التِّجاريَّة

السُّؤال:

قرأت في سورة البقرة في الآية (٢٨٢) قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]، لماذا كان الشُّهود رجلين، أو امرأتين ورجلًا؟ وهل معنى ذلك أنَّ عقل الرَّجل أكمل وأوسع من عقل المرأة؟

الجواب:

المعاملات التِّجاريَّة ومزاولة الأعمال تكون عادةً مع الرِّجال، والأسواق تعمر بهم، وإذا كان هنا وهناك نساء فهنَّ قليلات.

والمجتمع المسلم كرَّم المرأة فجعلها مكفولة لا حاجة لها أن تعمل لتعيش، ففي عملها وطلبها العيش جور على أنوثتها وأمومتها، فإنَّ واجبها أعظم وأكبر، وعليها رعاية أثمن رصيد في الأُمَّة العادلة المنطلقة إلى المستقبل؛ الطُّفولة النَّاشئة الممثِّلة للجيل النَّاشئ ورجال الغد والأُمَّة الَّتي تتطلَّع إليهم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (٤/ ٩٠).

إنَّ المرأة لا تعمل إلَّا في المجتمع النَّكد المُنحَرِف القلق الَّذي نعيش فيه اليوم، فالمرأةُ خُلِقَت ربَّةَ بيتٍ، ومربِّيةَ أولادٍ، ومنشئةَ أجيالٍ، وإنَّها محترمة؛ لهذا أعطاها الله هذه الكرامة؛ كرامة تربية البنين والبنات.

ويُصيب المرأة من الأحوال الجسديَّة ما لا يُصيب الرِّجال، فالمرأة تحمل وتتوحَّم[1] وتلد، ولها عادة شهريَّة، وفي كلِّ هذه الحالات تَهُزُّها هزَّات بدنيَّة صِحِّيَّة تُنسيها في بعض الأحيان ما كانت تعلم.

والمرأة بطبيعتها عاطفيَّة، وتؤثِّر فيها عاطفتها، وقد تدفعها إلى النِّسيان؛ فلهذا كان على الموثِّق إذا لم يجد رجلين للشَّهادة أن يُشهِدَ رجلًا وامرأتين لِتُذَكِّرَ إحداهما الأُخرى.

أمَّا الرَّجل فهو متفرِّغٌ لعمله في الغالب، لا تشغله الأحوال الجسديَّة الَّتي تشغل المرأة ولا تهزُّه حالة قيام بشؤون صغار أو بيت، فهو متفرِّغ لعمله الخارجيِّ، وقلَّ أن يلهيه عمل غير هذا العمل.

سورة براءة والبسملة

السُّؤال:

بدأت كلُّ سور القرآن بالبسملة، إلَّا سورة براءة؛ التَّوبة، فما الحكمة من ذلك؟

---

(١) وَحَمت المرأة وحمًا: إذا اشتهت شيئًا على حبلها. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٦٣٠).

الجواب:

كُتِبَ القرآن في عهد الرَّسول ﷺ مفرَّقًا؛ في الرِّقاع واللِّخاف والعُسُب والأكتاف وقطع الأديم.

وفي أيَّام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه جمع أوَّل ما جمع في نسخة واحدة حُفِظَتْ عند حفصة بنت عمر ولم تُكتَب البسملة في أوَّل سورة التَّوبة اقتداءً بما كُتِبَ من قبل في عهد الرَّسول ﷺ.

ولَمَّا أمر عثمان بكتابة النُّسخ السَّبع من كتاب الله وتوزيعها على الأقطار الإسلاميَّة: الكوفة، والبصرة، والشَّام، واليمن، والبحرين، ومكَّة، وترك السَّابع في المدينة؛ خشيةَ أن يختلف النَّاس في كتاب الله؛ لم تُكتب البسملة في أوَّل براءة في هذه النُّسخ، ولا كتبها التَّابعون بعد الصَّحابة فيما كتبوه، ولا تابعو التَّابعين، ولا مَن بعدهم، والسَّبب في ذلك يرجع إلى واحد من ثلاثة أمور:

١_ أنَّ التَّوبةَ براءةٌ من الله ورسوله إلى المشركين، وهذا إنذارٌ لا يناسبه أن يقترن بذكر الرَّحمة الموجودة في البسملة؛ لأنَّ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أمانٌ، وسورة براءة سيفٌ وقتالٌ لا أمان فيه.

٢_ أنَّ براءة نزلت بإلغاء النَّسب والمحبَّة بين المؤمنين والمشركين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [التوبة: ٢٣]، وإلغاء هذه الولاية رغم القرابة والنَّسب لا يتناسب مع ذكر الرَّحمة الموجودة في كلمة: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.

٣_ أنَّ سورة التَّوبة امتداد لسورة الأنفال؛ لتقاربهما في موضوعهما،

ولأنَّهما تحدَّثتا عن الجهاد والقتال والنَّفير في سبيل الله، فكأنَّهما سورة واحدة تتمُّ الثَّانيةُ الأولى في معظم ما فيها من أوامر ونواهٍ وأصول وفروع، فالبسملة الَّتي بدأت بها سورة الأنفال أغنت عنها في أوَّل التَّوبة[1]، وهذا هو القول الأقرب للواقع والَّذي نعتقده، والله أعلم.

النَّاسخ والمنسوخ في القرآن

السُّؤال:

قرأت في تاريخ الطَّبريِّ أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ قومًا يُبَشِّرون بالإسلام قوم عامر بن الطُّفيل بطلب من أبي براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنَّة، وأنَّ قوم ابن الطُّفيل استقرَّ عليهم جماعة من الأعراب قتلوهم إلَّا واحدًا رجع إلى المدينة، وأخبر رسول الله بالحادث، وقرأت أنَّ الله أنزل فيهم: بلِّغوا قومنا أن قد لقينا ربَّنا فرضي عنَّا ورضينا عنه. وأنَّ هذه الآية نُسِخَت، فما درجة هذا الخبر من الصِّحَّة؟

الجواب:

لا شكَّ في أنَّ في القرآن ناسخًا ومنسوخًا، وقد ألَّف علماء الشَّريعة كُتُبًا في ذلك، منها المُطوَّل ومنها المختصر، والمفسِّرون جعلوا علم النَّاسخ والمنسوخ من علوم القرآن، والفقهاء جعلوا هذا العلم من أصول الفقه، وفيه خلاف بين المؤلِّفين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي (٨/ ٦١).

وبعض العلماء أنكروا النَّسخ، وقد جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البَقَرَة: ١٠٦].

وقال المُفسِّرون: إنَّ هذه الآية خاصَّة في نسخ الأحكام، وهو رفع حكم شرعيٍّ إلى حكم شرعيٍّ آخر[١] ليس إلَّا، مثل: نسخ استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة في الصَّلاة، وإنَّ هذا النَّسخ جائزٌ عقلًا واقعٌ سمعًا، ومثل نسخ الوصيَّة للوالدين والأقربين في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٠]، ودليل نسخه ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله أعطى كُلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ؛ فلا وصيَّةَ لوارثٍ**»[٢]؛ لأنَّ الميراث حقٌّ للوارث، يمنع صرف الوصيَّة إليه.

أمَّا الَّذين أنكروا النَّسخ في القرآن فقالوا: إنَّ الآية تشير إلى أنَّ شريعة محمَّد ﷺ نسخت الشَّرائع الَّتي قبلها بما جاءت به من أحكام وتشريع صالحَين لكلِّ زمان ومكان.

أمَّا الآية الَّتي أشار إليها السَّائل فلا أعلم درجة صِحَّة الخبر الَّذي ورد فيها، فليست هي آية تشريع حتَّى نقرأ عنها في كتب التَّشريع؛ لهذا فإنِّي بحثت في مكان وجودها فلم أعثر على جواب يحسن السُّكوت عليه.

قرأت الخبر في «سيرة» ابن هشام، وهو الباحث المُحَقِّق، وقرأت في «نور اليقين» للخضريِّ، وقرأت في «حياة محمَّد» لهيكل، فلم أجد لما

---

(١) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (١/ ١٨٨).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢١٢١)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ذكره الطَّبريُّ من أثر فيها، وقرأت في «تفسير» الخازن، وفي تفاسير غيره، فلم أجد للحديث خبرًا فيها أيضًا.

وقرأت في «تفسير المنار» للمرحوم السَّيِّد محمَّد رشيد رضا الَّذي ينسبه إلى الشَّيخ محمَّد عبده، فوجدت حديثًا رُوِيَ في «مسند» الإمام أحمد وغيره عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وهو حديث في غير الوقعة الَّتي سأل عنها السَّائل، وهي وقعة بئر معونة.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنَّة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة في ظلِّ العرش، فلمَّا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: من يبلِّغ إخواننا أنَّنا أحياء في الجنَّة نُرزق؛ لئلَّا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أُبَلِّغُهُم عنكم، فأنزل الله هذه الآيات من سورة آل عمران:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩]»، رواه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم[(١)].

جريان الشَّمس والقمر في أفلاكهما

السُّؤال:

أرجو الإفادة في معنى الآيات الكريمة: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ

(١) رواه أبو داود، رقم: (٢٥٢٠)، وأحمد، رقم: (٢٣٨٨)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٢٤٤٤)، والبيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٣٩٣٥).

لَّهَآ أَ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

الجواب:

هذه الآيات الكريمة جاءت بعد ذكر تعداد نِعم الله على عباده من بني الإنسان وهي من سورة يس: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٣-٣٨].

ثُمَّ نجيب السَّائل الكريم عن سؤاله: ذكر الله ﷻ الشَّمس بعد أن عدَّد آية إحياء الأرض وإنباتها وخلق الأزواج في النَّبات والحيوان، وآية سلخ النَّهار من اللَّيل.

والشَّمس تدور حول نفسها، وليست مُستقِرَّة، إنَّها تجري في خطٍّ أماميٍّ، وتستقلُّ إلى مستقرٍّ مُقدَّرٍ لها كلَّ يوم، إنَّها تجري في هذا الفضاء الهائل بأمر ربِّها الخبير بها، العزيز بسلطانه عليها، العليم بجريانها ومصيرها، الغالب بقدرته على كلِّ شيء.

وهذا المستقرُّ الَّذي ستنتهي إليه هذه الشَّمس لا يعلمه إلَّا الله ولا يعلم موعده سواه.

هذه الشَّمس الهائلة تتحرَّك في الفضاء وتجري لا يسندها شيء ولا

يمسكها إلَّا العزيز العليم.

وآية القمر قدَّرها الباري ﷻ وقدَّر لسيره منازل لا يتخطَّاها ولا يحيد عنها؛ منازل يقطعها كلَّ يوم وليلة، فتراه يولد هلالًا دقيقًا مقوَّسًا، ثُمَّ يبدو بدرًا مُستديرًا، ثُمَّ ينقص حتَّى يعود ساهمًا[1] واجمًا ذابلًا كالعرجون القديم، والعرجون: هو العذق الَّذي يحمل التَّمر في النَّخلة.

ثُمَّ يقول الباري ﷻ في آية من الآيات الدَّالَّة على قدرته وعظمته من السُّورة نفسها: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠].

والشَّمس والقمر يسيران على نظام دقيقٍ ثابتٍ، فلا يجوز للشَّمس أن تسبق القمر؛ لأنَّ لها وقتًا مُقدَّرًا، وإنَّ للقمر وقتًا مُقدَّرًا، ولا يجوز للَّيل أن يسبق النَّهار؛ فللَّيل ساعاته، وللنَّهار ساعاته، كلٌّ يَسبَحُ في فلكه، ويجري في مداره، تبارك الله أحسن الخالقين!

والمسافات بين كلِّ نجم ونجم، وكوكب وكوكب؛ مسافات هائلة، والله جلَّ جلاله خلق هذا الكون بقدرته، وقدَّر المسافات بين النُّجوم والكواكب، وقدَّر مداراتها بحكمته، فلا يزحم الكوكب كوكبًا في طريقه، ولا النَّجم نجمًا في جريانه، ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

(١) سَهَم الرَّجلُ: إذا تغيَّر لونه عن حاله لعارض، مجازًا. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٢/ ٤٤١).

نداء الله لعباده المؤمنين

السُّؤال:

يقول الله تعالى في الآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فما الحياة الَّتي أرادها الله لعباده في هذه الآية؟ أحياة النَّعيم المنقطعة بالموت، أم الحياة الأبديَّة في جنَّات النَّعيم الَّتي أعدَّها الله للطَّائعين من عباده؟

الجواب:

هذا نداءٌ من الله ﷻ لعباده الَّذين آمنوا، ناداهم بأحبِّ الصِّفات إليه وإليهم؛ صفة الإيمان، فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ونداء الله لعباده المؤمنين جدير بأن يهزَّ القلوب ويصفِّي النُّفوس ويشرح الصُّدور، ويجذب قلوبهم ووعيهم وانتباههم إلى استماع النِّداء أيضًا، وإذا قال الله لعباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٢٩] أرعَوا لهذا النِّداء سمعهم، وأصغوا بحواسِّهم كلِّها.

والاستجابة هنا معناها الامتثال الكامل، والله ﷻ مدح الَّذين استجابوا لربِّهم فأثنى عليهم ووعدهم بالحسنى، فقال: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [الشورى: ٢٦]، وفي موضعٍ آخر قال جلَّ جلاله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الرّعد: ١٨]، والله جلَّ جلاله دعا قبل هذا النِّداء عباده المؤمنين، فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ [الأنفال: ١٥]، ثمَّ ناداهم مرَّة أخرى، فقال لهم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾

[الأنفال: ٢٠]، ثُمَّ وضَّح لهم نعمة السَّمع، وأنَّ الاستماع إلى الخير خير، وأنَّ الشَّرَّ إنَّما يأتي بعدم الاستماع إلى الخير، وأنَّ المجبول على الشَّرِّ لا يستمع الخير ولو سَمِعَه لأعرض عنه.

ثُمَّ يُكرِّر النِّداء فيقول: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ودعوة الإسلام هي دعوة إلى الحياة بصور الحياة كلِّها ومعانيها.

إنَّ رسول الله محمَّدًا ﷺ دعا إلى عقيدة تُحيي العقول والقلوب وتطلقها من قيود الجهل والخرافة وضغط الوهم والأسطورة والخضوع المُذلِّ للأسباب الظَّاهرة ومن العبوديَّة لغير الله والمذلَّة لشهوات النَّفس.

إنَّ رسول الله محمَّدًا ﷺ دعا النَّاس إلى شريعة من عند الله تُعلِن تحرُّر الإنسان وتكريمه بصدورها عن الله وحده ووقوف البشر كلِّهم صفًّا متساوين في مواجهتها، لا يتحكَّم فردٌ في شعب، ولا تتحكَّم طبقة في أُمَّة، ولا يعلو جنسٌ على جنسٍ، ولا يُسيطِرُ قوم على قوم، إنَّما الجميع أحرار متساوون في ظلِّ شريعة شرعها اللهُ ربُّ العباد.

دعا محمَّد ﷺ النَّاس إلى منهج للحياة والفكر، وأطلقهم من كلِّ قيد إلَّا قيود الفطرة الَّتي فطر الله - العليم بما خلق - عليها الإنسان، هذه الفطرة تصونه من التَّفسُّخ والتَّبدُّد.

دعاهم إلى الثِّقة بدينهم وإلى القوَّة والعزَّة والاستعلاء بعقيدتهم، ودعاهم إلى عبوديَّة الله وحده وتحقيق إنسانيَّته العُليا الَّتي وهبها الله له فاستلبها منه الظَّلمة والطُّغاة والمتكبِّرون؛ ولهذا قال الرَّسول ﷺ: «**الجهاد في سبيل الله سهم**»[1]؛ سهم من سهام الإسلام الَّتي بُنِيَ عليها،

(١) رواه البزَّار، رقم: (٢٩٢٧).

وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة، فجهاد أعداء الإسلام تمكينٌ له من أن يسود المجتمع بعقائده ومبادئه، وهذه استجابة لله، وفي هذه الاستجابة حياة طيِّبة للبشر.

والدِّين منهج حياة كاملة، لا عقيدة فقط، منهجٌ واقعيٌّ تنمو الحياة في ظلِّه وتترقَّى في صورها وأشكالها ومجالاتها ودلالاتها كلِّها، لا سيَّما أنَّ ديننا لم يترك مجالًا من مجالات الحياة إلَّا دخل فيه بالإصلاح، فالإسلام مع المسلم منذ كان نطفة، ثُمَّ وُلِدَ معه، فعاش معه حياته كلَّها؛ في المسجد والسُّوق والمدرسة والبيت والمخدع والمأكل والملبس إلى أن يأتيه الموت، وحتَّى ما بعد الموت لم يترك الإسلام شأنًا من شؤون الحياة دقيقها وجليلها إلَّا وكان له فيه مجال قيِّمٌ مُصلِحٌ.

والتَّعبيرُ القرآنيُّ يُجَمِّل هذا كلَّه في كلمة: ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ [الحَجّ: ٦٦]، والله ﷻ بيَّن لنا في مواضع من كتابه العزيز أنَّ الحياةَ تطيب بالاستجابة لله والرَّسول، فقال جلَّ من قائل في سورة النَّحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧]، وقال أيضًا في سورة الكهف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العَصر: ١-٣].

وفي قِصَّة نوح وَعَدَ نوح قومه فقال لهم كما جاء في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نُوح: ١٠-١٢].

وقال أيضًا في سورة النُّور: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٥٤-٥٥].

ونتيجة القول: إنَّنا بالاستجابة لله والرَّسول نحيا؛ نحيا بالعمل الصَّالح، فبه تطيب لنا الحياة، والاستجابة لله لا تكون إلَّا بطاعته؛ باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه، ومن هنا نعلم أنَّ الحياة الواردة في الآية الَّتي سأل عنها السَّائل خاصَّة بالحياة المنقطعة بالموت.

الأمانة الَّتي حملها الإنسان

السُّؤال:

قرأت في آخر سورة الأحزاب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزَاب: ٧٢]، **فأرجو التَّكرُّم بالإفادة في هذه الأمانة، ما هي؟ ولماذا كان الإنسان ظلومًا جهولًا؟**

الجواب:

قال الله تعالى قبل آية الأمانة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزَاب: ٧٠-٧١]، بهذا النِّداء الكريم يوجِّه الله عباده المؤمنين إلى التَّقوى، والتَّقوى تكون بامتثال الأمر، واجتناب النَّواهي،

ويوجِّههم إلى تسديد القول، وذلك بإحكامه ومعرفة ما ينتج منه، والقول السَّديد: هو القول الصَّالح الَّذي يقود إلى العمل الصَّالح.

معنى ذلك أنَّ من اتَّقى الله وسدَّد قوله أصلح الله عمله وسدَّد خطاه، كما يقول جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٧١]؛ لأن الطَّاعة استقامة واهتداء، والَّذي يسير على الطَّريق المُمهَّد المُعبَّد المُضيء ليس كالَّذي يسير في الطَّريق الوعر المظلم الصَّعب، وليس من يمشي مُكِبًّا على وجهه كمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم، وليقرأ السَّائل الكريم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

ثُمَّ بعد ذلك كلِّه كان الإنسان مخلوقًا مُكلَّفًا، فهو ليس كباقي المخلوقات؛ إنَّه فُضِّلَ على جميعها بقلبٍ واعٍ مُدرِكٍ، ولسانٍ ناطقٍ، فهو على صغر جرمه يستطيع أن يُسَخِّرَ بعقله كلَّ شيء، أمَّا السَّموات والأرض والجبال - هذه المخلوقات الهائلة الضَّخمة أجرامها - فهي غير مُكلَّفة؛ لأنَّها لا تعقل، والإنسان يبدو بالنِّسبة إلى الأرض والسَّموات، - لا؛ بل حتَّى إلى أصغر جبلٍ - شيئًا ضئيلًا، ولكنَّه سخَّر هذه الكائنات كلَّها بعقله وبتفكيره وإدراكه.

والسَّموات والأرض والجبال تجري وفق النَّاموس الَّذي خُلِقَت له، فالشَّمس تدور في فلكها دورة منتظمة وترسل أشعتها وتؤدِّي وظيفتها الَّتي قدَّرها الله لها.

والأرض كذلك تدور دورتها، وتُخرِجُ زرعها ومرعاها وماءها، وتحمل أثقالها وفق سُنَّة الله، بلا إرادة ولا تفكير، مُسخَّرة لِمَا خُلِقَت له.

والجبال تقف شامخةً راسيةً مُسخَّرةً بأمر الله الَّذي خلقها وثبَّتها في

مكانها، والأفلاك والكواكب والنُّجوم والقمر كلُّها تمضي لشأنها، وتخضع لمشيئة الخالق بلا جهد منها ولا كدٍّ ولا تفكير.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزَاب: ٧٢]، ومعنى الأمانة: التَّكاليف، والتَّكاليف كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى، فالوديعة أمانة ويجب تأديتها بلا تبديد، والعبادة أمانة ويجب أن يؤدِّيها المسلم على وجهها الصَّحيح، والصِّدق أمانة وعلى المرء أن يتمسَّك به، والزَّوجة في بيت الزَّوج أمانة ويجب عليه أن يعاملها بالحسنى وينفق عليها، والأولاد عند الأبوين أمانة ويجب عليهما تربيتهم وفق عقيدة الدِّين ومبادئ الإسلام، والخدم أمانة وينبغي لمن يستخدمهم أن يُحسن إليهم، والحيوان - هذا المخلوق الضَّعيف - أمانة وعلى المرء رعايته حتَّى لا يهلك جوعًا وعطشًا، والمال أمانة وعلى المرء أن ينفقه فيما يُرضي الله، والعلم أمانة ولا ينبغي لمن يملكه أن يبخل به على من يطلبه لمصارفه الشَّرعيَّة، وجوارح الإنسان عند صاحبها أمانة يستعمل الإنسان كلَّ جارحةٍ منها فيما يُرضي الله، وبالجملة فإنَّ الأمانة هي المسؤوليَّة، وميزة الإنسان أنَّه مُستعدٌّ للمسؤوليَّة وحمل التَّبعة.

وقد عُرِضَت الأمانة على تلك المخلوقات الهائلة العظيمة، على السَّموات والأرض والجبال فأبَين أن يحملنها؛ لأنَّها مخاطرة وشيءٌ مُخيف، فأشفقن منها، ولكنَّ الإنسان الَّذي كرَّمه الله وأسجد له ملائكته وعلَّمه الأسماء وامتحنه أمام الملأ الأعلى حملَ هذه الأمانة باختياره، وهذه التَّبعة الثَّقيلة وهو ضعيف، وظلم نفسه بقبولها، وجهل طاقته أمام ثقلها، ولكنَّه مع ذلك اعتمد على قدرته التَّفكيريَّة وقدرته العقليَّة، وآمن أنَّه مخلوقٌ لا كالمخلوقات، مخلوقٌ مكرَّم بالعقل والتَّمييز، معان بالشُّعور

والإدراك، موفَّق بالهداية والبصيرة، صفات لا يوجد لها مثيل عند الجبال والأرض والسَّموات والكواكب.

عَرَفَ الإنسان مناط تكريمه عند خالقه، فحمل الأمانة وقَبِلَ تكاليفها واعتمد مسؤوليَّتها، فهو إذا قام بحمل الأمانة كان قيامه بها تزكية لنفسه، وإذا أهملها كان ظالمًا مُقصِّرًا.

فأمَّا من استعان بالله وبنعمه عليه، فنهض بها، وأدَّى واجبها، فقد فاز بالغفران والرَّحمة، وأمَّا من قصَّر فله جزاء تقصيره عذاب شديد؛ لأنَّه أهمل نعمة الله عليه، فلم يستعمل العقل والإدراك فيما خُلِقَ له، قال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٣].

المشركون ودخولهم المسجد الحرام

السُّؤال:

ما معنى قول الله تعالى في سورة التَّوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبَة: ٢٨]؟

الجواب:

النَّجَس بفتح النُّون والجيم معناه: الخبيث، الضَّارُّ، المؤذي، وسُمِّيَ الدَّاء العُضال نجسًا، ولم يزل أهل البادية يُسمُّونه داء الزُّهريِّ، وما تفرَّع

منه بلغتهم الدَّارجة، وجمع نجس: أنجاس، وفي الأمثال العربيَّة: النَّاس أجناس، وأكثرهم أنجاس. هذا تحقيق معنى النَّجس في اللُّغة.

ولنعد إلى معنى الآية الكريمة: كان النَّبيُّ ﷺ قد أمر أبا بكر في سنة (٩) من الهجرة بالحجِّ، وأن يُبلِّغ النَّاس ألَّا يحجَّ بعد هذا العام مشرك، وبعد مسير أبي بكر نزلت على النَّبيِّ ﷺ سورة براءة، وهي إخبار بأنَّ الله ورسوله بريئان من المشركين[(١)]، بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ ببراءة مع أبي بكرٍ، ثمَّ دعاه فقال: «**لا ينبغِي لأحدٍ أن يُبَلِّغَ هذا إلَّا رجلٌ من أهلي**» فدعا عليًّا فأعطاه إيَّاه[(٢)].

ومعنى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] أنَّهم فاسدو الاعتقاد، يشركون بالله ما لا ينفع ولا يضرُّ، ويعبدون الرِّجس من الأصنام والأوثان، ويدينون بالخرافات والأوثان، ولا يتنَزَّهون عن نجاسات حسِّيَّة ولا معنويَّة ولا آثام، إلى آخر ما هنالك من أرجاس الشِّرك، هذا ما قاله أكثر المفسِّرين في تفسير النَّجَس، فلذلك وجب أن يبعدوا من المسجد الحرام، والمسجد الحرام هو الحرم وحدوده معروفة بأميالها، وهي حدود يحرم على المشرك أيًّا كان دينه أن يدخلها، ثُمَّ قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ لا يمنع أمثالكم هذا الأمر خوف العيلة والفقر، فالله ﷻ سوف يُغنِيكم من فضله.

أمَّا جسم بني آدم فالله ﷻ كرَّمه، فلا يُنَجَّس النَّجاسة الحسِّيَّة، فالأجسام البشريَّة ليست نجسة بذاتها، وإنَّما النَّجاسة المقصودة بهذه الآية هي نجاسة العقيدة فقط.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٠٩٠)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ولقد نجَّس المشركون المسجد الحرام قبل الفتح بأصنامهم وأوثانهم، وطافوا بالبيت والأصنام حوله، ونصبوا الأصنام داخل البيت، ورفعوا هبل على ظهر البيت، والأصنام رجس من عمل الشَّيطان.

فأمر اللهُ نبيَّه أن يُطَهِّر بيته للطَّائفين والعاكفين والرُّكَّع السُّجود، وأن يمنع كلَّ من كان عمله من رجس الشَّيطان أن يقرب المسجد الحرام، وألحق أصحاب النَّبيِّ ﷺ بالمشركين: النَّصارى واليهود، وحرَّم دخولهم الحرم، هذا وأرجو أن أكون قد وفَّيت القول في الإجابة.

وبعض المذاهب أخذوا بظاهر الآية وأقرُّوا بنجاسة المشركين حسًّا ومعنًى، وإليك ما قاله الشَّيخ أبو عليٍّ الطَّبرسيُّ من كبار العلماء الإماميَّة، قال ما معناه: لَمَّا تقدَّم النَّهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، معناه أنَّ الكافرين أنجاس، فلا يقربوا المسجد الحرام؛ أي: لا يدخلوا الحرم، والحرم كلُّه مسجد وقبلة، وقد روي أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكرٍ في تلك الحجَّةِ في مُؤَذِّنين يوم النَّحر، نؤذِّن بمنى: أن لا يَحُجَّ بعد العَامِ مُشركٌ ولا يطُوفَ بالبيت عُريان.

قال حميد بن عبد الرَّحمن: ثمَّ أردفَ رسول اللهِ ﷺ عليًّا، فأمَرَهُ أن يُؤَذِّنَ ببراءةٌ، قال أبو هريرة: فأذَّنَ معنا عليٌّ في أهل مِنى يومَ النَّحر: لا يحُجُّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ ولا يطُوفُ بالبيتِ عُرْيَانٌ[1]، ثُمَّ قال قوم من الفقهاء: إنَّ الكافر نجس العين، وظاهر الآية يدلُّ على ذلك.

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦٩).

عمى الأبصار وعمى القلوب

السُّؤال:

أرجو تفسير الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحَجّ: ٤٦].

الجواب:

الآية الكريمة تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحَجّ: ٤٢-٤٦].

والمعنى: تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ على ما كان يراه من قومه، وأنَّ التَّكذيب في قريش ليس بدعًا فيهم، فكثير من الأمم كذَّبت رسلها فأهلكها الله وأحلَّ بها البوار، فقُراهم خاوية على عروشها، وآبارهم مُعطَّلة لا زرع فيها يُزرَع، وديارهم خالية لا ديار فيها تُسكن، ولو كانت لهم عقول يعقلون بها لاعتبروا بمن سبقهم من الأمم ممَّا يشاهدونه في البلاد الَّتي يمرُّون عليها في أسفارهم ذاهبين آيبين، ولكنَّهم عُمْيُ البصائر لا عمي الأبصار، أصابهم العمى في قلوبهم الَّتي في الصُّدور، هذا هو المعنى الإجماليُّ للآيات الكريمة.

وكثيرًا ما ورد في القرآن ذِكرُ العقل مقرونًا في القلوب، منها الآية الكريمة من سورة الحجِّ: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحَجّ: ٤٦]، ففي هذه الآية يُراد بالقلب: العقل.

وهل العقل في المخِّ الَّذي في الرَّأس أو في القلب الَّذي في الصَّدر؟ قضيَّةٌ طبيعيَّة أو نفسيَّة يسأل عنها علماء الطَّبيعة وعلماء النَّفس، ولعلَّ ذكرها جاء في الكتاب الكريم مجازًا.

والعمى المقصود بالآية الكريمة هو عمى العقول الَّتي لا تُدرِك آيات الله في النُّفوس ولا الآفاق، ولا تعتبر بما يجري حولها من حوادث ومشاهد، والله أعلم.

المشارق والمغارب

السُّؤال:

يقول الله تعالى في سورة المعارج: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: ٤٠]، ونعلم أنَّ للشَّمس والقمر مشرقين ومغربين، كما ورد في سورة الرَّحمن ذِكرُ المشرقين والمغربين بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٧]، فهل هناك مشارق ومغارب غير المشرقين والمغربين؟

أرجو التَّفضُّل بإيضاح ذلك.

الجواب:

نعم، الكواكب بالنِّسبة إلى الأرض لها مشارق ومغارب، ونحن على هذه الأرض نرى الكواكبَ تَشرُقُ وتَغرُبُ، وكوكب الأرض يدور حول نفسه، ونحن بهذا الدَّوران نرى الكواكب - أو أنَّها تُخَيَّلُ إلينا - تَشرُقُ وتَغرُبُ.

فمشارِق النُّجوم ومغاربها في الكون الفسيح الَّذي لا نهاية له تتوالى كلَّ لحظة، ففي كلِّ لحظة يطلع مشرق ويختفي مغرب ما دامت هذه الأرض تدور.

ويُذَكِّرني سؤال السَّائل بالبوصلة البحريَّة، وفيها أربعة عشر نجمًا غير القطبين الشَّماليِّ والجنوبيِّ، وهذه النُّجوم تُسمَّى باصطلاح أهل الخليج بالأسماء الآتية: فرقد، نعش، ناقة، عيوق، واقع، سماك، ثريَّا، جوزة، تير، أكليل، عقرب، حمارين، سهيل، سلبار.

هذه النُّجوم لها مطالع ومغارب؛ فمطالعها من جهة الشَّرق الَّذي يَحُدُّه من الشِّمال: القطب الشَّماليُّ المعروف باصطلاح أهل البحر: الياه، ومن الجنوب بالقطب الجنوبيِّ المُسمَّى عندهم: القطب، ومغاربها من جهة الغرب المحدود بالقطبين أيضًا، فهذه - والله أعلم - هي النُّجوم الَّتي يهتدي بها السَّائرون في ظلمات البرِّ والبحر أو المسافرون بوجهٍ أعمَّ ليلًا ونهارًا.

وجلَّ الله وعظمت قدرته في خلقه سبحانه، ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

قِصَّة الحديبية وفتح مكَّة

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة من سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفَتْح: ١-٢]؟

الجواب:

هذه الآية هي أوَّل سورة الفتح، وسورة الفتح نزلت في الطَّريق بعد الانصراف من الحديبية[١]، وقِصَّة الحديبية طويلة، نجملها فيما يأتي:

خرج الرَّسول ﷺ ليعتمر، وعندما وصل إلى الحديبية على مسافة قريبة من مكَّة ردَّته قريش، فأخبرهم أنَّه جاء معتمرًا لا غازيًا، فقالوا: لا، والله لا تدخل مكَّة علينا عنوة[٢]، ثمَّ تفاوض الفريقان وتبادلا الوفود، وانتهى الأمر بالصُّلح على أن يعود الرَّسول عليه السلام وأصحابه هذا العام إلى المدينة ويعتمروا قضاء في العام المقبل، وأن توضع الحرب بينهم عشر سنين، وأنَّ من دخل في عهد قريش فهو من قريش، ومن دخل في عهد النَّبيِّ فهو في حكمه[٣].

عدَّ المسلمون هذا الصُّلح إهانة لهم، ولكنَّ الله أنزل هذه السُّورة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) العَنوة: هي الأخذ بالقهر والغَلَبة. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٩/ ١١٦).

(٣) رواه أحمد، رقم: (١٨٩١٠).

يطمئنهم أنَّ هذا الصُّلح فتحٌ مُبينٌ، وظفرٌ وانتصارٌ للمسلمين على أهل مكَّة، وكأنَّ الباري ﷻ يقول: حكمنا لك بالنَّصر على أعدائك، وفتحنا لك الفتح المبين بما تمَّ في الحديبية، وغفرنا لك ما تقدَّم منك من صغيرة وكبيرة وما تأخَّر.

إنَّ النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ معصوم، وكلُّ نبيٍّ معصوم من الخطأ، وصغائرهم مغفورة عند الله، والنِّعم تامَّة عليهم، فهم مهديُّون بأمر الله لا يتزحزحون عن الهداية، ومنصورون بأمر الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحَجّ: ٤٠].

والرُّسل مُبشِّرون ومنذرون، ودعوتهم قائمة، والله ناصرهم بأتباعهم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غَافر: ٥١]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

وفي المُدَّة الَّتي وضعت فيها الحرب أوزارها بين قريش ومحمَّد ﷺ تمكَّن النَّبيُّ ﷺ من نشر دعوته دون معارض له، وتمكَّن من مكاتبة الملوك والأمراء، وقد استجاب من استجاب، فكان هذا الصُّلح المعروف بصلح الحديبية فتحًا للإسلام ونشرًا للدَّعوة.

المادَّة الَّتي خُلِقَ منها الإنسان

السُّؤال:

نقرأ في كتاب الله قوله ﷻ من سورة الرُّوم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرُّوم: ٢٠]، **بينما نقرأ في سورة**

الأنعام قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، **وفي سورة الرَّحمن نقرأ قول الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾** [الرَّحمٰن: ١٤]، **فهل هذه الموادُّ الَّتي خلق الله الإنسان منها ترجع إلى أصل واحد؟ نرجوكم التَّفضُّل بإيضاح ذلك لنا حتَّى نكون على بصيرة من كتاب ربِّنا.**

الجواب:

الخالق: اسم فاعل، مادَّته: خَلَقَ، وهو اسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، ومعناه: المبدع أو المبتكر للشَّيء على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ومعناه: أحسن المُقدِّرين، أحسن الصَّانعين.

أمَّا الإنسان فقد خلقه الله من الأرض من تُرابٍ مُزِجَ بماء، والتُّراب إذا مُزِجَ بماء هو طين، هكذا ورد في اللُّغة العربيَّة، والصَّلصال: هو الطِّين خَمُرَ ثُمَّ يَبِسَ فطال عليه الأمد فجفَّ فصار له صوت يشبه الصَّلصلة.

إذن؛ فالمعنى واحد، مرجعه كلُّه إلى التُّراب الَّذي خُلِقَ منه الإنسان، والله سبحانه وتعالى هو المبدع المبتكر على غير مثال سابق، خلق من هذا الطِّين المعتم إنسانًا في أحسن تقويم، تُزيِّنه الحياة وهو بحياته يزيِّن هذا الكون الخامد، خلقه عاقلًا سميعًا بصيرًا ناطقًا مُتَصَرِّفًا.

فلينظر هذا الإنسان مِمَّ خُلِقَ، إنَّه خُلِقَ من تراب، من شيء مهين، وسيعود بعد أن تنتهي به الحياة إلى التُّراب كما يقول الله في سورة طه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، ويقول الشَّاعر أبو العلاء المعرِّيُّ في هذا:

خَـفِّـفِ الْـوَطْءَ مَـا أَظُـنُّ أَدِيْـمَ الْـ أَرْضِ إِلَّا مِـنْ هَـذِهِ الْأَجْـسَـادِ[١]

وفي موضع آخر من كتاب الله يقول الله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢]؛ ذلك أنَّ بُنيةَ الإنسان نشأت في بادئ البدء من بويضة في الأنثى وعلقة في الذَّكر تكوَّنتا من الدَّم، والدَّم نشأ من الغذاء، والغذاء من نبات الأرض أو من لحوم الحيوانات المتولِّدة من النَّبات، والنَّبات خبت[٢] في الطِّين؛ في تراب وماء، فالمبدأ في هذه السُّلالة تراب وماء.

ولَمَّا كنَّا في بحث تكوين الإنسان - هذا المخلوق العجيب - الَّذي هو حلقة في نشأته من طين أو من تراب وماء، ثُمَّ يعود بعد أن تنتهي حياته إلى التُّراب، فإنَّنا نقول: إنَّ مادَّة الإنسان القائمة معه في هذه الحياة ومادَّة الأرض الَّتي منها نشأ في عناصر التَّكوين واحدةٌ، وإنَّ جسم الإنسان هو هذا العالم الصَّغير الَّذي يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض، ففيه كربون وأكسجين وإيدروجين وفسفور وكبريت وآزوت وحديد ونحاس وألمنيوم وزنك ويود وكالسيوم وبوتاسيوم، وفيه العناصر كلُّها المكوِّنة للتُّراب.

فإذا امتنَّ الله على الإنسان بنعمة الإيجاد والإنشاء فإنَّما يمتنُّ عليه بأنَّه خلقه في أحسن تقويم، وسخَّر له الأرض وما عليها، فسخَّر له أنهارها وبحارها وأشجارها، وأقدره على سائر المخلوقات فيها، سواء كانت هذه المخلوقات أصغر منه جرمًا أم أعظم، والله تعالى يقول في هذا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجَاثِيَة: ١٣].

(١) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، للهاشميِّ (٢/ ١٩٩).
(٢) الخبثُ: ما اطمأنَّ من الأرض واتَّسع. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٤/ ٥٠٢).

ولاية الله ونصرته للمؤمنين

السُّؤال:

أرجو أن تُفسِّروا لنا معنى الآية الكريمة في سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المَائدة: ٥٥-٥٦].

الجواب:

معنى الآية الكريمة: ليس لكم - أيُّها المؤمنون - ناصرٌ ينصركم ووليٌّ يتولَّاكم إلَّا الله ورسوله وأنفسكم بعضكم أولياء بعض، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التّوبَة: ٧١].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المَائدة: ٥٥]: صفة تشمل كلَّ من أسلم وجهه لله، وهؤلاء الَّذين آمنوا هم الَّذين يتَّصفون بالصِّفات الآتية:

يقيمون الصَّلاة، ويؤتون الزَّكاة، خاشعة قلوبهم، فلا هم منافقون كالَّذين قالوا: آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ولا كالَّذين يقومون إلى الصَّلاة وهم كُسالى، ولا كالَّذين يراؤون النَّاس ولا يذكرون الله إلَّا قليلًا، إنَّما يقيمون الصَّلاة إقامة كاملة بآدابها الظَّاهرة ومعانيها الباطنة، ويعطون الزَّكاة إلى مستحقِّيها خاضعين لأمر الله طيِّبة نفوسهم بها، لا خوفًا ولا رياءً ولا سمعة.

وقال بعض المُفسِّرين: «إنَّها نزلت في عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، ذلك أنَّه مرَّ به سائل وهو في المسجد فأعطاه خاتمه

وهو راكع»[1].

ومجمل القول في تفسير هذه الآية: إنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والَّذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لا يكون مُصلِّيًا ولا مزكِّيًا، ومن كانت هذه صفته لا يكون مؤمنًا.

والله ﷻ وعد الَّذين آمنوا في مقابل الثِّقة به والالتجاء إليه والولاء له وحده ولرسوله وللمؤمنين بالغلبة والنَّصر، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المَائدة: ٥٦].

وهاتان الآيتان جاءتا بعد التَّحذير من ولاء اليهود وغير اليهود، وولاء من خرجوا من الصَّفِّ المسلم إلى الصَّفِّ غير المسلم، كما يقول جلَّ شأنه في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المَائدة: ٥١].

من أكاذيب اليهود

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٧٨-٧٩]؟

(١) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٣/ ٧٣).

الجواب:

هاتان الآيتان نزلتا في اليهود، ويخبرنا الله جلَّ جلاله فيهما أنَّ اليهود جهلة لم يطَّلعوا على التَّوراة؛ لأنَّهم لا يعرفون القراءة حتَّى يتحقَّقوا ما جاء فيها، فهم لا يعرفون من التَّوراة إلَّا أكاذيب تلقَّوها من رؤسائهم وأخذوها ممَّن حرَّفوها، فسمعوا منهم أنَّ الجنَّة لا يدخلها إلَّا من كان يهوديًّا، وأنَّ النَّار لن تمسَّ اليهود إلَّا أيَّامًا قليلة بقدر الأيَّام الَّتي عبد فيها آباؤهم العجل وهي أربعون يومًا، وما هؤلاء الأُمِّيُّون إلَّا قوم جَهَلَة ليس لهم بهذا علم إلَّا اتِّباع الظَّنِّ الَّذي لا يؤيِّده دليل.

فالويل والخسران لهؤلاء الَّذين يكتبون التَّوراة المُحرَّفة بأيديهم ثُمَّ يدَّعون أنَّ ما كتبوه هو من عند الله ليحصِّلوا لأنفسهم عرضًا من أعراض الدُّنيا وهو: الرِّياسة وجمع المال، وهذا الهدف - وإن جلَّ - قليل إلى جانب ما سيلقونه يوم القيامة من العذاب الأليم، ويحرمونه من النَّعيم المقيم، ويل لهم ممَّا كتبت أيديهم من التَّوراة الزَّائفة الَّتي فسَّروها كذبًا وملؤوها بهتانًا، وويلٌ لهم ممَّا يكسبون من أجور تعليمهم النَّاس الأباطيل.

إقامة الدِّين لله وحده والتَّحذير من اتِّباع المشركين

السُّؤال:

يقول الله تعالى في سورة الرُّوم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الرُّوم: ٢٩-٣٢]، **ما تفسير هذه الآيات؟**

الجواب:

يُحذِّر الله تعالى النَّبيَّ وأصحابه من أولئك الَّذين اتَّبعوا أهواءهم تجاهلًا لحقِّ الله، وظلموا أنفسهم فأشركوا في العبادة معه أوثانًا وأصنامًا، ولو استعملوا الفكر الصَّحيح والتَّدبُّر لعرفوا الحقَّ ووصلوا إلى الرُّشد، ومن يُضلِلِ الله فلا هادي له ولا ناصر، فاحذر سبيلهم، وسدِّد وجهك نحو الوجه الَّذي وجَّهك إليه ربُّك، وهو الدِّين القيِّم، تلك فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، وهي التَّوحيد، «**ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يُمجِّسانه**»(١).

أقم وجهك - أيُّها الرَّسول - أنت ومن اتَّبعك منيبين إلى الله؛ أي: مراقبين لأوامره ونواهيه خائفين أن تُفرِّطوا في طاعته وترتكبوا معصية، واتَّقوه وأقيموا الصَّلاة، قال الرَّسول ﷺ: «**الصَّلاة عماد الدِّين**»(٢)، وهي الَّتي تجعل من الإنسان المُصلِّي شخصًا قريبًا من الله يناجيه كلَّ يومٍ خمس مرَّات، وتحول بينه وبين الفحشاء والمنكر.

ولا تكونوا من المشركين الَّذين بدَّلوا دين الفطرة وغيَّروه وكانوا في ذلك فرقًا مختلفة جانبوا الحقَّ وركنوا إلى الباطل كاليهود والمجوس

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٥٨).
(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠).

وسائر الأديان الباطلة، تفرَّقوا نِحلًا ومذاهب و﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وكلُّ مذهب منها يزعم أنَّه على حقٍّ وهي ليست على شيء، و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] بما أحدثوا من بدع وأوجدوا من خرافاتٍ، الدِّينُ بعيدٌ منها وبريء منها ومن مبتدعيها.

هذا هو تفسير الآيات الكريمة الَّتي سأل عنها السَّائل.

الأيَّام الَّتي خُلِقَت فيها السَّموات والأرض

السُّؤال:

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هُود: ٧] **إلى آخر الآية؟**

الجواب:

الآية رقم (٧) من سورة هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [هُود: ٧].

نحن نوقن أنَّ الله جلَّ شأنه خلق كلَّ شيءٍ وهو قادرٌ على كلِّ شيءٍ، وإذا أراد شيئًا قال له: كُن فيكون، كما أنَّنا نعلم أنَّ لكلِّ مخلوقٍ وعاءً زمنيًّا، فالنُّطفة حتَّى تكون مولودًا تستقرُّ في بطن الأمِّ تسعة أشهر للإنسان والبقرة، وسنة واحدة للعجل والفرس، وسنتين للفيل، كذلك كان الوعاءُ

الزَّمنيُّ لخلق السَّموات والأرض سِتَّةَ أيَّام.

فالسَّموات والأرض كائنات من خلق الله، خلقها الله في أجل هو سِتَّة أيَّام استوفيا فيها خلقهما، وجهَّز فيهما ما يصلح للحياة البشريَّة وغير البشريَّة؛ الحيوانيَّة والنَّباتيَّة.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: ٧]: الآية تشير إلى أنَّ الماء خُلِقَ قبل السَّموات والأرض، معنى ذلك أنَّ السَّموات والأرض جاء خلقهما بعد خلق الماء، وهنا يجب علينا أن نقف موقف إيمان وتسليم وتصديق؛ لأنَّ البحث في هذا الأمر فيه تعب وجهد.

بقي سؤال: هل كانت هذه الأيَّام كأيَّامنا هذه أم هي أطول؟

عِلمُ ذلك عند الله، وإنَّما يجب علينا أن نؤمن بأنَّ الله خلق السَّموات والأرض في سِتَّة أيَّام، والله ﷻ لم يُعطِنا إلَّا القليل من العلم، فقال لنا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٨٥]، وصدق الله العظيم.

قيمة الحياة الدُّنيا وقيمة الآخرة

السُّؤال:

أقرأُ في سورة العنكبوت الآية (٦٤): ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٤]، **فما معنى الآية؟ وما معنى كلمة الحيوان الواردة في الآية؟**

الجواب:

الحياة الدُّنيا هي الحياة الَّتي نعيش فيها، ومعنى الحياة الدُّنيا: الحياة الوضيعة، فهي مِن دَنَا يَدْنُوْ: إذا هبط ووضع، وهي لقصرها كلعبة يبدؤها الإنسان ثُمَّ ينتهي منها.

والرَّسول ﷺ قال: «**ما لي وللدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكِبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثُمَّ راحَ وتَرَكَهَا**»(١).

ومهما طالت الحياة بالإنسان فهي لحظات، والحياة الباقية لمن عَمِلَ عملًا يبقى ذكره، كما قال ابن دريد في مقصورته:

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيْثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيْثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى(٢)

إذن؛ فالحياةُ شيءٌ زائلٌ، وأمدُها - مهما طال - قصير، وقد اعتقد النَّاس أنَّ الحياة الدُّنيا ميدان تفاخر بالمال والجاه والمراكز والبنين والقوَّة وكلُّ ما يمكن أن يُتَّخذ أداة للتَّفاخر، ونسوا أو تناسوا أنَّ التَّفاخرَ كلَّه زائل، وأنَّ كلَّ ما يدركه المرء في هذه الحياة عرض زائل ومتعة ذاهبة.

والآية تنبيه لمن شغلوا حواسَّهم جميعها في هذه الحياة، تنافسوا على متاعها، واستهلكوا أنفسهم جريًا وراء لذَّاتها وشهواتها، فتنوا بلهوها الصَّاخب ومرحها المعربد الَّذي لا دوام له ولا بقاء، غير ملتفتين إلى شيء وراء هذا، ولو كانت لهم آذان تسمع وعقول تعقل لشغلوا بما ينفعهم في دينهم ومستقبل دنياهم ويصلح شأن حالهم ومآلهم.

أمَّا كلمة الحيوان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٣٧٧)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٢) انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه (١/ ١٩٤).

[العَنكبوت: ٦٤] فمعناها هنا: الحياة الدَّائمة. إذن فالدَّار الآخرة هي الدَّار الَّتي تكون فيها الحياة الدَّائمة الَّتي لا تنقطع ولا تزول.

وأُحِبُّ أن يقرأ السَّائل الآيات الثَّلاث الَّتي قبل هذه الآية، وهي: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العَنكبوت: ٦١-٦٤].

الخطاب بين محمَّد ﷺ والمشركين الَّذين عرفوا الله وأنكروا القيامة وأنَّ العمل الصَّالح يبقى ذكره ويدَّخر أجره وأنَّ نعيم الحياة الدُّنيا زائل بزوالها وضائع بانتهائها.

وأختم كلمتي بالآية الكريمة من سورة الحديد الَّتي تؤكِّد الآية السَّابقة، وهي قول الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحَديد: ٢٠].

منافع الإبل والسَّماء والأرض

السُّؤال:

ما معنى قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: ١٧-٢٠]؟

الجواب:

خلق الله تعالى الحيوانات بعمود فقريٍّ مستقيم إلَّا الإبل، فإنَّ عمودها الفقريَّ مُنْحَنٍ؛ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النّحل: ٧]، وهي تصبر على الجوع والظَّمأ أيَّامًا متتالية خلافًا لسائر الحيوانات الَّتي لا تصبر على جوع ولا عطش.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ [الغَاشِيَة: ١٨]: كلَّما ارتفعنا مع السَّماء نراها تزداد علوًّا أكثر ممَّا لو كنَّا في الأرض، حتَّى إذا خرجنا عن نطاق الأرض وجدناها لا نهاية لها.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: ٢٠]: الأرض كرويَّة لكنَّ نظرنا القاصر لا يرى كرويَّتها، فمن عجب أنَّها كرة لكنَّ بصرنا يمتدُّ مع سطحها امتدادًا كأنَّها منبسطة ولا نهاية لهذا الانبساط، وهذه هي القدرة الإلهيَّة الَّتي عجزت العقول عن إدراكها، فهي كُرة وهي لمن عليها بساط ومهاد! هذا هو معنى العجب في الآيات الأربع.

المواقيت والأهِلَّة

السُّؤال:

يقول الله تعالى في سورة البقرة بالآية (١٨٩): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٨٩].

أرجو تفسير هذه الآية.

الجواب:

الأهِلَّة: جمع هلال، والهلال اسم للقمر إذا وُلِدَ؛ لأنَّ للقمر منازل؛ فيكون أوَّلًا هلالًا، ثُمَّ بعد أسبوع يدخل في التَّربيع الأوَّل، فإذا انتهى الأسبوع الثَّاني صار بدرًا، ثُمَّ يضعف، وفي آخر الأسبوع الثَّالث يدخل في التَّربيع الثَّاني، ثمَّ يدخل في المحاق، فيختفي مرَّة واحدة، وذلك في ليلة (٢٨) أو (٢٩) من الشَّهر، ثمَّ يبدأ هلالًا في الشَّهر الجديد.

سؤال وجَّهه المنافقون إلى المسلمين ليشغلوهم به عن الدَّعوة، والمنافقون دائمًا كانوا يعترضون سير موكبها ويقطعون عليها الطَّريق، لا لأجل علم ينفع، إنَّما بقصد الجدل، فكانت إجابة القرآن أنَّ الأهلَّة مواقيت للنَّاس يعرفون بها ضبط شهورهم وحساباتهم وعباداتهم، فهي مواقيت دينيَّة للصِّيام والأعياد والحجِّ، ومواقيت دنيويَّة يضبطون بها شؤون دنياهم من بيع وشراء ووفاء واستيفاء ديون ومواعيد.

القسم الثَّاني من الآية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩]؛ البِرُّ معناه: التَّزكية للنَّفس والهداية للعقل والاطمئنان للقلب، والإنسان الَّذي أنعم الله عليه بنفس زكيَّة وقلب مطمئنٍّ وعقل رشيد يأتي الأمور من أبوابها، ولا يدخل في أمر إلَّا بعد أن يعرف المخرج منه، فلا يدخل إلَّا بعد أن يعرف وجه الحقِّ، وينظر إلى الأمور نظر قاصد يلقاها مواجهة، أمَّا المنافق أو المنطوي على خبث فيأتيها مواربة[١] أو مخاتلة[٢]، وينظر إليها نظرة محاورة ومداورة، وكذلك من لا خبرة له ينظر إلى الأمور نظرة زائفة أو منحرفة.

ثُمَّ يختم الباري جلَّ جلاله الآية بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٠]؛ أي: افعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه واسألوه أن يهديكم الصِّراط المستقيم.

أصحاب السَّبت

السُّؤال:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النِّسَاء: ٤٧]، **من أصحاب السَّبت؟ ولماذا**

(١) المواربة: المداهاة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ٧٩٦).

(٢) خاتَله: خادعه وراوغه. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٨/ ٣٩٥).

سمُّوا بهذا الاسم؟ وكيف لعنهم الله؟

الجواب:

أصحاب السَّبت هم اليهود، واليهود لُعِنُوا في القرآن على لسان داود وعيسى بن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون، فكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا يتولَّون الَّذين كفروا، ولعنة الله إذا حلَّت على إنسان لا تُبقِي من آدميَّته، إنَّها تقلب كيانَه البشريَّ وتحيله خلقًا آخر لا يستقيم حاله، فهو في صورة إنسان وطبيعة حيوان.

واليهود هكذا طمس الله على وجوههم فردَّت على أدبارها، وهذا الوصف معناه أنَّهم ارتكبوا جرائم وآثامًا، فأعطوا النَّاس وجهًا، وعاشوا فيما بينهم وبين أنفسهم بوجه آخر أخفوا أمره عن النَّاس، وحجبوه عنهم؛ حتَّى لا يواجههم به النَّاس.

والسَّبت معروف أنَّه يوم عطلة لليهود وراحة، يحرم عليهم العمل به، وإيقاد النَّار والطَّبخ، فهم يستعدُّون ليوم السَّبت من يوم الجمعة، ولكنَّهم خالفوا أمر الله عليهم واعتدوا وفعلوا واكتسبوا فكانوا كما ذكرنا في صورة إنسان وطبائع حيوان، وأنزل الله فيهم قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٦٥-٦٦]؛ ومعنى خاسئين: مطرودين من عالم الإنسان، ومردودين إلى عالم الحيوان بطبعهم وأخلاقهم، فهم بشر في الخلقة حيوانات في التَّصرُّف، وشبَّههم بالقردة الَّذين هم أعلى مراتب الحيوان وأوَّل مراتب الإنسان.

أمَّا اللَّعنة فقد أمر الله أنبياءه بلعنتهم لما ارتكبوه من سيِّئات ومحارم وإجرام، واللَّعنة هي طرد من رحمة الله، وإبعادٌ من الخير، وهي العذاب

الأليم الأبديُّ الَّذي سيخلدون فيه لعتوِّهم وطغيانهم وإفسادهم في الأرض.

النَّبيُّ وإبلاغ الرِّسالة للنَّاس

السُّؤال:

يقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المَائدة: ٦٧]، **ما معنى هذه الآية؟ وأين نزلت؟ وما مناسبة نزولها؟**

ويقول الله تعالى في السُّورة ذاتها: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣]، **علامَ تدلُّ هذه الآية؟ وفي أيِّ وقت تمَّ الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيف؟ وهل الدِّين كان ناقصًا أوَّل الأمر أو عندما نشره الرَّسول؟**

الجواب:

الآية الأولى معناها: بلِّغ - يا أيُّها الرَّسول - الخلق جميع ما أُنزِلَ إليك من ربِّك، ولا يمنعك من البلاغ خوف من أذى بالقول أو بالفعل، وقد نزلت هذه الآية في مكَّة مع أنَّ سورة المائدة مدنيَّة.

وسُئِلَ ﷺ: أيُّ آية نزلت من السَّماء هي أشدُّ عليك؟ قال: «**كنت بمِنى أيَّام الموسم، وقد اجتمع مشركو العرب، فنزل عليَّ جبريل** عليه السلام **فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المَائدة: ٦٧]،

قال ﷺ: **فقمت عند العقبة فقلت: أيُّها النَّاس، مَن ينصرني على أن أُبلِّغ رسالة ربِّي ولكم الجنَّة؟ أيُّها النَّاس، قولوا: لا إله إلَّا الله وأنا رسول الله إليكم تفلحوا وتنجوا ولكم الجنَّة**، قال ﷺ: **فما بقي رجلٌ ولا أَمَةٌ ولا صبيٌّ إلَّا يرمون عليَّ بالتُّراب والحجارة، ويقولون: كذَّاب صابئ، فعُرِضَ عليَّ عارض فقال: اللَّهمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك، فجاء العبَّاسُ عمُّه، فأنقذه منهم وطردهم عنه**»[1].

أمَّا الآية الثَّانية فتفسيرها أنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ لم يكن قبل بعثة محمَّد ﷺ، وكان النَّاس فوضى يعبدون الأوثان ويتقرَّبون بعبادتها إلى الله ويقاتل بعضهم بعضًا ويسلب بعضهم بعضًا، لا رابط ولا خلق ولا قيمة لحياة الإنسان حتَّى عند نفسه.

وجاء محمَّد ﷺ بالدِّين الإسلاميِّ لكن لم يُبلِّغهم مرَّة واحدة، إنَّما تدرَّج معهم، فأصلح أوَّلًا العقيدة، فعلَّم النَّاس عقيدة التَّوحيد ونبذ الشِّرك والأصنام، ثمَّ بدأ التَّعليم يتدرَّج من الله إلى رسوله، والرَّسول يُبلِّغ النَّاس أمور دينهم ويُعلِّم ويوضِّح كتعليم المدارس أوَّلًا بأوَّل، وقبل وفاته ﷺ بنحو تسعين يومًا تمَّ الدِّين.

ومعنى ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣]؛ أي: كفيتكم أمر عدوِّكم وجعلت يدكم العلياء وأكملت حرامكم وحلالكم، وبعد هذه الآية لم تنزل أمور تُبيِّن حلالًا أو حرامًا أو تشريعًا؛ لأنَّ الدِّين كَمُل.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المَائدة: ٣] بفتح مكَّة ودخولها آمنين ظاهرين،

(١) انظر: تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي (٦/ ١٥٩).

وهدم منار الجاهليَّة ومناسكهم، وإن لم يحجَّ مشرك ولم يطف بالبيت عريان، انتهى.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] هو الدِّين الْمُرضي وحده اخترته لكم دينًا، يجب عدم اختيار أحدِكم غيره بديلًا، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥][(١)].

وهذه الآية نَزَلَت وهو واقفٌ بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: ٣]، فَعَاشَ بعدها واحدًا وثَمَانِينَ يومًا[(٢)].

وقيل: نزلت سورة المائدة كلُّها بالمدنيَّة إلَّا قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣] فإنَّها نزلت بعرفات.

ونزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] يوم الجمعة، يومَ عرفةَ بعد العصرِ في حجَّة الوداع، والنَّبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفات على ناقته العَضبَاء[(٣)]، فكاد عَضُدُ النَّاقة تَندَقُّ من ثقلها فَبَرَكَت[(٤)].

وَكانت هذه الآية نَعيَ النَّبيِّ ﷺ، وعَاشَ بعدها واحدًا وثمانينَ يومًا، وماتَ يومَ الإثنين بعدما زاغَتِ الشَّمسُ لليلتَينِ خَلَتَا من شهر ربيع الأوَّل

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيَّان الأندلسيِّ (٣/ ٤٤١).
(٢) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٢/ ٣١٧).
(٣) النَّاقة العضباء: النَّاقة المشقوقة الأذن، وقيل: لَقَب ناقة النَّبيِّ ﷺ اسمٌ لها ولم تكن عضباء؛ أي: من العضب الَّذي هو الشَّقُّ في الأذن، إنما هو اسمٌ لها سُمِّيت به لنجابتها ومُضِيِّها في وجهها. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣/ ٣٩٠).
(٤) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٣/ ١٢).

سنة (١١هـ)[١]، وقيل: توفِّيَ يومَ الثَّاني عَشَرَ من شهر ربيع الأوَّل، وكانت هجرَتُهُ في الثَّاني عشر[٢].

الاستغفار للمشركين

السُّؤال:

يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز من سورة التَّوبة: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبَة: ٨٠].

أرجو تفسير هذه الآية مع بيان المخاطَبين بها.

الجواب:

سبب نزول هذه الآية أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له، ففعل عليه السلام، فنزلت الآية، فقال ﷺ: «**لأزيدنَّ على السَّبعين**»، فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنَافِقون: ٦][٣].

(١) أي: سنة (٦٣٢م).

(٢) انظر: تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٣/ ١٣).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي، لناصر الدين البيضاوي (٣/ ٩١).

أهل الكتاب والعمل الصَّالح

السُّؤال:

أرجو إفادتي في معنى الآية الكريمة من سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المَائدة: ٦٩].

الجواب:

قبل أن نجيب عن هذا السُّؤال أودُّ أن ألفت نظر السَّائل إلى ما قبل هذه الآية من آيات، فنرجع إليها لتكتمل الفائدة، وهي قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المَائدة: ٦٥-٦٩].

الله جلَّ شأنه بيَّن لنبيِّه محمَّد ﷺ أنَّه لا يفيد أهل الكتاب نكرانهم وعصيانهم، وإنَّما هو الإيمان؛ إيمان بالله وتقوى، فهي الَّتي تُكفِّر السَّيِّئات، وتجعل صاحبها جديرًا بجنَّات النَّعيم، ولو أنَّهم نفَّذوا أوامر

التَّوراة والإنجيل وانتهوا عن نواهيها لبارك الله في سعيهم، وأنزل عليهم بركات من السَّماء والأرض، لكنَّ كثيرًا منهم أساؤوا بالمكابرة والعناد، ثمَّ أمر نبيَّه أمرًا جازمًا بالتَّبليغ الكامل، فإنَّه لا جدوى في محاسنة العاصين ومجاملتهم، فالله لا يهدي القوم الكافرين، فاصدع - أيُّها النَّبيُّ - بالأمر، وقُل لهم: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المَائدة: ٦٨]، فالتَّوراة والإنجيل كتب الله، وهي من عنده، والمسألة ليست مسألة انتساب إلى دين فقط أو إلى حسب رفيع، ولكنَّها إيمانٌ وإحسانٌ وعملٌ بما أُنزِلَ إليكم من ربِّكم.

أمَّا الأسماء والأمانيُّ والعنوانات والهيئات والمُسوح[1] والسُّبحات واللِّحى فهي لا تُقَرِّب من الله، فالله لا يُقَرِّبُ أحدًا بلباسه ولا هيئته ولا نسبه ولا قرابته، لكن يُقرِّبه إليه بالتَّقوى والإحسان.

وما يُقال في أهل التَّوراة والإنجيل يُقال في أهل القرآن، فلا تقعد الأُمَّة المسلمة عن قرآنها والعمل بشريعته ثُمَّ تنتظرُ النَّصر والعزَّ أو تكتفي بمسجد ومُصلًّى وتترك العمل للحياة، لا، إنَّما هو قول الله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٧]، ونصر الله هو العمل بما به أمر؛ للعبادة والحياة، والانتهاء عمَّا عنه نهى، فيا أهل الكتاب لستم على شيء حتَّى تقيموا التَّوراة والإنجيل وما أُنزِلَ إليكم من ربِّكم.

ثمَّ يقول اللهُ لنبيِّه محمَّدٍ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المَائدة: ٦٤]؛ أي: عنادًا وعصيانًا ورجوعًا عن الحقِّ الَّذي تدعو إليه، وتأخذهم العزَّة بالإثم إيغالًا في طريق العناد، وإذا حصل هذا منهم فلا تأسَ عليهم ولا تتأسَّف.

---

(١) المسوح: ثوب الرَّاهب. انظر: معجم اللُّغة العربيَّة المعاصر، لأحمد مختار عمر (٣/ ٢٠٩٥).

ثـــمَّ يـــقـــول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المَائدة: ٦٩]، ومثل هذه الآية في سورة البقرة عندما أخذ الله جلَّ شأنه يُعدِّد نعمه على بني إسرائيل بقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [الـبَـقـرَة: ٤٠]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الـبَـقـرَة: ٥٠]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٥٧]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البَقَرَة: ٥٨]، ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الـبَـقـرَة: ٦٠]، ثُـمَّ يـــقـــول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٦٢].

ومعنى ذلك أنَّ ما جاء به محمَّد ﷺ من دين هو ما جاء به الأنبياء قبله، وفي هذا يقول الله في سورة النِّساء: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣]، فرسالة الرُّسل واحدة، والإيمان بها واحد، والعقيدة واحدة، مهما تعدَّدت الأسماء والسِّمات، وذلك أن يصل هذا الإيمان أو هذه العقيدة بصاحبها إلى إسلام النَّفسِ كلِّها لله، إيمانٌ ينبثق عنه العمل الصَّالح في الحياة، فمن عَمِلَ عملًا صالحًا تَصلُحُ به نفسه ويصلح به حاله مع من يعيش معه، وآمن باليوم الآخر يوم الجزاء والبعث والنُّشور، اليوم الَّذي من أجله بعث الله الأنبياء حتَّى لا يكون للنَّاس على الله حجَّة؛ من فعل ذلك فإنَّه كما قال الله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٦٢].

الَّذي عنده علم من الكتاب

السُّؤال:

ذكر القرآن الكريم في الحوار الَّذي دار بين سليمان عليه السلام وسُكَّان مملكته ليأتوا له بعرش ملكة سبأ قول من قال في سورة النَّمل: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [النمل: ٤٠] **إلى آخر الآية (٤٠) من هذه السُّورة، فمن الَّذي عنده علم من الكتاب؟ وهل علم الكتاب أقوى من العفريت وأقدر منه على إحضار العرش بهذه السُّرعة؟**

الجواب:

لم يذكر المفسِّرون اسم هذا الرَّجل، واختلفوا في تفسير العلم والكتاب، ولم يصلوا في اختلافهم هذا إلى ما يحسن عليه السُّكوت، ولكنَّ هذا الرَّجل الَّذي عنده علم من الكتاب رجل آمن بالله واتَّصل به فوهبه الله سرًّا يستمِدُّ به من الله قوَّته، وكم في الكون من أسرار لا يعلمها إلَّا الله، وكم في النَّفس البشريَّة من أسرار يفتح الله لها عقل البشر فتجري بإذنه.

والَّذي عنده علم من الكتاب كانت نفسه مُهيَّأة لِأَن تتَّصل بالله، فسهَّل الله لها خدمة ملك نبيٍّ، وقد أتى بعض المُفسِّرين باسم: «آصف ابن برخيا»[1] لهذا الَّذي عنده علم من الكتاب، ولكن لا دليل يؤكِّد هذا

(١) انظر: تفسير البيضاوي، لناصر الدِّين البيضاوي (٤/ ١٦١)، وتفسير القرطبي، =

الاسم لا من كتاب ولا سُنَّة.

ولا شكَّ في أنَّ عِلم الكتاب أقوى من العفريت، بل إنَّ العلم عمومًا أقوى من كلِّ شيء، فبالعلم تُفتَح المغاليق، وتُسخَّر القِوى، وتُهتَك الحُجُب، وتُسَخَّر البخار والكهرباء، وبه حُطِّمَت الذَّرَّة وهتكت حجب الفضاء الخارج عن نطاق الأرض.

إسماعيل أم إسحاق المفدى بالذِّبح العظيم؟

السُّؤال:

أرجو إفادتي في الَّذي فداه الله بالذِّبح العظيم، هل هو إسماعيل عليه السلام أم إسحاق عليه السلام؟ هناك رأي يقول: إنَّ الَّذي افتداه الله بالذِّبح إسماعيل، ورأي آخر يقول: إنَّه إسحاق.

أرجو أن يكون الرَّدُّ مستمَدًّا بأدلَّة من القرآن وليس من قصص الأنبياء.

الجواب:

ليس هناك آية توضِّح لنا ذلك إلَّا الآيات الآتية من سورة الصَّافَّات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ

= لأبي عبد الله القرطبي (١٣/ ٢٠٤)، وتفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي (٦/ ١٦٤)، وتفسير السَّعدي، لعبد الرحمن السعدي (١/ ٦٠٥).

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصَّافات: ١٠١-١١٣].

من هذه الآيات نفهم أنَّ المُبشَّر به الأوَّل هو إسماعيل، ثمَّ بعد قِصَّة الذِّبح والفداء بُشِّر بإسحاق، ولم يكن لإبراهيم من الأولاد إلَّا إسماعيل أبو العرب وإسحاق أبو يعقوب، ومن هذه الآيات نفهم أنَّ الذَّبيح كان إسماعيل لا غيره.

الأنعام الَّتي حرَّمها مشركو العرب على أنفسهم

السُّؤال:

ما معنى قول الله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]؟

الجواب:

قبل أن أجيب السَّائل عن سؤاله أودُّ أن نرجع معًا إلى أوَّل الآية فنتلوها؛ لأنَّ القرآن مترابط، ترتبط آياته بعضها ببعض، فهو عربيٌّ غير ذي عوج، وبإمكان المسلم الَّذي يريد معرفة أمور دينه أن يتدبَّر القرآن ويفهم آياته إذا أخذ بهذا الرَّبط.

يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤١-١٤٤].

ذلك أنَّ مشركي العرب كانوا يُحرِّمون بعض الحيوانات كالبعير إذا كان فحلًا طرقًا[1] وولد عددًا معيَّنًا، والأنثى إذا ولدت كذا وكذا، وكانوا ينذرون بعض الحيوانات للأصنام، ويُعلِّقون عليها خرزًا أو قلائدَ علامات لها، والله ﷻ نهاهم عن ذلك، فقال في سورة المائدة: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، فالبحيرة في الشَّاء خاصَّةً: إذا نُتِجَت خمسةَ أبطنٍ فكان آخرها ذكرًا بُحِرَت؛ أي: شُقَّ أُذُنُهَا وتُرِكَت فلا يَمَسُّهَا أحدٌ، والسَّائبة: المتروكة توضع عليها علامة وتُسيَّبُ في الأرض تأكل من الكلأ فلا يمنعها مانع، والوصيلة: كانت إذا وَلَدَت الأنثى فهي لهم، وإذا وَلَدَت ذَكَرًا جعلوه لآلهتهم، وإن وَلَدَت ذَكَرًا وأنثى

(١) طرَقَ الفحل النَّاقة يطرقها طرقًا وطُروقًا؛ أي: قعا عليها وضربها. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٦/ ٦٥).

قالوا: وَصَلَت أخاها فلم يذبحوا الذَّكر لآلهتهم، والحامي: الفحل إذا رُكِبَ وَلَدُ وَلَدِهِ، ويُقال: إذا نُتِجَ من صُلبِهِ عَشرَةُ أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يُركب ولا يُمنع من مرعى ولا ماء، فالله جلَّ شأنه قال لهم: لا تحريم إلَّا بشرع، فهو وحده يتولَّى الحلال والحرام، فالَّذي أنشأ لكم الجنَّات وجعل فيها الأشجار بأنواعها مفروشًا وغير مفروش وخلق النَّخل والثِّمار متشابهة بالشَّكل مختلفة بالطَّعم مع أنَّها تُزرع في أرض واحدة وتُسقى بماء واحد، وخلق لكم من الأنعام ما يحملكم وما تتَّخذون من أصوافها وأوبارها أثاثكم وفرشكم، وخلقها لكم ثمانية أزواج من الضَّأن اثنين - أي: الذَّكر وأنثى - ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين؛ هل حرَّم عليكم ذكورها أم حرَّم عليكم إناثها؟! فلا تفتروا على الله الكذب فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام. وتُضِلُّوا النَّاس بغير علمٍ؛ فإنَّ المفتري على الله ظالم، والله لا يهدي القوم الظَّالمين.

ثُمَّ يُبيِّن الله ﷻ في آخر الآيات أنَّه حرَّم الميتة والدَّم ولحم الخنزير، وحرَّم كذلك ما ذُبِحَ لغير الله.

هذا معنى ما سأل السَّائل، والله أسأل أن يهدينا إلى الرُّشد؛ فإنَّه نعم الهادي إلى الحقِّ.

السَّنوات الَّتي مكثها أهل الكهف

السُّؤال:

أرجو التَّفضُّل بإفادتي في قول الله ﷻ في قِصَّة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [الكهف: ٢٥]، **وما هذه**

السِّنين؛ هل هي مستمرَّة أم هي ثلاثمئة ثُمَّ تلتها تسع بعدها مفصولة عنها؟

الجواب:

إنَّ الفتية الَّذين ذهبوا إلى الكهف لبثوا فيه نيامًا ثلاثمئة سنة على حساب أهل الكتاب الَّذين كانوا يعملون بالحساب الشَّمسيِّ، وهو ما تُقدَّر سنته (٤/ ١ ٣٦٥)، وبحساب قومك ثلاثمئة وتسع سنين؛ لأنَّ حساب قومك السَّنويَّ يجري طبق الأشهر القمريَّة، وهي (٣٥٤) يومًا وجزءًا من اليوم، فمن هذا نفهم أنَّ كل (١٠٠) سنة شمسيَّة تساوي (١٠٣) سنة قمريَّة.

ثمَّ يقول البارئ ﷻ في سورة الكهف نفسها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ [الكهف: ٢٦]، فهو أعلم بهم وأعلم بمدَّة لبثهم، فقوله الحقُّ الَّذي لا يحوم حوله شكٌّ، ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٦].

ولا بُدَّ لنا أن نقف عند الحدِّ الَّذي وقف عنده القرآن في قِصَّة أصحاب الكهف، فلا نسترسل في قصص تخرج بنا عن الواقع الَّذي يعلمه الله وحده عن هؤلاء الفتية.

أدب الإسلام في دخول البيوت

السُّؤال:

أرجو أن تُفسِّروا لنا معنى قوله تعالى من سورة النُّور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ

صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [النُّور: ٥٨].

الجواب:

للإسلام آداب تركناها مع الأسف، بينما تمسَّك بها غيرنا وعدَّها آدابًا لهم، منها هذا الاستئذان، وهو إمَّا بضرب باب الغرفة وإمَّا بالصَّوت وإمَّا بكلمة السَّلام عليكم، ولا يجوز لأحد أن يدخل على أحد مهما كان شأن هذا الدَّاخل أو المدخول عليه صغيرًا كان أو كبيرًا؛ إلَّا بالاستئذان في كلِّ وقتٍ وعلى أيَّة حالة.

ويقول الله تعالى أيضًا في أدب دخول البيوت: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۖ﴾ [النُّور: ٢٧]، والبيوت هي الغرف والحجر والمكاتب والدُّور، وهناك طائفة من النَّاس لها الحقُّ أن تدخل الغرف والحجر إلَّا ثلاث مرَّات يجب عليهم الاستئذان، هؤلاء هم الخدم الخاصُّون، والأطفال الَّذين لم يبلغوا الحلم؛ فيجب أن يستأذنوا ثلاث مرَّات.

أوَّلًا: قبل صلاة الفجر.

ثانيًا: عندما يأخذ الإنسان راحته ظهرًا.

ثالثًا: عندما يدخل مكانه بعد العشاء.

لا يدخل عليك ولا على أحد من النَّاس حتَّى يستأذن، وهذا من أدب الإسلام وتعاليمه الرَّشيدة الَّتي لو تمسَّكنا بها لأصبحنا كما كان أسلافنا سادة الدُّنيا وقادة الأمم.

الرَّقم (٧) في القرآن والحديث وكتب التَّاريخ

السُّؤال:

من الملاحظ أنَّ الرَّقم (٧) ورد كثيرًا في القرآن الكريم والحديث، فنجد سبع سموات، وسبع ليالٍ، وأيَّام الأسبوع سبعة، وغسل الإناء من النَّجاسات سبع مرَّات، والطَّواف بالبيت (٧)، والسَّعي بين الصَّفا والمروة (٧)، والجمار (٧)، وقرأت في بعض كتب التَّاريخ تكرار الرَّقم (٧) في الحوادث الَّتي أوردتها، مثال ذلك: إنَّ في السَّماء ملكًا له سبعون ألف رأس، في كلِّ رأس سبعون ألف فم، وفي كلِّ فم سبعون ألف لسان، إلى غير ذلك.

فهل لديكم تفسير لترديد الرَّقم (٧) في هذه المصادر؟

الجواب:

إنَّني لم أحاول البحث في هذا الموضوع، ولكن أحببت أن أردَّ على سؤالك بما أعلم فأقول: إنَّ أفضل أركان الإسلام وأعلاها هي كلمة: لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله، كلمة واحدة يقولها الإنسان مرَّة واحدة يحفظ بها ماله ودمه.

و«**الصَّلاة عماد الدِّين**»[١]، وهي خمس صلوات وليست سبعًا، وهي: ركعتان في الفجر، وأربع في كلٍّ من الظُّهر والعصر والعشاء، وثلاث في المغرب، فليس هناك في ركعاتها سبعٌ، والتَّسبيح في الرُّكوع والسُّجود

(١) سبق تخريجه.

أقلُّه مرَّة واحدة، وأفضله إحدى عشرة، والفاتحة ركن الصَّلاة تُقرأ مرَّة واحدة.

وباب الصَّلاة هو الوضوء، وغسلة واحدة من الوضوء تكفي، وأفضلها ثلاث، «**فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم**»(١).

والتَّسبيح بعد الصَّلوات ثلاث وثلاثون مرَّة، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، كما جاء في الحديث: «**مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أو فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، ثلاثٌ وثلاثونَ تسبيحةً، وثلاثٌ وثلاثونَ تحميدةً، وأربعٌ وثلاثون تكبيرةً**»(٢).

ورمضان ثلاثون يومًا أو تسعة وعشرون، وليس سبعة.

وأيَّام مِنى ثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣].

وليالي زكريَّا ثلاث، وليالي موسى ثلاثون ثمَّ أتمَّها الله بعشر فتمَّ ميقاته أربعين ليلة.

وآيات موسى تسع آيات بيِّنات ولم تكن سبعًا.

وأبواب الجنَّة ثمانية، وحملة العرش ثمانية، والأيَّام الحسوم الَّتي عذَّب الله بها قوم عاد كانت ثمانية.

ونقباء بني إسرائيل الَّذين اختارهم موسى عليه السلام بأمر الله كانوا اثني عشر نقيبًا، وكذلك كان نقباء أمَّة محمَّد ﷺ، وساعات اللَّيل والنَّهار اثنتا عشرة ساعة.

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٦٦٨٤).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٥٩٦).

واللَّيل والنَّهار آيتان، وتكوين العالم كلِّه؛ حيوانه ونباته وبحره وبرِّه وجوِّه من زوجين اثنين.

والحمل للمرأة تسعة أشهر.

وللحيوانات أزمنة؛ كلٌّ على قدره، ولا أدري منها ما يوافق السَّبعة، حتَّى احتضان بيض الدَّجاجة (٢٢) يومًا، أمَّا النِّعاج فخمسة أشهر، وأمَّا الماعز فستَّة أشهر، والفرس والحمار اثنا عشر شهرًا، وهذا لأنَّ كلَّ شيءٍ خلقه الله بقدر.

وهذا العالم كلُّه أعلاه وأسفله وأفلاكه ونجومه وكواكبه مكوَّن من سالب وموجب من ركنين اثنين فقط.

والأشهر عدَّتها عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السَّموات والأرض، والله جلَّ جلاله يدبِّر الأمر من السَّماء إلى الأرض ثمَّ يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة ممَّا تعدُّون، ويوم القيامة الَّذي تعرج فيه الملائكة والرُّوح مقداره خمسون ألف سنة وليس سبعين.

وأمَّا قولك: إنَّ عدد (٧) هو الغالب فلا أظنُّ ذلك، إنَّما هو قَدَرٌ قدَّره الله الَّذي جعل لكلِّ شيء قَدْرًا.

أمَّا ما ذكره السَّائل عن الملك الَّذي صوَّره بعض كتب التَّاريخ أنَّ له سبعين ألف رأس، فهو شيء صوَّره لنا القصَّاصون الَّذين اعتمدوا في تأليفهم دسَّ الإسرائيليِّين والكذَّابين والوضَّاعين الَّذين كذَّبوا على رسول الله ﷺ ودسُّوا الأحاديث في الشَّريعة الإسلاميَّة، ومنهم أخذ كُتَّاب التَّاريخ الَّذين ذكروا قِصَّة هذا الملك وغيرها، وأغلبهم من المستشرقين الَّذين عُرفوا بعدائهم للإسلام.

وما أشبه هذا الملك بالثَّور الَّذي يحمل أرضنا طوله وعرضه كذا وكذا والسِّكَّة الَّتي يقف عليها الثَّور.

وما أشبه هذا الملك بجبل قاف الَّذي يُحدِّد أرضنا هذه ويكون حدًّا بينها وبين أرض الكافور والواقعة خلف جبل قاف.

وإنَّني أنصح السَّائل ألَّا يُصدِّق ما كُتِبَ جميعه، لا سيَّما المستشرقون الَّذين يعملون بوحي من عدائهم للإسلام فيحشرون في كتب الإسلام هذه الأكاذيب يريدون بها تضليل النَّاس وصرفهم عن معتقداتهم وتشويه أمور دينهم الطَّيِّب في نفوسهم.

والإسلامُ بريءٌ من كلِّ ما يخالف العقل، وكلُّ ما خالف العقل خالف الإسلام، ولقد عاش الإسلام عمرًا طويلًا وما زال منذ نشأته كالطَّود الأشمِّ يتحمَّل الصَّدمات من كلِّ عدوٍّ لدود، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

الباب الثَّاني

مع الرَّسول ﷺ في أهل بيته

اسمُ عمِّه أبي طالب

السُّؤال:

ما اسمُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ المُلقَّب بأبي طالب والدِ الإمامِ عليٍّ رضي الله عنه؟

الجواب:

قيل: إنَّ اسمه عبد مناف، وقيل: عمران، وكلاهما قول ضعيف، وقال أكثر المؤرِّخين: إنَّ اسمه كنيته؛ أي: أبو طالب، وذلك عند العرب مشهور، مثل: أبو العاص، وأبو بكر، وأبو قحافة، وأمُّ كلثوم.

وأبو طالب عمُّ النَّبيِّ ﷺ شقيق والده عبد الله، أمُّهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزوميَّة[1].

ولَمَّا حضرت الوفاة عبد المُطَّلِب جدَّ النَّبيِّ ﷺ، وكان عمر النَّبيِّ يومئذ (٨) سنوات أوصى به إلى عمِّه أبي طالب، وعاش أبو طالب من العمر على الأشهر سِتَّة وثمانين عامًا، وتوفِّي قبل الهجرة بسنتين وأشهر.

خال النَّبيِّ

السُّؤال:

هل للرَّسول ﷺ خال؟ وما اسمه؟

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، للعسقلانيّ (٧/ ١٩٦).

الجواب:

ذكر التَّاريخ أنَّ للرَّسول ﷺ خالًا هو عبد يغوث بن وهب، مات قبل أن يُبعَثَ الرَّسول ﷺ، وخلَّف ولدًا اسمه: الأسود[١]، كان من الَّذين يؤذون النَّبيَّ ﷺ ويستهزئون به، كما كان يفعل أبو لهب عمُّ النَّبيِّ ﷺ.

والأسود هذا خلَّف ابنًا اسمه: عبد الرَّحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وكان من خيار الصَّحابة ومن علمائهم[٢].

فالرَّسول ﷺ أُمُّه: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهذا الَّذي ذكرناه عبد الرَّحمن بن الأسود بن عبد يغوث هو أخو آمنة أمِّ النَّبيِّ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

والرَّسول عليه السلام هو محمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيِّ بن كلاب[٣].

وعبد مناف جدُّ الرَّسول لأبيه هو غير عبد مناف جدِّ الرَّسول لأمِّه، وكلاب هو الجدُّ الثَّالث لآمنة أمِّ النَّبيِّ، والرَّابع لعبد الله أبيه.

لم أسمع عن خال للنَّبيِّ سوى عبد يغوث هذا، وقد قيل: إنَّ له خالًا آخر، وقد بحثت في مظانِّ البحث فلم أجد غير ما ذكر.

(١) انظر: سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد، للشَّاميِّ (٢/ ٤٦٠).
(٢) انظر: المعارف، للدَّينوري (١/ ٤٣١).
(٣) انظر: الرَّحيق المختوم، لصفي الرَّحمن المباركفوري (١/ ٣٩).

أولاد النَّبيِّ

السُّؤال:

كم عدد أولاد الرَّسول ﷺ؟

الجواب:

تزوَّج الرَّسول ﷺ إحدى عشرة مرَّة، ومات من زوجاته في حياته اثنتان هما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، ومات ﷺ عن تسع.

لم تلد له من نسائه إلَّا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؛ ولدت له من البنين: القاسم - وبه كان يُكنَّى النَّبيُّ، فيقال: أبو القاسم - وعبد الله، وولدت له أيضًا زينب ورُقيَّة وفاطمة وأمَّ كلثوم، أمَّا القاسم وعبد الله فقد ماتا صغيرين، وماتت البنات؛ فقد توفَّاهن الله وهنَّ نساء متزوِّجات والرَّسول ﷺ حيٌّ، إلَّا فاطمة فقد توفِّيت رضي الله عنها بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ بستَّة أشهر.

وقبل وفاته صلوات الله عليه وُلِدت له ماريَّة القبطيَّة ابنه إبراهيم الَّذي مات قبل تمام العامين من عمره.

من هم أهل بيت النَّبيِّ؟

السُّؤال:

سمعت أنَّ الشَّخص الَّذي يؤدِّي الصَّلاة ولا يُصلِّي على محمَّد ﷺ وأهل بيته تبطل صلاته، فهل هذا صحيح؟ ومن هم أهل البيت؟

الجواب:

الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ تكون في التَّشهُّد الأخير بعد قراءة التَّحيَّات، ولفظه: «**اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد كما صلَّيت على آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد**»(١).

والصَّلاة على النَّبيِّ في بعض المذاهب واجبة ولو تركها المُصلِّي بطلت صلاته، أمَّا الصَّلاة على آله فغير واجبة وتركها لا يُبطِل الصَّلاة.

لكنَّ الصَّلاة الَّتي هي دعاء خارج الصَّلاة ذات الرُّكوع والسُّجود تكمل بالصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ وآله وصحبه، حتَّى إنِّي أحفظ هذين البيتين من الشِّعر للشَّافعيِّ:

يَـا آلَ بَـيْـتِ رَسُـوْلِ اللهِ حُـبُّـكُـمُ فَـرْضٌ مِـنَ اللهِ فِـي الـتَّـنْـزِيْـلِ أَنْـزَلَـهُ

كَـفَـاكُـمُ شَـرَفًـا فِـي الـنَّـاسِ أَنَّـكُـمُ مَنْ لَـمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ(٢)

والمقصود هنا بالصَّلاة صلاة الدُّعاء، وهو قول الإنسان عند ذكر النَّبيِّ ﷺ: اللَّهمَّ صلِّ عليه.

وآل بيت النَّبيِّ هم الَّذين تحرم عليهم الزَّكاة، وهم: آل عليِّ بن أبي طالب، وآل عقيل بن أبي طالب، وآل جعفر بن أبي طالب، وآل العبَّاس بن عبد المطلَّب، وآل الحارث.

أمَّا أهل البيت الَّذين ذكرهم الله في كتابه فهم مَن كانوا ملازمين للنَّبيِّ

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٧٩٨).

(٢) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي المهدي (١/ ٤٣٨).

من الرِّجال والنِّساء؛ لأنَّهم كانوا أقرب للنَّبيِّ وأخصَّ، وأمَّا الخصوصيَّة في هذا البيت فهم المذكورون في الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦١]؛ فهم عليٌّ وفاطمة وابناهما الحسن والحسين رضي الله عنهم والنَّبيُّ ﷺ، وذلك كما ذكر المُفسِّرون لهذه الآية، والله تعالى أعلم.

أدلَّة الصَّلاة على آل البيت في التَّشهُّد

السُّؤال:

نقرأ في التَّشهُّد الأخير كلَّ صلاة: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد. فهل هذه الصَّلاة واجبة؟ ولماذا تكون خاصَّة لآل النَّبيِّ دون باقي النَّاس؟ وهل نزل في ذلك قرآن؟

الجواب:

لقد قال القرآن في حقِّ آل البيت النَّبويِّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

ونفهم من ذلك أنَّ أهل البيت هم ذُرِّيَّة النَّبيِّ وأزواجه، وأمَّا آله فَهُمْ عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، وهم أهل الكساء الَّذين خرج بهم رسول الله ﷺ ليباهي بهم أهل نجران عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦١].

أمَّا الدُّعاء في التَّشهُّد فلم يختصَّ به آل البيت وحدهم، إنَّما عمَّ كلَّ عبدٍ صالحٍ، فإنَّك تقول - أيُّها الأخ - في صلاتك: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين، والصَّلاة دعاء والسَّلام أمان.

والرَّسول ﷺ دعا ضمن رسالته إلى القضاء على النَّزعة القبليَّة وعلى الفوارق النَّسَبيَّة وعلى المفاضلة بين النَّاس، وقال في مواضع كثيرة مخاطبًا أقاربه وأهليه: «**يا معشر قريش، اشتَرُوا أنفسكم من الله، لا أُغنِي عنكم من اللهِ شَيئًا، يا بَنِي عبد المطَّلب، لا أُغنِي عنكم مِنَ اللهِ شَيئًا، يا عَبَّاسَ بن عَبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغنِي عنك من الله شيئًا، يا صَفِيَّةُ عَمَّة رسول اللهِ، لا أُغنِي عنكِ من اللهِ شيئًا، يا فاطِمةُ بنت رسولِ الله، سليني بما شِئتِ لا أُغنِي عنكِ من اللهِ شيئًا**»[1].

وفي القرآن سورة نزلت في شأن أبي لهب تذمُّه وتلعنه، وأبو لهب عمُّ رسول الله ﷺ، ولم يمنعه نسبه من النَّبيِّ أن يتبَّ ويصلى نارًا ذات لهب، ولن يفيد نسب ولا قرابة من رسول ولا صحابة، إنِّما هو عمل صالح يرفع، أو عمل فاسد يدني.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٧٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٠٦).

الباب الثَّالث

مع الرَّسول ﷺ في رسالته

بشارات التَّوراة والإنجيل بالنَّبيِّ محمَّد

السُّؤال:

ما بشارات التَّوراة والإنجيل بسيِّدنا محمَّد ﷺ؟

الجواب:

ذكر القرآن الكريم بشارات التَّوراة والإنجيل بنبيِّنا محمَّد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

أمَّا البشارات في التَّوراة والإنجيل فهي كثيرة، منها ما جاء صراحةً، ومنها ما جاء إشارةً؛ ففي التَّوراة في سفر التَّثنية: «وسوف أقيم لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلِّمهم بكلِّ شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الَّذي يتكلَّم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك». وفي سفر التَّثنية أيضًا: «جاء الرَّبُّ من سيناء وأشرق من ساعير واستبان من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار». ومعناه أنَّ من سيناء أرسل موسى، ومن ساعير أرسل عيسى، وفاران جبل في مكَّة الَّتي أُرسِلَ منها محمَّد ﷺ. وفي سفر التَّكوين جاءت هذه الآية: وعلى إسماعيل أستجيب لك هو ذا أباركه وأكبِّره وأكثِّره جدًّا فسيلد اثني عشر رئيسًا وأجعله لشعب كبير، وهذه الآية قالها الله تعالى استجابة لدعاء إبراهيم.

والقرآن قصَّ علينا هذا الدُّعاء الَّذي جاء على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام في الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

أمَّا الأناجيل ففيها بشارات كثيرة أيضًا لكنَّها إشارات تشير إلى أنَّ ملكوت السَّموات سيأتي، منها: «كان يسوع يطوف كلَّ الجليل تعَلِّمُ في مجامعهم ويكرز[1] ببشارة الملكوت».

وفي إنجيل يوحنَّا: إن كنتم تُحبُّونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط[2] آخر ليثبت معكم إلى الأبد. ومعنى الفارقليط: النَّبيُّ، أو المعزِّي أو المبشِّر.

أمَّا إنجيل برنابا فقد جاء يُبشِّر صراحةً بالنَّبيِّ محمَّد ﷺ باسمه، فيقول: «ويظنُّ كلُّ شخصٍ أنِّي صلبت لكنَّ هذه الإهانة والاستهزاء تبقيان إلى أن يجيء محمَّد رسول الله، فإذا جاء في الدُّنيا ينبِّه كلَّ مؤمن على هذا الغلط، وترتفع هذه الشُّبهة من قلوب النَّاس».

هذا ما جاء بشأن بشارات نبيِّنا محمَّد ﷺ فيما تحت أيدينا من مصادر، والله تعالى أعلم.

(١) يكرِزُ: يدخل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥/ ٢٩٤).
(٢) الفارقليط: الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل وهو من أسماء الرَّسول ﷺ في الكتب السَّالفة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٦/ ٣٠).

أوَّل الأنبياء وخاتمهم

السُّؤال:

سمعت من أحد العلماء أنَّ النَّبيَّ ﷺ هو أوَّل الأنبياء وآخرهم، وأورد حديثًا نبويًّا يقول: كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين.

كيف يكون الرَّسول محمَّد ﷺ أوَّل الأنبياء وآخرهم في آنٍ واحد؟

الجواب:

اللَّفظ الصَّحيح للحديث هو: «**كنت نبيًّا وآدم بين الرُّوح والجسد**»، رواه ابن سعد عن ابن أبي الجدعاء[١] ورواه التِّرمذيُّ عن أبي هريرة[٢].

أمَّا ما ذكرتَ - كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين - فلا أصل له، وهو موضوع، وذلك ثابت في كتب الفقهاء الَّذين بيَّنوا وضعه.

أمَّا الحديث الصَّحيح فإنَّه يعني أنَّ آدم كان ملزمًا بالإيمان به؛ لأنَّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٨١]، فالأنبياء والمرسلون جميعهم ملزمون بالإيمان بمحمَّد ﷺ قبل أن يُبعث، ومنهم آدم، فهو أوَّل الأنبياء، فلزم الإيمان بمحمَّد من قبل الأنبياء السَّابقين جميعهم، والله أعلم.

أو يكون المعنى بوجه آخر: إنَّ الله يعلم بمقتضى علمه الأزليِّ أنَّ

---

(١) أورده المتَّقي الهندي في كنز العمَّال، رقم: (٣١٩١٧).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٦٠٩)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

محمَّدًا سيكون نبيًّا ورسولًا قبل أن يخلق، وقبل أن يخلق آدم، شأنه ﷺ في ذلك شأنُ النَّاس كلِّهم، فإنَّ الله تعالى يعلم قبل أن يخلقوا في الأرحام أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وعاقبة أمورهم.

وعلى ذلك فإنَّ محمَّدًا ﷺ هو أوَّل الأنبياء؛ في علم الله قبل خلقه وقبل خلق آدم، وهو آخر الأنبياء؛ لأنَّ رسالته خاتمة للرِّسالات.

كيفيَّة معراج النَّبيِّ ووصف السَّماء

السُّؤال:

أريد أن أعرف شيئًا عن معراج النَّبيِّ ﷺ إلى السَّماء واختراقه السَّموات السَّبع، وهل هناك دليل من القرآن والسُّنَّة على ذلك؟

الجواب:

إنَّ حادثَ المعراج أمرٌ لا شكَّ في حدوثه، فهو حادثٌ ثابتٌ بدليلِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وهو أمرٌ عظيم ينبغي للمؤمن أن يؤمن به ويصدِّق بوقوعه أنَّه حادث جاء ليُسرِي عن النَّبيِّ الهمَّ والحزن والكرب بعد أن طاردته ثقيف بالطَّائف ورفضت مناصرته وحمايته، فقد ذهب إليهم بالخير والهدى لكنَّهم لم يكونوا أهلًا لذلك.

إنَّ حادث المعراج جاء يُري الرَّسول ﷺ عالَمًا أفضل وأرحب من العالم السُّفليِّ الأرضيِّ الَّذي ضاق به وبدعوته ورسالته وأساء إليه وآلمه.

ودليل معراج النَّبيِّ ﷺ إلى السَّموات ثابت من حديث أنس بن مالك

ﷺ الَّذي رواه البخاريُّ ومسلم وأحمد، ونختصره هنا لطوله: «جاء جبريلُ رسولَ الله ﷺ بمكَّة وأركبه البُرَاق[١]، وانطلق به إلى بيت المقدَّس حيث صلَّى بالأنبياء، وبعد انتهاء الصَّلاة عرج به إلى السَّماء الدُّنيا، ثُمَّ إلى السَّماء الثَّانية، ثُمَّ الثَّالثة، وهكذا حتَّى بلغ السَّماء السَّابعة، وكان كلَّما عرج إلى سماء سلَّم على نبيِّها، ثُمَّ عرج النَّبيُّ إلى سدرة المنتهى، ثمَّ إلى البيت المعمور حيث رأى ربَّ العزَّة، فأوحى إلى عبده محمَّد ما أوحى من الرِّضا والسَّكينة وقُرَّة العين، وفي هذه الرِّحلة الميمونة المُباركة فرض الله على أُمَّة محمَّد ﷺ فريضة الصَّلاة»[٢].

ولقد ثبت حادث المعراج أيضًا بدليل قول الله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النّجْم: ١٢-١٨].

وسِدرَة المنتهى[٣] كما ثبت في الأحاديث هي في السَّماء السَّابعة وينتهي عندها كلُّ شيء.

أمَّا كيفيَّة السَّموات السَّبع وأوصافها وكيفيَّة اختراق النَّبيِّ الحجبَ فعلم ذلك عند الله وحده.

(١) البراق: فرس جبريل. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١٥).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم، رقم: (١٦٢)، وأحمد، رقم: (١٢٥٠٥).
(٣) سِدرَةُ المُنتهى: شجرةٌ في أقصى الجنَّة إليها ينتهي علم الأوَّلين والآخرين ولا يتعدَّاها. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣٥٥).

كيف كلَّم اللهُ نبيَّه محمَّدًا كما كلَّم نبيَّه موسى؟

السُّؤال:

كيف كلَّم الله نبيَّنا محمَّدًا ﷺ، والقرآن أبلغنا أنَّ الله كلَّم موسى فقط؟

الجواب:

قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، فكلام الله مع البشر يكون بإحدى ثلاث صفات أو بوساطة؛ إمَّا أن يلقي في روعه كرؤيا مثلًا أو إلهام كما هو مع أغلب الأنبياء والرُّسل، وإمَّا أن يكون الكلام من وراء حجاب كما كان مع موسى عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النَّازعَات: ١٦]، وقد طلب موسى عليه السلام الرُّؤيا حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

أمَّا الصِّفة أو الوساطة الثَّالث فهي أن يرسل رسولًا ملكًا من الملائكة فيوحي إلى الرَّسول أو النَّبيِّ بإذن الله ما يشاء.

هذه هي صور الوحي وطرق الاتِّصال بين الله وأنبيائه، يوحي من علوٍّ وبحكمةٍ إلى من يختار من خلقه، إنَّه عليٌّ حكيم.

وهذه رعاية من الله العليِّ الكبير ورحمةٌ يتلطَّف بها على المخلوق الضَّئيل المُسمَّى الإنسان، الَّذي خلقه وسخَّر له ما في الأرض جميعًا،

فأوحى إليه بما يَزين حياته، ويصلح أمره، وينير طريقه، ويرشده، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

هكذا كلَّم الله نبيَّه محمَّدًا ونبيَّه موسى والأنبياء جميعهم من قبله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

موقف النَّبيِّ من الشِّعر والشُّعراء

السُّؤال:

ما موقف النَّبيِّ ﷺ من الشِّعر والشُّعراء؟

الجواب:

لم يكن ﷺ شاعرًا؛ لأنَّ الله تعالى نفى عنه ذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩].

وكان النَّبيُّ يكره الشِّعر الكاذب، وقد نزل في كتاب الله قوله تعالى يذمُّ الشِّعر المُلوَّن بالنِّفاق والكذب: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢١-٢٢٧].

أمَّا غير ذلك من الشِّعر فقد كان ﷺ يُحِبُّ سماعه ويهتزُّ له طربًا، ويقول: «**إنَّ من الشِّعر حكمة**»(١)، ويقول: «**إنَّ من البيان لسحرًا**»(٢)، وقد ثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ طرب لشعر الخنساء، فكانت تنشد وهو يقول: «**هيه يا خنساء**»(٣).

وقد ثبت أنَّ حسَّان بن ثابت رضي الله عنه أنشده في مواقف مُتعدِّدة وعلى منبره ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يَضَعُ لحسَّان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يُفاخِرُ عن رسول الله ﷺ أو قيل: يُنافِحُ عن رسول الله ﷺ، ويقول رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله يُؤَيِّدُ حسَّانَ بروح القُدُسِ ما يُفَاخرُ، أو يُنَافِحُ عن رسول الله ﷺ**»(٤).

وأنشده كعب بن زهير قصيدته المعروفة بالبردة الَّتي مطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُوْلُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُوْلُ(٥)

حتَّى وصل فيها إلى نهايتها:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أَوْعَدَنِيْ وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ مَأْمُوْلُ(٦)

هذا هو موقف النَّبيِّ ﷺ من الشِّعر والشُّعراء، فقد كان يُحِبُّ الشِّعر الَّذي ينبع من وجدان الشَّاعر الصَّادق وعاطفته الصَّادقة المُعبِّرة عن انفعالاته مع موضوع الشِّعر، أمَّا شعر النِّفاق المقصود به تحقيق المآرب،

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦١٤٥).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥١٤٦).
(٣) انظر: الأعلام، للزركليِّ (٢/ ٨٦).
(٤) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٨٤٦)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٥) انظر: جمهرة أشعار العرب، للقرشيِّ (١/ ٦٣٢).
(٦) انظر: جمهرة أشعار العرب، للقرشيِّ (١/ ٦٣٨)

أو غير ذلك من أغراض الشِّعر الكاذبة فكان يكرهه كما أخبر بذلك القرآن.

هل أخطأ الرَّسول؟

السُّؤال:

يقول الرَّسول ﷺ في الحديث: «كلُّ بني آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التَّوَّابون»(١)، وبما أنَّ الرَّسول بشر فهل أخطأ - بناءً على هذا الحديث - ؟ وكيف كان خطؤه؟

الجواب:

أمر الله تعالى نبيَّه الكريم أن يُعْلِمَ النَّاس أنَّه بشر ككلِّ النَّاس فقال تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فُصّلَت: ٦] كما قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسرَاء: ٩٣].

فإذا عرفنا هذا من الكتاب والسُّنَّة وآمنَّا به فقد ثبت لدينا يقينًا أنَّ الرَّسول بشر يعيش بكلِّ خصائصه البشريَّة.

وقد وُلِدَ رسول الله ﷺ من والدين هما: عبد الله بن عبد المُطَّلب، وآمنة بنت وهب، ومرَّت به جميع أطوار الطُّفولة كما تمرُّ بكلِّ طفل، وكان ﷺ يأكل الطَّعام مثل البشر ويشرب شرابهم ويلبس لباسهم وكان

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥١).

ينام ويستيقظ ويتزوَّج وينجب الأولاد ومات ﷺ بعد أن مرض كما يمرض النَّاس وكما يموتون.

وقال الله مخاطبًا إيَّاه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، ثمَّ إنَّه سيبعث كما يبعث النَّاس يوم القيامة.

هذا هو الواقع ولا أظنُّ أنَّ مسلمًا يُنكِرُ بشريَّة محمَّد ﷺ لكنَّ الله ﷻ اختار رسله لهداية البشر من جنس البشر مُبشِّرين ومنذرين منذ بدأ خلق البشر.

أرسلهم من جنس البشر وبلسانهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤] كما أخبرنا الله أنَّ كلَّ الأنبياء معصومون فيما يبلِّغونه عن الله تعالى، صادقون فيما ينقلونه لأقوامهم في رسالاتهم الحقَّة إلَّا ما كان لسبب تشريع ولحكمة يريدها الله فهم يخطئون.

ولم يرد في التَّاريخ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخطأ فيما بلَّغ عن ربِّه، أو شرعه من تشريع.

وقد أمر ﷺ أصحابه أن يطيعوه بكلِّ ما يأمرهم به من شؤون الدِّين أو ممَّا يأتيهم به من الله، أمَّا شؤون الدُّنيا فهم أدرى بها وأعلم بمصالحهم فيها، فقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»(١).

وهؤلاء الرُّسل فضَّلهم الله على سائر البشر، بل على سائر الخلق،

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٩٥٧)، ومسلم، رقم: (١٨٣٥).

وهيَّأهم لتحمُّلِ الرِّسالة، وألهمهم الصَّبر على ما يلاقونه في تبليغها من شدائد وصعاب وغفر لهم.

أمَّا نبيُّنا ﷺ فقد غَفَرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأتمَّ نعمته عليه وهداه صراطًا مستقيمًا، ونصره الله نصرًا عزيزًا، وقد روى البخاريُّ ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطِيت خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي، كان كلُّ نبيٍّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعِثتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ، وأُحِلَّت ليَ الغنائم، ولم تُحَلَّ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَت ليَ الأرضُ طيِّبةً طَهُورًا ومسجدًا، فأيُّما رجلٍ أدرَكَته الصَّلاةُ صلَّى حيثُ كان، ونُصِرتُ بالرُّعب بين يدي مسيرة شهرٍ، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ**»[1].

وفاة النَّبيِّ ﷺ

السُّؤال:

هل هناك صِحَّة لما قيل: إنَّ ملك الموت جاء يستأذن النَّبيَّ ﷺ بقبض روحه؟ وهل قال أبو بكر للنَّبيِّ: طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله؟ وما قصَّة مرض النَّبيِّ ﷺ الَّذي مات فيه؟

الجواب:

أمر اللهُ ﷻ نبيَّه محمَّدًا عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام أن يقول للنَّاس: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، قالها في مواضع من القرآن وليس في

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٣٨)، ومسلم، رقم: (٥٢١).

موضع واحد، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسرَاء: ٩٣].

فالنَّبيُّ عليه السلام بشرٌ في خلقه جائزٌ عليه كلُّ ما يجوز على البشر من: الشَّبع، والجوع، والرَّيِّ، والظَّمأ، والصِّحَّة والمرض، والنُّوم والسَّهر، والرَّاحة والتَّعب، والحياة والموت، إلَّا أنَّه يمتاز عن البشريَّة جمعاء في أنَّه رسول، أرسله الله إلى النَّاس يدعوهم بلسانهم إلى الله ويهديهم للَّتي هي أقوم.

وبعد أن أتمَّ الرَّسول رسالته من البيان والتَّبليغ جرى عليه ﷺ قدر الموت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١].

ففي آخر ليلة من صفر سنة (١١)[(١)] للهجرة أحسَّ عليه السلام بثقلٍ في رأسه، لكنَّه لم يُشعِر بهذا أحدًا من الصَّحابة، فقال لمولاه أبي مويهبة: «**إنِّي قد أُمِرتُ أن أستغفِرَ لأهل البقيع فانطلِق معي**»، فانطلقتُ معه، فلمَّا وقف بين أظهُرِهم قال: «**السَّلام عليكم يا أهل المقابر**»، ثمَّ استغفر لأهل البقيع، ثمَّ انصرف فَبُدِئَ رسول الله ﷺ في وجعه الَّذي قبضه الله ﷻ فيه حين أصبح»[(٢)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: رَجَعَ رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ من جنازةٍ بالبقيع وأنا أَجِدُ صُدَاعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «**بل أنا يا عائشة، وَارَأسَاه**»[(٣)].

---

(١) أي: سنة (٦٣٢م).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٥٩٩٧).

(٣) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (٦٦٥٩).

ولم يلبث المرض أن ازداد فلم يترك له راحة، غير أنَّه ﷺ تغلَّب على آلامه، ولم يكفَّ عن تدبير شؤون المسلمين ومستقبل الإسلام، وكان المرض يشتدُّ عليه يومًا بعد يوم، حتَّى لم يعد يقدر على التَّنقُّل إلَّا بجهد، ومع ذلك كان قد جهَّز جيش أسامة[١]، والمرض يزداد عليه يومًا بعد يوم، حتَّى إذا ثقل عليه المشي دعا زوجاته واستأذنهنَّ في أن يمرض في بيت عائشة فأذِنَّ له، فخرج من بيت ميمونة عاصبًا رأسه مُتَّكِئًا على الفضلِ بن العبَّاس وعليِّ بن أبي طالب تخطُّ قدماه حتَّى دخل بيت عائشة.

ويوم الأربعاء قبل خمسة أيَّام من الوفاة، اتَّقدت حرارة العِلَّة في بدنه، فاشتدَّ به الوجع وغمي، فقال: «**هريقوا عليَّ سبع قرب من آبار شتَّى، حتَّى أخرج إلى النَّاس، فأعهد إليهم**» فأقعدوه في مخضب[٢]، وصبُّوا عليه الماء، حتَّى طفق يقول: «**حسبكم، حسبكم**»[٣].

ثمَّ دخل المسجد مُتَّكِئًا على الفضل وعلى ابني عمَّيه، فصعد المنبر وخطب خطبةً كانت آخر خطبة له، ثمَّ ذكر شهداء أُحُد واستغفر لهم، وقال في آخر كلامه: «**إنَّ عبدًا من عباد الله خيَّره الله بين الدُّنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**»[٤]، فصاح أبو بكر: نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فردَّ عليه النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكم تخافون من موت نبيِّكم هل خُلِّد نبيٌّ**

(١) انظر: الرَّحيق المختوم، للمباركفوري (١/ ٤٢٥).
(٢) المِخضَب: هي إجَّانةٌ تُغسَل فيها الثِّياب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٩).
(٣) انظر: الرَّحيق المختوم، للمباركفوري (١/ ٤٢٩).
(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٦٦).

قبلي فيمن بعث إليهم فأُخلَّد فيكم؟ ألا إنِّي لاحقٌ بربِّي وإنَّكم لاحقون بي»[١]، بعد هذا الجهد دخل البيت فأغمي عليه واشتدَّت عليه الحُمَّى، فلمَّا كان يوم الإثنين الثَّاني عشر من شهر ربيع الأوَّل، وأبو بكر يُصلِّي في النَّاس، انفتح باب عائشة المُطِلُّ على المسجد فخرج الرَّسول معصوب الرَّأس تخطُّ قدماه الأرض، وجلس إلى يمين أبي بكر وكان فرحًا بتقوى النَّاس وخشوعهم في صلاتهم[٢]، وبعد انتهاء النَّاس من الصَّلاة أقبل على النَّاس بصوت لم يوهنه المرض، وقال: «**أيُّها النَّاس، الصَّلاة الصَّلاة**»[٣].

كان يتكلَّم مع أصحابه وهو معتمدٌ على جذع من جذوع المسجد، ثمَّ رجع إلى حجرته حيث عاوده الألم فكان عليه أشدُّ من ذي قبل ثمَّ طلب سواكًا فاستاك به، ثمَّ شَخَص ببصره إلى السَّماء، ثمَّ قال: «**اللَّهمَّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرَّفيق الأعلى من الجنَّة**»[٤]، وكان هذا آخر كلمة قالها رسول الله ﷺ قبل موته، وفاضت روحه الشَّريفة إلى بارئها عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام.

هذه القِصَّة مذكورة في أكثر كتب السِّير الخالية من الخرافات وقد اقتبست هذه النِّبذة من كُتُبِ السِّيرة الموثوق بها.

وإنَّ ما ذكره السَّائل من أخبار ملك الموت واستئذانه لقبض روح الرَّسول، فهو ممَّا كتبه أعداء الإسلام من كذب ومفتريات، ولا نعلم إلَّا

(١) انظر: نور اليقين في سيرة سيِّد المرسلين، للباجوري (١/ ٢٤٢).
(٢) انظر: الرَّحيق المختوم، للمباركفوري (١/ ٤٢٩).
(٣) رواه أبو داود، رقم: (٥١٥٦).
(٤) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٤٩٦)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ما رواه أحمد عن عائشة في حديث يقول: «**كان رسولُ الله ﷺ يقول: ما من نبيٍّ إلَّا تُقبَضُ نَفسُهُ، ثُمَّ يَرَى الثَّوَاب، ثُمَّ تُرَدُّ إليه فَيُخَيَّرُ بين أن تُرَدَّ إليه إلى أن يلحق**»(١).

أمَّا السُّؤال عن قول أبي بكر رضي الله عنه فقد قال بعد أن كشف عن وجه النَّبيِّ ﷺ: «**بأبي أنت وأُمِّي، طِبتَ حيًّا وميِّتًا**»(٢).

أمَّا تغسيله فقد غُسِّل عليه السلام بثيابه لم يُجرَّد منها؛ احترامًا لشخصيَّته ولجسده الشَّريف أن يكون مكشوفًا، وروي في ذلك: «سَمِعتُ عائشة، تقولُ: لَمَّا أرادوا غسل النَّبيِّ ﷺ قالوا: والله ما ندري أَنُجَرِّدُ رسولَ الله ﷺ من ثيابه كما نُجَرِّدُ موتانا، أم نَغسِله وعليه ثيَابُهُ؟ فلمَّا اختلفوا ألقى الله عليهم النَّوم حتَّى ما منهم رجلٌ إلَّا وذقنه في صدره، ثُمَّ كلَّمهم مُكَلِّمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النَّبيَّ ﷺ وعليه ثيابُهُ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغَسَلوه وعليه قميصه، يصُبُّونَ الماء فوق القميص ويُدَلِّكونه بالقميص دون أيديهم»(٣).

واجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ، وليس في البيت إلَّا أهلُهُ: عَمُّهُ العبَّاس بن عبد المُطَّلب، وعليُّ بن أبي طالب، والفضل بن العبَّاس، وقُثَمُ بن العبَّاس، وأُسامة بن زيد بن حارثة، وصالحٌ مولاه، وكان العبَّاسُ والفضلُ وقُثَمُ يُقَلِّبُونه مع عليِّ بن أبي طالب، وأُسامةُ بن زيد وصالحٌ مولاهما يَصُبَّانِ الماءَ(٤).

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٤٤٥٤).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٦٦٧).
(٣) رواه أبو داود، رقم: (٣١٤١).
(٤) رواه أحمد، رقم: (٢٣٥٧).

وصلَّى عليه النَّاس صفوفًا لا يؤمُّهم أحد فهو إمامهم وأشرفهم، والصَّلاة دعاء والحيُّ يدعو للميِّت ولكن من ذا الَّذي يؤمُّ في الصَّلاة على النَّبيِّ وهو أفضلهم! فإنَّ المُصلِّي يقول: السَّلام عليك - أيُّها النَّبيُّ - ورحمة الله وبركاته.

وكان الَّذي يُغسِّله يقول: اللَّهمَّ إنَّا نشهد أنَّ رسولك هذا قد بلغ ما أُنزِلَ إليه، ونصح لأمَّته، وجاهد في سبيل الله حتَّى أعزَّ الله دينه، وتمَّت كلمته، فاجعلنا ممَّن اتَّبع القول الَّذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه.

والَّذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ عليٌّ والفضلُ وقُثَمُ ابنا العبَّاس وشُقرَانُ مولى رسول الله ﷺ[1].

هذا هو ما جاء بقِصَّة وفاة الرَّسول من أوَّلها إلى آخرها، وهذا هو الثَّابت الخالي من الخرافات والرِّوايات الَّتي يأباها العقل وتمجُّها الأذواق السَّليمة، فالرَّسول ﷺ بشر جائز عليه كلُّ ما يجوز على البشر كما قلنا في هذا الجواب.

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١١٥١٦).

الباب الرَّابع

مع الرَّسول ﷺ في أحاديثه

رواية الأحاديث بألفاظ مختلفة

السُّؤال:

رسالة من طالبة تقول فيها: أقرأ في كُتُبِ الأحاديث الَّتي تُدرَّسُ لنا في المدارس فأجد الحديث يُروى بألفاظ مختلفة مع أنَّ الرَّاوي واحد، ونحن نعلم أنَّ حديث الرَّسول ﷺ ليس فيه تغيير فأرجو الإفادة في هذا الاختلاف، وعلى سبيل المثال أذكر الحديث الآتي:

١ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرَّات هل يبقى من درنه شيء؟**»، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصَّلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا**»(١).

٢ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّات، ما تقولون؟ يُبقي ذلك من درنه شيئًا؟**»، قالوا: لا يبقي من درنه شيئًا، قال: «**فذلك مثل الصَّلوات الخمس يمحو به الله الخطايا**»(٢).

الجواب:

أحاديث النَّبيِّ ﷺ غير كلام القرآن، والقرآن نعتقد يقينًا أنَّ الوحي جاء به من السَّماء إلى رسول الله ﷺ وبلَّغنا إيَّاه هذا النَّبيُّ ﷺ كما أُنزِلَ عليه،

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٦٦٧).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٢٨).

وكتب هذا الكلام المنزَّل في عهده ﷺ، ولا سبيل إلى تغييره ولا إلى تغير كلمة واحدة أو حرف واحد منه.

أمَّا الحديث فكلامٌ يُحدِّثُ به النَّبيُّ ﷺ نفرًا من أصحابه في خاصَّته منهم أو عامَّته، ويستمع كلُّ واحد منهم المعنى ثُمَّ يُحدِّث به النَّاس على نحو ما سمع.

والحديثان اللَّذان سألت عنهما هذه الطَّالبة معناهما واحد وإن تغيَّر اللَّفظ، وأمثال هذا كثير، والعبرة في الحديث للمعنى.

ولعلَّ قائلًا يقول: سمعنا أنَّ من كَذَبَ على رسول الله ﷺ كان موعودًا بالنَّار لقوله ﷺ: «**من كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»(١).

والجواب عن هذا: إنَّ من تعمَّد الكذب فبلَّغ عن النَّبيِّ ﷺ أمرًا لم يأمر به أو نهيًا لم ينه عنه أو تحريمًا لحلال أو تحليلًا لحرام أو خبرًا لم ترد به السُّنَّة أو شيئًا نحو ذلك فقد ذمَّه القرآن بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أمَّا اختلاف الألفاظ في الحديثين الَّتي أوردتهما السَّائلة الكريمة فهو بعيدٌ كلَّ البعد من مجال الكذب على رسول الله ﷺ الوارد في الحديث.

(١) رواه البخاريّ، رقم: (١٢٩١)، ومسلم، رقم: (٣).

من قال لا إله إلَّا الله

السُّؤال:

أرجو أن تفسِّروا لنا معنى الحديث الآتي: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منِّي دمَاءَهُم وأموالَهُم إلَّا بحقِّ الإسلام، وحسابهم على الله»[1].

الجواب:

إنَّ كلمة التَّوحيد - لا إله إلَّا الله - تدلُّ على الإسلام، فإذا أسلم الإنسان عن عقيدة صحيحة، حَرُمَ كلُّ شيءٍ منه وله، فلا يقتل ولا يسلب ماله، أمَّا القلوب فأمرها إلى الله.

والحديث يتَّفق وقول الله تعالى في سورة النِّساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النِّسَاء: ٩٤].

وسبب نزول الآية أنَّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ خرج في سريَّة، فقتلوا رجلًا في غنيمة قال: لا إله إلَّا الله، فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فَغَضِبَ، فقال الرَّجل الَّذي قتله: يا رسول الله، إنَّما قالها ليتخلَّص من القتل، فقال

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٥).

ﷺ: «**هلَّا شَقَقْت عَن قلبه!**»[١]، وكذلك في رواية عن الطَّبرانيِّ[٢].

ولقد أعلم الله تعالى المؤمنين بهذه الآية ألَّا يسيئوا الظَّنَّ بكلِّ ما يجدونه في ديار الكفر، وأنَّه يجب عليهم أن يتيقَّنوا فيمن يظهر علامات الإسلام كالشَّهادة، والسَّلام الَّذي يعدُّه الإسلام تحيَّة المؤمنين، ودلائل الأمن والاطمئنان من بعضهم لبعض، وألَّا يحملوا هذا الإسلام على المخادعة واتِّهام صاحبه بالتَّصنُّع وإظهار التَّقوى؛ ليبتغوا عرض الحياة الدُّنيا، فما عند الله من الرِّزق الحلال خير لهم من مال يأتيهم بقتل صاحبه؛ إذ ربَّما يكون الإيمان قد خالط هذا القلب وألمَّ به إن لم يكن قد تمكَّن منه.

وتخبرنا هذه الآية أنَّ من قتل إنسانًا قبل نزولها يُعدُّ قتل خطأ، أمَّا من أقدم على قتل أحد بعد نزولها فعمله قتل عمد؛ لأنَّه أمر فيها بالتَّثبُّت والتَّبيُّن، ونهى عن إنكار إسلام من يدَّعي الإسلام ولو بإلقاء تحيَّة الإسلام، فكيف بمن نطق الشَّهادتين؟!

إنَّ الإسلام لم يأمر بالتَّنقيب عن القلوب وإنَّما أخذ بالظَّاهر، أمَّا القلوب فأمرها لله ﷻ، فهو وحده عالم الغيب والشَّهادة، ووحده يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور.

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الَّذي يسأل عنه صاحب السُّؤال «**وحسابهم على الله**»[٣]؛ **أي: إنَّ ما يخفيه الإنسان في باطنه حسابه**

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيَّان (٣/ ٣٤١).
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٥٦٢).
(٣) سبق تخريجه.

على الله وحده، سيحاسبه على ما يخفيه من نيَّات وما يحويه من طوايا.

المؤمن القويُّ والمؤمن الضَّعيف

السُّؤال:

في الحديث النَّبويِّ: «المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف»، ما المقصود بالقوَّة في هذا الحديث؟

الجواب:

هذا الحديث رواه مسلم، والإمام أحمد في «مسنده»، وابن ماجه، ولفظ الحديث كاملًا: «**المُؤمِنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ، احرِصْ على ما ينفَعُكَ، واستعِنْ بالله ولا تَعجَز، وإن أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أنِّي فَعَلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُل: قَدَرُ الله وما شاء فَعَلَ، فإنَّ لو تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطان**»[1].

والقوَّة المقصودة في هذا الحديث تشمل قوى الخير كلَّها؛ القوَّة في الإيمان والبدن والإرادة والحرص على الشَّيء النَّافع والاستعانة بالله، وكلُّ هذه القوى مع قوَّة الإيمان تصل بالإنسان إلى السَّعادة، فلا يُبالي بما يصيبه من نكد أو كدر في ميدان الحياة، فهو قويٌّ بإيمانه، تدفعه عزيمته إلى الصَّبر إن نكب، وإلى الإقدام إن جاهد، وإلى المثابرة إن عمل، وإلى النُّصح إن استشير أو استؤجر أو كُلِّفَ بعمل.

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤)، وأحمد، رقم: (٨٧٩١)، وابن ماجه، رقم: (٧٩).

فتراه مقدامًا في الجهاد، مضَّاءً في العزيمة، أمَّارًا بالمعروف، نهَّاءً عن المنكر، متقنًا لعمله، مؤدِّيًا واجباته، أمينًا على ما كُلِّفَ به، لا يُبالي بالأذى يناله في سبيل الدَّعوة إلى الخير، صبورًا على القيام بحقوق الله، يؤدِّي أركان دينه بلا ملل ولا سأم، ولا ينوء به[١] حسن معاملة النَّاس؛ لأنَّه يعلم أنَّ الدِّين المعاملة، ولا يدع للخور إلى نفسه سبيلًا، ولا يتقاعس عن فعل معروف.

معنى الحديث: إنَّ في المؤمن القويِّ خيرًا، وإنَّ في المؤمن الضَّعيف خيرًا؛ لأنَّ الاستعداد في الإيمان موجود عند كلٍّ منهما، ولكنَّ الأوَّل نمَّى إيمانه بالقوَّة فازداد رسوخًا، وآتى ثماره كلَّ حينٍ بإذن ربِّه.

هذا هو المعنى المقصود من قوله ﷺ: «**وفي كلٍّ خير**».

مبايعة عبادة بن الصَّامت للرَّسول

السُّؤال:

من المعلوم لدينا أنَّ الأحاديث النَّبويَّة هي ما قاله الرَّسول ﷺ من كلام نقله عنه الصَّحابة، ورواه عنهم التَّابعون، ثمَّ سجَّله رجال الحديث في الصِّحاح والمسانيد والسُّنن، ولكنِّي قرأت حديثًا قاله عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أخرجه مسلم ومالك والنَّسائيُّ، ولفظ الحديث: قال

(١) ناء به الحمل: إذا أثقله وأماله إلى السُّقوط. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١/ ٤٧١).

عبادة: «بايعت رسول الله ﷺ على السَّمع والطَّاعة في العُسرِ واليُسرِ والمَنْشَطِ والمكره وعلى أَثَرَةٍ علينا، وعلى أن لا نُنازِعَ الأمر أهلَه وعلى أن نقول بالحقِّ أينما كُنَّا لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ»(١).

وإنِّي أعتقد أنَّ هذا الحديث ليس من كلام النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما هو كلام عبادة، فكيف نعدُّ هذا حديثًا؟

الجواب:

عبادة بن الصَّامت من خيرة الصَّحابة، بايع الرَّسول ﷺ، ومعنى المبايعة: أن يضع الصَّحابيُّ يده بيد رسول الله ﷺ والرَّسول يملي عليه لفظ المبايعة، فيقول له: بايعني على كذا وكذا، والصَّحابي يعيد القول كلمة كلمة، فاللَّفظ الَّذي ذكره عبادة هو لفظ الرَّسول ﷺ نفسه، وهكذا كانت مبايعة النَّبي ﷺ للنِّساء، تلك المبايعة الَّتي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [المُمتَحنَة: ١٢].

فكانت المؤمنة تأتي إلى رسول الله ﷺ فيملي عليها الرَّسول ﷺ المبايعة كلمة كلمة، وهي تعيدها وتنطق بها كلمة كلمة.

إذن؛ فالحديث الَّذي ذكره الأخ السَّائل هو من قول رسول الله ﷺ رواه عنه عبادة بلفظه.

وهذه أحاديث لم يقلها النَّبيُّ ﷺ لكنَّها من صفاته وأفعاله، وذكرها

(١) رواه مسلم، رقم: (١٧٠٩)، والنَّسائيُّ، رقم: (٧٧٢٢)، ومالك في الموطَّأ، رقم: (٥).

أهل الصِّحاح والسُّنن، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنَّما كان فراشُ رسول الله ﷺ الَّذي ينام عليه أدَمًا حشوه لِيفٌ**»(١)، وروى البيهقيُّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «**تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وإنَّ نَمِرَةً من صُوفٍ تُنسَجُ له**»(٢).

الصُّور المُحرَّم اقتناؤها في المنزل

السُّؤال:

أرجو شرح معنى الحديث الَّذي قاله رسول الله ﷺ على لسان جبريل عليه السلام: «إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلبٌ أو صورةٌ».

الجواب:

هذا الحديث الَّذي ذكره السَّائل رواه مسلم عن أبي عمر رضي الله عنهما قال: واعد رسول الله ﷺ جبريل أن يأتيه فراث عليه - أي: تأخَّر وأبطأ - حتَّى اشتدَّ على رسول الله ﷺ فخرج فلقيه جبريل فشكا إليه فقال: «**إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ**»(٣)، وهناك ما رواه البخاريُّ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٠٨٢).
(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٥٧٥٤).
(٣) رواه مسلم، رقم: (٢١٠٤).
(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٣٢٢).

والحديث صحيح، والصُّور المقصودة هي الصُّور المُجسَّمة الَّتي لها ظلٌّ كالتِّمثال مثلًا؛ لأنَّها تشبه شكل الإنسان في خلقته الَّتي انفرد الله وحده بخلقها وبعث الرُّوح فيها، وأمَّا الكلب فلأنَّه نجسٌ كلُّه حيًّا وميِّتًا، ونجاسته مُغلَّظة لا تُطهَّر إلَّا بغسلها سبع مرَّات والثَّامنة بالتُّراب كما جاء في حديث النَّبي ﷺ: «**إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرَّات، وعفِّروه الثَّامنة في التُّراب**»(١).

أمَّا الصُّورة الشَّمسيَّة فليس بها تجسيم؛ أي: أعضاء ظاهرة كالتِّمثال أو الإنسان، فهذه الصُّورة ليست مُحرَّمة ولا بأس بها، وهي اليوم من ضرورات الحياة لا يستطيع الإنسان أن يسافر إلَّا بها، فهي في جواز سفره إن خرج من بلده إلى أيِّ بلد في العالم، وفي هويَّته إن تنقَّل في إقليمه أو بلده، وهي مع الطَّالب في مدرسته، والموظَّف في وظيفته وصاحب المحلِّ في رخصته والعضو في نقابته أو رابطته، وغير ذلك من ضرورات الحياة الَّتي لا غنًى عنها للإنسان؛ لهذا نجد كلَّ إنسان محتاجًا إلى صورة، والفقهاء في هذا العصر لم يجدوا بأسًا في الصُّورة ولا في امتهان التَّصوير، وشُرَّاح الحديث الَّذين ذكرهم السَّائل أجمعوا على أنَّ الصُّورة الَّتي تمنع دخول الملائكة في البيوت هي الصُّورة المجسَّمة ذات الظِّلِّ الَّتي لها شكل الإنسان كما قلت في أوَّل الجواب.

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٨٠).

العبد الآبق والمرأة السَّاخط عليها زوجها

السُّؤال:

قرأت في أحد كتب السُّنَّة الحديث الآتي:

روى جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السَّماء؛ العبد الآبق حتَّى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة السَّاخط عليها زوجها حتَّى يرضى عنها، والسَّكران حتَّى يصحو». أرجو تفسير هذا الحديث.

الجواب:

الحديث رواه ابن خزيمة وابن حبَّان والبيهقيُّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[1].

والعبد الآبق: هو المملوك الَّذي يفرُّ من مالكيه؛ لأنَّه اغتصب حقَّ غيره فهرب من سيِّده فهو آبق، فلا يقبل له عمل حتَّى يرجع إلى سيِّده فيضع يده في يده.

والمرأة تعمل العمل تغضب زوجها أو ترفض طاعته فيغضب عليها، وعصيان الزَّوج في غير معصية الله كبيرة من الكبائر؛ لهذا كانت المرأة السَّاخط عليها زوجها في معصيةٍ دائمةٍ وذنبٍ مُستمِرٍّ لا يُقبَلُ عملها حتَّى

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٨٢٣٧)، وابن خزيمة، رقم: (٩٤٠)، وابن حبَّان، رقم: (٥٣٥٥).

يرضى عنها زوجها.

أمَّا السَّكران فمعروفٌ أنَّه لا يعلم ما يقول ولا يدري ماذا يعمل؛ لأنَّ الخمر يُذهب عقله ويفقده رشده، فعلمه إذن مردود عليه حتَّى يصحو من سكره.

لكنَّ الإسلام استثنى المرأة السَّاخط عليها زوجها من هذا الحديث إذا أمرها زوجها بمعصية أو بما يُغضِبِ الله، فإذا سخط عليها لهذا السَّبب فلا طاعة له عليها؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1].

حديث الذُّباب

السُّؤال:

ما كنت أودُّ أن أكتب لك هذه الرِّسالة لولا حديثك في أحد برامجك عن حديث الذُّباب، فإنَّك تعلم جيِّدًا أنَّ الأحاديث النَّبويَّة والآيات القرآنيَّة توافق العلم ولا تخالفه أبدًا، وفي كلِّ يوم يكتشف بعضهم ما يؤكِّد صِحَّة ما قيل في الأحاديث ويؤيِّده علميًّا.

وتعلم جيِّدًا أنَّنا لم نصل إلى مرحلة نعلم فيها كلَّ شيءٍ، ولا يعلم ذلك إلَّا الله وحده؛ لذلك لا يمكننا أن نطغى على أيِّ حديث لأنَّه يخالف نصًّا علميًّا وضعه إنسان يُخطِئ ويُصيب، لا سيَّما إذا كان من أورد

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٣٨١).

الحديث شخصًا مثل البخاريِّ، وطعننا في البخاريِّ يعدُّ طعنًا في الفقه والحديث الإسلاميِّ كلِّه؛ لأنَّ البخاريَّ أصحُّ رواة الحديث إطلاقًا، وهذا ما اتَّفق عليه الجميع.

وكنت أتمنى قبل أن تطعن في الحديث - مهما كان هذا الحديث، ولو كان روي عن طريق أضعف الرُّواة لا كحديث الذُّبابة الَّذي روي عن طريق من يثق بهم البخاريُّ - أن تقرأ كلَّ ما كتب عنه، فإنَّني قرأت بحثًا لأستاذ من جامعة القاهرة بالإضافة إلى بحث لأستاذ أوروبيٍّ يقولان فيهما: «بعد بحثنا عن الذُّبابة وجدنا أنَّ في جوف الذُّبابة مادَّة قاتلة للجراثيم تخرج هذه المادَّة بمجرَّد غطس الذُّبابة في سائل كالماء أو الشَّاي أو غيره وتنتشر فتقتل الجراثيم الَّتي تنقلها الذُّبابة بوساطة قدميها والجراثيم الموجودة أصلًا في السَّائل، لذلك فالفائدة في إغطاسها أكثر من مضرَّته»، وهذا البحث حديثٌ جدًّا، وكنت أتمنَّى أن أرسل لك نصَّ البحث لولا أنَّني فقدته.

أرجو أن يُجنِّبكم الله الشَّكَّ في حديث رواه أشخاص لا يتطرَّق إلى أعمالهم الشَّكُّ مثل: البخاريِّ، وأنا بصراحة أعتقد أنَّك شككت في الحديث خوفًا من أن يتَّهمك بعضهم بالرَّجعيَّة؛ بأنَّك تتمسَّك بأمثال هذه الأحاديث، كما أنَّ طعنك في حديث واحد للبخاريِّ يُتيح المجال لأعداء الإسلام كي يطعنوا في كتب الأحاديث جميعها كما فعلوا من قبل، وليس في كتاب البخاريِّ وحدَهُ، وأرجو أن يكون صدرك متَّسعًا لقراءةِ رسالتي والرَّدِّ عليها.

الجواب:

أشكر للأخِ السَّائل رسالته، ولقد اتَّسع صدري فقرأتها أكثر من مرَّة،

قرأتها كلَّها، وأسجِّلها هنا ليعرف القارئ رأي السَّائل.

ولقد قلت في حديثي يومئذ: إنَّني لا أطعن في البخاريِّ ولا في أبي هريرة، بل أعوذ بالله من ذلك، فإنَّني ممَّن يُقدِّر أبا هريرة حقَّ التَّقدير، فهو صحابيٌّ جليل، وأُقدِّر فيه اجتهاده وعلمه وأمانته وملازمته للرَّسول ﷺ الزَّمن الطَّويل، كما قلت: إنَّ الحديث مدسوس، والأحاديث المدسوسة كثيرة، والدَّسَّاسون كثيرون، فقد استغلَّ أعداءُ الإسلام والوضَّاعون الأحاديثَ المرويَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه، فدَّسوا عليه كثيرًا، ومنها حديث الذُّباب الَّذي رواه كثير من أهل الحديث، وكان مجال بحث طويل بين علماء المسلمين.

والغريب أنَّ هذا الحديث رُوِيَ عن أبي هريرة من طريق أبي داود وابن حبَّان والبخاريِّ، ورواه ابن ماجه في المعنى نفسه مع اختلاف في اللَّفظ، وروي أيضًا عن أبي سعيد الخدريِّ من طريق الإمام أحمد والنَّسائيِّ[1].

لقد دُسَّت في كُتُبِ السُّنَّة أحاديث من وضع كعب الأحبار ومن على شاكلته، وكعب الأحبار معروف بنفاقه وغشِّه، فقد غشَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بنفاقه وريائه، وعمر الرَّجل اليقظ العظيم الفطن، وليس ببعيد أن ينطق ناطق من أمثال كعب وغيره بحديث يجهر به في ملأ من النَّاس يرويه زورًا وبهتانًا عن رسول الله ﷺ فينخدع من تأخذه ألسنتهم ويرويه فمٌ عن فمٍ حتَّى يصل إلى الرَّاوي والمسجِّل.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٣٢٠)، وأبو داود، رقم: (٣٨٤٤)، وابن حبَّان، رقم: (١٢٤٦)، ابن ماجه، رقم: (٣٥٠٥)، وأحمد، رقم: (٧١٤١)، والنَّسائيُّ، رقم: (٤٥٧٤).

ونحن اليوم في عصرٍ كَشَفَ العلم فيه كلَّ شيءٍ، فأين هو هذا الدَّواء في جسم الذُّبابة؟ فالمعروف أنَّ الذُّبابة كلَّها داء وقذر، وليس في جسمها شفاء، وأنا موقن تمام اليقين أنَّ الرَّسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وكلامه من وحي الله، وأنَّ أبا هريرة رجل ثقة وصدق، وأبا سعيد الخدريَّ رجل صدق وثقة كذلك، وأُكرِّر القول: إنَّ هذا الحديث مدسوس(١).

وقديمًا قال العربيُّ في الذُّبابة:

إذا وقع الذُّباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه(٢)

وقلت في حديث سابق: إنِّي قرأت في سنين مضت في مجلة الشُّبَّان المسلمين في القاهرة ومجلة الهداية الإسلاميَّة البغداديَّة موضوعًا كالَّذي أورده السَّائل في رسالته، ولو صحَّ لشاع وانتشر كانتشار البنسلين وغيره، وأرجو من الأخ السَّائل أن يثق بأنَّ ما أقوله على هذا المنبر هو اعتقادي الجازم لا أخاف فيه أحدًا إلَّا الله، لا يهمُّني فيه طعن طاعن، ولا أخشى فيه لومة لائم، وأسأله أن يزيدني إيمانًا على إيماني ويقينًا على يقيني، وأخيرًا أوجِّه هذا السُّؤال للأخ السَّائل: ما رأيك في كعب الأحبار وتاريخه ورواية بعض أهل السُّنن عنه؟ هل تثق بحديثٍ أحد رواته كعب الأحبار وقد كشف التَّاريخ عن كعب أنَّه مدبِّر الفتن ضدَّ الإسلام في صدر الإسلام؟

(١) هذا رأي الشيخ رحمه الله، وهو يخالف جمهور أهل العلم الذين أثبتو صحة الحديث سندًا ومتنًا، كما أيَّد علمُ الطب هذه الحقيقة.

(٢) انظر: المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف، للأبشيهي (١/ ٣٤٦).

آية المنافق ثلاث

السُّؤال:

أرجو تفسير حديث «آية المنافق ثلاث» مع بيان الأمانة وحدودها.

وما الثَّلاث؟ ومن المنافق؟ وما أجناسهم؟ وهل يُغفر لهم وتقبل توبتهم؟

الجواب:

الأمانة هي الدِّين، ولا دين لمن لا أمانة له، فصلاتك وصومك وعقيدتك وزوجتك وولدك وخدمك وعرضك وشرفك ووظيفتك وبيعك وشراؤك وإنتاجك في مصنعك أماناتٌ كلُّها، ومن لم يحافظ على هذه الأمانات الَّتي جعله الله أمينًا عليها فلا أمانة له، والرَّسول ﷺ قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»[(١)]، كذلك من غشَّ النَّاس وخان وظيفته وخان الدَّولة والعهد، وذلك لقوله ﷺ: «**من غشَّ فليس مِنِّي**»[(٢)]، ولقوله ﷺ أيضًا: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النِّفاق حتَّى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان**»[(٣)].

فخيانة الأمانة علامة النِّفاق ودليله، والمنافق هو من يظهر خلاف ما

---

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٤٠٤٥).
(٢) رواه مسلم، رقم: (١٠٢).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٤)، ومسلم، رقم: (٥٨).

يبطن، وكلُّ خائنٍ يتَّصف بهذه الصِّفات فيتحدَّث خلافًا للواقع يكون مع الأعداء ضدَّ شعبه ووطنه لا يحفظ عهدًا ولا يخلص ودًّا ويكون منافقًا.

وأمَّا ما يحسبه النَّاس أمانة؛ أي: وديعة - وهي عبارة عن شيء منقول يطلب إليك حفظه لديك إلى أجل معلوم أو غير معلوم حتَّى إذا طلبه إليك أدَّيته له - فعليهم حفظ هذه الوديعة، اللَّهمَّ إلَّا أن تكون هذه الوديعة شيئًا محرَّمًا كالحشيش مثلًا أو الخمر أو نحوهما، فإذا علمت أنَّها من هذه المحرَّمات فليس عليك إلَّا أن تُسلِّمها إلى أقرب سلطة كالشُّرطة مثلًا، وقل لهم: إنَّ هذه وديعة من فلان استودَعَها عندي، وإيَّاك إيَّاك - أيُّها السَّائلُ - أن تقبل أيَّة وديعةٍ من هذه الودائع إلَّا بشهادة شاهدين؛ حمايةً لنفسك من غشِّ النَّاس، وحمايةً لنفسك من المسؤوليَّة.

أمَّا السُّؤال عن أجناس المنافقين وهل يغفر لهم يوم الحساب وهل تُقبل منهم أعمال؛ فأمَّا القبول والمغفرة فأمرهما إلى الله ولا يعلم بذلك أحد إلَّا الله؛ لأنَّ الله يحاسب على النِّيَّات وينظر إلى القلوب لا الظَّواهر، وأمَّا أجناس المنافقين فإنَّهم أنواع، ويكفي أن نذكر وصف الله لبعض منهم في أوَّل سورة البقرة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٨-١٠]، ووصفهم الرَّسول ﷺ بقوله: «**إنَّ شرَّ النَّاس ذو الوجهين، الَّذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ**»[(١)].

جنَّبنا الله النِّفاق وخصال المنافقين وعاقبتهم، ورزقنا السَّلامة والعافية.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٧١٧٩)، ومسلم، رقم: (٢٥٢٦).

الدِّين النَّصيحة

السُّؤال:

أرجو تفسير الحديث الشَّريف: «الدِّين النَّصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم».

الجواب:

هذا الحديث رواه مسلم والتِّرمذيُّ عن تميم الدَّاريِّ رضي الله عنه[١].

النَّصيحة كلمة معناها: دلالة المنصوح على الخير، وهي من النُّصح، والنُّصح: هو الخلوص، فإذا نصحت إنسانًا وأرشدته وأردت بنصيحتك الخير له فقد أخلصت له.

والرَّسول عليه السلام حصر الدِّين في النَّصيحة فقال: «**الدِّين النَّصيحة**»[٢]؛ لأنَّها شاملة لمعنى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ولا يقتصر هذا الرُّكن - أو بعبارة أخرى هذا السَّهم من سهام الإسلام - على أحد دون أحد، وإنَّما هو عامٌّ شامل.

فالنَّصيحة لله: الإيمان به، ونفي الشِّرك عنه، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بأوصاف الكمال، وتنزيهه عن النَّقائص، وطاعة أمره، واجتناب نهيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وغير ذلك من الأعمال

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٢٦)، والتِّرمذيُّ، رقم: (١٩٢٦)، وقال: حديثٌ حسنٌ.
(٢) سبق تخريجه.

الصَّالحة الَّتي أمر الله بها، وجميع هذه الأشياء في الحقيقة ترجع مصلحتها إلى العبد، فهي نصيحة لنفسه وكسب خير لها.

والنَّصيحة لكتابه: الإيمان بأنَّه كلامه تعالى، وتحليل ما حلَّله، وتحريم ما حرَّمه، والاهتداء بما فيه، والتَّدبر لمعانيه، والقيام بحقوق تلاوته، والاتِّعاظ بمواعظه، والاعتبار بزواجره، والمعرفة له.

والنَّصيحة للرَّسول ﷺ: تصديقه فيما جاء به، واتِّباعه فيما أمر به ونهى عنه، وتعظيم حقِّه، وتوقيره حيًّا وميِّتًا، ومعرفة سننه ونشرها والعمل بها.

والنَّصيحة لأئمَّة المسلمين: إعانتهم على الحقِّ، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم بحوائج العباد، ونصحهم في رفق وعدل.

والمراد بأئمَّة المسلمين قادتهم في تنظيم شؤون الدُّنيا وفي إقامة معالم الدِّين ونشره بين النَّاس، فتشمل الملوك والأمراء والرُّؤساء والعلماء.

والنَّصيحة لعامَّة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وآخرتهم، وكفِّ الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلوه، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ونحو ذلك.

واعلم يا أخي السَّائل أنَّ نصيحة المسلمين فرض كفاية على من هو أهل لها، وهي واجبة على قدر الطَّاقة البشريَّة ما دام هناك أمل في قبولها، والمسلم لا ييأس ولا يخشى في سبيلها أذًى لا يحتمل.

ثلاثة أحاديث عن العمل الصَّالح

السُّؤال:

أرجو تفسير الأحاديث الثَّلاثة الآتية:

١ـ عن عبادة بن الصَّامت ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من قام لَيلَتَي العيدَين مُحتَسِبًا لله لم يَمُت قلبُهُ يومَ تموتُ القلوب»، رواه ابن ماجه[١].

٢ـ عن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يتحرَّى صومَ الإثنين والخميس»، رواه التِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ[٢].

٣ـ عن ثوبان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى للمخلصين؛ أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كلُّ فتنةٍ ظلماء»، رواه أبو نعيم في «الحلية»[٣]، ومن المخلصون؟

الجواب:

١ـ القيام معناه الصَّلاة في اللَّيل، وكلُّ صلاة في اللَّيل بين العشاء والفجر - أي: بعد أن يُصلِّي الإنسان فرض العشاء وسنَّته، وقبل أن يطلع الفجر - تُسمَّى قيامًا؛ ولهذا كانت التَّراويح قيام رمضان والصَّلاة الَّتي يُسمِّيها النَّاس صلاة القيام.

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (١٧٨٢).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٧٤٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، والنَّسائيُّ، رقم: (٢٥٠٨).

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهانيِّ (١/ ١٥).

والقيام ليس له وقت في العام، فكلُّ ليلة يوفِّق الله فيها الإنسان المسلم إلى صلاة بعد العشاء وقبل الفجر تكون هذه الصَّلاة قيامًا.

فمن أحيا ليلتَي الفطر والأضحى بصلاة يُصلِّيها فيهما لم يمت قلبه حين تموت القلوب، بل يكون قلبه عامرًا بذكر الله عند مرض الموت، وعند خوف النَّاس يكون دائمًا ذاكرًا لله راجيًا له خائفًا من عذابه.

٢_ كان ﷺ يتحرَّى صوم يومي الإثنين والخميس؛ أي: يفعل ما هو الأحرى والأفضل، فيصوم اليومين من كلِّ أسبوع، ومعنى يتحرَّى أي: يفعل ما هو الأفضل والأولى والأحسن؛ لأنَّ الصَّوم عبادة، لكنَّه في يومي الإثنين والخميس أعظم أجرًا.

٣_ المخلصون: هم الَّذين صفت قلوبهم لله وأخلصوا دينهم له فاستحقُّوا وصف الله لهم في القرآن: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة: ٥]. فهؤلاء أخلصوا دينهم لله؛ أي: نقَّوه وأخلصوه من كلِّ شرك، فهم أصفياء القلب لله، وبهذا اتَّصفوا فكانوا مخلصين.

والله وصف عباده بالإخلاص، ففي القرآن الكريم نجد أوصافهم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٧٤﴾ [الصَّافات: ٧١-٧٤].

والمخلصون ناجون من إغواء الشَّياطين ومن فتن المضلِّين؛ يقصُّ علينا القرآن على لسان إبليس قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحِجر: ٣٩-٤٠].

شأن المسلم مع عدوِّه من المسلمين والكفَّار

السُّؤال:

إذا كانت علاقة المسلم بأخيه المسلم يجب أن تقوم - كما حدَّدها الإسلام - على أساس حديث الرَّسول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، فما شأن المسلم مع المسلمين المعادين له، ومع غير المسلمين المسالمين له، ومع المعاندين؟

الجواب:

إنَّ معنى الحديث واضح: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(١)]، «**والمؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم**»[(٢)]. ومعناه: لا يكون المسلم مسلمًا حتَّى يسلم الكلُّ من يده ولسانه.

وهناك فرق بين لفظ المسلم ولفظ المؤمن؛ فالله تعالى قال في الأعراب إنَّهم آمنوا قبل أن يسلموا، وادَّعوا الإيمان قبل أن يدخلوا في دائرة الإسلام ويكونوا مسلمين، فيسلم النَّاس من أيديهم وألسنتهم، فتجد القرآن يقول فيهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: ١٤].

وما دام المسلم المعادي للمسلم لم يتناول أخاه بالإيذاء والإساءة فينبغي للمسلم أن يسالم من يسالمه، أمَّا إذا تناوله بضرر أو إساءة بالقول

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٨)، ومسلم، رقم: (٤١).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٢٧)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

أو الفعل فلا بُدَّ من الحذر منه وتجنُّبه وردِّ عدوانه.

أمَّا غير المسلمين الَّذين يعيشون مسالمين مع المسلمين فإنَّ الإسلام يوجب مسالمتهم ما داموا يعيشون مع المسلمين جنبًا إلى جنب؛ امتثالًا لأمر الله في قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفَال: ٦١]، وعليهم أن يدفعوا الجزية.

وقد روى الإمام أحمد عن سلمان: أنَّه انتهى إلى حصن أو مدينة، فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال: «**إنَّما كنت رجلًا منكم، فهداني الله للإسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم أبيتم فأدُّوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناكم على سواء، إنَّ الله لا يُحِبُّ الخائنين. يفعل ذلك بهم ثلاثة أيَّام، فلمَّا كان اليوم الرَّابع غدا النَّاس إليها ففتحوها**»[(١)].

أمَّا المعاندون منهم للمسلمين فإنَّه يجب دفع عنادهم وردُّ أذاهم باستعمال السِّلاح الَّذي يعاندون به؛ لأنَّ الله يُحِبُّ للمسلم أن يعيش كريمًا عزيزًا لا يُذَلُّ لأجنبيٍّ عن دينه.

لكن لا ينبغي للمسلم أن يبدأ بالعدوان على أحد منهم، والله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البَقَرَة: ١٩٠]، هذا هو حكم دين الإسلام في بلاد المسلمين.

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٧٢٦).

فضل عمر بن الخطَّاب

السُّؤال:

قرأت هذا الحديث: «رأيت في المنام أنِّي أنزع بدلو على قَلِيب فجاء أبو بكر فنزع ذَنوبًا أو ذَنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثمَّ جاء عمر بن الخطَّاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًّا يفري فريه حتَّى روى النَّاس وضربوا بعطن»، فما رأيكم في هذا الحديث، وأرجو الإفادة في صِحَّته.

الجواب:

هذا الحديث روي من طرق عدَّة وبألفاظ مختلفة ومعنى واحد، منها ما رواه البخاريُّ ومسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتني على قَلِيبٍ، فَنَزَعتُ ما شاء الله أن أنزِعَ، ثمَّ أَخذها ابن أبي قُحافةَ فنزع ذَنُوبًا أو ذَنُوبين وفي نَزعِهِ ضَعفٌ، والله يَغفِرُ له، ثُمَّ أخذها عُمَرُ فاستحالت غَربًا، فلم أَرَ عبقريًّا من النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حتَّى ضربَ النَّاسُ حَولَهُ بعطن**[(١)]»[(٢)].

أمَّا الرِّواية الَّتي ذكرها السَّائل في رسالته فهي مذكورة بلفظها حرفيًّا في كتاب «أخبار عمر» للشَّيخ عليٍّ الطَّنطاويِّ، وقد علَّق عليها أنَّها في الجزء الرَّابع من «صحيح البخاريِّ» واكتفيت بما ذكره أطال الله عمره.

---

(١) العَطَن: مبرك الإبل حول الماء. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٤٧٥)، ومسلم، رقم: (٢٣٩٣).

أمَّا ألفاظ الحديث: فمعنى الذَّنوب: الدَّلو العاديَّة يستعملها أهل البادية في استخراج الماء من الآبار، والغرب: الدَّلو الكبيرة العظيمة وغالبًا ما تكون من جلد ثور أو بقرة، وقوله (يفري فريه) مأخوذة من فرى الفري أتى بالعجب، والمعنى: أنَّ عمر مُتَفرِّد في عمله، فلا يقدر أحد على أن يصنع صنيعه، فإنَّه قد أدهش النَّاس بعمله حتَّى ضربوا بعطن وروى النَّاس وشربوا ورجعوا إلى أماكنهم، والعطن في اللُّغة: مبارك الإبل ومرابض الغنم حول الماء.

فالحديث صحيح، ووجوه روايته مُتعدِّدة تدلُّ على صحَّته وعدم الشَّكِّ فيه.

الأعمال بالخواتيم

السُّؤال:

قرأت في كتابٍ دينيٍّ كلامًا مبنيًّا على حديث نبويٍّ معناه أنَّ هناك إنسانًا يعمل بعمل أهل الجنَّة لكنَّه يكون من أهل النَّار، وأنَّ هناك إنسانًا يظلُّ يعمل بعمل أهل النَّار وفي النِّهاية يكون من أهل الجنَّة، فأرجو إفادتي في حديث نبويٍّ في هذا المعنى.

الجواب:

نعم، هناك حديثٌ نبويٌّ في المعنى الَّذي ذكره السَّائل في سؤاله رواه البخاريُّ ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولفظ الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحدكم يُجمَعُ خلقه في بطن أُمِّهِ أربعين يومًا، ثمَّ**

يكون عَلَقَةً مثل ذلك، ثمَّ يكونُ مُضغَةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقال له: اكتُبْ عَمَلَهُ، ورِزقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، ثمَّ يُنفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجلَ منكم لَيَعمَلُ حتَّى ما يكون بينه وبين الجنَّة إلَّا ذراعٌ، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النَّار، ويعملُ حتَّى ما يكونُ بينه وبين النَّار إلَّا ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل الجنَّة»(١).

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي هريرة أنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجل ليعمل الزَّمن الطَّويل بعمل أهل الجنَّة ثُمَّ يختم له عمله بعمل أهل النَّار، وإنَّ الرَّجل ليعمل الزَّمن الطَّويل بعمل أهل النَّار ثُمَّ يختم عمله بعمل أهل الجنَّة**»(٢).

معنى ذلك أنَّ الحديث يحثُّ الإنسان على تمييز الخير من الشَّرِّ، من الضَّارِّ والنَّافع، والطَّاعة من المعصية، والعمل الَّذي يُرضي الله من العمل الَّذي يُغضبه، وتنبيه النَّاس إلى ما ينفعهم وما يضرُّهم؛ لأنَّ التَّمييز والمعرفة فيهما نجاة ونجاح، أمَّا الَّذي لا يميز فإنَّه يخلط ويخبط يظنُّ الخير شرًّا والشَّرَّ خيرًا؛ لأنَّه جاهل، وكثيرًا ما نسمع أناسًا يقولون: إنَّهم نذروا لله كذا وكذا، وما نذروه كان معصية لأنَّهم لا يعرفون ما المعصية وما الطَّاعة.

أمَّا من يعرف الخير والشَّرَّ ويعلم الطَّاعة والمعصية فمثل هؤلاء - لا شكَّ - ناجون من الزَّلل ومن الوقوع في العذاب.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٥١).

وأذكر حديثًا ورد عن أحد الصَّحابة قال فيه: «**كان النَّاسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأَلُهُ عن الشَّرِّ مخافة أن يُدرِكَنِي**»[١].

الحسن والحسين

السُّؤال:

قرأت حديثًا نصُّه: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة»، فهل هو صحيح؟

الجواب:

الحديث ورد في روايات عدَّة؛ الأوَّل بلفظ: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة**»، رواه الإمام أحمد والتِّرمذيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ[٢]، ورواه الطَّبرانيُّ عن عمر بن الخطَّاب وعليِّ بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأبي هريرة[٣]، ورواه أيضًا عن أسامة بن زيد[٤] وعن البراء بن عازب[٥]، ورواه ابن عديٍّ في «الكامل في ضعفاء الرِّجال» عن عبد الله بن مسعود[٦].

---

(١) رواه مسلم، رقم: (١٨٤٧).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٠٩٩٩)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٣٧٦٨)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) رواه الطَّبرانيُّ، رقم: (٢٥٩٨).

(٤) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٢٦١٨).

(٥) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٤٣٣٢).

(٦) رواه ابن عدي في الكامل، رقم: (١٤٧٢).

الثَّاني: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة إلَّا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريَّا وفاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلَّا ما كان من مريم بنت عمران**»، رواه الإمام أحمد في «مسنده» والنَّسائيُّ وابن حبَّان والطَّبرانيُّ والحاكم وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدريِّ[١].

الثَّالث: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة وأبوهما خير منهما**»، رواه ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمر[٢]، ورواه الطَّبرانيُّ[٣].

التَّفاخر بالجاهليَّة بعد مجيء الإسلام

السُّؤال:

ما معنى الحديث الشَّريف الَّذي رواه الإمام أحمد[٤]: «إذا الرَّجلُ تَعَزَّى بعزاء الجاهليَّة، فأَعِضُّوهُ بِهَنِ أبيه، ولا تَكْنُوا».

الجواب:

معنى تعزَّى واعتزى: انتسب أو انتمى.

---

(١) رواه أحمد، رقم: (١١٧٥٦)، والنَّسائيُّ، رقم: (٨٤٦١)، والحاكم في المستدرك، رقم: (٤٧٣٣)، والطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١٠٣٤)، وابن حبَّان، رقم: (٦٩٥٩)، وأبو يعلى في المسند، رقم: (١١٦٩).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (١١٨)، والحاكم في المستدرك، رقم: (٤٧٧٩).

(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٢٦١٧).

(٤) رواه أحمد، رقم: (٢١٢٣٦)،

واعتزى وتعزَّى بعزاء الجاهليَّة معناه: انتسب لجاهليَّته وافتخر بها.

أعِضُّوه معناها: اشتموه، والهَنُ: العيب والكناية بذكر الشَّيء ليدلَّ به على غيره.

ومعنى الحديث: إذا رأيتم الرَّجل يعتزُّ بالجاهليَّة ويتعصَّب لها ويتمسَّك بمساوئها وأباطيلها ويريد أن ينتمي إليها افتخارًا بعد أن أنجاه الله منها وشرَّفه بدعوة التَّوحيد فاشتموه بعيوبه الموروثة باللَّفظ الصَّريح الواضح دون كناية، والكناية: أن تتكلَّم بشيء وتريد به غيره، ويقال: كنَّيت بكذا عن كذا.

حديثان عن علامات السَّاعة

السُّؤال:

أرجو التَّفضل بإجابتي عن الحديثين الآتيين ودرجة صحَّتهما.

الحديث الأوَّل: «إنَّ من أشراط السَّاعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزِّنا ويقلَّ الرَّجل حتَّى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد».

الحديث الثَّاني: «والَّذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإنسَ، وحتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوطِهِ وشِرَاكُ نَعلِهِ وتُخبِرَهُ فَخِذُهُ بما أحدث أهله من بعده»[1].

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢١٨١)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الجواب:

الحديث الأوَّل من الأحاديث الصَّحيحة رواه الإمام أحمد في «مسنده» ومسلم، ورواه التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أشراط السَّاعة أن يُرفَعَ العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزِّنا، وتشرب الخمر، و يكثر النِّساء، ويَقِلَّ الرَّجل حتَّى يكون لخمسين امرأة قيِّمٌ واحدٌ**»(١). ورواه البخاريُّ بهذا اللَّفظ: «**من أشراط السَّاعة، أن يُرفَعَ العلم، ويَظهَرَ الجهلُ، ويُشرَبَ الخَمرُ، ويظهرَ الزِّنا، ويَقِلَّ الرِّجال، ويَكثُرَ النِّساءُ حتَّى يكون للخَمسِينَ امرأةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**»(٢).

ومعنى ذلك: أنَّ العلم يُرفع بموت أهله ويعني هنا بالعلم علم الدِّين، فإذا جهل النَّاس دينهم قلَّ إيمانهم وجهلوا كلَّ شيء يتعلَّق بنظام حياتهم.

أمَّا الزِّنا والخمر فقد فشيا في هذه الأزمنة، وها نحن نرى المواخير والبارات علنيَّة في كلِّ مكان.

وأمَّا معنى «حتَّى يكون لخمسين امرأة قيِّم واحد»؛ أنَّ الفتن والحروب تكثر وتأكل الرِّجال، وتبقى النِّساء، والرِّجال هم وقود الحروب.

أمَّا الحديث الثَّاني فقد رواه التِّرمذيُّ في «سننه» وابن حبَّان والحاكم عن أبي سعيد الخدريِّ(٣).

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٧١)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٢٠٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأحمد، رقم: (١٢٨٠٦)، وابن ماجه، رقم: (٤٠٤٥)، والنَّسائيُّ، رقم: (٥٨٧٥).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٨٠٨).

(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢١٨١)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وابن حبِّان، =

ومعنى هذا أنَّ النَّاس في آخر الزَّمان تتغيَّر تغيُّرًا كبيرًا حتَّى تستنكر الوحوش والجوارح والجمادات منهم إهانتهم لدين الله وانسلاخهم من طاعته.

أمَّا المُتمسِّك بالدِّين فيكون له شعور خاصٌّ وإحساس يشعر فيه بكلِّ ما يحدثه أهله بعده.

وهذا معنى قوله ﷺ: «**يأتي على النَّاس زمانٌ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر**»(١).

والحديثان وغيرهما من الأحاديث الواردة بهذا المعنى مذكورة في معظم كتب الحديث في باب: علامات السَّاعة والفتن، الَّتي تأتي في آخر الزَّمان مثل كتاب: «تاج الأصول»، و«الزَّواجر»، و«مشكاة المصابيح»، و«صحيح البخاريِّ»، وغيرها.

أمارات السَّاعة في حديث عمر

السُّؤال:

أرجو تفسير هذا الجانب من الحديث الَّذي رواه عمر رضي الله عنه عمَّا دار بين جبريل والنَّبيِّ ﷺ؛ إذ يسأل جبريل رسول الله ﷺ عن أمارات السَّاعة فيجيب النَّبي ﷺ: «أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة

= رقم: (٦٤٩٤)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٨٤٤٢).

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٢٦٠)، وقال: حديثٌ غريبٌ.

رِعَاءَ الشَّاء يتطاولون في البنيان»[1].

الجواب:

هذا جزاء طويل رواه عمر رضي الله عنه، وتفسير الحديث: إنَّ المسلمين افتتحوا البلاد وأسروا الرِّجال وسبوا النِّساء من أعدائهم فاستولدوا هؤلاء السَّبايا، فالسَّبيَّة أَمَةٌ ولدت من سيِّدها ابنتها، وابنتها صارت ربَّتها؛ أي: سيِّدتها وسيِّدة المنزل، فمعنى تلد الأمة ربَّتها: أنَّ المملوكة تلد بنتها الَّتي تكون سيِّدتها.

أمَّا الحفاة العراة فهم أهل البادية ورعاة الشَّاة، جاء الإسلام فحضَّرهم وعلَّمهم وثقَّفهم وجعل منهم سادة أمم بعد أن كانوا رعاة غنم، مدَّنوا المدن ومصروا الأمصار وأخذوا يبنون القصور الفخمة طبقات فوق طبقات يتطاولون فيها بالبنيان.

ومعنى الحديث أنَّ أمارات السَّاعة هي رسالة محمَّد ﷺ؛ لأنَّ رسالته هي خاتمة الرِّسالات السَّماويَّة كلِّها إلى أن تقوم السَّاعة.

هل الإسلام يُفرِّق بين الذَّكر والأنثى

السُّؤال:

نحن ستُّ بناتٍ وأخ واحد، وأمُّنا تُدلِّل هذا الولد، وتغالي في حُبِّه، وذات يوم قالت هذه الوالدة: إنَّ الرَّسول ﷺ سأله سائل عن أسعد النِّساء

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٧٧٧)، ومسلم، رقم: (٨).

وأتعسهنَّ فقال: أسعدهنَّ من تبكَّرت بذكر وعاش، وأتعسهنَّ من تبكَّرت بأنثى وعاشت. وأنا لا أُصدِّق أن يكون هذا من قول الرَّسول ﷺ؛ لأنِّي أعلم أنَّ الإسلام لم يُفرِّق بين ذكرٍ وأنثى، وأنَّ الكلَّ هبة من الله الَّذي ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورىٰ: ٤٩].

أرجو الجواب عن هذا الموضوع.

الجواب:

ليس هذا القول من كلام النُّبوَّة، ولا أُصدِّق أنَّ ثمَّة حديثًا في معناه؛ لأنَّ كتاب الله جلَّ جلاله جعل الذُّكور والإناث من الذُّرِّيَّة هبة منه لعباده، وعاب على أولئك الَّذين ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النّحل: ٥٨]، والكلام هذا يخالف ما جاء في كتاب الله والحديث لا يخالف كلام الله؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ هو المبلِّغ عن ربِّه، ولا بُدَّ أن يتَّفق كلام الله وحديث رسوله.

وخير نساء هذه الأُمَّة خديجة بنت خويلد، أوَّل نفس آمنت بالنَّبيِّ محمَّد ﷺ لم تلد بكرها ذكرًا، وإنَّما ولدت في زواجها السَّابق على زواج الرَّسول هندًا وهالة، ثمَّ ولدت من الرَّسول ﷺ القاسم فمات صغيرًا، وعاش لها البنات زينب ورقيَّة وأمُّ كلثوم وفاطمة بنات رسول الله محمَّد ﷺ.

ومن عادات الجاهليَّة المتأصِّلة فينا تفضيل الذُّكور على الإناث، أو تفضيل أمِّ البنين على أمِّ البنات، والله ﷻ لا يُحِبُّ ذلك فينا، والرَّسول عليه السلام أمرنا كثيرًا بإكرام البنات، فقال لنا: «**لا تكرهوا البنات فإنَّهنَّ الغاليات المؤنسات**»[(١)].

(١) رواه أحمد، رقم: (١٧٣٧٣).

لو كان البنون أكرم عند الله من البنات لما اختصَّ بهنَّ نبيَّه محمَّدًا ﷺ فقد كان عليه السلام أبا بنات، وجعل ذُرِّيَّته في أولاد فاطمة الزَّهراء وهي بنت.

وممَّا روي عنه ﷺ قوله: «**سَوُّوا بين أولادكم في العَطِيَّةِ، فلو كنت مُفَضِّلًا أحدًا لَفَضَّلتُ النِّساء**»(١).

والبنت ستكون امرأة ثمَّ ستكون أُمًّا، والأمُّ إذا أطاعت الله في أولادها كانت الجنَّة تحت أقدامها، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ أمرنا أن نرفق بالنِّساء ونعطف عليهنَّ سواء كنَّ كبارًا أم صغارًا، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ في خطبة الوداع: «**استوصوا بالنِّساء خيرًا**»، وهذا الحديث رواه البخاريُّ ومسلم من حديثٍ طويلٍ(٢).

ومنها قوله عليه السلام: «**خيركم خيركم للنِّساء**»، رواه الحاكم عن ابن عبَّاس(٣)، وفي رواية أخرى: «**خيركم خيركم لنسائه ولبناته**»، رواه البيهقيُّ(٤).

وحديث آخر شكر به النَّبيُّ ﷺ ذلك الأب الَّذي يرعى ابنته، فلم يهنها ولم يؤثر أخاها عليها، فيقول: «**من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يُهِنهَا، ولم يُؤثِر وَلَدَهُ عليها، أدخله الله الجنَّة**»، رواه أبو داود(٥).

هذا ما أحببت ذكره في جوابي للسَّائلة الفاضلة، ولي كلمة أُحِبُّ أن أقولها لأولئك الَّذين يكرهون نساءهم إذا ولدن البنات ولم يلدن الذُّكور:

---

(١) رواه البيهقيُّ في السنن الكبرى، رقم: (١٢٠٠٠).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥١٨٦)، ومسلم، رقم: (١٤٦٨).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٧٣٢٧).
(٤) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٨٣٤٦).
(٥) رواه أبو داود، رقم: (٥١٤٦).

إنَّ المرأة لا ذنب لها في نظرة المجتمع لها، فالمولود من زرع الرَّجل، والمرأة كما قال الله جلَّ جلاله: ﴿حَرْثٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣]، فلا يمكن أن تنبت حبَّة البرِّ شعيرًا ولا حبَّة الشَّعير برًّا.

وأذكر في هذا الحديث قول عربيَّة هجرها زوجها؛ لأنَّها لم تلد ذكرًا، فقالت وهو يسمع إنشادها:

مـا لأبـي الـذَّلـفَـاء لا يـأتـيـنـا وهـو فـي الـبـيـت الَّـذي يَـلِـيَـنـا

يَـغـضَـبُ إن لـم نَـلِـدِ الـبَـنِـيـنـا وإنَّـمـا نُـعـطِـي الَّـذي أُعـطـيـنَـا[1]

وختامًا أقول كلمتي الأخيرة لكلِّ رجل وامرأة: إنَّ الله لم يُفضِّل ذكرًا على أنثى ولا فضَّل أنثى على ذكر، ونبيُّ الإسلام قال في الحديث الشَّريف: «**إنَّما النِّساء شقائق الرِّجال**»[2]، وصدق رسول الله ﷺ.

اتَّقِّ شرَّ من أحسنت إليه

السُّؤال:

سمعت متحدِّثًا من إحدى الإذاعات يُفسِّر حديثًا ينسبه إلى النَّبيِّ ﷺ، نصُّه: اتَّق شرَّ من أحسنت إليه[3]. ويدلُّ تفسيره للحديث على التَّحذير ممَّن نحسن إليهم.

---

(١) انظر: مجمع الأمثال، للنَّيسابوريِّ (١/ ٦٤).

(٢) رواه التِّرمذي، رقم: (١١٣).

(٣) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٨٦).

وهذا الحديث يتعارض مع قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، **وقول الله تعالى:** ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [القَصَص: ٥٤]، **وقوله: أحسن لكن أساء إليك. فما مقدار صِحَّة هذا الحديث الَّذي فسَّره المتحدِّث؟**

الجواب:

هذه حكمة وليست حديثًا، وقد نُسبت هذه الحكمة إلى سيِّدنا محمَّد الباقر ابن علي بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب ﷺ جميعًا، وفي الرِّواية خلاف.

ومن الحكم المشهورة المنسوبة إلى الإمام عليٍّ كرَّم الله وجهه قوله: «**الكريم يلين إذا استعطف واللَّئيم يقسو إذا لوطف**»[(١)]، وقد نظم هذه الحكمة الشَّاعر المتنبِّي بقوله المشهور:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللَّئيم تمرَّدا[(٢)]

واللِّئام كثيرون جدًّا في كلِّ زمان ومكان، والحكمة: اتَّقِّ شرَّ من أحسنت إليه، لا تنهانا أن نسدي الإحسان إلى أحد، بل إنَّها تأمرنا أن نحذر ممَّن أحسنَّا إليهم، فقد يكون فيهم لئيم.

مثلًا: رجل أحسنت إليه فأدنته بما فرَّج به كربه ويسَّر عسره، فإذا به في يوم من الأيَّام ينكر الإحسان، وهذا يحدث كثيرًا، ولا سيَّما في عصرنا الحاضر، وله في ماضي الزَّمن حوادث.

ورجل وسَّعت عليه وأسكنته دارًا بلا أجرة، وفي يوم من الأيَّام يترك

---

(١) أورده المتَّقي الهنديِّ في كنز العمَّال، رقم: (٤٤٣٩٤).
(٢) انظر: أمالي ابن الشَّجريِّ، لابن الشَّجريِّ (٣/ ٢٦١).

الدَّار خرابًا بعد أن كانت صالحة.

ورجل تختاره لجوارك وتسعى بينه وبين صاحب الملك المجاور لك لكي يقبله جارًا، فإذا به يسيء الجوار، وهؤلاء كثيرون.

ورجل تسعى له لينال عملًا من الأعمال في إحدى الوزارات، ثمَّ تكون لك مراجعة عنده فتهان من قبله لأنَّك أحسنت إليه، وتأبى نفسه الخسيسة أن يذكر إحسانك إليه ويتحدَّث بجميلك نحوه.

وغير هؤلاء الَّذين يملكهم الإحسان وهم كثيرون يتذكَّرون الصَّنيع الجميل في كلِّ زمان ومكان، فلا ينسى أحدهم إحسانك وشكرك أينما كنت وحيثما كنت، وكأنَّ لسان حاله يقول:

فلأشكرنَّك ما حييت وإن أمت فلتشكرنَّك أعظمي في قبرها[1]

هذا هو حال الكريم إذا أحسنت إليه، وذلك هو حال اللَّئيم إذا أحسنت إليه.

الحكمة لم تنهنا عن الإحسان ولن تنهانا عنه؛ لأنَّ الله ﷻ أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهى عن ضدِّها، إنَّما الحكمة حذَّرت من لؤم اللَّئيم.

أمَّا ما ذكره الأخ السَّائل عن قول: أحسن لمن أساء إليك، فهذه ليست آية قرآنيَّة.

(١) انظر: المستطرف في كلِّ فن مستظرف، للأبشيهي (١/ ٢٤٥).

من أطاعني رحمته ورحمتي تلحق السَّابع من ولده

السُّؤال:

قرأت حديثًا في إحدى المجلَّات بهذا اللَّفظ: من أطاعني رحمته، ورحمتي تلحق السَّابع من ولده، ومن عصاني لعنته ولعنتي تلحق السَّابع من ولده. فما مقدار صِحَّة هذا الحديث؟

الجواب:

هذا الحديث مشكوك في صحَّته لا سيَّما الجزء الثَّاني منه؛ لأنَّ الله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٣٨]، فإنَّ الله لا يؤاخذ أحدًا بذنب الآخر، ولا يظلم إنسانًا دون ذنب.

وهذا الحديث يخالف قول الله في الآيتين اللَّتين ذكرناهما، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٢].

وقد وضع الوضَّاعون أحاديث كثيرة كذبوا بها على النَّبيِّ ﷺ؛ لتشكيك الأمَّة الإسلاميَّة في أمور دينهم.

وكلُّ حديثٍ لا سند له مشكوك فيه، وينطبق عليه قول الرَّسول ﷺ: **«من كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار»**[1].

(١) سبق تخريجه.

إنَّ هذا الحديث المكذوب يخالف - كما قلنا - الآيتين السَّابق ذكرهما، ففي حالة الرَّحمة هَبْ أنَّ السَّابع من الولد خرج فاسقًا، فكيف يرحمه الله؟ وفي حالة اللَّعنة ليس من العدل أن يلعن الله ولدًا شبَّ على طاعة الله وهو من رجل فاسد لعنه الله!

من استنجى من الرِّيح فليس منَّا

السُّؤال:

أرجو إفادتي في صحَّة الحديث القائل: من استنجى من الرِّيح فليس منَّا. وما درجة صحَّته؟

الجواب:

الحديث غير وارد في كتب الأحاديث الصَّحيحة، وهو وارد في ابن عساكر عن جابر[١] وإسناده ضعيف، وقد أخذ بعض الفقهاء فكرة الاستنجاء من الرِّيح؛ لأنَّه وسوسة وتشديد، والرَّسول عليه السلام قال: «**لا تُشَدِّدُوا على أنفُسِكُم فيُشَدَّدَ عليكم، فإنَّ قومًا شَدَّدُوا على أنفُسِهِم فَشَدَّدَ اللهُ عليهم**»[٢].

والثَّابت أنَّ الرَّسول ﷺ كان يستنجي ممَّا كان يخرج من أحد السَّبيلين؛ أي: من البول والغائط فقط، فعن أنس بن مالك قال: «**كان**

(١) أورده ابن القيسرانيّ، رقم: (١٧٧١).
(٢) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٠٤).

النَّبيُّ ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا إداوةٌ من ماء، يعني يستنجي به»[(١)]، والاستنجاء إزالة الأذى والقذر الباقي في فم مخرج البول أو الغائط. ولم يثبت أنَّه ﷺ استنجى من شيء غيرهما.

اتَّقوا القدر

السُّؤال:

قرأت الحديث الآتي: «اتَّقوا القدر فإنَّه شعبة من النَّصرانيَّة»، فما مقدار صحَّة هذا الحديث؟

الجواب:

هذا الحديث ضعيف، وقد رواه الطَّبرانيُّ[(٢)].

ومعنى اتَّقوا القدر: احذروا إنكار القدر، فإنَّ الله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩].

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وفي الحديث الَّذي رواه مسلم عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّ جبريل عليه السلام حين سأل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان أجابه ﷺ بقوله: «**أن تُؤمِنَ بالله، وملائكته، وكتُبه، ورسله،**

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٥٠).
(٢) رواه الطبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١١٦٨٠).

واليوم الآخر، وتُؤمِنَ بالقدر خيره وشَرِّهِ»[١].

أمَّا معنى قوله ﷺ: «**فإنَّه شعبة من النَّصرانيَّة**»؛ أي: إنَّ إنكار القدر عقيدة تعتقدها فرقة من فرق النَّصرانيَّة، أو جزء من معتقدات النَّصرانيَّة.

والله أعلم.

لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلِّموهنَّ الكتابة

السُّؤال:

استوقفني حديث قرأته يقول: روى إسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عليهم السَّلام، قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلِّموهنَّ الكتابة ولا تعلِّموهنَّ سورة يوسف وعلِّموهنَّ الغزل وسورة النُّور».

وقد ورد هذا الحديث في «مجموع تفسير القرآن» بالمجلَّد الثَّالث، وإنِّي لأرى التباسًا في هذا الحديث وأسأل فيه، فهو يتعارض مع الحديث القائل: «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة»، كما أنَّ المرأة المسلمة ينبغي لها أن تتعلَّم، فأرجو الإفادة في صِحَّة الحديث الأوَّل.

الجواب:

الحديث الَّذي سأل عنه السَّائل مكتوب في التَّفسير المذكور «مجمع

(١) رواه مسلم، رقم: (٨).

البيان في تفسير القرآن» في الجزء الثَّالث عشر في أوَّل تفسير سورة يوسف، ولا يعدو أن يكون هذا القول خبرًا من الأخبار، والحديث الشَّريف أقوى وأبلغ، ولعلَّ في الآيات الكريمة الَّتي سأذكرها لك ما هو أبلغ وأبلغ؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يصل إليه شكٌّ أو يتطرَّق إليه نقد، فالله ﷻ يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] فالرَّسول معلِّم جاء ليخرج النَّاس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٩].

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلك: ٢٢].

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرّعد: ١٩].

والرَّسول ﷺ بعث معلِّمًا، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجُمُعَة: ٢].

وأمر نساء نبيِّه أن يتلقَّين العلم من المصطفى ﷺ ويعلِّمنه النِّساء بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزَاب: ٣٤]، ومعنى هذا أنَّ بيوت أزواج النَّبيِّ ﷺ مدارس يتلقَّى فيها النِّساء العلم من أزواج النَّبيِّ ﷺ.

وقد فسَّر علماء المسلمين كلمة الحكمة بأنَّها: السُّنَّة العلميَّة المفسِّرة لكتاب الله.

وما أنزل الله الذِّكر على محمَّد ﷺ إلَّا ليُبيِّنه للنَّاس.

والدِّينُ الإسلاميُّ لم يُفرِّق - بالتَّكليف ولا العمل - بين ذكرٍ وأنثى فالكلُّ مكلَّفٌ ومسؤولٌ أمام الله والدِّين والمجتمع والأسرة، لا فرق بين إنسان ذكرًا كان أو أنثى.

فالرَّسول عليه السلام لم يبعث للرِّجال خاصَّة وإنَّما بعث للرِّجال والنِّساء على السَّواء.

والآن أذكر للسَّائل الفاضل بعض الأحاديث الَّتي حثَّت هذه الأُمَّة على الاستزادة من العلم والمعرفة، فمن ذلك قوله ﷺ في حديث رواه البخاريُّ ومسلم والتِّرمذيُّ، ولفظ الحديث:

«**من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين، وإنَّما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأُمَّة قائمةً على أمر الله، لا يضُرُّهُم من خالَفَهم، حتَّى يأتي أمرُ الله**»(١).

والحديث الثَّاني رواه الطَّبرانيُّ وابن عديٍّ، يقول ﷺ: «**إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقرِّبني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم**»(٢).

والحديث الثَّالث رواه ابن ماجه والتِّرمذيُّ عن أبي الدَّرداء، ومنه:

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٧١)، ومسلم، رقم: (١٠٣٧)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٤٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) رواه الطبرانيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٦٦٣٦).

«إنَّ فضل العالِم على العابد كفضلِ القمر على سائر الكواكب، إنَّ العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهَمًا إنَّما ورَّثُوا العلمَ، فمن أَخَذَه أَخَذَ بحَظٍّ وافرٍ»[(١)].

أمَّا الحديث الَّذي ذكره السَّائل فقد رُوِيَ بألفاظ مختلفة أذكر منها هذه الرِّوايات:

١_ «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم**»، روي هذا اللَّفظ عن أنس بن مالك وعن الإمام عليٍّ وعن الحسين بن عليٍّ وعن ابن عبَّاس وعن عبد الله بن عمر وعن عبد الله بن مسعود وعن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ جميعًا[(٢)].

٢_ «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم، وإنَّ الله يُحِبُّ إغاثة اللَّهفان**»، روي عن أنس بن مالك ﷺ[(٣)].

٣_ «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم وإن طالب العلم يستغفر له كلُّ شيءٍ حتَّى الحيتان في البحر**»، روي عن أنس بن مالك ﷺ[(٤)].

٤_ «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلِّد الخنازير الجوهر**»، روي أيضًا عن أنس ﷺ[(٥)].

والمسلم هنا يشمل الذَّكر والأنثى مثل قوله ﷺ: «**طلب الحلال**

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٣)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٨٢).
(٢) أورده السُّيوطيُّ، رقم: (٧٥١٢).
(٣) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (١٥٤٤).
(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٣٩).
(٥) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٤).

واجبٌ على كلِّ مسلم»[١]، فنحن نفهم من ذلك بالبديهة أنَّ الحرام حرام على الذَّكر والأنثى.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨] فالخطاب موجَّهٌ للرِّجال والنِّساء مع أنَّ الأمر جاء بصيغة المذكَّر.

وكقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] جاء أيضًا بصيغة المذكَّر، والأوثان والزُّور محرَّمة على الذَّكر والأنثى.

وأرجو أن يكون السَّائل قد وعى ما قلت، وقول الله أبلغ وأوضح، ونسأل الله الهداية إلى اتِّباع أمر الله واجتناب ما نهانا عنه، والله وليُّ التَّوفيق.

احرثوا فإنَّ الحرث مبارك

السُّؤال:

أرجو شرح الحديث الشَّريف: «احرِثُوا؛ فإنَّ الحَرثَ مُبارِكٌ، وأكثِرُوا فيه من الجماجم»، رواه البيهقيُّ عن عليِّ بن الحسين[٢].

الجواب:

هذا الحديث ضعيف كما ذُكِرَ في «السِّراج المنير»، ومعناه: أمر

(١) أورده المتَّقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٩٢٠٤).
(٢) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (١١٧٥٣).

بالزِّراعة والحرث، وبحث الأرض أو إثارتها لتكون مهيَّأةً للزَّرع أو لإلقاء البذر فيها، والزِّراعة نافعة، وفيها بركة وصاحبها مأجور ويثاب على كلِّ ما يؤكل من زرعه، سواء كان الآكل إنسانًا أم بهيمة أم طائرًا.

وقوله ﷺ: «**أكثروا فيه من الجماجم**»[١]؛ أي: أكثروا في الأرض المحروثة من البذر ولا تجعلوه خفيفًا ليكون الزَّرع كثيرًا هكذا قال الشَّيخ محمَّد الحنفي في تعليقاته على الجامع الصَّغير.

والله أعلم.

داروا سفهاءكم

السُّؤال:

ما مدى صحَّة حديث: داروا سفهاءكم؟

الجواب:

ذكر الشَّيخ العلامة عبد الرَّحمن بن عمر الشَّيبانيُّ في كتابه: «تميز الطَّيِّب من الخبيث فيما يدور على ألسنة النَّاس من الحديث»، قال في الحديث الأوَّل: «**داروا سفهاءكم بثلث أموالكم**»[٢]، سُئِلَ عنه ابن حجر فلم يتكلَّم عليه، وقال عبد الرَّحمن: «أنَّه أشبه بالموضوع»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٢٨٣)، بلفظ: «داروا سفهاءكم».

(٣) لم أقف عليه ولم أجده فيما لدي من مصادر.

ولمَّا كان الحديث موضوعًا فليس لنا فيه كلام، وأرجو ألَّا ننسب كلامًا إلى النَّبيِّ ﷺ ما لم نتأكَّد أنَّه من كلامه؛ لأنَّه ﷺ قال: «**من كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[١]، ونعوذ بالله من الكذب على رسول الله ﷺ.

صلَّينا وصمنا وغدينا مثل الحنايا

السُّؤال:

قرأت الحديث الآتي: «صلَّينا وصمنا وغدينا مثل الحنايا، وغلبونا أهل المدد والعطايا»، هل هذا حديث نبويٌّ؟

الجواب:

هذا الكلام ليس من كلام النُّبوَّة، إنَّما الموضوع هو أنَّ فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذَهَبَ أهلُ الدُّثور من الأموال بالدَّرجات العُلا والنَّعيم المُقِيم، يُصَلُّون كما نُصَلِّي، ويصُومُون كما نصوم، ولهم فضلٌ من أموالٍ يحُجُّون بها، ويعتمِرون، ويجاهدون، ويتصدَّقون، قال: «**ألا أُحَدِّثُكُم إن أخذتُم أدركتم من سَبَقَكُم ولم يُدرككم أحدٌ بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهِ إلَّا من عَمِلَ مثله، تُسَبِّحُون وتحمَدُون وتُكَبِّرُون خلفَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين**»[٢]، وهذا هو الحديث الصَّحيح الوارد في هذا الموضوع.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٨٤٣)، ومسلم، رقم: (٥٩٥).

الباب الخامس

مع رسل اللّه الكرام

مبعث الأنبياء

السُّؤال:

لماذا بعث الأنبياء جميعهم في البلاد العربيَّة دون غيرها من البلاد كأوروبَّة وأمريكا؟

الجواب:

ومن قال ذلك؟!

إنَّ الله بعث رسله في كلِّ مكان من الدُّنيا، والأنبياء كثيرون لا يحصيهم حساب، وإن كان قد قيل: إنَّ عددهم (١١٤) ألف نبيٍّ.

والله ﷻ قصَّ علينا في كتابه الكريم قصص الأنبياء القريبين منَّا والَّذين لهم علاقة بالأمم المجاورة أوطانها لمبعث نبيِّنا محمَّد ﷺ؛ كالعراق مثلًا الَّتي بعث منها سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، ومصر الَّتي بعث فيها سيِّدنا موسى عليه السلام، وفلسطين الَّتي بعث فيها أنبياء بني إسرائيل كعيسى وداود وسليمان عليهم السَّلام.

ويكفي في ذلك قول الله ﷻ في محكم تنزيله: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] ومعناه: إنَّ الأنبياء رسل الله إلى البشريَّة برسالة واحدة، وهذه الرِّسالة يحملها الصَّفوة المختارة من بني الإنسان؛ منهم من قصَّ علينا في الكتاب قصصهم، كنوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وسليمان وداود، وغيرهم من الَّذين ذكر الله أخبارهم في الكتاب الكريم، ومنهم آخرون لم يقصصهم

علينا من شتَّى الأقوام والأجناس في كثيرٍ من الأراضي والبلاد في مختلف الأزمان، لا يفرِّقهم نسب ولا جنس ولا أرض ولا وطن ولا زمن.

كلُّهم بُعِث يحمل رسالة التَّوحيد ونور الهداية وطمأنينة السَّلام، يهدي بما بعث به إلى الأخلاق ومكارمها وإلى أحسن المعاملة، ويؤدِّي الإنذار والتَّبشير، ويحاول أن يأخذ بالنَّاس إلى خيري الدُّنيا والآخرة.

منهم مَن بُعث لعشيرته، ومنهم مَن بُعث لأمَّته، ومنهم مَن بُعث في مدينته، ومنهم مَن جاء لقطرٍ، حتَّى أكمل الله رسالاتهم برسالة محمَّد ﷺ للنَّاس أجمعين، أرسله لهم كافَّةً إلى أن تقوم السَّاعة.

كلُّهم تلقَّى الوحي من الله، ولم يأت أحد منهم بشيء من عنده.

وكلُّ نبيٍّ منهم بعث بلسان قومه؛ ليبيِّن لهم الهداية، ويرشدهم إلى الطَّريق الحقِّ، يخاطبهم بالكلام الَّذي يفهمون، ويناديهم باللِّسان الَّذي يعرفون ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

وأعطى الله النَّاس عقولًا بها يعرفون الخطأ من الصَّحيح، والعليل من السَّليم، والضَّلال من الهدى، والرَّسول مبين يدعو للَّتي هي أقوم، ويجادل بالَّتي هي أحسن، ينذر ويُبشِّر ويذكِّر ويبصِّر ويحرِّر العقول من الخرافات الَّتي تحجب عنها دلائل الهدى، ويحرِّر الأنفس من الشَّهوات الَّتي تقود إلى المهلكات، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسرَاء: ١٥].

القرآن كتاب هداية ونظام حياة للفرد والأسرة والأمَّة، وليس كتاب

قصص للتَّسلية وقتل الوقت، وما حكاه عن الأنبياء كان من باب مضرب المثل.

فالله ﷻ بعث رسله كما بعث محمَّدًا ﷺ، ورحمة الله واسعة لم يخصَّ بها أُمَّة دون أمَّة ولا بلدًا دون بلد ولا قطرًا دون قطر.

بعث الله الرُّسل في كلِّ مكان وأرسلهم في كلِّ أُمَّة، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].

أسئلة عن نوح عليه السلام

السُّؤال:

متى وُلِدَ نوح عليه السلام؟ ومتى مات؟ وأين دُفِنَ؟ وما اسمه الحقيقيُّ؟

الجواب:

لم نعرف نوحًا إلَّا من القرآن، والقرآن الكريم أطلق عليه اسم نوح فقط، ولم يذكر له اسمًا غيره، وفيه سورة كاملة باسمه عليه السلام، ولم يذكر لنا كُتَّابُ تاريخٍ أو سيرةٍ اسمًا غير ما ذكره لنا، ولا أين مات ولا أين دفن، ولو علم الله أنَّ لنا فائدة في ذكر تاريخ ولادته ووفاته وموضع دفنه لَذكرَه لنا، ولكنَّ الله أعلم بأنْ لا نفع لنا فيه.

وإنِّي أنصح السَّائل وغيره ممَّن يهمُّهم أمر الإسلام ألَّا يدعوا إلى ما لا يفيد من المظاهر والماديَّات الَّتي لم يهتمَّ الإسلام بها، ولم يقم لها

وزنًا أو اعتبارًا، وأن ينصرفوا إلى المعنويَّات الَّتي اهتمَّ بها الإسلام؛ لأنَّ فيها التَّذكرة والعِبرة والهدى والخير للدِّين والدُّنيا.

مقدار طوفان نوح

السُّؤال:

ما مقدار الطُّوفان الَّذي أرسله الله تعالى لينجو به نوح عليه السلام ويغرق قومه الَّذين كذَّبوه؟ وهل عمَّ الأرض كلَّها، أم كان محصورًا في المنطقة الَّتي كان بها المكذِّبون منهم؟

الجواب:

لم يذكر القرآن الكريم مقدار هذا الطُّوفان، ولا مقدار الحيِّز الَّذي شغله من الأرض، إنَّما ذكره إجمالًا دون أن يُحدِّد مكانه أو مقداره، كذلك التَّوراة لم تذكر أيضًا مكان هذا الطُّوفان ولا مقداره.

وللطُّوفان أخبار في الأمم القديمة، قيل: إنَّ سبب بناء الأهرامات في مصر تنبُّؤ كهنة المصريِّين بطوفان يقع على الأرض، وقدماء اليونان ذكروا طوفانًا حدثَ، والمجوس قالوا أيضًا: إنَّ طوفانًا عمَّ العراق وما جاوره من البلاد، وعلماء المسلمين قالوا: إنَّ الطُّوفان كان عامًّا للأرض كلِّها.

أمَّا أنا فأقول: إنَّ الطُّوفان كان عامًّا وشاملًا لقوم نوح فقط، وهم الَّذين لم يكن يومئذ في الأرض غيرهم؛ لأنَّهم كانوا أهل الأرض في ذلك الزَّمان، فيكون الطُّوفان قد عمَّ المنطقة الَّتي كانوا يسكنونها، وبذلك استجاب الله دعوة نوح الَّتي ذكرها القرآن: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نُوح: ٢٦-٢٧].

جنسيَّة إبراهيم الخليل ومولده

السُّؤال:

هل إبراهيم الخليل عربيٌّ أم فارسيٌّ؟ ومن أيِّ بلدٍ هو؟ وأين وُلِدَ ومات؟

الجواب:

ولِدَ إبراهيم الخليل عليه السلام في مكان يقال له: آور، يقع على نهر الفرات في بابل بالعراق، وبابل ذلك اليوم لم تكن فارسيَّة أو عربيَّة.

وقد نشأ إبراهيم في بابل، وبعث منها، ودعا إلى الله من ربوعها، ومحلُّ بابل في عصرنا هذا قريبٌ من مدينة الحِلَّة أقربِ الألوية إلى بغداد.

ولقد عاش إبراهيم عليه السلام في أيَّام ملك طاغيةٍ يُقال له: النَّمرود، وبعد أن ثار على قومه الَّذين كانوا يعبدون الأصنام الَّتي يصنعونها بأيديهم، وكسر هذه الأصنام، أمرَ ملكُ العراق بإحراق إبراهيم، فوضعوه في نار أوقدوها له، لكنَّ الله تعالى أنجاه من النَّار، فكانت بردًا وسلامًا عليه، كما قصَّ علينا القرآن في سورة الأنبياء، وبعد ذلك خرج إبراهيم من العراق مُتَّجِهًا إلى فلسطين قبل الميلاد بنحو (١٩) قرنًا.

وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، وخليل الله، وأوَّل المسلمين، والرَّسول الَّذي أجمع على اتِّباعه أهل الأديان السَّماويَّة؛ فاليهود يريدونه لأنفسهم؛ لأنَّه الجدُّ والأقرب لإسرائيل الَّذي هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، والمسيحيُّون يُحبُّونه حبًّا شديدًا، ويريدونه لهم؛ فهو الجدُّ الأعلى لمريم أمِّ عيسى.

وقد ردَّ القرآن على مزاعم اليهود والنَّصارى في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٧]؛ ردَّ القرآنُ على مزاعم اليهود والنَّصارى نافيًا أن يكون إبراهيم هو الأصل لأيٍّ من الفريقين.

وإنَّ المسلمين يُحِبُّونه؛ لأنَّهم يعتقدونه أنَّه أوَّل المسلمين، وما جاء محمَّد إلَّا لإحياء شريعته، والمسلمون أهل حقٍّ في اعتقادهم، فهذا هو الواقع الصَّحيح.

وإبراهيم الخليل هو أبو إسماعيل، الجدُّ الأعلى لمحمَّد رسول الله ﷺ.

ومات إبراهيم عليه السلام في مدينة الخليل بفلسطين جنوب القدس، وقبره الآن هناك.

الَّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه

السُّؤال:

من الرَّجل الَّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه؟

الجواب:

الَّذي حاجَّ إبراهيم الخليل في ربِّه وذكر القرآن قصَّته في سورة البقرة هو الملك الَّذي سمَّاه المؤرِّخون: نمرود[١]، ملك بابل الَّذي بُعث إبراهيم عليه السلام في زمنه، وكان قد ادَّعى الرُّبوبيَّة، وأمر النَّاس بالسُّجود له، وقد حاجَّ إبراهيم عندما دعاه إبراهيم إلى الله وإلى توحيده بالعبادة، فقال نمرود: أنا الرَّب وليس غيري ربٌّ، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، فقال الملك نمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]؛ أي: أحكم على من أشاء بالموت ولمن أشاء بالحياة، فقال إبراهيم ردًّا عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، وأسقط بيده، وغلبه إبراهيم بالحجَّة وعزَّزه في الخطاب.

وهذه القِصَّة ذكرها القرآن بقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨].

إبراهيم وإحياء الموتى

السُّؤال:

أرجو تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى

(١) انظر: المعارف، للدَّينوري (١/ ٣١).

كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠] **إلى آخر الآية، وهل كان إبراهيم على شكٍّ أو ريبة من ربِّه فيما خلق؟**

الجواب:

إنَّ الله ﷻ ضرب لنا أمثالًا قصد بها بيان الفرق بين الكافر المغرور بكفره المُصِرِّ عليه، والمؤمن المتأكِّد إيمانه، والمؤمن الَّذي يرجو تثبيت قلبه على الإيمان، فضرب لذلك مثلًا: الكافر الَّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه عندما قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨] فقال الكافر: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، وإبراهيم رسول موهوب هبةً عُليا جعلته مؤهَّلًا للرِّسالة، يعرف كيف يحجُّ خصمه إذا حاجَّه، ولقد تحدَّى إبراهيم ذلك الكافر تحدِّيًا أسكتَه، ولكنَّ تكبُّره على الحقِّ جعله يمسك عن الكلام، ويعجز عن الجواب، ويتحيَّر، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصَّف: ٧]؛ لأنَّ الكافر إذا غلب أصرَّ على الكفر وعاند أشدَّ العناد.

ثمَّ يضرب الباري ﷻ مثلًا للإحياء والأمانة بقرية خاوية على عروشها، يمرُّ بها رجل من عباد الله الصَّالحين فيقول: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩]؟ وكيف تدبُّ الحياة في هذا الموت الصَّامت؟ وكان سؤاله لا سؤال إنكار، ولكن سؤال من ينشد الحقيقة من عند الله، ويموت العبد الصَّالح هذا، ويبقى مئة عام، ثُمَّ يبعثه الله، وما يدري كم لبث؛ لأنَّ إحساسه قد مات معه، والإحساس بالزَّمن لا يكون إلَّا مع الحياة والعقل، ويخبره الله ﷻ أنَّه لبث مئة عام، ويقول له: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩] ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩].

وأخيرًا يضرب لنا مثلًا لشخص آمن إيمان أنبياء ورسل، ولم يكن على شكٍّ من ربِّه فيما خلق، ولم يكن يرتاب في قدرة الله تعالى، ولكنَّه أراد أن يطمئنَّ قلبه، ويعلم الحقيقة علمًا نظريًّا، والله يعلم مَن إبراهيم، وما إيمان إبراهيم الَّذي قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي: يثبت الإيمان في وجداني، فاستجاب الله للهفته ومنحه الرَّحمة الَّتي تُطَمْئِنُ قلبه، وأمرَه أن يختار أربعةً من الطَّير ويتأكَّد من صفاتها التَّكوينيَّة ومزاياها الوصفيَّة، ثُمَّ يفرِّق أجزاءها على الجبال المحيطة به القريبة منه، ثُمَّ يدعوها إليه، فتتجمَّع الأجزاء مرَّة أخرى، وترتدُّ إليها الحياة، وتعود إليه ساعيات كما كانت قبل تمزيقها.

والحياة - أيُّها الأخ السَّائل - حتَّى الآن لم يدرك عقلٌ من العقول مِن أين جاءت؛ لأنَّ الحياة من صنع الله وحده، فهو الَّذي خلق الموت والحياة، وكيفيَّة اتِّصال هذه الحياة في الأرض أمرٌ ما زال مصدره خفيًّا لا يعلمه إلَّا من أوجد الحياة.

إنَّ الحياة جذوة في كلِّ حيٍّ؛ في الشَّجر النَّابت والحيوان الطَّائر والسَّابح والسَّائر، فهي نابعة من عند الله الَّذي يُعلِّمك وحده نموَّها وتطوُّرها، وكلَّما وصل العقل البشريُّ إلى درجة من درجات العلم عجز عن إدراك مصدر الحياة ومذهبها ونهايتها، وهذه الجذوة قد تنطفئ فجأةً، فيموت الحيُّ بسكتة قلبيَّة، أو برصاصة طائشة، أو يغرق، أو بغير ذلك من أسباب الموت.

يعقوب وأولاده وأخوهم يوسف

السُّؤال:

أرجو تفسير الآيتين الكريمتين في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [يُوسُف: ٦٧-٦٨]، **وأرجو إيضاح السَّبب الَّذي ينهى من أجله يعقوب عليه السلام أولادَه أن يدخلوا من بابٍ واحدٍ، وماذا يقصد بقوله:** ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [يُوسُف: ٦٧]؟

أرجو إيضاح ذلك للفائدة.

الجواب:

يظهر من القِصَّة أنَّ المجاعة لَمَّا حلَّت بفلسطين ولم يبق أمام النَّاس ملجأٌ يستوردون منه أقواتهم غير مِصْرَ تردَّدَ أولاد يعقوب مرَّاتٍ عدَّةً على مصر يمتارون[1]، ولكنَّهم لم يكونوا بكامل عددهم، فقد كانوا أحد عشر شخصًا، وكان يوسف الثَّاني عشر، وفي المرَّة الأخيرة المشار إليها في هاتين الآيتين كانوا بكامل عددهم أحد عشر رجلًا، إذ كان معهم أخوهم بنيامين المطلوب من عزيز مصر والقائم على خزائنها يوسف، وكانوا في

(١) المِيرَة: جلب الطَّعام. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٤/ ١٦٢).

سمتٍ واحدٍ من الجمال والجلال وهيبة النُّبوَّة الموروثة من يعقوب ومن قبله إسحاق بن إبراهيم.

فذلك من شأنه أن يلفت الأنظار إليهم ويدير الرُّؤوس نحوهم، وتدور الأحاديث عنهم وتختلف الآراء فيهم وهم أحد عشر رجلًا في موكبٍ واحدٍ وشبه واحدٍ، وليس ببعيد أن يكاد لهم من نساءٍ أو رجالٍ أو تجَّارٍ مثلهم أو حاشية العزيز نفسه الَّذين رأوا تلطُّفه بهم وكَيله لهم من غير ثمنٍ.

والحسَّاد كثيرون، ودوافع الغيرة في قلوب النَّاس متوقِّدةٌ لا سيَّما عند حاشية السُّلطان الَّذين شاهدوا بأعينهم تَلَطُّف العزيز.

وكيفما كان الأمر فإنَّه شعور أبٍ حنونٍ يتخوَّف على أبنائه، وكيف لا وهم على سفرٍ طويلٍ وفي فلاةٍ قاحلةٍ وسنةٍ صعبةٍ وقحطٍ وغربةٍ موحشةٍ قاسيةٍ؟!

ثُمَّ إنَّ هذا الأب ما زال يتذكَّر فجيعته في يوسف الَّتي لم تزل تفرِّي[1] كبده وتنغِّصُ عيشه وتُعكِّر صفو حياته، ولكنَّه عليه السلام بعد أن قال لهم: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يُوسُف: ٦٧] رجع يستذكر قدرة الله عز وجل الَّذي بيده كلُّ شيءٍ، فيقول: وما أغني عنكم من الله من شيءٍ؛ لأنَّه يؤمن إيمانًا صحيحًا بأنَّ ما قدَّره الله لا بدَّ واقعٌ، فما يغني حذرٌ من قدرٍ، وكلُّ شيء قدَّره الله لا بُدَّ من حدوثه، فالحكم لله يحكم في عباده كما يشاء، لا رادَّ لحكمه ولا مُعقِّب لقضائه، فهو معتَمَد كلِّ معتمِدٍ ومستَنَد كلِّ مستنِدٍ، وما سوى الله لا معوَّل عليه ولا رجاء عنده ولا

(١) تفرَّى: انشقَّ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٩/ ٢٣١).

عون منه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٧].

ولَمَّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الأبواب المتفرِّقة ما كان هذا الدُّخول يغني عنهم من الله من شيءٍ، فالقضاء كان يترصَّدهم، ولعلَّ أمر أبيهم هو الَّذي دفع بهم إلى هذا القدر المقدور.

ويعقوب يعلم هذا حقَّ العلم، ويعلم أنَّ أمره عليهم بأن يدخلوا من أبوابٍ متفرِّقةٍ ما كان يغني عنهم من أمر الله وقضائه شيئًا، ولكنَّها لحاجةٍ في نفس يعقوب قضاها، وكان واجبًا عليه أن يقضي هذه الحاجة.

فواجبٌ على كلِّ إنسانٍ عاقلٍ أن يدبِّر نفسه، وينظر في مستقبل شؤونه، ويهيِّئ أحواله ويزنها بالميزان الَّذي يرجِّح فيه كفَّة الخير على كفَّة الشَّرِّ حسب تقديره وتدبيره، ولا يهمل بل يمضي أمره ذلك على الوجه الَّذي قدَّره، أمَّا القدر المغيَّب - قدرُ الله سبحانه وتعالى - فهو محجوبٌ لا ينكشف حتَّى يقع كما يقول تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النَّمل: ٦٥].

فالإنسان مطالبٌ بأن يعمل غير ناظرٍ إلى ما يأتي به القدر؛ لأنَّه لا يعلم ولا يرى ما قدَّره الله وقضاه، ولو انتظر حتَّى ينكشف له القضاء ما عمل شيئًا أبدًا حتَّى يقع القضاء وينفذ القدر، ثمَّ يكون بهذا كالبهيمة مسلوب الإرادة فاقد الإدراك، والله جلَّ شأنه يأبى على الإنسان أن يكون كالبهيمة فاقد الإدراك مسلوب الإرادة وقد وهبه الله عقلًا وأودع فيه إرادةً.

وأخيرًا يخبرنا الله تعالى بأنَّ يعقوب يعلم هذا، فهو ذو علمٍ لِمَا علَّمناه ولكنَّه مطالبٌ بأن يُعطي وجوده حقَّه من حيث هو إنسانٌ عاقلٌ مريدٌ.

قِصَّة يوسف مع إخوته وامرأة العزيز

السُّؤال:

نرجو تفسير الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢١].

ونريد أن نعرف شيئًا عن قِصَّة يوسف عليه السلام، وكيف مكَّن الله له في الأرض؟ وما تأويل الحديث الَّذي علَّمه الله له؟ نرجو الإجابة الشَّافية الكافية.

الجواب:

سورة يوسف - الَّتي منها هذه الآية المذكورة - سورةٌ مكِّيَّةٌ نزلت لتبيِّن ما وقع ليوسف في طفولته، فقد استدلَّ أبوه برؤياه على أنَّه سيحظى بمكانةٍ عظيمةٍ عند الله وعند النَّاس، فتعلَّق به أمله وأحبَّه قلبه، ونزلت كذلك لتبيِّن ما وقع له من إخوته من حسدٍ وحقدٍ ومكائد، ومحاولتهم إبعاده من مجال والده يعقوب بإلقائه في الجبِّ؛ لأنَّه يحظى دونهم بحبِّه ورعايته وأمله فيه، ثمَّ نجاته من البئر بوساطة مارَّةٍ كانوا سائرين عند البئر.

ثُمَّ بيَّنت السُّورة أنَّ الَّذين أنقذوه من البئر فرحوا به واستبشروا، وأخفَوه عن أعين النَّاس؛ لأنَّهم عدُّوه بضاعةً يبيعونها فتدرُّ عليهم ربحًا كبيرًا ضمن بضاعتهم، وباعوه بثمنٍ بخسٍ - أي: قليلٍ - لأنَّهم أرادوا

التَّخلُّص منه لئلَّا يظهر لهم مَن يطالبهم به؛ لأنَّه كان حرًّا لا عبدًا، ولهذا قنعوا بالقليل من الدَّراهم.

ثُمَّ بيَّنت السُّورة أنَّ عزيز مصر الَّذي هو بمكانة وزير الخزانة عندنا، اشتراه من أولئك المارَّة وآواه في بيته وأوصى امرأته أن تكرم مثواه - مقامه - عسى أن ينفعهم ويعاونهم في شؤون الدَّولة أو الشُّؤون العامَّة أو أن يتَّخذوه ولدًا ويفرحوا به ويرث مجدهم ومالهم، هذا هو تفسير الآيات السَّابقة وَفقًا لطلب الإخوة السَّائلين، وهي آية: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يُوسُف: ٢١]، فالله تعالى يخبرنا في هذه الآية أنَّ ذهاب يوسف عليه السلام إلى قصر العزيز واهتمام العزيز به وعطفه عليه وتوصية امرأته بإكرام مثواه وحسن معاملته وعقد الأمل عليه لينفعه أو يتَّخذه ولدًا، هذا كلُّه تدبيرٌ من الله اللَّطيف؛ ليجعل ليوسف مكانةً عاليةً في أرض مصر ويمكِّنه من نواصي الأمور، قال تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يُوسُف: ٢١].

نفَّذت امرأة العزيز وصيَّة زوجها؛ فحنَّت على يوسف، وأكرمت مثواه، ولَمَّا بلغ أشدَّه واستوى راودته عن نفسه، لكنَّه رفض ذلك السُّوء، فقد صرفه الله عنه؛ لأنَّه نبيٌّ وعبدٌ مخلصٌ لله آتاه حكمًا وعلمًا ليتصرَّف في شؤون النَّاس بالحقِّ والصَّواب لا ليأتي الفاحشة، والأنبياء معصومون منذ الصِّبا.

رفض يوسف مطاوعة امرأة العزيز في إتيان السُّوء، فدفعها الغضب منه إلى أن تلقي في روع زوجها أنَّ يوسف أراد لأهله السُّوء وأنَّه ينبغي أن ينال جزاءه بالسِّجن أو بعذابٍ أليم يوجعه ويُلزمه الطَّاعة والإذعان، وهذا هو المقصود بقول الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٢٥].

ولا شكَّ في أنَّ هذا الاتِّهام من امرأة العزيز ليوسف كان خداعًا ومكرًا لزوجها، ومن الملحوظ أنَّها لم تصرِّح بذكر السُّوء الَّذي ادَّعت أنَّه ارتكبه؛ مخافة أن يعلم الملك بهذا السُّوء فيشتدَّ عليه في العقاب بصورة تكرهها هي ويكرهها يوسف أيضًا، ولتُعلِم يوسف أنَّ الأمر بيدها هي فتجبره على إخضاعه وطاعته لها.

وبناء على طلب امرأة العزيز بإيقاع العقاب على يوسف أودع يوسف في السِّجن، فقد رأى يوسف أنَّ السِّجن خيرٌ له وأحبُّ إليه ممَّا تدعوه إليه امرأة العزيز من إتيان السُّوء.

وفي السِّجن يطلب إليه فتيانِ من فتيان ملك مصر أن يُفسِّر لهما رؤيا حدثت لكلٍّ منهما؛ ففسَّر لهما رؤياهما، وكان ذلك بتعليم الله له بالوحي أو بالإلهام، وكان هذا على ما أظنُّ - والله أعلم - بدء نزول الوحي عليه، ولم ينزل عليه قبل ذلك وحيٌ - أي: قبل ذهابه إلى السِّجن - وهذا ما تعنيه الآية (٣٧) من هذه السُّورة: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يُوسُف: ٣٧]؛ أي: تفسير الأحلام وتأويلها على نحوٍ صادقٍ حقيقيٍّ؛ لأنَّه تعليمٌ من الله ليجعل ذلك استكمالًا لأسباب تمكين يوسف في الأرض.

علَّمه ربُّه تفسير الأحلام على نحوٍ صادقٍ بطريقة الوحي لا بطريقة الكهانة والعِرافة كما يفعل بعض الدَّجاجلة الَّذين يدَّعون العرافة وعلم الغيب؛ بقصد ابتزاز أموال النَّاس، وفي عملهم هذا تلبيس الحقِّ بالباطل والصَّواب بالخطأ.

وتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُف: ٢١] إلى آخر الآية: إنَّ الله غالبٌ على كلِّ أمرٍ يريده، فلا يغلب على شيءٍ منه، ولا

يعجزه عن تنفيذه وإمضائه أحدٌ، فما وقع ليوسف عليه السلام من إخوته، وما وقع من الَّذين التقطوه من الجبِّ وباعوه - وهي أمورٌ يظنُّ بها هلاك يوسف أو ضياعه - وما وقع من توصية العزيز الَّذي اشتراه لامرأته بإكرام مثواه، وما وقع له من هذه المرأة الماكرة الَّتي كادت له، وما وقع له في السِّجن، كان ذلك كلُّه أسبابًا أرادها الله لتمكين يوسف في الأرض. هذا هو تفسير الآية وإن كان الظَّاهر يخالفها.

وبعد أن فسَّر يوسف الرُّؤيا للفتيين طلب إلى مَن سينجو منهما أن يَذْكُرَهُ عند ربِّه - أي وليِّ أمره ملك مصر - ولكنَّ هذا السَّجين الطَّليق أنساه الشَّيطان وصيَّة يوسف له، فلبث بعده في السِّجن بضع سنين.

وعندما رأى الملك رؤياه الَّتي حيَّرته ورأى فيها ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يُوسُف: ٤٣]، كما تذكر الآية (٤٣) من هذه السُّورة؛ طلب الملك مَن يفسِّر له رؤياه هذه، فاستعصى التَّفسير على العلماء كلِّهم؛ وهنا تذكَّر الفتى الطَّليق الَّذي أوصاه يوسف الوصيَّة، فأخبر الملك أنَّه يعرف مَن يُفسِّر له رؤياه، وطلب إليه أن يرسله إلى السِّجن ليأتي له بتفسير حلمه.

وذهب الفتى إلى يوسف في السِّجن، وفسَّر يوسف الرُّؤيا كما تذكرها الآية (٤٧) وما بعدها من هذه السُّورة بأنَّ النَّاس سيأتي عليهم أعوامٌ سبعةٌ فيها خصبٌ وحصادٌ وفيرٌ، ثمَّ تأتيهم أعوامٌ سبعةٌ فيها جدبٌ شديدٌ يرون فيها الجوع، وأنَّ عليهم أن يحفظوا بعض ما سيحصدونه من الزَّرع الوفير في سنابله بعد أن يأكلوا بعضه إلى أعوام القحط والجدب؛ لكيلا يتعرَّضوا فيه لألم الحرمان والمجاعة؛ وذلك كما جاء في الآيات: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ

يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يُوسُف: ٤٧-٤٩].

وكان هذا تأويلًا صادقًا للرُّؤيا حازت إعجاب الملك الَّذي أرسل في طلب يوسف، ولكن قبل أن يأتيه عرف الملك حقيقة ما حدث من امرأة العزيز من كيدٍ ومكرٍ في حقِّ يوسف، فأراد الملك أن يكافئه على أمانته وإخلاصه وحكمته بأن يجعله من خلصائه؛ فطلب إليه يوسف أن يجعله على خزائن الأرض عزيزًا مكان العزيز الَّذي هلك.

وتنتهي قِصَّة يوسف عليه السلام مع ملك مصر وقصره بما تذكره الآيات الآتية في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يُوسُف: ٥٤-٥٦].

ثمَّ تبدأ بعد ذلك قِصَّة يوسف مع إخوته وأبيه.

موسى والعبد الصَّالح

السُّؤال:

مَن العبد الصَّالح الَّذي قابله موسى وقال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]؟ وما قِصَّته معه؟

الجواب:

العبد الصَّالح الَّذي اتَّبعه موسى عليه السلام هو الخضر كما ورد في كتب تفسير القرآن المختلفة، وقد أوتي الخضر علمًا من لدن الله تعالى أطلعه الله عليه بالقدر الَّذي أراده لحكمةٍ أرادها ولخيرٍ أراد تحقيقَه، ومن ثمَّ لم يكن لموسى صبرٌ على هذا العبد الصَّالح - الخضر - وتصرُّفاته؛ لأنَّها تصرُّفاتٌ رأى أنَّها تصطدم بمنطق العقل والأحكام الظَّاهرة، ولا بُدَّ من إدراك ما وراءها ومعرفة أسرارها ومرادها، لذلك خشي العبد الصَّالح - الَّذي أوتي هذا العلم الَّذي خفي أوَّل الأمر على موسى عليه السلام - ألَّا يصبر موسى على صحبته؛ فقال له: ﴿...إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨]، إلى آخر القِصَّة الَّتي ذكرها الله في سورة الكهف عن موسى عليه السلام والعبد الصَّالح.

قصَّ القرآن أنَّ العبد الصَّالح خرق سفينةً رَكِباها، فلم يصبر موسى على خرق السَّفينة معترضًا، ثمَّ قتل العبد الصَّالح بعد ذلك غلامًا فلم يصبر موسى على هذا القتل معترضًا، ثمَّ وجدا جدارًا يريد أن ينقضَّ فأقامه العبد الصَّالح وهما في حاجةٍ إلى أجرته فانتقده موسى.

وفي النِّهاية بيَّن العبد الصَّالح لموسى عليه السلام مغزى ما فعله، وذكر له هذه الأشياء الثَّلاثة الَّتي فعلها، وبيَّن سبب إقدامه على ما اعترض عليه، وقال له: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قِصَّة موسى في مدين

السُّؤال:

أرجو أن تذكروا لنا قِصَّة موسى عليه السلام مع الامرأتين وأبيهما في مدين، المذكورة في سورة القصص بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القَصَص: ٢٣].

وما مدين؛ هل قبيلةٌ أم مكانٌ؟

الجواب:

مدين مدينةٌ تقع شمال الحجاز وجنوب الشَّام على البحر الأحمر محاذية لتبوك، وفيها البئر الَّذي استقى منه موسى لبنات شعيب حين رآهما تذودان غنم أبيهما.

وذلك أنَّ موسى عليه السلام بعد أن نصره الله على فرعون وآمن به السَّحرة خرج من مصر فارًّا من مطاردة فرعون وقومه، خرج وحيدًا فريدًا سالكًا الطَّريق الصَّحراويَّة خائفًا مترقِّبًا سائلًا ربَّه أن يهديه سواء السَّبيل.

وانتهى به السَّفر الطَّويل الشَّاقُّ إلى مدين فوصلها وهو عطشان جائعٌ متعبٌ مكدودٌ، وإذا به يرى منظرًا لا يرتاح إليه بوصفه الشَّابَّ ذا المروءة؛ وجد رعاةً رجالًا يرِدُون الماء بغنمهم وجِمالهم؛ ووجد على طرفٍ بعيدٍ من المكان امرأتين تمنعان غنمهما من ورود الماء.

وكان الأولى أن يعين الرِّجالُ الامرأتين ويفسحوا لهما المكان؛

لتأخذا حاجتهما من الماء، فقام إليهما وقال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتَّى يُصدِرَ الرِّعاء وأبونا شيخٌ كبيرٌ عاجزٌ لا يستطيع مساعدتنا فيما نحن فيه، وذلك كما جاء في الآية: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القَصَص: ٢٣].

عندها ثارت نخوة موسى، ونسي تعبه، وفعل كما ينبغي أن يفعل الرِّجال ذوو الشَّهامة والمروءة والنَّجدة، وكيف لا وقد أعدَّه الله لتحمُّل أعباء رسالةٍ سماويَّةٍ من مبادئها الرَّحمة والتَّعاون وعمل الخير؟!

وتولَّى موسى السِّقاية لهما، وكان هذا ممَّا يشهد بنبل نفسه الَّتي صنعها الله على عينه، وصدق الله العظيم حين قال له: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

مهمَّة الرُّسل والأنبياء

السُّؤال:

قرأنا في صحيفة أخبار اليوم القاهريَّة في العدد (١٣١٥) الصَّادر بتاريخ (٢٦/ ٩/ ١٩٧٠م) تحت عنوان: (سوق الصَّاغة) تحقيقًا كتبه الأستاذ رجاء شاهين، تحدَّث فيه عن الصَّاغة وتاريخ الصِّياغة، ونقل في تحقيقه كلامًا للأستاذ عبد الرَّحيم الصَّيَّاد أستاذ الصِّياغة بالفنون التَّطبيقيَّة، قال فيه ما يأتي: إنَّ أوَّل من اهتمَّ بجمع الذَّهب هو إبراهيم أبو اليهود، وإنَّ موسى النَّبيَّ وأخاه هارون كانا من أبرز صائغي عهدهما وأكثرهم

مهارةً، وأشهر أعمالهم العجل الَّذي كان يعبده بنو إسرائيل من الذَّهب الخالص.

لقد قرأنا هذا الكلام متعجِّبين مدهوشين، وكنا نتمنَّى أن يصدر هذا الكلام من غير الأستاذ عبد الرَّحيم الَّذي يبدو من اسمه أنَّه مسلمٌ.

فما رأيكم فيما قرأنا؟

الجواب:

الحقيقة أنَّ هذه الرَّسائل جاءت منذ زمنٍ ولم أستطع الإجابة عنها؛ فقد بحثت عن الصَّحيفة فلم أجدها في الكويت، وكنت أطلبها من مصر فجاءت لي، وقرأت في الصَّفحة الخامسة من هذه الصَّحيفة تحت عنوان: (أوَّل صائغ في التَّاريخ) قول الكاتب الَّذي يقول فيه: وحقائق التَّاريخ كما يرويها عبد الرَّحيم الصَّيَّاد أستاذ الصِّياغة بالفنون التَّطبيقية أنَّ أوَّل من اهتمَّ بجمع الذَّهب هو إبراهيم أبو اليهود وأنَّ موسى النَّبيَّ وأخاه هارون كانا من أبرز صائغي عهدهما، وأشهر أعمالهم العجل الَّذي كان يعبده بنو إسرائيل من الذَّهب الخالص. هكذا جاء قول السَّيِّد الكاتب في هذا النَّص.

ولا أدري من أين أتى الكاتب بهذه الحقائق التَّاريخيَّة في بحثه؛ ويا ليته أسندها إلى مصدرٍ معروفٍ لنعرف صحَّة هذا المصدر أو فساده.

والَّذي نعرف من كتاب الله عن إبراهيم عليه السلام أنَّه الأب لليهود وللعرب؛ فقد كان أبًا لابنين هما: إسماعيل جدُّ العرب المستعربة ومن ذرِّيَّته محمَّد ﷺ القرشيُّ، وإسحاق جدُّ الَّذين هم من ذرِّيَّة يعقوب عليه السلام، ولم يكن إبراهيم أبًا لليهود فقط، ولم يكن ﷺ جمَّاعًا للذَّهب؛ إنَّما كان

كريمًا أريحيًّا مضيافًا جوادًا، آتاه الله رشده من قبل، واختاره للرِّسالة، وكان معلِّمًا ناصحًا، وصِدِّيقًا نبيًّا.

ويكفي قول الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عِمرَان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النّحل: ١٢٠-١٢٢].

والأنبياء رسل الله جاؤوا يعلِّمون النَّاس الخير لا الشَّرَّ، ويرشدونهم إلى البذل لا إلى الشُّحِّ والتَّقتير والادِّخار.

إنَّ الأنبياء ينهون عن الشُّحِّ والبخل وسوء الأخلاق، وهل يليق بإنسانٍ أن ينهى عن خلقٍ ويأتي بمثله؟! إنَّ هذا غير جائزٍ من إنسانٍ مسلمٍ دون الرَّسول، فكيف يأتيه أنبياء جاؤوا يوجِّهون أقوامهم إلى سبل الخير والإصلاح والهدى؟!

لقد قصَّ علينا القرآن قِصَّة إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه بقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٢٤-٢٦]. أسرع إبراهيم يقدِّم لضيوفه الطَّعام، والبخيل لا يفعل هذا، وجمَّاع الذَّهب لا يبذل هذا البذل، بل يقتِّر ويمسك يده عن الإنفاق، وإن كان كريمًا فإنَّه يقرض النَّاس الرِّبا وليس قرضًا حسنًا.

أمَّا موسى وهارون فهما نبيَّان من بني إسرائيل، بعثهما الله تعالى

لإنقاذ بني إسرائيل من عبوديَّة الطَّاغية فرعون، ولدعوة فرعون إلى الحقِّ والتَّوحيد، كما جاء ذلك في كتاب الله الكريم بقوله في سورة النَّازعات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩﴾ [النَّازعات: ١٥-١٩]، وفي سورة الأعراف: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٠٥﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥]، وفي سورة طه: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

ولَمَّا لم تفد دعوته ولم يستجب لها فرعون أوحى الله إليهما - أي: موسى وهارون - أن يخرجا ليلًا بقومهما بني إسرائيل من مصر، وأن يعبرا بهم البحر إلى سيناء، كما جاء ذلك في سورة طه: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ۝٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ۝٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩﴾ [طه: ٧٧-٧٩].

ولم يذكر القرآن أنَّ موسى كان صائغًا، أو من أمهر الصَّائغين كما جاء في النَّصِّ!

أمَّا العجل فقد صنعه السَّامريُّ بعد أن ذهب موسى لميقات ربِّه وقال لبني إسرائيل: إنَّ هذا إلهكم وإله موسى، وإنَّ موسى نسي إلهه، وذهب يفتِّش عنه، ولَمَّا كان بنو إسرائيل حديثي عهدٍ بالكفر استمعوا إلى داعي الضَّلال والوثنيَّة، وعبدوا العجل المصنوع من الذَّهب، فلامهم هارون على هذا الضَّلال، وقال لهم مقالته: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ

ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، ولكنَّ الجهلة ردُّوا عليه: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

هذه هي الحقيقة كما يرويها القرآن، وإنِّي لأعجب كما عجب السَّائلون أن يكتب رجلٌ مسلمٌ هذا الكذب والافتراء على رسل الله الكرام بهذه السُّهولة والبساطة دون تورُّع أو حسابٍ.

وعلى كلِّ حال فإنَّ إبراهيم الحنيف المسلم رسول الله ونبيُّه، وإنَّ موسى وهارون رسولان بعثهما الله كما بعث إبراهيم الخليل لهداية البشر وإرشادهم إلى الصِّراط الحقِّ.

والنَّبيُّ إنَّما يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، حاشا لهذا النَّبيِّ أن يدعو إلى عبادة وثنٍ أو يكون داعية شركٍ، فالله تعالى بعث أنبياءه من أوَّلهم إلى آخرهم بما بعث به محمَّدًا ﷺ، بعثه بالتَّوحيد والعبادة وعدم الإشراك به.

فنحن نبرِّئ أولئك الرُّسل الأطهار ممَّا تقوَّله عليهم هؤلاء المؤرِّخون بلا علمٍ ولا هدًى ولا كتابٍ منيرٍ.

داود وتحاكم المتخاصمين إليه

السُّؤال:

ما قِصَّة داود عليه السلام والمتخاصمين المتحاكمين إليه المذكورةُ في سورة ﷺ في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: ٢٣]؟

الجواب:

سيِّدنا داود عليه السلام كان نبيًّا ورسولًا وملكًا، والملك مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ في كلِّ شيء حتَّى في القضاء والفصل بين المتخاصمين كما هو شأن الخلفاء الرَّاشدين، وقد عيَّن داود أوقاتًا للعبادة والرَّاحة، وأوقاتًا للقضاء والفصل في الخلافات، وقيل: إنَّها كانت أيَّامًا؛ فيومٌ يتعبَّد فيه، ويوم يقضي فيه بين النَّاس، ويومٌ لراحته، وفي يوم العبادة يلازمه الحُرَّاس فلا يدخل عليه أحدٌ في محرابه، وبينما هو مطمئنٌّ ألَّا يدخل عليه أحدٌ، إذا بأُناسٍ يدخلون عليه في خلوته، فلمَّا رآهم فزع وظنَّ أنَّهم ينوون به شرًّا، فقالوا: لا تخف، إنَّنا متخاصمان احتكمنا إليك، فاحكم بيننا بالحقِّ، ولا تَجُر[1] على أحدٍ منَّا. وكأنَّ لسانيهما يقولان له: إنَّك ملكٌ راعي رعيَّةٍ، ووقتك ليس ملكًا لك، فلا تخصَّ نفسك بمصلحةٍ دون رعيَّتك؛ لأنَّ وظيفتك تُحَتِّم عليك أن تكون في مصلحة رعيَّتِكَ أوَّلًا وآخرًا، ثُمَّ أخذ المعتدى عليه - وهو المدَّعي - يقصُّ قصَّته، فقال: إنَّ هذا أخي يملك تسعًا وتسعين نعجةً، وأنا أملك نعجةً واحدةً، وقد طمع في نعجتي، وامتدَّت به أطماعه حتَّى قال: أعطِنيها، فلمَّا ناقشته غلبني نقاشه، وأفحمتني حُجَّته، وأسكتني جداله؛ لأنَّه أفصح منِّي لسانًا، وأقوى حُجَّةً وبيانًا. سمع داود القِصَّة، وأنكر على صاحب النِّعاج الكثيرة أن يظلم أخاه بأخذ النَّعجة منه، وحكم عليه بأنَّه ظالمٌ في طلبه، فقال له: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٤]، فإنَّ مجرَّد السُّؤال ظلمٌ، فكيف بأخذها واغتصابها؟!

لقد تعجَّل داود عليه السلام بالرَّدِّ دون أن يسأل المدَّعى عليه، فقد اكتفى بما

---

(١) الجَوْرُ: نقيضُ العدل. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٠/ ٤٧٧).

قال المدَّعي ولم يستفهم من الخصم، ولم يطلب بيانًا، فلعلَّ له حجَّةً، وانصرف الخصوم، وندم داود بعد ذلك، فقد شعر أنَّه تسرَّع في الحكم، فاستغفر ربَّه، وسجد لله توبةً من هذا التَّعجيل، فغفر له ربُّه ما حدث منه، وقال له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦]؛ أي: لا تتأثَّر بقول الخصمين، ولا تتعجَّل بالحكم، بل تأمَّل، فلعلَّ مَن يدَّعي المسكنةَ ويُظْهِرها هو الظَّالم، ولا تحكم إلَّا بعد أن تطمئنَّ إلى أنَّك مع الحقِّ، فقد يتغيَّرُ وجهُ المسألةِ كلُّه أو بعضه، وينكشف لك أنَّ مُظهِر المسكنةِ كان خدَّاعًا وكاذبًا، وقد يكون مع هذا القويِّ حجَّةٌ وبيانٌ ظاهرٌ.

قال بعض المفسِّرين: إنَّ الخصوم كانوا ملائكةً جاؤوا على صورة بشرٍ ليعلِّموا داود، لكنَّ القرآن لم يُشِر إلى شيءٍ من ذلك، وقال بعض المفسِّرين: إنَّ داود كان ينوي في نفسه شيئًا، ولكنَّ الله أراد أن يُطَهِّرَهُ منه؛ لأنَّه الملك النَّبيُّ الرَّسول، فيجب أن يكون معصومًا من الزَّلل، فجاءت هذه القضيَّة لتبعده ممَّا كان قد نواه.

هذه تفسيراتُ المفسِّرين لهذه القصَّة، ولكنِّي لا أطمئنُّ إلى شيءٍ ممَّا يقال في حقِّ الأنبياء، فالأنبياء معصومون، وهم مبعوثون لإصلاح النَّاس وهدايتهم للَّتي هي أقوم، وفي هذا تعليمٌ ربَّانيٌّ لمن يجلس في مجلس القضاء ألَّا يتعجَّل في الحكم، وأن يكون لطيفًا، يستمع حجَّةَ كلٍّ من الخصمين برحابة صدرٍ، وسعةِ أفقٍ، وجميلِ صبرٍ.

قِصَّة أيُّوب والشَّيطان

السُّؤال:

أرجو التَّفضُّل بشرح الآية الكريمة من سورة ﷺ، وهي قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [صٓ: ٤١] **وما بعدها من الآيات، وهل للشَّيطان طريقٌ إلى الأنبياء أو سلطةٌ له عليهم؟ وكيف يخطئون وهم معصومون ومنزَّهون من كلِّ ما تنفر منه الطِّباع والأخلاق؟ وما فرحة أيُّوب الَّتي أصابته؟ هل ابتلي فعلًا بها؟ أرجو أن نقرأ الجواب الصَّحيح.**

الجواب:

جاء ذكر أيُّوب في أربعة مواضع من القرآن؛ في سورتي النِّساء والأنعام مع جملة الأنبياء، وفي سورتي الأنبياء و(ص) على حدة، ففي سورة الأنبياء يقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبيَاء: ٨٣-٨٤].

أمَّا الموضع الرَّابع فهو في سورة (ص) حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [صٓ: ٤١-٤٤].

وهنا نودُّ أن نعرف الضُّرَّ الَّذي أُصيب به نبيُّ الله أيُّوب.

من المعروف أنَّ الأنبياء يُبتلون بالضُّرِّ كما يُبتلى النَّاس بالضُّرِّ والألم والمرض والشِّدَّة والضِّيق والنَّقص في المال والولد.

والضُّرُّ ضدُّ النَّفع، أمَّا النُّصْب فمعناه التَّعب الشَّديد والمشقَّة الزَّائدة.

والأنبياء إذا ابتلوا بشيءٍ من الضُّرِّ ولَّوا وجوههم إلى الله، وطرقوا أبواب رحمته بالدُّعاء؛ رجاء فضل الله عليهم، والله يتقبَّل الدُّعاء من عباده المخلصين، ويطمئنهم، فيبيتون دائمًا على أمنٍ من كلِّ خوف، وعلى طمع بكلِّ خيرٍ.

من أمثال ذلك محمَّد رسول الله ﷺ حين خرج من ثقيف مطارَدًا من سفهائهم مرجومًا بحجارتهم ودم رأسه وصل إلى عقبيه لا يدري أين يولِّي وجهه، وثقيف أغرت به السُّفهاء، ومكَّة ضاقت به ولا ملجأ إلَّا إلى الله، فرفع رأسه إلى السَّماء يناجي ربَّه بكلمات تنبض بمشاعر الإيمان، ويشكو إليه في خشوعٍ وضراعةٍ ما حدث له، ويقول: «**اللَّهمَّ إليك أشكو ضَعفَ قوَّتي، وقلَّة حيلَتي، وهواني على النَّاس يا أرحم الرَّاحمين، أنت أرحم الرَّاحمين، إلى من تَكِلُني؟ إلى عدوٍّ يَتَجَهَّمُني، أم إلى قريبٍ مَلَّكتَهُ أمري، إن لم تكن غضبانَ عليَّ فلا أُبالي، غير أنَّ عافيتك هي أوسع لي**»[1]، ثمَّ يبتلى بفقد ذُرِّيَّته كلِّها ما عدا فاطمة رضي الله عنها الَّتي ماتت بعد موته بستَّة أشهر، ويصبر ويحتسب ذلك كلَّه عند الله.

وإبراهيم عليه السلام يُبتلى بإلقائه في النَّار وبذبح ولده بيده، فيطيع ربَّه، ويهمُّ بالتَّنفيذ، ولكنَّ الله تعالى يفتدي ولده بذبحٍ عظيمٍ.

---

(١) انظر: الرَّوض الأنف في شرح السِّيرة النَّبويَّة، للسُّهيليِّ (٤/ ٢٧).

وموسى يُبتلى بتربيته في بيت فرعون وبقتله المصريَّ وبهربه إلى مدين، وأرى أنَّ ابتلاءه ببني إسرائيل وسوء أخلاقهم أكبر ضررًا وأشدُّ بلاءً.

وعيسى تُعقد حوله الشُّبهات والتُّهم والظُّنون، ويعيش حياته العيش المرَّ مع بني إسرائيل من جهةٍ ومع الحكم الرُّومانيِّ من جهةٍ أخرى.

ويونس وزكريَّا ويحيى جميعًا ابتلوا، فلجؤوا إلى ربِّهم، فاستجاب لهم، وجعل لهم من الضِّيق فرجًا ومن العسر يسرًا، يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

أمَّا الابتلاء الَّذي ابتُلي به أيُّوب، والنُّصب أو الضُّرُّ الَّذي أُصيب به فعلم ذلك عند الله.

وإنَّما نعتقد أنَّ الأنبياء بعثهم الله مُعلِّمين يُعلِّمون النَّاس الخير، والمعلِّم عليه أن يجلس إلى النَّاس ويبلِّغهم أمر ربِّهم ويرشدهم، ولا يمكن أن يجلس إليهم مريضًا بمرض تشمئزُّ منه النُّفوس وتأباه الأنظار.

أيُّوب عليه السلام دعا ربَّه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ثُمَّ وصف ربَّه بأنَّه أرحم الرَّاحمين، وقال في موضعٍ آخر: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ولعلَّ هذا النُّصب هو إغواء قومه وإغراؤهم بتكذيبه وأذاه، أو إدخال الشَّكِّ في نفوس خلصائه القلائل الَّذين بقوا على وفائهم له.

قِصَّة أيُّوب مشهورةٌ بالغ فيها القُصَّاص وأدخلوا فيها إسرائيليَّات وأكاذيب طغت عليها.

وأقول والله أعلم: إنَّ أيُّوب عليه السلام ابتلي في نفسه وماله وأهله ابتلاءً

شديدًا، فصبر على هذه البلوى حتَّى صار مضرب الأمثال بالصَّبر، والرَّجل الصَّابر ظلَّ على صلةٍ بربِّه الرَّحمن الرَّحيم على ما ابتلاه به وصبر صبرًا جميلًا.

أمَّا خلصاؤه من أصحابه وذوي قرابته ومنهم زوجته فقد وسوس لهم الشَّيطان فقالوا: لو كان الله يُحِبُّ أيُّوبَ ما ابتلاه، ويقال: إنَّ هذا القول صدر من زوجته فعدَّ أيُّوب عليه السلام هذا القول من زوجته أعظم البلاء، فقال في دعائه ينادي ربَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، يعني دخول الشَّكِّ في صدور أصحابه المؤمنين برسالته وفي عقولهم.

فلمَّا عرف ربُّه منه صدقه وصبره أمرَهُ أن يضرب برجله الأرض، فضرب الأرض بها فتفجَّر ماءٌ باردٌ فأخذ يغتسل منه ويشرب، فأعطاه الله أهلًا ومالًا؛ رحمةً من عنده وذكرى لأولي الألباب.

ونحن نعتقد تمام الاعتقاد أنَّ الأنبياء معصومون من الزَّلَّات والخطايا؛ لأنَّها تنافي ما كُلِّفُوا به، وهو إرشاد النَّاس وتعليمهم وتزكيتهم، إذ لو علم النَّاس من هذا الدَّاعي خطيئةً لرموه بها ولابتعدوا منه؛ لأنَّه ليس قدوةً طيِّبةً ولا أسوةً حسنةً لهم.

ونعتقد أيضًا أنَّهم محفوظون من العاهات المُنفِّرة للطِّباع، فلا يكون النَّبيُّ أقرعَ[١] ولا أعورَ[٢] ولا أبخرَ[٣] ولا مشوَّهًا؛ لأنَّ العاهات منافيةٌ

(١) الأقرع: الَّذي لا شعر على رأسه. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٤٤).
(٢) العَوَرُ: ذهاب حِسِّ إحدى العينين. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٦١٢).
(٣) البخر: النَّتن في الفمِ وغيره. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٠/ ١٣٣).

لحكمة التَّبليغ، وكلُّ نبيٍّ مُهيَّأٌ بصورةٍ جميلةٍ، وصوتٍ حسنٍ، وأخلاقٍ عظيمةٍ، وشمائل طيِّبةٍ.

وأخيرًا أقول: إنَّ قرحة أيُّوب خرافةٌ لا صِحَّة لها، ولعلَّ مرض أيُّوب من الأمراض الَّتي تعالج بالمياه المعدنيَّة من الأمراض الباطنيَّة الَّتي تزمن، ولهذا أمره الله أن يضرب برجله الأرض، فينبع منها الماء؛ ليشرب منه ويشفى بإذن الله.

لهذا أرجو من السَّائلين ألَّا يعتقدوا بما يقرؤون عن خرافة القرحة، وما سمعوه من تشويهٍ في مرض نبيٍّ من أنبياء الله مُكلَّفٍ بتبليغ النَّاس وتعليمهم وإرشادهم إلى الخير.

بين يونس وقومه

السُّؤال:

ما قِصَّة يونس عليه السلام مع قومه الواردة في سور الأنعام، ويونس، والأنبياء، والصَّافَّات؟

الجواب:

بُعث يونس عليه السلام إلى أهل نينوى، وكانوا في جاهليَّةٍ يعبدون الأصنام، ويؤلِّهون الحجارة، فدعاهم إلى توحيد الله وإلى عبادته وحده، فدُهشوا وأنكروا دعوته، ولم يظفر منهم إلَّا بجواب الجاهلين: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥٤]، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس: ٧٨]، ولا من وعيدك خائفين، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ﴾ [الأعرَاف: ٧٠].

رحل يونس عنهم غاضبًا يائسًا من إيمانهم، ولو أنَّه أطال فيهم المدَّة واستمرَّ في نشر الدَّعوة بينهم لوجد فيهم من يستجيب له، ولكنَّه تعجَّل قبل أن يؤذن له بالرَّحيل.

لم يكد يبعد من ديار قومه حتَّى تحقَّق أهلها نزول العذاب، فداخلهم القلق، وساورهم الخوف، وعلموا أنَّ دعوة يونس حقٌّ، وأنَّ إنذاره صدقٌ، وأنَّ العذاب لا بُدَّ واقعٌ، وسيصيبهم ما أصاب قوم نوحٍ أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ.

ووقع في نفوسهم أن يبحثوا عن يونس فلم يجدوه، فخرجوا من بلادهم إلى الصَّحراء شاكين متضرِّعين باكين متوسِّلين يسألون الله رحمته وأن يرفع عنهم ما نزل بهم، وكانت ساعةً بسط الله عليهم بعدها جناح رحمته، ورفع عنهم نقمته، وتقبَّل منهم التَّوبة والإنابة، فحمدوا الله وشكروه، وودُّوا لو يعود يونس إليهم، وهذا ما ذكره الله في الآية (٩٨) من سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يُونس: ٩٨].

ولكنَّ يونس فارقهم، وترك ديارهم، وأخذ يضرب في الأرض حتَّى انتهى إلى البحر، فوجد هناك سفينةً وجماعةً يريدون السَّفر بها، فسألهم الرِّفقة، فقبلوه على ارتياحٍ، وأنزلوه بينهم كريمًا عزيزًا لِمَا كان يبدو على وجهه من سماحٍ وصلاحٍ.

أقلعت السَّفينة، وابتعدت من البرِّ، وإذا بالرِّياح هاجت، والأمواج ماجت، وتوقَّع الرَّاكبون سوء المصير، فزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ولم يجدوا طريقًا لنجاتهم إلَّا أن يتخفَّفوا، فاقترعوا فيما بينهم

فيمَن يُرمى في البحر، ووقع السَّهم على يونس، فعلم عليه السلام أنَّ من وراء ذلك سرًّا، وأنَّه كان مخطئًا في تركه قومه قبل أن يؤذن له في الهجرة، فألقى بنفسه في اليمِّ، وأسلم نفسه للأمواج يتقلَّب بين طيَّاتها، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٤٢]، ومعنى مليم: مؤاخذٌ بخطيئته واقعٌ عليه اللَّوم.

ابتلعه الحوت بأمرٍ من الله، فلم يقضم لحمه، ولم يهشِّم عظمه، وعلم أنَّه وديعةٌ عنده بأمر الله.

قبع يونس في بطن الحوت في ظلماتٍ بعضها فوق بعضٍ؛ ظلمة بطن الحوت، وظلمة أعماق البحر، والحوت يشقُّ أمواجه، ولكنَّ يونس عليه السلام وهو النَّبيُّ الكريم فزع إلى الله قابلِ التَّوبة واسع الرَّحمة غافر الذَّنب مجيب المضطرِّ إذا دعاه، ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فاستجاب الله دعاءه، ونبذه الحوت على السَّاحل سقيمًا هزيلًا عليلًا، وتلقَّته رحمة الله في البرِّ، فأنبتت عليه شجرةً من يقطينٍ يطعم من ثمرها، ويستظلُّ بورقها، حتَّى دبَّت عليه العافية، وظهرت فيه تباشير الحياة، وبعد أن عادت إليه قوَّته واستردَّ عافيته أمره الله أن يرجع إلى بلده، ويصل مقامه بين قومه؛ لأنَّهم آمنوا، فعاد يونس إلى قومٍ مؤمنين صالحين بعد أن كانوا يعبدون الأوثان، عاد إليهم وألسنتهم تلهج بذكر الرَّحمن والثَّناء على خالقهم المنَّان على النَّاس أن هداهم وأرشدهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ

شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصَّافات: ١٣٩-١٤٨].

مدَّة حمل مريم بعيسى

السُّؤال:

قصَّ القرآن علينا قصَّة مريم العذراء بنت عمران وهي أنَّ الله جلَّ جلاله نفخ فيها من روحه، فحملت بعيسى عليه السلام، فهل كان حملها تسعة أشهر أم أقلَّ؟ نرجو الدَّليل من القرآن.

الجواب:

لم يذكر الباري عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم شيئًا من ذلك، وإنَّما ذكر في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مَريَم: ١٦]، فأرسل الله إليها الرُّوح ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مَريَم: ١٧]، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مَريَم: ١٨]؛ ذكرت اسم الرَّحمن؛ لأنَّ التَّقيَّ الورع ينتفض وجدانه ويقشعرُّ جلده عند ذكر الله، ثمَّ عندما علمت أنَّها ستلد غلامًا باغتها ذلك الخبر، وقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٠]؟ فقال لها الملك: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مَريَم: ٢١].

ثُمَّ تستمرُّ القصَّة: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

[مَريَم: ٢٢-٢٣]؛ لأنَّها كانت تخاف من أن يقول النَّاس فيها ما يقولون، ولكنَّ الله ﷻ أنطق هذا الوليد؛ ليزيل الوحشة عنها، ويبرِّئ ساحتها، ويَطِيب قلبها، فكان هذا النُّطق بادئ ذي بدءٍ دليلًا على علوِّ شأنٍ لهذا المولود وعظيم أمره، وعلى براءة مريم العذراء ممَّا ألصقه بها قومها.

والله تعالى لم يذكر لنا في كتابه العزيز كيف حملت، ولا كم حملت، وهل كان حملًا عاديًّا كما تحمل النِّساء أم لا، لكن في موضعٍ آخر من الكتاب الكريم يقول جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]. صلَّى الله عليه وعلى نبيِّنا محمَّد وسلَّم.

خصوصيَّات عيسى

السُّؤال:

مسلمةٌ تسأل عن خصوصيَّات عيسى عليه السلام.

الجواب:

أرجو من السَّائلة الكريمة أن تقرأ الآيات الكريمة في سورة مريم من الآية (١٦) إلى آخر الآية (٤٠)، وكذلك تقرأ الآيات الَّتي في سورة آل عمران من الآية (٤٥) إلى الآية (٥١)، فإنَّ هذه الآيات كلَّها تُبيِّن لنا خصائص عيسى عليه السلام.

ويمكن أن نجمل هنا للسَّائلة ما تضمَّنته هذه الآيات الَّتي ذكرنا لها أرقامها، فهي تخبرنا أنَّ الله أرسل لمريم ملكًا ينبِّئها بأنَّه تعالى يهبها

غلامًا زكيًّا وأنَّ مريم تعجَّبت من هذا الأمر، فكيف يأتيها الولد وهي لم يمسسها بشرٌ مثل باقي النَّاس ولم تكن بغيًّا؟! ولكنَّ الملك يخبرها بأنَّه يسير على الله أن يهبها ولدًا من غير الطَّريق المعتاد، فإنَّ عيسى جاء بكلمةٍ من الله من غير أبٍ؛ جاء بكلمةِ ﴿كُن﴾ [مَريَم: ٣٥]، وإنَّه جاء معجزةً وآيةً من عند الله، وإنَّه تكلَّم في المهد؛ ليبرِّئ ساحة أُمِّه مريم من تهمة البغي الَّتي رماها بها قومها، وإنَّ الله أمدَّه بمعجزاتٍ حسِّيَّةٍ يبرئ بها الأكمه والأبرص وينادي الميِّت فيستجيب له، ويخلق من الطِّين كهيئة الطَّير فيكون طيرًا، ويخبر النَّاس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم، إلى آخر ما جاء في هذه الآيات من خصوصيَّات عيسى عليه السلام.

ثُمَّ أقول للسَّائلة الفاضلة: إنَّ عيسى عليه السلام جاء مُصدِّقًا لما بين يديه من التَّوراة، ومُبشِّرًا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، صلوات الله وسلامه على أحمد وعلى موسى وعيسى وعلى الرُّسل كافَّة.

حديثٌ عن عيسى وصلبه ووفاته

السُّؤال:

هل عيسى حيٌّ أم ميِّت؟ ولماذا خصَّ نفسه بالسَّلام حين قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مَريَم: ٣٣]؟

الجواب:

السُّؤال ذو شطرين، وأجيب عن الشَّطر الأوَّل بآيتين من كتاب الله تعالى؛ الأولى قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥]، والآية الأخرى هي الَّتي سألتم عنها وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مَريَم: ٣٣].

هاتان الآيتان تتضمَّنان الدَّليل على أنَّ ما حصل للأنبياء من ولادةٍ ثُمَّ موتٍ ثُمَّ بعثٍ حصل لعيسى بن مريم عليه السلام.

أمَّا خلافنا مع إخواننا المسيحيِّين في عيسى بن مريم عليه السلام فهو أنَّنا نؤمن أنَّ عيسى لم يُصلب ولم يُقتل ولم يسلِّط الله عليه أعداءه كما يعتقدون، إنَّنا نؤمن بأنَّ الله عصمه منهم ومن كيدهم، وقد أخبرنا الله في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٥٧]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاء: ١٥٧-١٥٨].

فقد أنجاه الله من مكرهم، وجعل كيدهم في نحورهم، ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون به من سوءٍ، فقد غلب مكرُ الله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٤].

وقد توفَّاه الله الَّذي يتوفَّى الأنفس حين موتها، ثمَّ رفعه إليه، فهو مع النَّبيِّين في المكان الرَّفيع عند الله، ولقد رآه رسول الله ﷺ ليلة معراجه إلى السَّماء مع من رآهم من الأنبياء.

أمَّا الجواب عن الشَّطر الثَّاني فهو أنَّ عيسى كان آيةً من آيات الله؛ لأنَّه وُلِدَ من غير أبٍ كما نعتقد نحن، وكما جاء في كتاب الله العزيز في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ

أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٧]، وفي آيات سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مَريَم: ٢١]، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وبعد أن ولدت مريم ابنها عيسى عليه السلام وأتت به قومها تحمله؛ أخذوا يقرِّعونها ويوبِّخونها ويقولون لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٧]؛ أي: أمرًا فظيعًا منكرًا، ويقولون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مَريَم: ٢٨].

ولَمَّا كانت مريم صائمةً - والصَّائم في شريعتهم لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلَّم - أشارت إليه تقول لهم: كلِّموه؛ فأخذهم العجب مأخذًا شديدًا، وقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٩]، فهنا جاءت المعجزة تبرِّئ مريم ممَّا اتَّهمها به قومها، فتكلَّم عيسى ابنُ يومِه بفصيح القول كما جاء في سورة آل عمران: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مَريَم: ٣٠-٣٣]. هذا كلام طفلٍ في المهد؛ فهل كان يعي ما يقول أم لا؟ علم ذلك عند الله. قال لهم عيسى عليه السلام ما معناه الآتي:

١_ أنا عبد الله، ولست ابن الله ولا ثالث ثلاثةٍ.

٢_ جعلني الله نبيًّا، ولم يجعلني ولدًا ولا شريكًا.

٣_ باركَ الله في ذاتي أينما كنت.

٤_ أوصاني الله بالصَّلاة والزَّكاة مدَّة حياتي، وهي المدَّة الَّتي يجازي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

٥_ أوصاني الله بالبرِّ بوالدتي والتَّواضع لها.

٦_ لم يجعلني الله جبَّارًا على النَّاس ولا شقيًّا بالذُّنوب.

٧_ قدَّر الله لي السَّلام والأمان والطُّمأنينة منذ ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا، فلا يقدر أحدٌ على إلحاق الضَّرر بي في هذه الحالات الثَّلاث؛ ولادتي وموتي وبعثي. ومعنى السَّلام هنا: السَّلامة والأمان من الله ﷻ، والله أعلم.

الباب السَّادس

مع السَّلف الصَّالح

الأسماء الَّتي أُطلِقَت على أبي بكر

السُّؤال:

هل لأبي بكرٍ اسمٌ واحدٌ فقط أم له أكثر من اسمٍ؟ وإذا كان له أكثر من اسمٍ فما هذه الأسماء؟

الجواب:

أبو بكرٍ هو الاسم الصَّحيح لهذا الصَّحابيِّ الجليل، وهو الاسم الَّذي اشتهر به وناداه به رسول الله ﷺ، ولا نعلم له اسمًا غير ذلك، كما لم يرد في الأحاديث الَّتي رويت عن رسول الله ﷺ أنَّه دعاه بغير اسم أبي بكر.

ذكر المؤرِّخون أنَّه عُرِفَ في الجاهليَّة باسمين: عبد الكعبة وعتيق، وسُمِّيَ عتيقًا؛ لجمال وجهه، وهي من العتاقة، وهي الجودة في كلِّ شيءٍ[(١)]. وقيل: إنَّه من العتق؛ لأنَّ أمَّه لم يكن يعيش لها ولدٌ، فاستقبلت به الكعبة، وقالت: اللَّهمَّ إنَّ هذا عتيقك من النَّار فهبه لي فعاش؛ فعرف بالعتيق[(٢)]. وقيل: سمِّي أبو بكر عتيقًا؛ لأنَّه لم يكن في نسبه شيء يُعاب به[(٣)].

وسمِّيَ في الإسلام باسمين كذلك عبد الله والعتيق، أمَّا تسميته في

(١) انظر: أسد الغابة، لعزِّ الدِّين ابن الأثير (٣/ ٢٠٥).
(٢) انظر: الانشراح ورفع الضِّيق في سيرة أبي بكر الصِّدِّيق، للصَّلابي (١/ ١٧).
(٣) انظر: أسد الغابة، لعزِّ الدِّين ابن الأثير (٣/ ٢٠٥).

الإسلام بالعتيق فلأنَّ النَّبيَّ ﷺ بشَّره بالعتق من النَّار[١]، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**أَنْتَ عَتِيقٌ مِنَ النَّارِ**»[٢]. هذا هو ما ورد في شأن الاسم الصَّحيح لأبي بكر وأسمائه الأخرى.

رواياتٌ عن أبي بكر

السُّؤال:

سمعت حديثًا في أحد المساجد يقول قائله: إنَّ رسول الله ﷺ رأى في السَّماء ملكًا يحدِّثه بلهجة أبي بكر؛ ما جعل النَّبيَّ ﷺ يعتقد أنَّ أبا بكر قد سبقه إلى السَّماء، وإنَّ أبا بكر رأى صورة النَّبيِّ ﷺ عند راهبٍ بالشَّام فآمن به قبل رؤيته. فهل لهذا الكلام ظلٌّ من الصِّحَّة؟

الجواب:

أركان الإيمان سِتَّةٌ: إيمانٌ؛ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه من الله تعالى.

فمتى أنكر المسلم واحدًا من هذه السِّتَّة فقد كفر به، والقصد الإيمان بالكتب الَّتي جمع القرآن كلَّ ما جاء بها، وأمَّا حديث الإسراء والمعراج، فقد ذُكر في كتب الحديث، وليس فيها ما ذكره هذا الرَّجل، وأمَّا حديثه عن أبي بكرٍ والرَّاهب والصُّورة فلو كانت الصُّورة في ذلك العصر لحفظها النَّاس كما يحفظون ذكرياتهم، أو لحفظتها دور الآثار مثلما تحفظ

(١) انظر: أسد الغابة، لعزِّ الدِّين ابن الأثير (٣/ ٢٠٥).
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٩).

المخطوطات والنَّوادر، فأين تلك الصُّور الَّتي أخبر بها هذا المخرِّف الأفَّاك الأثيم؟

وأقول: أفَّاكٌ أثيمٌ؛ لأنَّه حدَّث عن الله وعن رسوله بما لم يقع، وغيَّرَ الحقيقة، والرَّسول ﷺ قال: «**من كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[1]؛ لأنَّ من كذب على رسول الله ﷺ كذب على الله، والرَّسول ﷺ لا ينطق عن الهوى.

وكان على الأخ السَّائل وهو يستمع إلى هذا الرَّجل أن يطالبه - مع مساعدة بعض الغيورين - بأن يأتي بالدَّليل على ما يزعم من سنَّةٍ أو أثرٍ صحيحٍ حتَّى إذا عجز عن الدَّليل ظهر كذبه وتبيَّن باطله وعرف النَّاس أنَّه على باطلٍ وأنَّه يعلِّم النَّاس الخرافة والدَّجل والمنكر.

كان على الأخ السَّائل أن يفعل ذلك، فالرَّسول ﷺ يأمرنا بمحاربة هذا المنكر والقضاء عليه، فيقول ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2].

غيرة عمر على الله ﷺ

السُّؤال:

سمع في حديثٍ دينيٍّ: «بينما أنا نائمٌ رأيتني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانب قصرٍ، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: هذا لعمر، فذكرت

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، رقم: (٤٩).

غيرتك، فولَّيت مدبرًا، فبكى عمر وهو في المجلس ثمَّ قال: أوَعليك يا رسول الله أغار؟»[(١)]، ويسأل عن صحَّة هذا الحديث عن عمر.

الجواب:

يتضمَّن هذا الحديث رؤيا قصَّها الرَّسول ﷺ على جماعةٍ من أصحابه، فيهم عمر، وعمر في الدُّنيا يغار أو يغضب إذا سمع صوت امرأةٍ من أهله وهو في الطَّريق، وإنَّما ذكرها ليبشِّر عمر أنَّه من أهل الجنَّة، وله فيها قصرٌ، وله فيها حورٌ ينعم بهنَّ في الحياة الآخرة.

ولعلَّ كلمة «ذكرت غيرتك» قصد بها المداعبة، فإنَّ عمر يعلم مَن هو رسول الله ويقدره حقَّ قَدْرِه، ويعرف مكانته عند الله، ولا أظنُّ أنَّ من كانت هذه صفته ينزل بالرَّسول ﷺ إلى مكانٍ يغار منه على أهله، ثمَّ إنَّ عمر يعلم أن لا غيرة في الآخرة ولا حجاب ولا حدود ولا أستار، فالكلُّ في نعيمٍ مقيمٍ، وقد حدَّثنا النَّبيُّ ﷺ عن نعيم الجنَّة فقال: «**أوَّل زمرةٍ تدخلُ الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر، والَّذين على آثارهم كأحسن كوكب دُرِّيٍّ في السَّماء إضاءةً، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكلِّ امرئٍ زوجتان من الحور العين، يرى مخُّ سوقهنَّ من وراء العظم واللَّحم**»[(٢)]، وفي حديثٍ رواه الطَّبرانيُّ عن ابن مسعودٍ قال: «**إنَّ المرأة من الحور العين ليرى مُخُّ ساقها من وراء اللَّحم والعظم، ومن تحت سبعين حلَّةٍ كما يرى الشَّراب الأحمر في الزُّجاجة البيضاء**»[(٣)]؛ فإذا كان ذلك بعض نعيم أهل الجنَّة وعمر من

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٢٢٧)، ومسلم، رقم: (٢٣٩٤)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٢٥٤).
(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٨٨٦٤).

أهلها فمن أين تأتي الغيرة؟!

والحديث لا نشكُّ في صحَّته إذا فهمنا المعنى فهمًا صحيحًا يليق بمقام النُّبوَّة السَّامي وصدق المحدِّث الرَّاوي ومكانته العلميَّة.

ذو النُّورَين رضي الله عنه

السُّؤال:

هل صحيحٌ أنَّ عثمان رضي الله عنه لُقِّب بِذي النُّورين؛ لأنَّه تزوَّج من ابنتَي الرَّسول ﷺ؟ ومتى كان ذلك؟

الجواب:

للرَّسول ﷺ أربع بناتٍ، أكبرهنَّ زينب، تزوَّجها ابن خالتها أبو العاص بن الرَّبيع، ولَمَّا أسلمت فرَّق الرَّسول ﷺ بينهما، وبعد انتصار المسلمين في غزوة بدرٍ أسلم أبو العاص، وردَّها الرَّسول ﷺ، وبقيت معه حتَّى توفِّيت في محرَّم في السَّنة الثَّامنة من الهجرة والرَّسول ﷺ حيٌّ.

والبنت الثَّانية للرَّسول ﷺ هي رقيَّة، وكانت زوجةً لعتبة بن أبي لهبٍ، وبعد البعثة فرَّق الإسلام بينهما، وأمر أبو لهب ابنه بطلاقها، فتزوَّجها عثمان قبل الهجرة، وهاجر بها إلى الحبشة، وولدت له عبد الله، فمات صغيرًا، ولم تلد غيره، ثمَّ هاجر بها إلى المدينة، وفي خروج النَّاس إلى بدرٍ كانت مريضةً، فتخلَّف عليها عثمان، وماتت يوم رجوع النَّاس من بدرٍ رضي الله عنها.

أمَّا الثَّالثة فهي أمُّ كلثوم، وقد اختُلف في كونها أصغر من فاطمة أو

أكبر، والصَّحيح أنَّ أصغر البنات كانت فاطمة، وكانت أمُّ كلثوم زوجةً لعتيبة بن أبي لهبٍ، وفرَّق الإسلام بينهما بعد بعثة الرَّسول ﷺ، وطلَّقها عتيبة بأمرٍ من أبيه أبي لهب، وبعد أن توفِّيت رقيَّة زوجة عثمان زوَّجه الرَّسول ﷺ بأمِّ كلثوم، وتوفِّيت عنده في السَّنة التَّاسعة من الهجرة والرَّسول ﷺ حيٌّ، ولم تلد أمُّ كلثوم من عثمان، ولقَّبه الرَّسول ﷺ بذي النُّورين بعد زواجه من أمِّ كلثوم، فلُقِّبَ بذلك؛ لأنَّه تزوَّج بِنْتي رَسُول الله ﷺ رقيَّة وأمَّ كُلْثُوم، ولم يتَّفق لأحد من لدن آدم عليه السَّلام نِكَاح بِنْتي نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ[1].

أمَّا الرَّابعة من بنات الرَّسول ﷺ فهي فاطمة رضي الله عنها الَّتي تزوَّجها عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وكرَّم وجهه، وولدت له الحسن والحسين، وفيهما انحصرت الذُّرِّيَّة المباركة، وولدت له المحسن ومات صغيرًا، ومن البنات ولدت زينب وأمَّ كلثوم رضي الله عنهم أجمعين[2].

أحاديثُ عن مكانة عليِّ بن أبي طالب

السُّؤال:

أرجو من فضيلتكم الإجابة عن السُّؤالين الآتيين:

١ـ أحقًّا قال النَّبيُّ ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد منكم المدينة فليدخلها من بابها؟

---

(١) انظر: البدر المنير، لسراج الدِّين الشَّافعيِّ المصريِّ (٢/ ١٧١).

(٢) انظر: السُّنن الكبرى، للبيهقيِّ (٧/ ١١١).

٢_ هل الخليفة عمر ﷺ قال: والله لولا عليٌّ لهلك عمر؟

الجواب:

لفظ الحديث الأوَّل: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بَابُهَا فمن أَرَادَ العلمَ فليَأتِهِ من بابه**» رواه العقيليُّ في الضُّعفاء، وابنُ عديٍّ والطَّبرانيُّ والحاكم عن ابن عبَّاس[١]، والحاكم عن جابر عبد الله[٢].

واختلف رواة الحديث في صِحَّة هذا الحديث؛ فمنهم من أثبته، ومنهم من نفاه، ومنهم من ضعَّفه، وما سأذكره يدلُّ على أنَّ الحديث ثابتٌ.

نبدأ أوَّلًا بأقوال النَّبيِّ ﷺ في عليِّ بن أبي طالب، فقد دعا الرَّسول ﷺ لعليٍّ حين بعثه إلى اليمن، وقال: «**اللَّهمَّ ثبِّت لسانه واهدِ قلبه**»[٣]، قال عليٌّ بعد هذه الدَّعوة: فوالله ما شككت بعدها في قضاءٍ بين اثنين أبدًا.

ولَمَّا ذكر ﷺ فضائل الصَّحابة واختصاص كلٍّ منهم في علمٍ من علوم الدِّين قال: «**وأقضاهم عَلِيٌّ بن أبي طالبٍ**»[٤].

أمَّا أقوال الصَّحابة في عليٍّ، فقد روي عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: «إذا أتانا الثَّبت لم نعدل به»[٥]، ويعني هنا بالثَّبت: عليَّ بن أبي طالبٍ.

---

(١) رواه العقيليُّ في الضُّعفاء الكبير، رقم: (١١٣٤)، والطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١١٠٦١)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٤٦٣٨)، وابن عدي في الكامل، رقم: (٨٤٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٤٦٣٩).

(٣) رواه أحمد، رقم: (٨٨٢).

(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (١٥٤).

(٥) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله القرطبيِّ (٣/ ١١٠٤).

وقالت عائشة: «أما إنَّه لأعلم النَّاس بالسُّنَّة»(١)، وقال سعيد بن المسيِّب - وهو من التَّابعين -: «ما كان أحدٌ يستطيع أن يقول: سلوني، إلَّا عليُّ بن أبي طالبٍ»(٢).

ولو أردت حصر أقوال الصَّحابة في علم عليٍّ لعجزت وضاق بي الوقت.

وأجيب عن السُّؤال الثَّاني بشيءٍ من أقوال عمر ﷺ في عليٍّ، من ذلك قوله: «لولا عليٌّ لهلك عمر»(٣)، قيل: إنَّه قالها في قضيَّة امرأةٍ ولدت لستَّة أشهرٍ، كان الخليفة قد أمر برجمها، فردَّ عليه عليٌّ ﷺ بالآية الكريمة: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فيجوز أن تلد المرأة لستَّة أشهرٍ.

وقال عمر ﷺ: «**عليٌّ أقضانا**»(٤).

وفيما رواه يحيى بن سعيد الأنصاريُّ عن سعيد بن المسيِّب قال سعيد: «**كان عمر يتعوَّذ من معضلةٍ ليس لها أبو حسن**»(٥).

وفي قضيَّة التَّاريخ الهجريِّ عندما اجتمع مجلس الشُّورى برئاسة عمر ﷺ، وكان قد جيء إليه بصكٍّ مكتوبٍ به الأداء في شعبان، وسأل عمر: أيُّ شعبان؟ أمن هذه السَّنة أم الَّتي قبلها أم الَّتي بعدها؟

وبدأ النَّاس في هذا المجلس مجلس شورى عمر يُدلي كلٌّ برأيه، فقال

---

(١) رواه البخاريُّ في التَّاريخ الكبير، رقم: (٧٦٧).
(٢) انظر: سير أعلام النُّبلاء، لشمس الدِّين الذَّهبيِّ (٢/ ٥٠٨).
(٣) انظر: منهاج السُّنة النَّبويَّة، لتقي الدِّين الحنبليِّ الدِّمشقيِّ (٦/ ٤١).
(٤) رواه أحمد، رقم: (٢١٠٨٤).
(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٤٦٧).

بعضهم: نؤرِّخ بتاريخ الفرس، وقال آخر: بتاريخ الرُّوم، وقال ثالثٌ: نؤرِّخ بالمولد النَّبويِّ، وقال رابعٌ: بل من المبعث، ثمَّ قال عليٌّ: بل نؤرِّخ من يوم هاجر رسول الله ﷺ من أرض الشِّرك إلى دار الإيمان، فإنَّه أظهر من المولد والمبعث. فهتف عمر مصوِّبًا رأي عليٍّ معجبًا به قائلًا: لا زلت موفَّقًا أبا الحسن[١].

وكان حادث هجرة محمَّد بن عبد الله سيِّد البشر من أبرز ما سجَّله تاريخ الإسلام من أحداثٍ، وكان أبلغها أثرًا في نفوس النَّاس.

اسم أبي هريرة

السُّؤال:

لماذا سُمِّيَ أبو هريرة بهذا الاسم؟

الجواب:

كان اسم أبي هريرة: عبد غنمٍ، أو عبد شمسٍ. وسمَّاه الرَّسول ﷺ: عبد الرَّحمن، أو عبد الله، على خلافٍ في الرِّوايات، وهو من دوس، وكان حليفًا لأبي بكر الصِّدِّيق، وقد سئل رضي الله عنه لم كُنِّيت بأبي هريرة؟ فقال: «كنت أرعى غنمًا لأهلي وأنا صغيرٌ، وكانت لي هِرَّةٌ صغيرةٌ كنت أصحبها في النَّهار، فإذا أمسى المساء وضعتها في شجرةٍ، وإذا كان النَّهار ذهبت بها معي ألعب بها، فكنَّوني أبا هريرةٍ»[٢].

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن كثير (٢/ ٢٨٨).
(٢) انظر: تدريب الرَّاوي، للسُّيوطيِّ (٢/ ٧٧٢).

وقال آخرون: إنَّ أبا هريرة كان اسمه: عبد شمسٍ، وكنيته: أبو الأسود، فسمَّاه الرَّسول ﷺ عبد الله، وكنَّاه أبا هريرة[١].

معنى ذلك أنَّ هذه الكنية أعطيت لأبي هريرة من الرَّسول ﷺ بدلًا من أبي الأسود.

على كلِّ حال بقي رضي الله عنه بهذه الكنية: (أبا هريرة) الَّتي غطَّت على اسمه فأخفته، ولم تزل ثابتة في كتب السُّنن والمواعظ كلِّها، والخلاف في اسمه الحقيقيِّ كثيرٌ، والله أعلم.

أوَّل فدائيَّين في الإسلام

السُّؤال:

من أوَّل فدائيَّة وأوَّل فدائيٍّ في الإسلام؟

الجواب:

أوَّل امرأة فدائيَّة في الإسلام هي أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق زوجة الزُّبير بن العوَّام ذات النِّطاقين الَّتي كانت تنقل الطَّعام إليهما[٢] في وقت كان المسلم فيه يتحمَّل أشدَّ الإيذاء، وهي امرأة لا تبالي في سبيل الله وسبيل رسوله أيَّ خطرٍ يترصَّد لها.

أسلمت مع أبيها يوم أسلم، وكانت تخاطر بنفسها لإخفاء أمر هجرة

(١) انظر: علوم الحديث ومصطلحه، للصَّالح (١/ ٣٦٠).
(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام (١/ ٤٨٦).

الرَّسول ﷺ وأبيها من قريش[١] حين طاردتهما إلى الغار وكانت تزوِّدهما بالطَّعام وتستكشف لهما حفائظ المشركين وتستطلع أخبارهم وتنقل إليهما أنباءهم وما يجري في مكَّة من لغو الماكرين وائتمار المؤتمرين قاطعة وحشة الطَّريق بشجاعة وإقدام لا تبالي في سبيل دينها ما سيجري أو ما ستلاقيه من أذى الأعداء.

أمَّا أوَّل فدائيٍّ في الإسلام من الرِّجال فهو الإمام عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فقد نام في فراش النَّبيِّ ﷺ في تلك اللَّيلة الَّتي ائتمر فيها المشركون وقرَّروا اغتيال النَّبيِّ ﷺ في بيته، وكان الَّذي في فراش النَّبيِّ ﷺ هو عليٌّ وحده وليس معه أحد فكان هو رضي الله عنه أوَّل فدائيٍّ في الإسلام افتدى الرَّسول ودعوته ورسالته العظيمة بنفسه[٢].

أمَّا بعد الهجرة فالفدائيُّون من الرِّجال كثيرون، والفدائيَّات من النِّساء كثيرات، أعزَّ الله بهم دينه، ونصر بهم جنده، وحقَّق بهم ولهم وعده؛ فمكَّن الله لهم وأظهرهم على غيرهم فكانوا خير أُمَّة أخرجت للنَّاس آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر حاكمة بالعدل راعية بالحقِّ ناشرة للعلم قائدة إلى الخير تعمل الصَّالحات وتهدي إلى النُّور وتبدِّد حلك الظُّلمات، رضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام (١/ ٤٨٧).
(٢) انظر: شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطَّحاويِّ (١٥/ ٥).

أوَّل من رمى بسهم في الإسلام

السُّؤال:

من أوَّل من رمى بسهمٍ في الإسلام؟

الجواب:

لا أدري، إن كان السَّائل يقصد بالسُّؤال: رمى أو رُمِيَ، إنَّ أوَّل من رمى بسهم في الإسلام هو عبيدة بن الحارث بن عبد المُطَّلب، بعثه النَّبيُّ ﷺ قائد سريَّة عدد رجالها ثمانون مقاتلًا تعترض عيرًا للمشركين فيها مئتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ بين مكَّة والمدينة، فكان بين المسلمين - بقيادة عبيدة - وبين المشركين رميٌ بالنِّبال إلى أن هرب المشركون ولم يتبعهم المسلمون، وفرَّ من المشركين يومئذ المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان، أسلما ولحقا بالمسلمين.

وأوَّل من قُتِل في معركة في الإسلام عبيدة بن الحارث بن عبد المُطَّلب، قُتِل في غزوة بدر، فعندما تراءت الفئتان؛ فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، برز إلى المعركة في صفوف المشركين عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة، وخرج لهم من صفوف المسلمين حمزة بن عبد المُطَّلب وعبيدة بن الحارث وعليُّ بن أبي طالب وبارز عليٌّ الوليد، وبارز حمزة شيبة، وبارز عبيدة عتبة، فقتل حمزة شيبة وقتل عليٌّ الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بضربتين، كلاهما أصاب صاحبه، وكرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة فقتلاه، وحُمل عبيدة من بين الصُّفوف جريحًا ينزف الدَّم من ساقه وأضجعوه إلى جانب الرَّسول ﷺ فأفرشه قدمه الشَّريف حتَّى مات

في يومه، فكان عبيدة بن الحارث أوَّل من قُتل في معركة في الإسلام[١].

أمَّا أوَّل من قتل تعذيبًا في الإسلام فهما ياسر وزوجته سميَّة والدا عمَّار بن ياسر اللَّذان عُذِّبا في الإسلام حتَّى ماتا، وبشَّرهما النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة، فعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كان عمَّار بن ياسر وأبوه وأمُّه أهل بيت إسلام، وكان بنو مَخْزُوم يعذِّبونهم، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**صبرًا يا آل ياسر، فإنَّ موعدَكُمُ الجنَّة**»[٢]، قال: وكان اسم أمِّ عمَّار بن ياسر سُميَّة بنت مسلم بن لخم.

هل تزوَّجت خديجة قبل زواجها بالنَّبيِّ ﷺ؟

السُّؤال:

هل كانت أمُّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها متزوِّجَةً قبل زواجها برسول الله ﷺ؟

الجواب:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ هي أمُّ المؤمنين، زوجة سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيِّين محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيٍّ[٣].

يجتمع نسبها مع النَّبيِّ ﷺ في قصيٍّ بن كلابٍ الأب الرَّابع لها،

(١) انظر: الرَّوض الأنف، للسُّهيليِّ (٥/ ٢٠٢).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٥٦٤٦).
(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام (٢/ ٨).

والأب الخامس للنَّبيِّ ﷺ.

تزوَّجها قبل النَّبيِّ أبو هالة بن زرارة من بني تميم، وتزوَّجها عتيق بن عائذ من بني مخزوم، واختلف في الأوَّل منهما، ولم يتزوَّج النَّبيُّ ﷺ قبلها، وهي أوَّل نفسٍ آمنت بالنَّبيِّ ﷺ، وبذلت في سبيل الدَّعوة مالها وجهدها.

ولدت للنَّبيِّ ﷺ أولاده كلَّهم إلَّا إبراهيم، فولدت القاسم وعبد الله وماتا طفلين، وولدت زينب ورُقيَّة وأمَّ كلثوم وفاطمة؛ وأعمارهم حسب التَّرتيب الَّذي ذكرناه.

تزوَّج أبو العاص بن الرَّبيع بزينب، وتزوَّج عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب برقيَّة وأمِّ كلثوم ابنتَي محمَّد ﷺ، ولَمَّا نزلت سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: ١] أمر أبو لهب ابنيه أن يطلِّقا ابنتي الرَّسول ﷺ قبل الدُّخول بهما، وقال: رأسي من رأسكما حرامٌ إن لم تطلِّقا ابنتَي محمَّد(١).

فزوَّج النَّبيُّ ﷺ رُقيَّة لعثمان، وهاجر بها عثمان الهجرة الأولى إلى الحبشة، وظلَّت مع عثمان رضي الله عنها ومرضت في المدينة في أثناء سفر النَّبيِّ ﷺ والغزاة إلى بدرٍ، وتوفِّيت في أثناء رجوع النَّاس منها، وقيل: إنَّ زيد بن حارثة جاء إلى المدينة يبشِّر بالنَّصر، وقد فرغ النَّاس من دفنها رضي الله عنها، بعد ذلك زوَّج النَّبيُّ عليه السلام عثمان بأمِّ كلثوم وماتت عنده قبل وفاة أبيها وكذلك زينب.

أمَّا فاطمة وهي أصغر أولاد النَّبيِّ ﷺ من خديجة فقد زوَّجها النَّبيُّ

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١٠٦٠).

ﷺ بأمر الله إلى عليِّ بن أبي طالبٍ، وهي الَّتي انحصرت ذُرِّيَّة النَّبي ﷺ فيها؛ لأنَّ زينب أنجبت أُمامة وماتت أمامة ولم تنجب، ورقيَّة وأم كُلثوم لم تنجبا، أمَّا فاطمة فماتت بعد النَّبيِّ ﷺ بستَّة أشهرٍ، فعاش من ذرِّيَّتها الحسن والحسين، وعاش من ذرِّيَّة الحسن ابنه الحسن المثنَّى، وعاش من ذرِّيَّة الحسين ابنه عليٌّ زين العابدين، وبارك الله في ذرِّيَّتهما[1].

تسابق عائشة مع النَّبيِّ ﷺ

السُّؤال:

قرأ في مجلَّة إسلاميَّة أنَّ الرَّسول ﷺ خرج في بعض أسفاره ومعه زوجته عائشة، قالت عائشة: وكنت جاريةً لم أحمل اللَّحم، فقال الرَّسول ﷺ: «تقدَّموا»، فتقدَّموا، ثمَّ قال: «تعالي حتَّى أسابقك»، فسابقته فسبقته، قالت: حتَّى إذا حملت اللَّحم وكنَّا في سفرةٍ أخرى قال ﷺ: «تقدَّموا»، ثُمَّ قال: «تعالي أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل ﷺ يضحك، ويقول: «هذه بتلك»[2]. ويسأل عن صِحَّة هذا الكلام.

الجواب:

أرجو أن يعلم السَّائل أنَّ النَّبيَّ ﷺ بشرٌ مثلنا، وكونه أُرسل لهداية النَّاس وتعليمهم حياة الجدِّ والعمل لا يعني أنَّ حياته كانت خاليةً من شيءٍ يُدخِل به السُّرور على أهله وخاصَّته.

---

(١) انظر: السُّنن الكبرى، للبيهقيِّ (٧/ ١١١).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٦٢٧٧).

والنَّبيُّ ﷺ زوجٌ وأبٌ، وعليه واجباتٌ تجاه الزَّوجة والأولاد، وكان يعرف هذه الواجبات.

وقد حمل النَّبيُّ ﷺ بنت ابنته زينب وهو يُصلِّي، فممَّا رُوِيَ في هذا: «**خَرَجَ علينا النَّبيُّ ﷺ، وأُمامةُ بنتُ أبي العاصِ على عاتقه، فصلَّى، فإذا رَكَعَ وَضَعَ، وإذا رَفَعَ رَفَعَهَا**»(١).

وفي يوم من الأيَّام: «**خرج رسولُ الله ﷺ في إحدى صلاتَي العشيِّ، وهو حاملٌ حَسَنًا أو حُسينًا، فتقدَّم النَّبيُّ ﷺ فوضعه، ثُمَّ كَبَّرَ للصَّلاة، فصلَّى، فَسَجَدَ بين ظهرَي صلاته سجدةً أطالها، قال أبي: فَرَفَعتُ رأسي فإذا الصَّبيُّ على ظهرِ النَّبيِّ ﷺ وهو ساجدٌ، فَرَجَعتُ إلى سجودي، فلمَّا قضى رسولُ الله ﷺ الصَّلاةَ، قال النَّاس: يا رسول الله، إنَّكَ سَجَدتَ بين ظهرَيْ صلاتِكَ سجدةً أَطَلتَها حتَّى ظننَّا أنَّه قد حَدَثَ أمرٌ، أو أنَّهُ يُوحَى إليك، قال: «كُلُّ ذلك لم يكن ولكنَّ ابني ارتَحَلَنِي، فكرِهتُ أن أُعجِّلَهُ حتَّى يقضيَ حاجته**»(٢).

وثبت أنَّه ﷺ «**كان بشرًا من البشر يفلي ثوبَه، ويَحلُبُ شاتَهُ، ويَخدُمُ نفسَه**»(٣)، و«**يَخِيطُ ثوبه، ويَخصِفُ نَعلَهُ**(٤)، **ويعملُ ما يعمل الرِّجال في بُيُوتهم**»(٥)، وكان يحمل مع أصحابه الطِّين والحجارة لبناء المسجد، فقد

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٩٦)، ومسلم، رقم: (٥٤٣).
(٢) رواه النَّسائيُّ، رقم: (٧٣١).
(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٦١٩٤).
(٤) يخصف نعله؛ أي: كان يخرزها، من الخصف: الضَّمِّ والجمع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٨).
(٥) رواه أحمد، رقم: (٢٤٩٠٣).

روي أنَّه ﷺ أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأٍ من بني النَّجَّار فقال: «**يا بني النَّجَّار ثامنوني بحائطكم هذا**»، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلَّا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خربٌ وفيه نخل، فأمر النَّبيُّ ﷺ بقبور المشركين، فنُبِشَت، ثمَّ بالخرب فسُوِّيت، وبالنَّخل فقُطِعَ، فصفُّوا النَّخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصَّخر وهم يرتجزون والنَّبيُّ ﷺ معهم(١).

والخبر الَّذي سأل عنه السَّائل صحيحٌ، وهذا ممَّا يؤيِّد أنَّ النَّبيَّ ﷺ واحدٌ من البشر، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، وهو زوجٌ ووالدٌ.

وعمل النَّبيِّ هذا تعليمٌ لنا لنقتدي به في أعماله؛ حتَّى لا نكون جبَّارين على نسائنا، شياطين في بيوتنا، قساةً على أولادنا.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أم كُلثوم زوجة عمر

السُّؤال:

من أمُّ كلثوم الَّتي تزوَّجها عمر؟

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٢٨).

الجواب:

ذُكِرَ أنَّ الجوزيَّ رضي الله عنه قال في كتابه المسمَّى «تاريخ عمر» عن الزُّبير بن بكَّار: خطب عمر أمَّ كلثوم من عليِّ بن أبي طالبٍ، فقال له عليٌّ: إنَّها صغيرةٌ، فقال عمر: زوِّجنيها يا أبا الحسن، فإنِّي أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحدٌ، فقال عليٌّ: إن رضيتها زوَّجتكما، إلى أن قال: فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين، فجلس إليهم، فقال لهم: رفِّئوني رفِّئوني؛ فقال: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال تزوَّجت أمَّ كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ نسبٍ وسببٍ ينقطع يوم القيامة، إلَّا ما كان من سببي ونسبي، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسبٌ وسببٌ**»(١).

فرفَّؤوه، فولدت له زيدًا ورقيَّة(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّ أمَّ كلثوم هذه من نسل فاطمة رضي الله عنها؛ لأنَّ النَّسب يجمع عمر برسول الله ﷺ في كعب بن لؤيٍّ الجدِّ السَّابع للنَّبيِّ ﷺ، والسَّبب هو الذَّريعة أو ما يتوصَّل به إلى غيره، ولعلَّه يقصد بذلك زواج النَّبي ﷺ من بنته حفصة أو يقصد الإسلام.

ورفَّؤوه: مأخوذٌ من الرَّفاء، والرَّفاء معناه: الالتئام والاتِّفاق كما يرفَّأ الثَّوب(٣) بين سداه ولحمته(٤)، وعندما يهنِّئ النَّاس أحدًا لزواجه يقولون

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٤٦٨٤).
(٢) انظر: إمتاع الأسماع، للمقريزيِّ (٥/ ٣٧٠).
(٣) رفأ الثَّوب: لَأَمَ خرقه وضمَّ بعضَه إلى بعضٍ، وأصلح ما وَهَى منه. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١/ ٢٤٧).
(٤) لُحمَةُ الثَّوب: الأعلى، والسَّدى: الأسفل من الثَّوب. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٣/ ٤٠٣).

له: بالرَّفاء والبنين؛ أي: يدعون له ولعروسه بالاتِّفاق والوئام وإنجاب الذُّرِّيَّة.

الباب السَّابع

مع أسئلة عن ديانات، وأمور إسلاميَّة، ومذاهب ديانات

مهابط الرِّسالات السَّماويَّة

السُّؤال:

لماذا نزلت الرِّسالات السَّماويَّة في شبه جزيرة العرب دون غيرها من البلدان؟

الجواب:

لم يرد نصٌّ ثابتٌ يُحدِّد مبعث الرِّسالات من قلب شبه جزيرة العرب، وقد ذكر كتاب الله ﷻ قصص بعض الأنبياء، وقال: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غَافر: ٧٨].

ويمكن إرجاع سبب نزول الرِّسالات السَّماويَّة في شبه جزيرة العرب إلى الأسباب الآتية:

١ـ إنَّ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السَّلام رفعا قواعد البيت في مكَّة حيث كان البيت الحرام فيما بعد قبلة المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧].

٢ـ إنَّ النَّبيَّ إبراهيم الخليل بعث لقومه من العراق، والأنبياء داود وسليمان وعيسى بعثوا من فلسطين.

٣ـ إنَّ منطقة آسيا الَّتي تقع بها جزيرة العرب تضمُّ مدن العراق وسوريَّة واليمن، وهذه المدن قامت بها حضاراتٌ قديمةٌ ساعدت في تقدُّم الإنسان وتحضُّره؛ ففي العراق أقام السَّومريُّون حضارةً عظيمةً في سهل شنعار تجلَّت في بناء المدن والحصون والزِّراعة والتِّجارة والمعادن الكريمة.

وفيها أيضًا وُجد حَمُورَابِي من أشهر ملوك بابل ومن سلالة العمُّوريِّين، فعُرف بتشريعاته وقوانينه الَّتي عُثر عليها في مطلع القرن الحاليِّ، وهي مجموعة قوانين أوجدها قبل مولد المسيح عليه السلام بألفي سنةٍ، وهي تُحدِّد في موادِّها العلاقات للأفراد وطبقات الشَّعب جميعها، وتُحدِّد القوانين المدنيَّة والتِّجاريَّة والأحوال الشَّخصيَّة.

وفيها أيضًا أقام الأَشُورِيُّون إمبراطوريَّةً كبيرةً، وكانت لهم حضارةٌ عظيمةٌ في مختلف الميادين.

وفي سوريَّة أقام الفينيقيُّون حضارةً واسعةً في أكثر من ميدانٍ؛ ومنها تأسيسهم مدن صور وصيدا وبيروت وجبيل وأرواد.

وفيها أيضًا عمل الأراميُّون على نصيبٍ ملحوظٍ من الحضارة القديمة في الصِّناعة والتِّجارة والعمارة والفنون والأدب الدِّينيِّ والفكريِّ.

أمَّا اليمن وحضرموت فقد أسهمت بنصيبٍ طيِّبٍ من الحضارات والازدهار، لا سيَّما في مجالي الزِّراعة والتِّجارة، وساعد اليمنَ في قيامها بهذه الحضارة الَّتي اشتهرت بها في ذلك العصر موقعُها الطَّبيعيُّ الممتاز.

وقد أسَّس هذه الحضارة والتَّقدُّم دولُ معين وسبأ وحمير، فكان لكلِّ دولةٍ من هذه الدُّول حضارةٌ جعلت لها شأنًا عظيمًا ومهيبًا.

ولعلَّ سدَّ مأرب كان من أشهر أعمال دولة سبأ الَّتي حكمتها الملكة بلقيس، وأكسب سبأ شهرةً واسعةً وغنًى عريضًا.

هذه معلوماتٌ نسجلِّها هنا في هذا المقام؛ لنبيِّن بها أنَّ هذه المنطقة الَّتي نزلت فيها الرِّسالات السَّماويَّة كانت من قبل منارًا لحضاراتٍ سابقةٍ

زاهرةٍ مؤثِّرةٍ ومراكز إشعاعٍ للتَّقدُّم والابتكارات على الرَّغم من اختلاف دياناتها وتباين نزعاتها وميولها الفكريَّة، والله تعالى أعلم.

لغات الكتب السَّماويَّة

السُّؤال:

المعروف أنَّ القرآن نزل على رسول الله ﷺ بلسان قومه؛ وهو اللِّسانُ العربيُّ الَّذي بلغ فيه العرب شأوًا[1] بعيدًا من الفصاحة والبلاغة والبيان، والرَّسول ﷺ سبقه أنبياء ورسل كثيرون، فهل كانت الكتب السَّماويَّة الَّتي جاؤوا بها لأقوامهم مثل: الزَّبور والتَّوراة والإنجيل بلغة عربيَّة أيضًا، أم جاؤوا بلغات يفهمها أقوامهم؟

الجواب:

الرُّسل كثيرون؛ فمنهم من ذكرهم الله في القرآن الكريم، ومنهم من لم يذكرهم، فكما يقول القرآن: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والدَّعوة الَّتي كانوا يدعون إليها هي توحيد الله بتحقيق كلمة: لا إله إلَّا الله.

ولقد كانت ألسنة هؤلاء الأقوام مختلفةً، فجاء كلُّ رسولٍ بلسان قومه، كما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ

(١) الشَّأو: الشَّوط والغاية. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٤١٧).

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

وإلَّا فكيف يتفاهم الرَّسول مع قومه لو أنَّه أُرسل إليهم بغير لسانهم الَّذي يتخاطبون به؟!

أمَّا لغة أبينا آدم ولغات غيره من الرُّسل والأنبياء فلا نعلم عنها شيئًا؛ إذ لو كان فيها فائدةٌ لنا لذكرها الله، لكنَّ الَّذي لا شكَّ فيه أنَّ تلك اللُّغات لم تكن عربيَّة؛ لأنَّ اللُّغة العربيَّة جاءت بعد آدم عليه السلام بزمنٍ طويلٍ لا يعلمه إلَّا الله.

أمَّا الكتب السَّماويَّة المنزَّلة على موسى وعيسى عليهما السَّلام فلم تنزل باللُّغة العربيَّة، ولكنَّها ترجمت حرفيًّا إلى لغاتٍ شتَّى بعد مدَّةٍ طويلةٍ تجاوزت القرون؛ ولهذا لم تكن كأصلها المنزَّل من عند الله، وقد ذكر القرآن ذلك عن اليهود بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾ [البَقَرَة: ٧٩].

ولم يذكر التَّاريخ لنا شيئًا عن العرب حتَّى زمن إسماعيل عليه السلام عندما رحل أبوه إبراهيم عليه السلام مع أمِّه هاجر إلى وادي مكَّة، ثمَّ ظهر لهما بئر زمزم، وعُرفت قبيلة جرهم، تلك القبيلة الَّتي ساكنت إسماعيل وأمَّه، ثمَّ صاهرها حين تزوَّج منها(١).

وقد ذكر المؤرِّخون أنَّ العرب يُقسمون ثلاثة أقسامٍ: عربٌ بائدةٌ، وعربٌ عاربةٌ، وعربٌ مستعربةٌ(٢).

---

(١) انظر: الكامل في التَّاريخ، لعزِّ الدِّين ابن الأثير (١/ ٩٣).
(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٧).

أمَّا العرب البائدة فهي الَّتي انقرضت كثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، وقبيلتَي طسم وجديس، وذكر القرآن ثمودَ وعادًا في سورة الحاقَّة: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحَاقَّة: ٥-٦]، وأمَّا طسم وجديس فأُهلكوا بحربٍ فيما بينهم لم تبق منهم باقيةٌ.

وأمَّا العرب العاربة فهم عرب اليمن وهم بنو قحطان.

وأمَّا العرب المستعربة فهم عرب الحجاز، وهم ذرِّيَّة إسماعيل، ومنهم قبيلة جرهم الَّتي صاهرها إسماعيل كما أسلفنا[1].

وكانت اللُّغة العربيَّة لهجاتٍ متعدِّدةً ربَّما لا أبالغ إذا قلت: إنَّ الحجازيَّ لا يستطيع فهم لغة اليمنيِّ أو الحضرميِّ كما الحال الآن، ولكنَّ الفضل يرجع إلى القرآن الكريم الَّذي أُنزِلَ بلسانٍ عربيٍّ، فقد وحَّد اللُّغة، وألَّف بين اللَّهجات المختلفة، وأصبح الوساطة الوحيدة الَّتي تربط بين شرق البلاد العربيَّة وغربها، فوحَّد ثقافتهم وأفكارهم وآدابهم.

وسيأتي إن شاء الله الزَّمن الَّذي يربط فيه القرآن بين البلاد الإسلاميَّة كلِّها في الوطن الإسلاميِّ الكبير؛ إذ لا منجاة ولا ملجأ ولا سلامة ولا حُرِّيَّة ولا وحدة حتَّى يسود القرآن وتعلو كلمة الله معه.

(١) انظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي (١/ ٢٩٤).

الدِّينُ الإسلاميُّ دعوة الأنبياءِ جميعًا

السُّؤال:

لماذا أرسل الله الأنبياء جميعًا من لدن آدم إلى خاتمهم محمَّد ﷺ بالدِّين الإسلاميِّ؟ وهل لغات الأنبياءِ كلِّهم واحدةٌ؟

الجواب:

أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله جميعهم بدعوةٍ واحدةٍ هي: الدِّين الإسلاميُّ؛ لأنَّ الإسلام معناه: الإذعان والخضوع والاستسلام، والإسلام هو: إسلام الوجه لله وحده في كلِّ شيءٍ دون اتِّخاذ شريكٍ له، وهذا هو جوهر الرِّسالات ولبُّ الدَّعوات جميعها، فإذا أسلم الإنسان وجهه لله في أمور حياته الخاصَّة والعامَّة وأذعن[1] لما جاء به رسلُ الله وأنبياؤه من الحقِّ، صلحت الحياة وطابت واستقام كلُّ أمرٍ من أموره؛ لأنَّه بمقتضى هذا الاستسلام والإذعان يتصرَّف في حياته على أساسٍ من مراقبة الله وبوحيٍ من خشيته وتحرِّي رضاه.

ولقد كان النَّبيُّ أو الرَّسول يدعو قومه أوَّلًا إلى الإذعان والتَّسليم والانقياد لله وحده، وهذا يعني أن يترك الإنسان دعوة غير الله من المخلوقين، ويتعرَّف اللهَ وحده، ويفرده بالدَّعوة والطَّاعة والذُّلِّ والحبِّ، فإذا رسخ الإسلام في قلبه على هذا النَّحو وحَسُنَ إسلامه دعا النَّبيُّ قومه إلى ما تحويه رسالته من الفروع، وهي الأحكام والتَّشريع.

---

(١) أذعن: خضع وذلَّ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٥/ ٦٢).

ويقصُّ علينا القرآن كيف كان الإسلامُ دعوة الأنبياء جميعًا، فيقول الله في شأن إبراهيم الخليل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحجّ: ٧٨]، ويقول فيه أيضًا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ويقول الله في شأن آل يعقوب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال تعالى في شأن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام في كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النّمل: ٣١].

وقال في شأن ملكة سبأ عند إيمانها بدعوة سليمان: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النّمل: ٤٤].

وقال الله على لسان حواريِّ عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقد كان وحي الله إلى نبيِّه محمَّد ﷺ أن أوحى إليه كما أوحى إلى النَّبيِّين من قبله بدعوة الإسلام، فقال جلَّ من قائلٍ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا

﴿١٦٣﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

أمَّا اللُّغات فلم يختصَّ الله نبيًّا من الأنبياء بلغةٍ، إنَّما كانت اللُّغة العربيَّة خاصَّةً بالنَّبيِّ ﷺ، أمَّا بقيَّة الأنبياء فكلُّ نبيٍّ أُرسل بلسان قومه، وقد ذكر الله ذلك في كتابه بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

وحكمة الله تقضي ذلك، إذ كيف يكون التَّفاهم بينهم إذا أرسل الله إليهم نبيًّا بلغةٍ غير لغتهم؟!

لماذا ختم الله بالإسلام دينه؟

السُّؤال:

لماذا ختم الله بالإسلام دينه، وجعل محمَّدًا خاتم الأنبياء والمرسلين؟

الجواب:

قال الله تعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

والأديان الَّتي بعث الله بها الأنبياء جاءت لتنظِّم حياة الإنسان، وأوَّل هذا التَّنظيم إرشاد البشر إلى عبادة الخالق وحده، بحيث يتنزَّه البشر عن عبادة مخلوقٍ مثله؛ إذ إنَّ الله خلق الإنس والجنَّ ليعبدوه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

وكلَّما تطوَّر العقل البشريُّ احتاج الإنسان إلى تطوير حياته ونظام معيشته ونظام مجتمعه.

وجاء محمَّد ﷺ والبشريَّة قد وصلت - أو كادت أن تصل - إلى تمام رشدها، فكانت رسالته بيسرها في تشريعها واستقامة أهدافها ومناهجها وقوَّة حجَّتها، ثمَّ شمولها لسائر المصالح الاجتماعيَّة العامَّة والخاصَّة؛ العامَّة في نظام الدَّولة والمجتمع، والخاصَّة في البيت والأسرة.

وليس في الشَّريعة الإسلاميَّة شريفٌ ووضيعٌ، ولا فضل لذَكَرٍ على أنثى، ولا لكبيرٍ على صغيرٍ، ولا لسيِّدٍ على مسودٍ، ولا لأميرٍ على سوقة، إنَّما الفضل لمن عمل صالحًا واتَّقى، كما ورد ذلك في حديث الرَّسول ﷺ: «يا أيُّها النَّاس، أَلا إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتَّقوى»[1]؛ لهذا كانت الشَّريعة الإسلاميَّة أو الدِّيانة الإسلاميَّة خاتمة الأديان؛ لأنَّها جاءت كاملةً شاملةً، فهي في القلب عقيدةٌ، وفي المسجد صلاةٌ ومصحفٌ، وفي البيت معاشرةٌ بين الوالد وولده والزَّوج وزوجته، وفي السُّوق معاملةٌ وتعاملٌ، وفي المصنع عملٌ وإنتاجٌ وخيرٌ للنَّاس وقوَّةٌ لبلادهم، وفي الميدان قيادةٌ وجهادٌ، وفي المحكمة قضاءٌ وعدلٌ، وفي الدِّيوان نظامٌ وسيادةٌ ورئاسةٌ وملكٌ.

والمسلمون أمَّةٌ وسطٌ؛ والوسط هو الخيار؛ لأنَّ الزِّيادة على المطلوب في الأمر إفراطٌ، كما أنَّ النَّقص فيه تفريطٌ وتقصيرٌ، وفي

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٤٨٩).

الإفراط والتَّفريط ميلٌ عن جادَّة الطَّريق وانحرافٌ نحو الخطأ.

المسلمون أمَّةٌ وسطٌ، جعلهم الله أمَّة وسطًا في التَّنظيم؛ لأنَّ شريعة الإسلام تكفل نظام الحياة بالتَّشريع السَّماويِّ.

وهي أمَّة وسطٌ في العقيدة والعبادة والعمل؛ فتعمل لترقية الحياة مع امتداد الحياة.

وهي أمَّةٌ وسطٌ في الزَّمان؛ فقد انتهى عهد الطُّفولة البشريَّة، وجاءت الشَّريعة الإسلاميَّة وقد تمَّ الرُّشد العقليُّ الإنسانيُّ لتنفض عنه ما علق به من أوهامٍ وخرافاتٍ في عهد طفولته الأولى، وتسير به إلى الصِّراط المستقيم السَّويِّ، وإلى النَّماء المستمرِّ.

هي أمَّةٌ وسطٌ في كلِّ دربٍ من دروب الحياة بلا تفريطٍ ولا إفراطٍ، وأمَّةٌ هذه صفاتها جديرةٌ بأن تكون خير أمَّةٍ أخرجت للنَّاس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقود إلى الحقِّ وتحكم بالعدل؛ وتهدي للَّتي هي أقوم لكلِّ شأنٍ من شؤون الدُّنيا.

ثمَّ إنَّ شريعة الإسلام كانت في كلمتين اثنتين أوَّل ما جاءت؛ الأولى: لا إله إلا الله؛ وبهذه الكلمة نفت العبوديَّة عن الإنسانيَّة ونقلت هذه العبوديَّة إلى خالقها وحده لا شريك له، فليس الإنسان عبدًا لأخيه الإنسان ولا لأيِّ أحدٍ من المخلوقات مهما عظم شأنه وسمَت مكانته، فالله الخالق هو المعبود وحده، وهو المؤلَّه وحده، وهو المقصود في أحوال البشر كلِّها.

والكلمة الثَّانية أنَّنا نؤمن إيمانًا بأنَّ محمَّدًا رسول الله؛ فكلُّ ما جاء به هذا الرَّسول ﷺ هو من عند الله، فشريعة الإسلام شريعة الله؛ وأمره أمر

الله؛ والخير كلُّ الخير في أن نتَّبع ما أرسله به الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

والعمل بهذه الشَّريعة حياةٌ وعزٌّ وكرامةٌ، والإعراض عنها رجوعٌ إلى الوراء وانحطاطٌ وتسفُّلٌ وخسرانٌ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ثمَّ إنَّ رسالات الرُّسل قبل محمَّدٍ ﷺ كانت خاصَّةً لأمَّةٍ واحدةٍ أو لشعبٍ أو لبلدٍ، أمَّا رسالة محمَّد ﷺ فهي عموميَّةٌ شاملةٌ لكلِّ ما جاء به الرُّسل منذ نوحٍ إلى عيسى عليهم السَّلام، ومصدِّقة لكلِّ من سبقه منهم، وإنَّها جاءت موافقةً لما وصل إليه العقل البشريُّ والفكر الإنسانيُّ حينذاك من تطوُّرٍ واستعدادٍ.

وأخيرًا فالشَّريعة الإسلاميَّة كرَّمت الإنسان ورفعت مكانته، وليس فيها تفضيل إنسانٍ على إنسانٍ إلَّا بالتَّقوى، وفي هذا يقول المولى تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فليس في الشَّريعة الإسلاميَّة تفاضلٌ بين لونٍ ولونٍ، وبين جنسٍ وجنسٍ.

أمورٌ إسلاميَّة

الفرق بين الإسلام والإيمان

السُّؤال:

ما الفرق بين الإسلام والإيمان؟ وهل إسلامٌ بلا إيمان؟

الجواب:

الإسلام معناه: الإذعان والخضوع والاستسلام، أمَّا الإيمان فمعناه: التَّصديق بالقلب.

معنى ذلك أنَّ الإنسان حين يعلن الإيمان يجب أن يكون مسلمًا أوَّلًا؛ أي: أن يسلم وجهه لله إذعانًا وانقيادًا وطاعةً.

وقديمًا - في فجر الإسلام - ادَّعى الأعراب أنَّهم آمنوا؛ قالوها بلسانهم فقط دون أن تصدِّقها قلوبهم ودون أن يخالط الإسلام وجدانهم ويصاحب قولهم ما يدلُّ على أنَّ الإيمان تمكَّن في نفوسهم، فقصَّ علينا القرآن قولهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجرَات: ١٤]. هكذا قالت الأعراب، فردَّ عليهم القرآن ادِّعاءهم وقولهم المجرَّد من الخضوع والاستسلام والإذعان: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٤]؛ أي: إنَّهم قالوا: آمنَّا. باللِّسان فقط دون أن يكون ذلك عن إيمانٍ حقيقيٍّ بالإسلام، وهم لم يشعروا بالإيمان ولم يخالط نفوسهم ولم يظهروا ما يجب أن يظهروه من آثار الإيمان؛ وهو

الدِّفاع عن المسلمين، وردُّ العدوان عن الإسلام، والمشاركة فيما يعود على الإسلام بالقوَّة والنَّصر.

إنَّ القرآن قال لهم: أسلِموا إسلامًا حقيقيًّا؛ أسلِموا بمبادئه وعقائده وأحكامه؛ أسلموا أموركم وأحوالكم كلَّها لله، وعندما تشعر نفوسكم بهذا كلِّه وتختلط به قلوبكم حينئذ قولوا آمنَّا؛ لأنَّ الإيمان سيكون إسلامًا حقيقيًّا.

فالإسلام - إذن - يجب أن يسير جنبًا إلى جنبٍ مع الإيمان، وكلاهما مكمِّلٌ للآخر، فإذا تحقَّق ذلك اكتمل للإنسان إسلامه وإيمانه.

مصير أهل الفترة

السُّؤال:

من المعروف أنَّ الجنَّة أُعِدَّت للصَّالحين المؤمنين، والنَّار أُعِدَّت للكفَّار والمشركين، وقد آمنَّا بأنَّ يوم القيامة آتٍ لا ريبَ فيه، وأنَّ الحسابَ لا بُدَّ منه، وأنَّ مَن عَمِلَ صالحًا فجزاؤه الجنَّة، ومَن عَمِلَ شرًّا فجزاؤه جهنَّم، والعياذ بالله.

لكن في هذا العصر هناك مَن لم تصلهم الدَّعوة، ويجهلون الحقَّ؛ كسكَّان أوساط إفريقيَّة وهنود أمريكا وأوساط الصِّين، فهؤلاء قومٌ لم تصلهم الدَّعوة الإسلاميَّة، والله ﷻ لا يَظْلِمُ أحدًا من خَلْقِهِ، فأينَ مُسْتَقَرُّ هؤلاء يوم القيامة؟

الجواب:

إنَّ اللهَ ﷻ لا يَظْلِمُ النَّاس شيئًا، وقد بَعَثَ الأنبياءَ للنَّاس يدعونهم إلى الحقِّ، فمَن وصلته الدَّعوة أخذ بالحجَّة، ومن لم تصِله فلا حجَّة عليه، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النِّسَاء: ١٦٣-١٦٥]، ثمَّ يقول ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

معنى ذلك أنَّ الله تعالى أرسل الرُّسُلَ إلى النَّاس؛ لتخليصهم من الجهل، وإرشادهم إلى الصَّواب، وتطهير عقولهم من الخرافات، وقطع حجَّتِهم بالبيِّنَة والدَّليل والبرهان.

ولهذا اقتضت الحكمة الإلهيَّة أن يُرْسَلَ كلُّ رسولٍ بلسانِ قومِهِ ولغتهم؛ ليفهموه إذا دعاهم ويفهمهم إذا حاجُّوه وسألوه البرهان والدَّليل.

والدِّين وضعٌ إلهيٌّ موافق لسُنَنِ الفِطْرَةِ، ينظِّمُ الحياةَ، ويزكِّي النُّفوس ويُعِدُّها للحياة الآخرة في عالم القدس الأبديِّ.

فمَن لم تصلهم الرِّسالة فلا عذابَ عليهم؛ لأنَّ اللهَ لا يُعَذِّب أحدًا إلَّا بما يصيبه من ظُلْم لنفسه نتيجة عناده وجحوده، إنَّ اللهَ ﷻ لا يُعَذِّب أحدًا إلَّا بعد إرسال الرُّسل وإقامة الحجَّة وتقديم الدَّليل.

وقد قالَ الإمام الغزاليُّ رحمه الله: النَّاس بعد بعثة الرَّسول ﷺ أصنافٌ ثلاثةٌ:

١. مَن لم تبلغهم دعوته ولم يسمعوا به أصلًا، وأولئك مقطوعٌ لهم بالجنَّة.

٢. مَن بلغتهم دعوته وظهور المعجزات على يديه، وما كان عليه ﷺ من الأخلاق العظيمة والصِّفات الكريمة، ولم يؤمنوا به، كالكفرة الَّذين بين ظهرانينا، وأولئك مقطوع لهم بالنَّار.

٣. مَن بلغتهم دعوته ﷺ وسمعوا به، ولكن كما يسمع أحدنا بالدَّجَّالين، وحاشا قدره الشَّريف من ذلك، وهؤلاء أرجو لهم الجنَّة إذا لم يسمعوا ما يرغِّبهم في الإيمان به[١].

وفي الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أربعةٌ يوم القيامة: رجلٌ أصمُّ لا يسمعُ شيئًا، ورجلٌ أحمقُ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ ماتَ في فترةٍ، فأمَّا الأصمُّ فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلامُ وما أسمعُ شيئًا، وأمَّا الأحمق فيقول: ربِّ، لقد جاءَ الإسلامُ والصِّبيَانُ يحذفُونِي[٢] بالبعر، وأمَّا الهرمُ فيقولُ: رَبِّ، لقد جاءَ الإسلامُ وما أَعْقِلُ شيئًا، وأمَّا الَّذي ماتَ في الفَتْرَة فيقولُ: رَبِّ، ما أتاني لك رسولٌ، فيأخُذُ مواثيقهم ليطيعنَّه فيرسلُ إليهم: أن ادخلوا النَّارَ، قال: فوالَّذي نفسُ محمَّدٍ بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وابن حِبَّان عن الأسود بن سريع وأبي هريرة[٣].

وجملة القول: إنَّ الأحكامَ لا تثبتُ إلَّا بالشَّرع، وإنَّ عقل الإنسانِ لا يستطيعُ أن يمارسَ وظيفتَهُ إلَّا إذا تعهَّدَ هذا العقلَ بالتَّعليم، والله ﷻ تعهَّدَ

(١) انظر: تفسير المراغيُّ، لأحمد مصطفى المراغيِّ (١٥/ ٢٥).
(٢) حذفه بالعصا: ضربه، ورماه بها. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٣/ ١٢١).
(٣) رواه أحمد، رقم: (١٦٣٠١)، وابن حبَّان، رقم: (٧٣٥٧).

بإرسال الرُّسل يتلون على النَّاس آياته ويعلِّمونهم ويرشدونهم، وبالعلم تُصْقَلُ العقول، وبه تميز الحسن من القبيح والنَّافِع من الضَّارِّ والصَّالح من الطَّالح، فمن وَعَى واتَّبع كان له من الله عونٌ، وكان عليه أن يُحْيِيَه حياةً طَيِّبَةً ويجزيه بأحسنِ ما عمل كما وعده، ووعده الحقُّ، ومن أبى وعَصَى كان مصيره سوءَ العقبى، وهذا ما أشار إليه ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

الإنسان بين الجبر والاختيار

السُّؤال:

هل الإنسان مُخَيَّر أم مُسَيَّر؟

الجواب:

يقول الله في كتابه العزيز: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، ومعنى ذلك أنَّ الإنسان مُخَيَّر، يَكْفُرُ بإرادته ويهتدي بمشيئته، ولا يتدخَّلُ أحدٌ في إرادته أو مشيئته.

وفي آيةٍ أُخرى يقول الله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]، فلو كان الإنسانُ مُسَيَّرًا لكان كسائر الحيوانات، ولا حاجة له في إرسال رسلٍ ولا بَعْثٍ ولا حِسَابٍ ولا نارٍ ولا جنَّةٍ ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ولا تعاليم سماويَّة ولا حاجة إلى عقل يميز به الحقَّ من الباطل، والهدى من الضَّلال.

فالله ﷻ خَلَقَ الإنسانَ من المادَّة نفسها الَّتي خَلَقَ منها الحيوان،

وأعطاه عقلًا ميَّزَه به على سائر الحيوانات، يَعْرِفُ بهذا العقل طريقَ الخيرِ وطريق الشَّرِّ، وفي هذا يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البَلَد: ٨-١٠] وبهذا العقل الَّذي به يهتدي ويميِّز قيَّدَه، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدَّثِّر: ٣٨]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسَان: ٣]، وقال أيضًا: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشَّمس: ٧-١٠] وقال: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسرَاء: ١٥].

الإنسان مُخَيَّر في كلِّ شيءٍ - ما في ذلك شكٌّ - إلَّا في الأجلِ؛ فأجَله محدودٌ، وفي الرِّزق؛ فرزقه مقدَّر، وفي كلِّ شيءٍ لا حولَ له فيه ولا قوَّة، وما عدا ذلك من الاكتساب فهو مُحَاسَبٌ عليه.

وليس في القرآن تناقضٌ، ولعلَّ السَّائلَ يعني أنَّ آيةَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبيَاء: ١٠١] وغيرها من الآيات الَّتي تُشْبِهُهَا تبيِّنُ أنَّ الإنسان مُسَيَّر مجبرٌ.

وأقول للسَّائل ردًّا على هذا: إنَّ الله ﷻ يعلم، وعلمُهُ أحاط بكلِّ شيءٍ، عَلِمَ بمقتضى علمه الأزليِّ أنَّ هذا الإنسان سيفسد وهذا سيصلح، فعلمه سابقٌ، وكلُّ شيءٍ كان في سابق علمه، وهذا العلم ليس فيه إكراهٌ ولا جبرٌ، إنَّما هو سَبْق علمٍ فحسب، وهذا معنى الآية الَّتي قد يستدلُّ السَّائل أو غيره بها على أنَّ الإنسان يعيش مُسَيَّرًا.

فقد يعلم الوالد من أولاده صلاحَ هذا وفسادَ ذلك، وليس ذلك غريبًا.

وواقع الحال أنَّ الإنسان مُكْتَسِبٌ؛ يكتَسِبُ الخيرَ والشَّرَّ، ولولا ذلك لكانَ كسائر الحيوانات يعيش فطرةً معيَّنةً في أكله وشربه وحياته وتزاوجه وتوالده وبيئته، فلا يتكيَّف ولا ينفعل ولا يتغيَّر، أمَّا الإنسان فشأنه غير ذلك، إنَّه يستطيع أن يتكيَّفَ مع كلِّ ظرفٍ، ويتغيَّر مع كلِّ وضعٍ، وينسجم والأقاليم الباردة أو الحارَّة، الرَّطبة أو الجافَّة، ويأكل ما يشاءُ ويلبَسُ ما يشاء، ويعمل بإرادته واختياره، فلا تقيِّده فِطْرَةٌ ولا جوٌّ ولا طبيعةٌ.

ويكفي أنَّ الإنسانَ لَمَّا استعمل هذا العقل اكتسب أشياءَ كثيرة كانت غائبة عنه، فاستطاع أن يخرج من نطاق الأرض الَّتي منها خُلِقَ إلى أجواءٍ بعيدةٍ غيرِ الَّتي يعيشُ فيها، واتَّخذَ لهذا الخروج وسائلَ يحفظ بها نفسه في خروجه ورجوعه، فنحن الآن في عصر الذَّرَّةِ والإلكترون والصَّواريخ الَّتي تجوب الفضاء.

ولولا هذا العقل الَّذي تحرَّكَ وانطلق يفكِّر ويعمل لبقِيَ الإنسانُ جامدًا كجمود الحيوان، فسبحانَ الله الَّذي كرَّمَ الإنسان بهذا العقل واستخلفه في الأرض!

كتابة البسملة في أوَّل كلِّ شيءٍ

السُّؤال:

ما البسملة؟ وما ألفاظها؟ وما حكم كتابتها في صدور الرَّسائل؟ وهل يجوز أن نقول: باسم الله العليِّ الأعلى، أو العليِّ القدير مثلًا؟

الجواب:

البسملة هي: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أو بسم الله، وقد ورد في الحديث الشَّريف قوله ﷺ: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأُ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أَبْتَرُ**»(١)، ومعنى الحديث أنَّ الإنسان يجب أن يبدأ بالبسملة قبل أن يفعل الشَّيء، وإلَّا صار لا بركةَ فيه، ومعنى بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: أستعين باسم الله الَّذي أنعمَ عليَّ بهذا الشَّيء الَّذي أفعله، فهو من سخَّرَه لمنفعتي، فيجب أن أذكر المُنْعِمَ قبل استعمال النِّعمة.

وقد ذَكَرَ بعضُ العلماء أنَّ كلمةَ التَّقوى في قول الله ﷻ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفَتْح: ٢٦] هي بسم الله الرَّحمن الرَّحيم(٢)، وعن زيد بن أسامة عن أبيه أسامة رضي الله عنه قال: كنت رديفَ النَّبيِّ ﷺ فعَثَرَتْ دابَّةٌ، فقلت: تَعِسَ الشَّيطانُ، فقال: «**لا تقل: تعس الشَّيطان، فإنَّك إذا قلت ذلك تعاظَمَ حتَّى يكون مثل البيت، ويقول: بقوَّتِي، ولكن قل: بسم الله، فإنَّك إذا قلتَ تصاغرَ حتَّى يكون مثل الذُّباب**»(٣).

ويكفي في فضل بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أنَّ الله بدأ كتابَهُ بها، ومحمَّد ﷺ الَّذي أمرنا الله أن نقتدي به كانت رسائله إلى كلِّ مَن يريد الكتابة إليهم تبدأ بالبسملة، ومِن قبله نبيُّ الله سليمانُ عليه السلام بدأَ كتابه إلى ملكةِ سبأ بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: ٣٠].

ومن السُّنَّة أن يبدأ الإنسان أعماله كلَّها بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١].

---

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٩٦٤).
(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العبَّاس الصُّوفيِّ (٥/ ٤٠٣).
(٣) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٨٢).

أمَّا السُّؤال عن جواز قول: باسم الله العليِّ القدير؛ فإنَّه لا مانعَ من ذلك؛ لأنَّ العليَّ القديرَ من أسماء الله الحسنى، فهو جلَّ جلاله الملك القدُّوس السَّلام، وهو الحيُّ القيُّوم، وهو الغفور الودود، والله جلَّ شأنه قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسرَاء: ١١٠].

ولكنَّ الواجب الَّذي علينا أن نتَّبِعَهُ في التَّسمية هو اللَّفظ الَّذي أنزله الله من عنده على محمَّد عبده ورسوله ﷺ، وارتضاه لبداية سور القرآن واستعمله النَّبيُّ ﷺ في حياته؛ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١].

سبيل الله يعني الجهاد وغيره

السُّؤال:

ماذا تعني كلمة: سبيل الله؟ وهل هي خاصَّة بالجهاد أم معناها عامٌّ لكلِّ بابِ خيرٍ؟

الجواب:

القرآنُ ذكر كلمةَ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٤] في مواضعَ عدَّة تزيد على الخمسين، ويُفْهَمُ القصد في كلٍّ منها من سياق الآية المذكورة بها، فهي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النِّسَاء: ١٠٠] يقصد منها: الفرار بالإيمان من بَلَدِ الكفرة أو من موطن الخرافة إلى بلد الأمن والإيمان والاستقرار والحرِّيَّة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ [الأعراف: ٨٦] يقصد منها: الإيمان أو الهداية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠] يقصد منها: الجهادُ والحربُ لإعلاء كلمة الإسلام.

والمعنى في الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، والآية الكريمة: ﴿ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨] خاصٌّ بالجهاد والإنفاق.

وهي في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠] عامَّة لأبوابِ الخير جميعها.

من هذا يُفْهَمُ أنَّ القرآن ذكر هذه الكلمة كثيرًا بمعانٍ مختلفةٍ، ومن سياق الآية المذكورة فيها السَّبيل يُفْهَمُ معناها ويُدرك مقصدها.

الاجتهاد في الدِّين وكيف يكون؟

السُّؤال:

من المعلوم أنَّ للاجتهاد فضلًا في جعل القواعد الفقهيَّة تُماشي الزَّمنَ، فهل للمسلمين أن يفتحوا بابه بعد غلقه هذه المدَّة الطَّويلة ليرتاح النَّاس من قيود التَّقليد والجمود؟

الجواب:

باب الاجتهادِ مفتوحٌ منذ عهد الرِّسالة، وما زال مفتوحًا أمامَ كثيرٍ من علماءِ المسلمين الأعلام الَّذين يعرفون صحيحَ النُّصوص وسليمها من ضعيفها وسقيمها، وأُحِبُّ أن يعلمَ الأخُ السَّائل الاجتهادَ في الدِّين، فالاجتهاد ليس مفتوحًا لشخصٍ لا يميز قولًا من قولٍ ولا يرجِّح حكمًا على حكمٍ، ولا يعرف الدَّليل الأقوى من الدَّليل الأضعف.

إنَّ الاجتهادَ ليس اختراعًا وابتكارًا تبعًا للهوى أو انتصارًا لقولٍ ورأي ضدَّ قولٍ ورأيٍ آخرَ، ولا تشريعًا يُبْتَدَعُ مسايرةً مع الزَّمن؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»(١)، ولا إلغاءَ حُكْمٍ إسلاميٍّ؛ لأنَّ تنفيذه لا يسايرُ الزَّمن ولا يوافق ما أَلِفَهُ النَّاس من المستحدثات، فمن أحدثَ في الإسلام أمرًا ليس من الإسلام فهو مردودٌ عليه، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث: «**مَن أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منهُ فهو رَدٌّ**»(٢)، لكنَّ الاجتهادَ ترجيحُ قولٍ على قولٍ بالأخذ بقوَّةِ الدَّليل ووضوح البرهان وصحَّة المنطق السَّليم الَّذي لا يُصَادم الحقائق.

وديننا - ولله الحمد - واضح لا تعقيدَ فيه ولا غموض، إنَّه نعمةٌ كما وصفه الله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: ٣]، جمع اللهُ فيه الخيرَ، وأرشد مَنْ اتَّبعه إلى كلِّ خيرٍ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٧١٨).

مذاهب

المذاهب الإسلاميَّة عند المسلمين

السُّؤال:

١. ما المذاهب الإسلاميَّة المنتشرة في الدُّول الإسلاميَّة الآتية: اليمن، إيران، أفغانستان، إندونيسيا، الهند، باكستان، الصِّين، الملايو.

٢. ما اسم الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه؟

الجواب:

١. المذاهب الإسلاميَّة المنتشرة اليوم في العالم الإسلاميِّ أربعةٌ:

المذهب الحنفيُّ، ويتَّبعُ مقلِّدوه أبا حنيفةَ النُّعمان بن ثابت؛ فقيهَ العراقِ.

المذهب المالكيُّ، ويتَّبعُ مقلِّدوه مالك بن أنس بن مالك الأصبحيَّ، فقيهَ المدينة.

المذهب الشَّافعيُّ، ويتَّبع مقلِّدوه محمَّد بن إدريس بن عبَّاس بن عثمان بن شافع من ذرِّيَّة المطَّلِب بن عبد مناف.

المذهب الحنبليُّ، ويتَّبعُ مقلِّدوه أحمد بن محمَّد بن حنبل الشَّيبانيِّ، فقيهَ العراق.

ولا يخلو بلدٌ مسلمٌ من هذه المذاهب الأربعة.

أمَّا المذهب الجعفريُّ فيتَّبعُ مقلِّدوه جعفرًا الصَّادقَ بن محمَّد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ، وأكثرُهم في إيران والعراق، والإمامَ زيدَ بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، وأغلب مقلِّديه في اليمن، وهم الزَّيديُّون، والواحد منهم زَيْدِيٌّ.

أمَّا عن المذاهب الأربعة وأين يسكن أكثر مقلِّديها ففي أفغانستان والهند وباكستان يسود المذهب الحنفيُّ، وفي إندونيسيا والملايو يسود المذهب الشَّافعيُّ وينتشر هناك بكَثْرَة، ويسود اليمنَ كذلك إلى جانب المذهب الزَّيديِّ، وفي شمال إفريقيَّة - غير مصر - يسود المذهب المالكيُّ، وفي أواسط الجزيرة العربيَّة يسود المذهبُ الحنبليُّ.

٢. اسم الإمام أبي حنيفة هو النُّعمان بن ثابت، فقيهُ العراق وقدوةُ أهل الرَّأي، ومذهبُهُ الآن مَقْضِيٌّ به في أكثر البلاد العربيَّة؛ منها العراق وسوريَّة ومصر، ويقال: إنَّ أصله من فارس، ولد سنةَ (٨٠هـ)[١] في الكوفة ونشأ بها، ويُعَدُّ من التَّابعين؛ لأنَّه عاصر بعض الصَّحابة، وأخذ عِلْمَهُ عمَّن تعلَّم من الصَّحابة، ونقل عنهم، وابتعدَ من الملوك ووظائفهم، وكان من أكثر النَّاس تهجُّدًا وقراءةً للقرآن، يأكل من عمله في تجارة الخَزِّ[٢]، وقد عرض عليه المنصور قضاءَ بغدادَ فرفضَ وحلفَ عليه فلم يَقْبَل، فسجنه المنصور، ثمَّ لَمَّا رأى إصراره على الرَّفض كَفَّرَ عن يمينه، وتوفِّي الإمام أبو حنيفة النُّعمان رَحِمَهُ اللَّهُ سنةَ (١٥٠هـ)[٣] وقد بلغ سبعين سنةً

(١) أي: سنة (٦٩٩م).

(٢) الخزُّ من الثِّياب: ما ينسج من صوف وإبريسم. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٥/ ١٣٦).

(٣) أي: سنة (٧٦٧م).

من العمر في بغدادَ، ودُفِنَ فيها، وقبره ما زال في ضاحيةٍ من ضواحي بغداد عرفت باسمه؛ الأعظميَّة.

تقليد المذاهب

السُّؤال:

أصبح رجلًا مكلَّفًا ولا يَعْرِفُ له مذهبًا يتديَّن به، فهل عليه أن يتعبَّد على مذهبٍ مُعَيَّنٍ من المذاهب الحنبليَّة أو المالكيَّة أو الشَّافعيَّة أو الحنفيَّة، أم له أن يَتَعبَّد على أنَّه مسلم دون اتِّباع أيِّ مذهبٍ؟

الجواب:

جاء الرَّسول ﷺ بكتاب الله فبيَّنَهُ للنَّاس كما بيَّنَ لهم سنَّتَهُ المطهَّرة وتركها لهم، وقال قبل أن ينتقل إلى الرَّفيق الأعلى: «**إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا بعدي أحدُهُما أعظمُ من الآخر: كتابُ اللهِ حبل ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِتْرَتِي أهلُ بيتي، ولن يتفرَّقَا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تخلُفُوني فيهما**»[(١)]، وقال ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاءِ ليلُهَا كنهارِهَا، لا يزيغُ عنها إلَّا هالكٌ**»[(٢)].

هذه وصيَّة أوصانا بها النَّبيُّ ﷺ قبل مفارقته الدُّنيا، فعمل بها الصَّحابة والتَّابعون، ولم يكن في عهدهم حنفيَّة ولا مالكيَّة ولا شافعيَّة ولا حنابلةٌ، إنَّما كانوا كلُّهم مسلمين، يؤمنون بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّدٍ رسولًا،

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٧٨٨)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب.
(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٣).

وكانوا يتعبَّدُون على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

ولَمَّا اتَّسَعت الرُّقعة الأرضيَّة بالمسلمين وامتدَّت مسافاتها ظَهَرَ علماء أجلَّاء اتَّفقوا في أصول العقائد لكنَّهم اختلفوا في فروع الدِّين، وكانَ لكلِّ عالمٍ أتباعٌ، ثمَّ انتشرَ هؤلاء العلماء في تلك الرُّقعة من ديار الإسلام المتباعدة أطرافها، فكان لكلِّ عالمٍ قولٌ يأخذ به من قلَّدوه واتَّبَعُوه وساروا على نهجه حتَّى انحصرت هذه الآراء لأهل السُّنَّة في المذاهب الأربعة فقط، فكانَ مذهبُ مالكٍ ينتشر في شمال إفريقيَّة ولا يعرفون مذهبًا غيره، وكان مذهب أبي حنيفة في الأناضول والقوقاز وتركستان الشَّرقيَّة والهند ولا يعرفون غيره، وكان المذهب الشَّافعيُّ ينتشر في الشَّرق الأقصى وما يليه من البلاد، وكانت العراق وسوريَّة ومصر والأردن مَجْمَعًا للمذاهب الأربعة، أمَّا المذهب الحنبليُّ فقد انحصر في الجزيرة العربيَّة وفلسطين الشَّماليَّة.

وللسَّائل الخَيَار في أن يتعبَّدَ على كتاب الله وسنَّة رسوله كما تعبَّدَ السَّلف الصَّالح قبل ظهورِ المذاهبِ وانتشارها، وليس عليه أن يتقلَّدَ مذهبًا معيَّنًا يتمسَّكُ به ويحرص على العمل به.

وليس معنى ذلك أن يتركَ المذاهبَ ولا يحترمها، إنَّما له أن يأخذ منها الفقه والمعرفة الَّتي تُعينه على فهم ما قد يَشُقُّ عليه فهمه من السُّنَّةِ النَّبويَّةِ، فإنَّ أصحاب المذاهب الأربعة أئمَّةٌ أعلامٌ وفقهاء مجتهدون اجتهدوا في فروع الدِّين فأصابوا وأخطؤوا، وهم مأجورون فيما اجتهدوا فيه، أمَّا الَّذي لم يخطئ فرسول الله ﷺ.

وللسَّائل أن يتَّخِذَ كتابَ الله وسنَّة رسوله منهجًا يهديه إلى الطَّريق القويم، وذلك على شرط أن يفهم ما يقرأُ ويعيَ ما يأخذ دون تخبُّطٍ ولا

خَلْطٍ، وهو مأجور - إن شاء الله - في اجتهاده لمعرفة دينه من الكتاب والسُّنَّة.

أمَّا فقه المذاهب الأربعة فله أن يأخذ منه بالقدر اللَّازم دون تعصُّبٍ ولا جمودٍ.

الباب الثَّامن

مع أسئلة عن الأماكن المقدَّسَةِ

تاريخ بناء الكعبة

السُّؤال:

مَن أوَّل مَن بنى الكعبة؟ ومتى كان بناؤها؟

الجواب:

الَّذي نعرفه أنَّ الكعبة كانت في زمن سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، أمَّا من بناها قبل إبراهيم فلا أعرف عنه شيئًا.

وقيام إبراهيم ببناء الكعبة أخبرنا عنه القرآن بالآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٧]، ويعني بكلمة البيت: الكعبة الشَّريفة، أمَّا قواعد البيت فهل الَّذي وضعها ثمَّ رَفَعَ البناءَ عليها هو إبراهيم أم كانت موضوعةً ثمَّ رفع البناءَ إبراهيمُ؟! عِلْمُ ذلكَ عندَ اللهِ وحدَهُ.

إنَّ الكعبةَ بُنيت سبعَ مرَّاتٍ:

الأولى: بناءُ الملائكة أو آدم على الخلاف.

الثَّانية: بناء إبراهيم.

الثَّالثة: بناء العمالقة.

الرَّابعة: بناء جُرْهُم.

الخامسة: بناءُ قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، وقد حضر النَّبيُّ ﷺ هذا البناء[١].

السَّادسة: بناء عبد الله بن الزُّبير.

السَّابعة: بناء الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ، وهو الَّذي من ناحية حجر إسماعيل الَّذي هو موجود اليوم[٢].

والبناء القائم الآن هو بناء ابن الزُّبير والحجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ سنة (٧٤هـ)[٣]، فالجُدُرُ الثَّلاثة؛ الشَّرقيُّ والغربيُّ والجنوبيُّ بناها ابن الزُّبير، أمَّا الشَّماليُّ الَّذي يلي الحجر فبناه الحجَّاجُ بن يوسف الثَّقفيُّ.

وقد أَصْلَحَ هذا البناءَ ملوكُ دولٍ إسلاميَّةٍ عدَّةٍ وأمراؤها، وآخر الإصلاحات في الكعبة أجراها المصريُّون سنة (١٠٣٩هـ)[٤] بأمر من السُّلطان العثمانيِّ مراد الرَّابع.

ما البيت العتيق؟

السُّؤال:

ما البيت العتيق المذكور في الآية الكريمة من سورة الحجِّ: ﴿ثُمَّ

(١) رواه البيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (٩٢٠٨)، بلفظ: «لمَّا انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه... إلخ».

(٢) انظر: تاريخ الخميس في أحوال النَّفيس، لحسين الدِّيار بكري (١/ ١١٧).

(٣) أي: سنة (٦٩٣م).

(٤) أي: سنة (١٦٢٩م).

لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]؟

الجواب:

البيت العتيقُ هو الكعبة، وقد ذُكِرَ في سورة الحجِّ بموضعين: في الآية (٢٩) الَّتي ذُكرت في السُّؤال: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩]، وفي الآيتين (٣٢-٣٣): ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٢-٣٣].

من هذا نفهم أنَّ البيت العتيق هو بيت الله الحرام في مكَّةَ، وسمِّيَ بالبيت العتيق؛ لأنَّه أوَّلُ بيتٍ بُنِيَ لعبادة الله في الأرض، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

أمَّا معنى كلمة عتيق فهي مشتقَّةٌ مِن: عَتُقَ الشَّيءُ عَتَاقَةً؛ أي: قَدُمَ وصارَ عتيقًا، والعتيق: القديم من كلِّ شيء. وقيل: سُمِّيَ العتيقُ؛ لِقِدَمِهِ، ولأنَّه أوَّل بيتٍ وُضِعَ لعبادةِ الله، أو لأنَّ اللهَ جَعَلَه مثابةً وأمنًا فهو حرام؛ أي: إنَّ اللهَ حرَّمَ القتالَ فيه، أو لأنَّ الله جعله سببًا لعتق رقاب مَنْ حَجَّهُ إيمانًا واحتسابًا، فلم يرفث ولم يفسق كما يعتق الرَّقيق من ذُلِّ العبوديَّة. وقيل: إنَّه معصومٌ من أن يملكه كافرٌ جبَّارٌ.

أسئلة عن الحجر الأسود

السُّؤال:

ما أصل الحجر الأسود؟ وهل هو حجر كالأحجار المعروفة عندنا اليوم؟ ومن أين نقلوه؟ ومتى كان ذلك؟ وكيف تمكَّنوا من نقله؟ وأين كان المسلمون يومئذ؟

الجواب:

الحجرُ الأسودُ حجرٌ كسائِرِ الأحجار، قيل - والله أعلم -: إنَّ أصله نيزك؛ أي: إنَّه شهاب خرَّ من السَّماء. وما زلنا نرى هذه الشُّهُبَ كلَّ ليلةٍ ويومٍ ومكان، ولا أقول ذلك تنقيصًا من شأن الحجر الأسود فالحجر الأسود مقدَّس، وقد أخبرنا عنه رسول الله ﷺ أنَّه «**يمين الله في الأرض**»[1]، فكان تقبيله أو استلامه كالعهد بين العبد وربِّهِ في الإخلاص والطَّاعة والامتثال.

وللحجر الأسود تاريخٌ، وتاريخ الحجر الأسود قديم كتاريخ الكعبة.

والثَّابت من هذا التَّاريخ الآتي:

١. لَمَّا أرادت قريش تجديد بناء الكعبة هدمتها حتَّى سوَّتها بالأرض، ثمَّ بدأت تشييدها على قواعدها، وكان الرَّسول ﷺ يشارك شباب قريش في البناء، فقد روي «**أنَّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة**

(١) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمال، رقم: (٣٤٧٢٩).

وعليه إزاره»[١]، والكعبة مقدَّسة، والعمل في تشييد الشَّيء المقدَّس مقدَّس أيضًا.

حتَّى إذا ارتفع البناء إلى المستوى المطلوب ووضع الحجر فيه تشاجروا في وضعه، فقال: أوَّل من يخرج من هذا الباب فهو يضعه، «**فخرج رسول الله ﷺ من قبل باب بني شيبة، فأمر بثوبٍ فبسط فوضع الحجر في وسطه، ثمَّ أَمَرَ رجلًا من كلِّ فخذٍ من أفخاذ قريش أن يأخذ بناحيةِ الثِّياب، فأخذه رسول الله ﷺ بيده فوضعه**»[٢].

٢. أمَّا قضيَّة القرامطة مع الحجر الأسود فكانت سنة (٣١٧هـ)[٣] أو سنة (٣١٩هـ)[٤] في خلافة المقتدر حيث «سيَّرَ المقتدر رَكْبَ الحجَّاج مع منصور الدَّيلميِّ فوصلوا الى مكَّةَ سالمين؛ فوافاهم يوم التَّروية أبو طاهر القرمطيُّ، فقتل الحجيجَ قتلًا ذريعًا في فجاج[٥] مكَّة وفي داخل البيت الحرام، وقتل ابن محارب أميرَ مكَّة، وطرح القتلى في بئر زمزم، وعرَّى البيتَ، وقلع بابه، ثمَّ ضَرَبَ الحجرَ الأسود بدبُّوسٍ فكسره ثمَّ اقتلعه وأخذه، وكانت إقامةُ القرمطيِّ بمكَّة أحدَ عشرَ يومًا، فعل بها أفعالًا لا يفعلها النَّصارى ولا اليهود بمكَّة؛ ثمَّ عادَ إلى هجر ومعه الحجر الأسود، فدام الحجر الأسود عندهم إلى أن رُدَّ إلى مكانه في خلافة المطيع سنة

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٦٤)، ومسلم، رقم: (٣٤٠).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (١٦٨٤).
(٣) أي: سنة (٩٢٩م).
(٤) أي: سنة (٩٣١م).
(٥) الفجُّ: الطَّريق الواسع بين جبلين، وهو أوسع من الشِّعب، جمعه فجاج. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٦/ ١٣٧).

(٣٣٨هـ)[١] أو (٣٣٩هـ)[٢]»[٣]. وقد كان المسلمون يومئذ في خلافاتٍ ومنازعاتٍ وضَعْفٍ وكان كلُّ قطرٍ مشغولًا بنفسه.

وإتمامًا للفائدة أقول: إنَّ الحجرَ الأسود حجر مقدَّسٌ فضَّلَه الله على سائر الأحجار كما فضَّل أوقاتًا على أوقات وأماكن على أماكن وبشرًا على بشرٍ، وتقديسه أمرٌ تعبُّديٌّ.

والحجر هذا لا ينفع ولا يضرُّ، والكعبة كذلك حجرٌ لا ينفعُ ولا يضرُّ، ولكن الَّذي ينفع ويضرُّ هو الله وحدَهُ لا شريكَ له الَّذي أمرنا أن نتوجَّه إلى هذه الكعبة في صلواتنا ودعائنا، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: ١٥٠]، وأمرنا جلَّ شأنه أن نطوف بهذا البيت؛ تقرُّبًا إلى الله وحده: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥].

وبهذا يكون الحجر الأسود شعيرةً من شعائرِ الحجِّ المطلوب أداؤها شرعًا؛ لأنَّ الحاجَّ يَبْتَدِئُ في طوافه بالبيت بالحجر الأسود ثمَّ ينتهي عنده.

وسيِّدنا عمر بن الخطَّاب وهو التَّقيُّ الورع العابد الزَّاهد صاحب رسول الله وخليله وصفيُّه من أصحابه قال وهو يُقَبِّلُ الحجر الأسود: «**إنِّي أعلم أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت النَّبيَّ ﷺ يُقَبِّلُك ما قبَّلتُكَ**»[٤].

---

(١) أي: سنة (٩٤٩م).

(٢) أي: سنة (٩٥٠م).

(٣) النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن الظَّاهريِّ (٣/ ٢٢٤).

(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (١٥٩٧)، ومسلم، رقم: (١٢٧٠).

وروى الحاكم وابن ماجه وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر أنَّه قال: استقبل رسول الله ﷺ الحجر ثمَّ وضع شفتيه عليه، يبكي طويلًا، ثمَّ التفتَ فإذا بعمر بن الخطَّاب يبكي فقال: «**يا عمر، ها هنا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ**»[1].

صخرة بيت المقدس

السُّؤال:

سمعت أحد العلماء يقول: إنَّ الصَّخرة الَّتي في بيت المقدس في المسجد الأقصى غير معلَّقة كما يظنُّ بعض المسلمين؛ فهل هذا صحيح؟

الجواب:

الصَّخرة عبارة عن صخرة بيضاء من النَّوع الَّذي نسمِّيه في الكويت (جثَّان)، أظنُّ -والله أعلم- مساحتها السَّطحيَّة نحو (٧٠/ ١٧م) × (٥٠/ ١٣) مترًا، ثابتةً في الأرض بارتفاع مترين عن سطح الأرض تحتها مغارة لا أظنُّ سعتها تتجاوز (٥٠/ ٤ م) × (٥٠/ ٤) متر مربع غير منتظم يحيط بالصَّخرة درابزين جميل جدًّا وفوقها قبَّة؛ يقال: إنَّ الَّذي بناها عبد الملك بن مروان أو الوليد ابنه أو إنَّ ابتداء البناء وقع في زمن عبد الملك والانتهاء وقع في زمن الوليد.

هذه المغارة الَّتي في الصَّخرة يستطيع الإنسان أن ينزل إليها باطمئنان

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٩٤٥).

وتتَّسع لصلاة صفَّين أو ثلاثة، وفي سقف المغارة فتحة من النُّوع الَّذي كنَّا نسمِّيه (سيسر) وارتفاع المغارة من الدَّاخل نحو (٣) أمتار.

وفيما يظهر لي أنَّ الأوَّلين كانوا يستعملون هذه الصَّخرة -كما أظنُّ - مذبحًا؛ لأنَّ عبادات الأوَّلين كانت كلُّها قرابين.

فكانوا يجمعون الدِّماء في هذه المغارة والذَّبح كان من أعلى الصَّخرة -هكذا تخيَّلت -، وتقديس الصَّخرة هذه تقديسٌ قديم جدًّا؛ أي: قبل التَّاريخ.

وهناك اعتقاد غير ثابت الرِّواية أنَّ النَّبيَّ ﷺ عرج به إلى السَّماء من مكان الصَّخرة وقد قرأت أحاديث لا أدري درجة صحَّتها جاء فيها ذكر الصَّخرة، إلَّا أنِّي لم أجدها في الكتب الموثوقة الصَّحيحة.

وقد بنى خلفاء بني أُميَّة على هذه الصَّخرة مسجدًا عرف بمسجد الصَّخرة، أفخم ما بُنِيَ في عصر الأمويِّين ووضعوا فوق الصَّخرة قبَّة فخمة.

وفي السَّنوات العشر الأخيرة عزمت حكومة الأردن على تصليح مسجد الصَّخرة وترميمه، وساهمت الحكومات الإسلاميَّة كلُّها والعرب خاصَّة في الاتِّفاق على تصليحه، لا سيَّما دولة الكويت الَّتي كان لها الحظُّ الأوفر في هذا المشروع الإسلاميِّ.

أكاذيب حول قبلة بيت المقدس

السُّؤال:

قرأ في كتاب لمستشرق إنجليزيٍّ كلمة عن بيت المقدس يقول فيها: (كان المصلُّون قد تعوَّدوا في العهد الأوَّل أن يولُّوا وجوههم شطر بيت المقدس، وربَّما كان المقصود من ذلك استمالة اليهود، وقد حاول محمَّد استرضاءهم بوسائل كثيرة ولكنَّهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية، فلمَّا أخفقت إمالتهم إليه أمر أصحابه أن يولُّوا وجوههم شطر الكعبة بمكَّة)، فما مدى صحَّة كلام هذا المستشرق؟

الجواب:

جاءت الرِّسالة المحمديَّة مكمِّلة لما سبقها من الرِّسالات، والرِّسالات السَّابقة كانت تأمر المؤمنين بأصحابها أن يولُّوا وجوههم في صلواتهم إلى جهات معيَّنة آخرها كانت إلى المسجد الأقصى في عهد موسى وعيسى عليهما السَّلام، وكان النَّبيُّ ﷺ يتطلَّع إلى أمر من السَّماء ليولِّي وجهه شطر المسجد الحرام؛ لأنَّه أوَّل بيت وضع للنَّاس، ولأنَّه كان قبلة إبراهيم، ولأنَّه اشتاق إلى مكَّة مسقط رأسه ومهبط الوحي عليه.

فأمره الله تحقيقًا لرغبته أن يتوجَّه إلى الكعبة وأنزل في كتابه العزيز: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً

إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٥].

من هذه الآيات نفهم أنَّ الَّذي حوَّلَ قِبْلَةَ النَّبيِّ ﷺ إلى المسجد الحرام هو الَّذي أمرَهُ من قبلُ أن يولِّي وجهه إلى المسجد الأقصى، فالمشرق والمغرب لله وحده، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وربَّما كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام هو الرَّبط بين مهابط الوحي الأوَّل الَّذي تلقَّاه إبراهيم وإسماعيل، ونبيُّنا محمَّد ﷺ من بعدهما بمكَّة، والثَّاني الَّذي تلقَّاه موسى وعيسى بالقدس، وقد ربط الله رسالة الإسلام بهذه المهابط حين أُسْرِيَ بالرَّسول ﷺ من مكَّةَ إلى بيت المقدس، ثمَّ صلَّى بالأنبياء جميعهم، ثمَّ عَرَجَ إلى السَّماء في حادثة الإسراء والمعراج.

نقول: ربَّما كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ربطًا بين مهابط الوحي للدِّلالة على أنَّ هذه المهابط كلَّها هي لرسالاتٍ واحدةٍ في غاياتها وأصولها، وهي الدَّعوة إلى الله، وإن اختلفت في فروعها.

أمَّا ما يقوله هذا المستشرق أو غيره فليس فيه دليل قاطع على صِحَّة ما يقولون، لا سيَّما أنَّ كثيرًا منهم يتعصَّبُ لعقيدته، ويُضْمِرُ الحقدَ

والكراهِيَة للإسلام، ويريد الكيد له ولبنيه، وهو دائم العداء لهم، ويريد إطفاءَ نورِ الإسلام، لكنْ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التّوبَة: ٣٢].

وكان من فَضْلِ الله تعالى أنَّ رجالًا مسلمين دفعتهم الغَيْرَةُ الحميدةُ والحميَّة الطَّيِّبة فتصدَّوا لهؤلاء المستشرقين؛ ليفنِّدُوا أكاذيبهم، ويسقطوا مفترياتهم على الإسلام وتاريخه وعلى الرَّسول ﷺ وسيرته.

الباب التَّاسع

مع قضايا الرُّوح
- الغيبيَّات - المعتقدات

الرُّوح

تَنَاسخُ الأرواحِ

السُّؤال:

قرأتُ مقالًا في مجلَّةٍ إسلاميَّةٍ عن التَّقمُّص وتناسُخِ الأرواح، يقول فيه كاتِبُه: إنَّ كثيرًا من الأطفال ينطِقون في سنٍّ مبكِّرةٍ ويتكلَّمون أشياء قد حصلت في الجيل السَّابق لجيلهم، وإنَّ كثيرًا من الأديان كالبوذيَّة، وكثيرًا من الفلاسفة كأفلاطون وفيثاغورس، يعتقدون بتقمُّص الرُّوح، وبعضهم ينفي هذا الاعتقاد، فما رأي الإسلام في تناسخ الأرواح والتَّقمُّص؟

الجواب:

التَّقمُّص في اللُّغة مأخوذٌ من: تَقَمَّصَ القميصَ؛ أي: لَبِسه، وتقمَّص الوِلاية والإِمارة؛ أي: أصبحت له قميصًا، وتقمَّص العِزَّة؛ أي: صار عزيزًا.

والإسلام لا يعتقد بالتَّقمُّص، والتَّقمُّص عند مَن يعتقده هو انتقالُ الرُّوحِ من جسدٍ إلى جسدٍ آخر، فإذا مات الميِّت يعتقدون أنَّ روحَه انتقلت إلى مولودٍ جديدٍ يولَد في يومِ موتِه، أو يعتقدون أنَّ الرُّوح تبقى هائمةً تنتظر جسدًا جديدًا تحلُّ فيه، ولهم أدلَّةٌ واهيةٌ لا يقبلها عقلٌ ولا منطقٌ، وبعضهم يعتقد بالتَّناسخ؛ وهو: انتقالُ روحِ الشَّخصِ بعدَ موتِه إلى حيوانٍ دنيءٍ كالقِردِ أو الخنزيرِ أو نحوهما، وتنتقل روحُ السَّعيد أو

الصَّالح إلى مَن هو أكرم منه من النَّاس أو إلى مَلِكٍ مثلًا، وأستغفر الله من هذا الاعتقاد.

الإسلام لا يعتقد بالتَّقمُّص ولا بالتَّناسخ، فالأرواح يخلقها الله كما يخلق الأجساد، تبقى مع الأجساد حتَّى يقبِضَها إليه، ثمَّ تُبعث مع أجسادِها يوم القيامة، ثمَّ هي بعد البعث إمَّا إلى نعيمٍ وإمَّا إلى شقاءٍ، فإن كان صاحبُها يعيش في الدُّنيا شرِّيرًا فاسدًا ذهبت معه إلى النَّار - والعياذ بالله - وإن كان صاحبُها يعيش في الدُّنيا صالحًا مؤمنًا ذهبت معه إلى الجنَّة إن شاء الله.

هذه هي عقيدةُ الإسلامِ الَّذي نسأل الله أن يجعلَنا من أهله أحياءً أو أمواتًا.

الحسابُ على الرُّوح أم على الجسد

السُّؤال:

هل الحساب في الآخرة يقع على الرُّوح وحدها، أم على الرُّوح والجسد؟

الجواب:

الثَّابت في القرآنِ أنَّ العذاب يقع على الرُّوح والجسد، بدليلِ قولِ الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، والرُّوح لا جِلْد لها ولا جِسم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهُمَزة: ٤-٧]، والفؤاد هو القلبُ، والقلبُ في الجسم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ [العَلق: ١٥]، والنَّاصية مقدِّمةُ الرَّأس، والرَّأس الجزء الأعلى في الجسم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعَارج: ١٥-١٦]، والشَّوى: أطرافُ الجسم، أو هو جمعُ شَواة، وهي جلدةُ الرَّأس والأطراف، والرَّأس لا تكون إلَّا في الجسد.

وفي القرآن آيات كثيرة تدلُّ على ذلك، ونكتفي بما ذكرناه للدِّلالة على أنَّ العذاب يقع على الرُّوح والجسد.

الرُّؤى المناميَّة والأحلام

السُّؤال:

هل تذكرُ أرواحُ الموتى مَن تركتهم في الدُّنيا؟ وهل تَلتَقي مع مَن فارَقوها مِن قَبلُ؟ وهل صحيحٌ أنَّ النَّائم يرى مَن فارَقه مِن الموتى في نعيمٍ أو بُؤسٍ؟ وهل تحضيرُ الأرواحِ صحيحٌ؟

الجواب:

قال رسول الله ﷺ: «**المرءُ مع مَن أحبَّ**»[1]؛ أي: يكونُ مع مَن

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦١٦٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٠).

أحبَّ في الآخرة. وقد رُوي عن بلال بن رباح رضي الله عنه أنَّه قال وهو يحتضر: «**غدًا نلقى الأحِبَّة مُحمَّدًا وحِزْبَه**»(١)، وهذا دليلٌ على أنَّ الأرواحَ الخيِّرة تلتَقي مع مَن تُحِبُّ من الأرواح.

أمَّا عن تذكُّر هذه الأرواح لِمَن تركَتْهم وراءَها في الدُّنيا فلا شكَّ في أنَّ الرُّوح إذا كانت في نعيمٍ فإنَّها تتذكَّر، وتتألَّم لألم من تركتْهم في هذه الدُّنيا، وتسعَد لسعادتهم، أمَّا أهلُ الشَّقاء فهم في شغلٍ بأنفُسِهم عَن غيرِهم، ولعلَّهم يتذكَّرون ما كانوا فيه من نعيمٍ في الدُّنيا، فينظرون إلى أهليهم يسألونَهم الصَّفْح إن كانوا أساؤُوا إليهم، أو يسألونَهم الدُّعاء لعلَّ فيه تخفيفًا لهم من العذاب الَّذي هم فيه.

أمَّا رؤيةُ النَّائم مَن فارَقوه إلى الآخرةِ فإنِّي أذكرُ حديثَ رسولِ الله ﷺ الَّذي أورده مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رؤيا المؤمنِ جزءٌ من سِتَّةٍ وأربعينَ جزءًا من النُّبوَّة**»(٢)؛ أي إنَّ رؤيا المؤمنين حقٌّ، وكثيرًا ما رأينا في المنام أمواتًا أخبرونا بما يجري أو جرى من أمورٍ، وأمواتًا احتفلوا بميِّتٍ صالحٍ قدِم إليهم، أو استعدُّوا لقدومه، إلى غير ذلك من الرُّؤى المناميَّة الَّتي تدلُّ على أنَّ أهل الخير في خيرٍ، ويشعرون بما يشعرُ به الأخيار.

وقد تكونُ الرُّؤى صالحةً أو سيِّئةً، وقد وضع الرَّسول ﷺ قواعدَ للرُّؤى والأحلام، ففي الحديث عن ابن سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم الرُّؤيا يحبُّها فإنَّما هي من الله، فليحمدِ الله، وليُحَدِّث بما رأى، وإذا رأى غير ذلك ممَّا يكرَه فإنَّما هي من**

(١) انظر: الرِّسالة القشيريَّة، لعبد الكريم القشيريِّ (٢/ ٤٦٩).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٩٨٧)، ومسلم، رقم: (٢٢٦٣).

الشَّيطان، فليستعِذ بالله من شرِّها، ولا يذكرها لأحدٍ، فإنَّها لا تضرُّه»[1].

أمَّا تحضير الأرواح فهو نوعٌ من الدَّجل وإن قال عنه القائلون ما قالوا من الأدلَّة الواهية والبراهين المتداعية؛ لأنَّ الرُّوح عندما تفارق جسدَ صاحبِها بالموتِ تكونُ في قبضةِ الله تعالى في مكانِها حيث وضعت؛ في النَّعيم أو العذاب، ولا يمكن أن تخرج هذه الرُّوح من مكانِها الَّذي هي فيه لتصبح تحت إِمْرة إنسانٍ يستدعيها ثمَّ يتركها كيف يشاء ووقتما يشاء.

وهذه الآيةُ الكريمةُ من القرآن تبيِّن لنا أنَّ أرواح الموتى هي في قبضة الله، ولا يمكن أن تُترك لمشيئةِ أحدٍ من الدَّجاجلة الَّذين يضحَكون على السُّذَّج من النَّاس، ويتَّخذون من هذا الدَّجل عملًا يدرُّ عليهم المال، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزُّمَر: ٤٢].

صلاةُ سكَّان القمر وصيامهم

السُّؤال:

أصبحت الكواكب في عصرنا هذا هدفًا يقصده بنو الإنسان، وقد وصلوا القمر، تُرى لو استوطن بعضُ المسلمين القمرَ فأين يوجِّهون وجوههم في الصَّلاة؟ وكيف يبدؤون صيامَهم ويُنهونه والحُكْم الشَّرعيُّ يقتضي أن يصومَ المسلمُ لرؤيةِ الهلالِ ويفطرَ لرؤيتِهِ؟

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٠٤٥).

الجواب:

متى استوطنَّا سطحَ القمرِ عرفنا طريقةَ الصِّيام هناك، وإلى أين نوجِّه وجوهنا في الصَّلاة، يقول تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٥].

والدِّين الإسلاميُّ لا تعجزه إجابةُ سائلٍ، وهذا السُّؤال سابقٌ لأَوانه قد يتحقَّق أو لا يتحقَّق، والأمر يحتاج إلى أجَلٍ، وفردٌ واحدٌ لا يقرِّرُ أمرَ دينٍ أو أمَّةٍ، فهناك مجمعُ بحوثٍ إسلاميٌّ كبيرٌ يضمُّ المئات من رجالِ الدِّين الأعلام الَّذين يستطيعون باجتهادهم أن يقرِّروا ما تُحَلُّ به المشكلة إن وُجدت.

ونصيحتي للسَّائلين أن يركِّزوا اهتمامَهم ويشغلوا أوقاتَهم بما يفيدُ وممَّا نعيش فيه من واقعِ الحياةِ والحقائقِ الماثلةِ في واقعنا الحاضر، وألَّا يشغلوا أنفسَهم في غيبٍ لا طائلَ تحتَه ممَّا قد يكون أو لا يكون.

الغيبيَّات

المسلمون والكفَّار من الجنِّ

السُّؤال:

أخبرنا القرآن أنَّ في الجنِّ مسلمينَ وكفَّارًا، فهل بعث الله لهم أنبياءَ منهم، أم آمنوا بأنبياء الإنس ومنهم محمَّدٌ ﷺ؟

الجواب:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

نفهم من هذه الآية أنَّ هؤلاء الَّذين استمعوا القرآن كان منهم مَن آمن بموسى، ثمَّ دعوا إلى الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، ومعلومٌ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يرَ الجانَّ الَّذين استمعوا القرآن وأنصتوا عند تلاوتهِ؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجنّ: ١-٢].

وفي سورةِ الأنعام قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٠]،

استدلَّ بعض العلماء من هذه الآية أنَّ الرُّسل هم من البشر أُرسلوا في الجنِّ والإنس.

نفهم من هذه الآية أنَّ هؤلاء الَّذين استمعوا القرآن كان منهم مَن آمن بموسى، ثمَّ دعوا إلى الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ.

وقال بعض الفقهاء: إنَّ الله تعالى أرسلَ الرُّسل كلَّهم من الإنس، كما تدلُّ على ذلك الآياتُ الَّتي تخبرنا أنَّ الله حصر الرِّسالات في الرِّجال، وجعل الرِّسالة في ذرِّيَّة نوحٍ وإبراهيم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يُوسُف: ١٠٩]، وقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النِّسَاء: ١٦٣] وقال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العَنكبوت: ٢٧].

واستدلُّوا بأنَّ الله أرسلَ الرُّسل كلَّهم من البشر بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفُرقان: ٢٠].

وقال جماعةٌ من الفقهاءِ هناك رسلٌ من الجنِّ، لكنَّ هؤلاء الرُّسل يأخذون من رسلِ الله البشرِ ثمَّ يبلِّغون أقوامَهم، قال ابن جريجٍ: إنَّ ابن عبَّاس قال: هم الجنُّ الَّذين لقَوا قومَهم وهم رسلٌ إلى قومهم[1]. يعني أنَّ الرُّسل من الجنِّ هم الَّذين تلقَّوا الدَّعوة من رسلِ الإنسِ وأبلَغوها لقومِهم من الجنِّ، كالَّذين أنزل الله فيهم قوله في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذۡ

(١) انظر: تفسير المنار، لمحمَّد رشيد الحسينيِّ (٨/ ٩٢).

صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩].

الإيمان بعالم الجنِّ

السُّؤال:

هل يجب على المسلم أن يؤمن بعالم الجنِّ؟ وهل هم مسؤولون مثلنا عن أعمالهم ومحاسَبون عليها يوم القيامة؟ وأين يسكنون؟

الجواب:

من المقرَّر شَرعًا أنَّ الإنسان لا يكون مؤمِنًا حقًّا إلَّا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه. هذا هو تعريفُ الإيمانِ كما عرَّفه رسول الله ﷺ وهو يجيبُ عن سؤال جبريل عليه السلام حين جاء يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ إذ قال له جبريل: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**»(١).

والإيمان بالكتب يشمل القرآن بجميع ما جاء به، ولا يُستثنى منه شيءٌ أبدًا.

ولقد تحدَّث القرآن عن الجنِّ وخاطبهم بأنَّهم مسؤولون ومؤاخذون كمسؤوليَّة الإنسان ومؤاخذته تمامًا، وذلك كما جاء في سورة الأنعام

(١) روه مسلم، رقم: (٨).

بقول الله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وعالَمُ الجنِّ غيبيٌّ؛ كالملائكةِ ويومِ القيامةِ والصِّراطِ والعذابِ بالنَّارِ والنَّعيم بالجنَّة، إنَّه عالمٌ غيبيٌّ يجب أن نؤمن به وإن لم نَرَه، فلقد أخبرنا القرآن عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والجنُّ نوعٌ مقابلٌ للإنسانِ ذكره القرآن معه باسم ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٣١].

ونحن نؤمن بما أمرنا الله به عن الجنِّ بقوله في سورة الجنِّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١﴾ [الجنّ: ١١]، ونؤمن أيضًا أنَّهم استمعوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن كما جاء في سورة الأحقاف والجنِّ، فآمنت جماعةٌ منهم بما سمعت من القرآن وأبلغوه لقومهم، ونؤمن بأنَّ العذاب في الآخرة والنَّعيم فيها سيقعُ عليهم ولهم، كما سيقعُ على بني الإنسان وله.

ولا ندري أين يَسكنون ولا كيف يَعيشون وما أشكالُهم وألوانُهم، وعِلمُ ذلك عند الله؛ إذ ليس لدينا من المصادر ما نعتمده في القول في هذا.

صلة الإنس بعالم الجنِّ

السُّؤال:

رسالةٌ يقول فيها صاحبها:

١ـ يقول الله تعالى في سورة الرَّحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٤-١٥]، فما الصَّلصال، والمارِج؟

٢ـ هل من المعقول أن يتزوَّج الإنسان من الجنِّ؟

٣ـ يقول الله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فهل رأى رسول الله هذا النَّفر من الجنِّ الَّذين استمعوا إليه؟

الجواب:

قبل أن أجيب السَّائل عن أسئلتهِ أحبُّ أن يعرف أوَّلًا أنَّ عالَم الجنِّ من العوالمِ الغَيبيَّة الَّتي خلقها الله وجعل لها من الخصائص ما هو مبيَّنٌ في الكتب السَّماويَّة وفي القرآن الكريم خاصَّةً، ويعرفَ أنَّ جنس الجنِّ لا يقع تحت حواسِّنا ومدارِكِنا، لذا فإنَّه من الغيب الَّذي يجب الإيمان به، شأنهم في ذلك شأنُ الملائكة واليوم الآخر والجنَّة والنَّار.

وقد كان إبليس الَّذي أبى أن يسجد لآدمَ من الجنِّ الَّذين قال الله فيه وفيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعرَاف: ٢٧].

لهذا يجبُ الوقوفُ عند ما ورد عنهم في القرآن والحديث، ولا يجوزُ أن نتعدَّاه إلى شيءٍ آخر لم يرد به نقلٌ صحيحٌ أو نتعدَّاه إلى الأساطيرِ والخرافات.

١- أمَّا الجواب عن السُّؤال الأوَّل فيقول الله تعالى في سورة الرَّحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٤]، والصَّلصال: الطِّينة القويَّة إذا يبست وأصبح لها صوتُ الصَّلصلةِ، وهو صوتُ رنينٍ خافتٍ شبَّههُ القرآنُ برنينِ الفخَّار، وهو الإناءُ المصنوعُ من الخزَف، ونسمِّيه نحن - الكويتيِّين - القحف.

أمَّا المارجُ فهو اللَّهبُ؛ لهبُ النَّار، وهذا ما عناه القرآن في حكاية إبليس حين قال في تمرُّدٍ وسوء أدبٍ: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعرَاف: ١٢].

فالإنسانُ مخلوقٌ من صلصالٍ، أمَّا الجانُّ فهو مخلوقٌ من مارجٍ من نارٍ.

٢- وأمَّا الجواب عن السُّؤال الثَّاني فلقد ثبت أنَّ تزاوُجَ الإنسِ بالجنِّ أمرٌ مسحيلٌ، فإنَّ لله سُننًا لا يمكن تعديلُها؛ لأنَّه أوجَدَها، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣].

والنَّارُ محرقةٌ والطِّين يحترِقُ، وهذا الطِّين يتبدَّل إلى لحمٍ ودمٍ بحيث لو سُلِّطت عليه النَّار استحال إلى رمادٍ.

والطِّين إذا كثرت عليه النَّار استحال إلى شيءٍ آخر، والنَّار إذا كثر عليها التُّراب والطِّين انطفأت، ولا أدري كيف يمكن أن يتزوَّج إنسانٌ مخلوقٌ من طينٍ جنِّيَّةً مخلوقةً من نارٍ، والله ﷻ قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٢١]، ومعنى السَّكن: الارتياحُ والقَرار، فكيف يسكن الإنسيُّ إلى الجنِّيَّة وهي من نارٍ؟!

ثمَّ إنَّ الإنسيَّ من طبيعةٍ غير طبيعة الجنِّ ومن عنصرٍ غير عنصرهم، بينما نحنُ نرى حيواناتٍ أخرى تعيشُ معنا في هذه الأرض خُلقت من طينٍ، واختلافُ أجناسهم قطعَ بين تزاوُجهم، فلا يمكن أن يتزوَّج خروفٌ من معزةٍ، ولا ديكٌ من حمامةٍ، ولا أسدٌ من هرَّةٍ، رغم ما بينهما من تقارُبٍ وتشابهٍ، فإنَّ اختلاف الجنس جعل التَّزاوج بينهما مستحيلًا.

إنَّ عالمَ الإنس مرئيٌّ، وعالم الجنِّ خفيٌّ؛ أي: إنَّ الإنس من عالم الشَّهادة، أمَّا الجنَّ فهو من عالم الغَيب، وقد قرَّر القرآنُ عدمَ إمكانِ رؤيةِ الإنسانِ للجانِّ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

إنَّ كلَّ ما يتناقلهُ النَّاس من أنَّ فلانةً تلبَّس بها جنِّيٌّ، أو أنَّ فلانًا يتزوَّج من جنِّيَّةٍ؛ لا حقيقةَ له[1]، إنَّ الأمر لا يعدو كونه أمراضًا عصبيَّةً وأوهامًا وخيالاتٍ تُعالَجُ بالخيالاتِ والأوهامِ أيضًا.

ومن المؤسف حقًّا أنَّ مثل هذه الأقاويل الخياليَّة الخرافيَّة لا تنتشر إلَّا وسط المجتمعاتِ العربيَّة دون غيرِها من المجتمعات الأوروبيَّة الغربيَّة، وكأنَّ الشَّيطان لا يعرف المجتمع الغربيَّ نساءً ورجالًا، وهم أسسُ الفسادِ وعمدُ الضَّلال!

٣- وأمَّا الجواب عن السُّؤال الثَّالث فلم يثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى

(١) هذا رأي الشيخ رحمه الله، وهو مخالف لأقوال أكثر أهل العلم في مسألة تلبس الجني للإنسان.

الجنَّ بعينيه، إنَّما أوحيَ إليه أنَّ نفرًا من الجنِّ استمع إليه، وذلك كما جاء في الآية الكريمة الَّتي ذكرها السَّائل، وكما جاء في آيةٍ أخرى في سورة الجنِّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجنّ: ١-٢].

ولعلَّ سائلًا يسأل عن نبيِّ الله سليمان عليه السلام وتسخيرِه للجنِّ، ونجيب عن هذا بأنَّ الله عز وجل اختصَّ كلَّ نبيٍّ بمعجزةٍ، وسليمان عليه السلام دعا الله عز وجل أن يهب له مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده كما قال في الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [صٓ: ٣٥]، فسخَّر الله له الرِّيح والشَّيطان والإنس والطَّير، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾ [الأنبياء: ٨١-٨٢]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ [النَّمل: ١٥-١٧]، ويقول تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [صٓ: ٣٦-٣٩].

من هنا نعلمُ أنَّ الجنَّ كان مرئيًّا وظاهرًا لسليمان عليه السلام بمعجزةٍ، ونحن نعلم أنَّ المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادةِ، تجري حوادثُه خلافًا للأمور الَّتي تجري تبعًا للسُّنن الكونيَّة، ومنها ألَّا يظهر الجنُّ للإنس.

مسُّ الشَّياطين

السُّؤال:

قرأت في كتاب الله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥].

وأسمع كثيرًا عن أشخاص مرضوا فقال بعض النَّاس: إنَّ بهم مسًّا من الجنِّ. وقسموا هذه الطَّوائف من الجانِّ إلى ذكورٍ وإناثٍ، ثمَّ أتوا برجالٍ أو نساء يزعمون أنَّ لهم سلطةً على العفاريت والجانِّ ليَشفُوا هؤلاء المرضى مقابل مبلغٍ من المال يقولون إنَّ الجنِّيَّ اشترطه، ويقيمون حفلةً لإخراج العفاريت من أجسامهم. فأرجو إفادتنا عن مدى صحَّة هذا الزَّعم، وهل الآية المذكورة تؤيِّده؟

الجواب:

١- سنجيب أوَّلًا عن تفسير الآية الكريمة الواردة بالسُّؤال، فالآية تتضمَّن تنفيرًا من الرِّبا، وتبشيعًا لحال آكِليه الَّذين فتنهم المال واستبعدهم حتَّى ولعَت نفوسُهم بجمعِه؛ واشتدَّ طمعُهم إليه حتَّى خرجت نفوسُهم عن حدِّ الاعتدال الَّذي عليه أكثر النَّاس، فتركوا من أجله كلَّ شيءٍ، وجعلوه مقصودًا لذاته.

هؤلاء - ومن على شاكلتهم - تراهم في حركاتهم وتقلُّبهم في أعمالهم في اضطرابٍ دائمٍ كاضطراب المصروعِ، أشغلهم المال في أحوالهم جميعها، فلا يتحدَّثون إلَّا عنه، ولا يفكِّرون إلَّا به، ولا يسعون

إلَّا إليه.

وعند قيام النَّاس إلى البعث يقومُ المرابي يتخبَّط كالمصروع، وهي صورةٌ معروفةٌ عند النَّاس، لا سيَّما عند العرب الأقدمين الَّذين نزل عليهم القرآن بلسانهم العربيِّ المبين.

وليس في الآية دليلٌ على أنَّ الصَّرع أو الجنون يأتي من شيطانٍ أو من زارٍ.

وقد تكلَّمنا فيما مضى على هذا الموضوع غير مرَّةٍ أنكرنا فيها دخول الشَّياطين في النَّاس وتلبُّسهم أجساد النَّاس، فوجدنا اعتراضًا وانتقادًا من المؤيِّدين لهذا الموضوع.

وفي مسألة دخول الجنِّ أو الشَّيطان في الإنس خلافٌ، فبعض علماء السُّنَّة أنكر ذلك، وأنكره المعتزلة، أمَّا مَن أثبت هذا المسَّ أو الدُّخول والتَّلبُّس فقد استدلَّ بالآية الكريمة المذكورة في سؤال السَّائل، وقد قلت في أوَّل جوابي أنَّ الآية نزلت على ما كان جاريًا في كلام العرب مجرى المثل؛ لتؤدِّي دورها في فزع السَّامعين وتصوُّراتهم، والمرابي مضطربٌ قلقٌ يتخبَّط في عمله وتفكيره وتصوُّراته، لا يستقرُّ ولا يطمئنُّ ولا يستريح، خائفٌ في ليله ونهاره، وهو في كلِّ عهدٍ وعصرٍ كما هو.

٢- يعتقد كثيرٌ من النَّاس أنَّ الجانَّ يدخل في المريض ويَركَبُه، ويعتقدون بالمسِّ، ثمَّ يأتون بدجَّالين يزعمون أنَّهم قادرون على إخراج هؤلاء المسلَّطين على أجسامهم، وهي ظاهرةٌ خطيرةٌ لابتزاز الأموال من الجهلة الغافلين الَّذين يثقون بهؤلاء الدَّجَّالين.

القرآن الكريم ذكر الجنَّ في مواضعَ كثيرةٍ، ووصفهم بأنَّهم خُلقوا من

نارٍ، وأنَّهم كائناتٌ حيَّةٌ غير مرئيَّةٍ كما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وأنَّ فيهم الصَّالحين والضَّالِّين، وأنَّهم أجسامٌ نفَّاذةٌ كالهواء، موجودون في كلِّ مكانٍ، أمرٌ ثابتٌ في كتاب الله وسنَّة نبيِّه، لا يستطيع المسلمُ إنكارَه، وأنا - ولله الحمد - أؤمن بما جاء في كتاب الله، وأؤمن بأنَّ الجنَّ في كلِّ بقعةٍ من الأرض، ولكنَّهم لا يصلون إلى أيِّ جسمٍ من أجسامنا من بني الإنسان، ولا إلى أيِّ جسمٍ آخر خُلق من طينٍ.

يقول الله جلَّ جلاله في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

إذن فليسَ هناك سلطانٌ للشَّيطان ولا للجنِّ على بني الإنسان إلَّا بالوسوسة، ويفسِّر هذا قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] والهمزُ: الوسوسةُ، وهمزات الشَّياطين: خطراتهم. ويفسِّره أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصّلَت: ٣٦]، والنَّزغ: الإغراء والوسوسة[(١)].

وكان من دعاء النَّبيِّ ﷺ قوله: «**أعوذ بالله السَّميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[(٢)]، ومن دعائه أيضًا: «**أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من سخطه وعقابه ومن شرِّ عباده ومن همزات**

(١) انظر: التَّفسير المنير، لوهبة الزُّحيليِّ (٩/ ٢١٦).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٤٢).

الشَّياطين وأن يحضرون»[١].

والحقيقة العقليَّة الملموسة أنَّ النَّار إذا اتَّصلت بجسم الإنسان أحرقَته، فهذا أمرٌ حسِّيٌّ لا شكَّ فيه، نراه ونلمسه ولا يحتاج دليلًا، فكيف وقد آمنَّا بكتاب الله وهو الدَّليل الثَّابت عند المسلمين على أنَّ الجانَّ خلقهم الخالق من نارِ السَّموم؟! قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٤-١٥].

فلو أشعل أحدُنا شمعةً فهل يستطيع أن يقرِّب منها إصبعَه؟ الجواب: لا لأنَّها تحرقه، إذن فكيف نصدِّق أنَّ نارًا دخلت جسم إنسانٍ فتلبَّسها أو تلبَّسته أو ركبته بأيَّة صورةٍ من الصُّور؟! أين العقولُ يا أهل العقول؟

إنَّها حالةٌ مرضيَّةٌ من التَّشنُّج، أو حالةٌ عصبيَّةٌ، أو أوهامٌ، والأمراض تختلف، وهي أنواعٌ كثيرةٌ، والأوهام يستغلُّها الدَّجَّالون الَّذين قسَّموا الشَّياطين والجنَّ إلى طوائفَ وقبائلَ وألوانٍ وأشكالٍ تُفزِع مرضى الأوهام، ومريضُ الوهم ضعيف العقل يؤثِّر فيه القول، لا سيَّما قول دجَّالٍ يعرف كيف يؤثِّر في مريضه ويستخرج منه كلامًا يدَّعي أنَّه من كلام العفريت أو الزَّار أو الجنِّ.

أقول هذا للأخ السَّائل، وأنا أعتقده وأدينُ به، والله يتولَّى الجميع بعفوه ومغفرته وعظيم رحمته.

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٥٢٨)، قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

بعث الحيوانات يوم القيامة

السُّؤال:

هل ستبعث الحيوانات يوم القيامة كما يُبعث النَّاس؟

الجواب:

نعم، ستبعث الحيوانات يوم القيامة كما سيبعث كلُّ حيٍّ، وهذا ما يجب علينا أن نصدِّق به بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، والآية الآتية من سورة التَّكوير تذكر لنا حشر الوحوش يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التّكوير: ١-٥]؛ فالمفهوم من هاتين الآيتين أنَّ الحشر أو البعث مؤكَّدٌ، لكنَّ الخلاف الواقع عندهم هو: هل هذه الحيوانات ستحاسب يوم القيامة؟

والإجابة الَّتي يمكن أن تقطع بها هي أنَّ هذا الأمر علمه عند الله وحده، ولا يعرف أحدٌ عن ذلك شيئًا.

المطر وكرويَّة الأرض

السُّؤال:

رسالةٌ من بعض الإخوَّة يسألون فيها عن أشياء أصبحت أمورًا مسلَّمًا بها لا يجوز إنكارها والاعتراض عليها، كالمطر وكرويَّة الأرض.

الجواب:

المطر مصدره البحر، وهذا شيءٌ مسلَّمٌ به ثبت علميًّا، والعلم لا ينافي الدِّين، فإنَّ مياه البحر تتبخَّر بحرارة الشَّمس، فترتفع الأبخرة إلى الأجواء القريبة، ثمَّ تدفعها الرِّياح إلى جهاتٍ يشاؤها الله، وهناك تلتقي هذه الأبخرة بعضها ببعض، فتتراكم ثمَّ تنزل ماءً، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النـور: ٤٣-٤٤]، وقال ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

وكونُ المطر من سحابٍ وكونُ السَّحاب من البحر وكون الرِّياح هي الَّتي ترسِل أو تدفع هذه الغيوم؛ أمرٌ بدهيٌّ أصبح واضحًا معروفًا لدى الصَّغير والكبير لا يحتاج إلى دليلٍ، وكما قلت للسَّائل: الحقيقة لا تتنافى مع الدِّين.

وإن ركب الأخ السَّائلُ الطَّائرة ليرى بعينيه كيف ينشئ الله هذه الغيوم

الثِّقال، فسيراها رُكامًا بعضها فوق بعضٍ، ثمَّ ينظر كيف تسوقها الرِّياح، حتَّى إذا أراد الله إحياء أرضٍ مَيْتَةٍ أبرقت وأرعدت ودفعت الماء الَّذي تحيا به بقدرة الله ومشيئته؛ مِنَّةً منه على عباده.

فالبرق والرَّعد تصادم غيومٍ تحمل في طيَّاتها شحنةً كهربائيَّةً تكون سالبةً أو موجبةً، فيولَّد من ذلك التَّصادم البرق وصوت الرَّعد، وإنَّا إذ نرى البرق قبل سماع صوت الرَّعد فذلك لأنَّ للضَّوء سرعةً غير سرعة الصَّوت.

وأمَّا كرويَّة الأرض ودورانها وحركة الكواكب والجاذبيَّة فكلُّها أمورٌ مسلَّمٌ بها، وحقائق علميَّةٌ مفروغٌ منها، لا تحتاج شرحًا ولا مناقشةً، ولا نستطيع إنكارها، فلو سافر السَّائل جوًّا أو برًّا ورأى البلاد في الشَّرق والغرب وشاهد الفارق الزَّمنيَّ بين بلدٍ وآخر، أو طار بين بلدٍ وآخر ذاهبًا وآيبًا ورأى الفرق الزَّمنيَّ بين ذهابه ورجوعه مشرِّقًا أو مغرِّبًا؛ لَعَلِم أنَّ ذلك كلَّه صحيحٌ، وأنَّه حقٌّ وصدقٌ لا شكَّ فيه.

وأرجو أن يعلم الإخوة السَّائلون أنْ ليس في ذلك شيءٌ يناقض الإسلام أو ينكر منهجه، إنَّ الإسلام أمرنا أن ننظر إلى ما في السَّموات والأرض لنرى بديع صنع الله وآيات قدرته وجلال خَلقه ممَّا يخفى علينا وممَّا يمكن أن نتعلَّم منه ونستفيد منه ونزداد به إيمانًا وثقةً بخالقنا، والله تعالى يقول لنا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٩٠].

حجم الشَّمس والأرض

السُّؤال:

ما نسبة حجم الشَّمس إلى الأرض؟

الجواب:

قال أهل الفلك: إنَّ حجم الشَّمس أكبر من حجم الأرض بمليون وربع مرَّة، والشَّمس ثابتةٌ في مسيرٍ واحدٍ، مندفعةٌ فيه في الفضاء اللَّانهائيِّ، والأرض وسائر الكواكب التَّابعة للشَّمس تدور في مداراتٍ تتَّسع كلَّما بَعُد الكوكب من الشَّمس، وهذا المدارُ مدَّته للأرض وحدها ثلاثمئة وخمسة وستُّون يومًا وربع يوم، وبسببه تتكوَّن الفصول الأربعة، ومع هذا فالأرض تدور حول نفسها دورانًا بمدَّة أربع وعشرين ساعةً، يتكوَّن منه اللَّيل والنَّهار.

والله جلَّ شأنه قال لنا في كتابه العزيز يذكر دوران الشَّمس والقمر: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

تبدُّل السَّموات والأرض وفناء المادَّة

السُّؤال:

طالبةٌ تقول إنَّها سمعت منِّي رأيًا عن المادَّة وقلت فيها: إنَّها تفنى، وإنَّ الله لا يُسأل عمَّا يفعل. ثمَّ تقول: والقانون الكيميائيُّ لا يعارض الإسلام، فالمادَّة لا تفنى بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غَافر: ٦٧]، والإنسان خُلقَ من ترابٍ، ثمَّ يعود إلى التُّراب إذا دُفن، ولهذا فإنَّ المادَّة لا تفنى. وهي ترجو الرَّدَّ.

الجواب:

إنَّني ما زلت عند رأيي السَّابق الَّذي أبديته في فناء المادَّة، فإنَّ الله ﷻ سنَّ سنَّةً ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفَتْح: ٢٣]، ذلك أنَّ كلَّ مخلوقٍ يفنى ويتبدَّل، أمَّا قول السَّائلة الفاضلة إنَّنا بدأنا من ترابٍ ثمَّ نعود إلى التُّراب، والتُّراب باقٍ والغازات باقيةٌ، وإنَّ هذا دليلٌ على بقاء المادَّة وعدم فنائها، فأنا معها في هذا الكلام، وأوافقها عليه، وهذا صحيحٌ ما دامت الأرض والحياةُ، أمَّا عندما تدكُّ الأرض دكًّا وتُبدَّل الأرض غير الأرض والسَّموات غير السَّموات فيومئذٍ لا مادَّة ولا غيرها؛ لأنَّ ذلك اليوم يكون كلُّ شيءٍ هالكًا إلَّا وجه الله، هذا ما كنت أقصده بفناء المادَّة، والله تعالى يقول في هذا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

أمَّا عن بقاء الأرضِ كما هي فأنا مع السَّائلة الفاضلة في أنَّ المادَّة باقيةٌ كما هي لا تفنى.

أين الأراضي السَّبع؟

السُّؤال:

تلقَّيت رسالةً من طالبٍ يقول فيها: إنَّه أخذ في دروس الجغرافيَّة في المدرسة أنَّ الأرض واحدةٌ، وقرأ في كتاب الله هذه الآية الكريمة من سورة الطَّلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلاق: ١٢]، فأين توجد هذه الأراضي السَّبع؟

الجواب:

الله الَّذي خلق سبع سماواتٍ لم يخبرنا بحقيقة مدلولها ولا بمقياس أبعادها ومساحاتها، وكذلك خلق الأراضي السَّبع الَّتي نعرف منها واحدةً فقط، هي أرضنا الَّتي نحن عليها، أمَّا الباقيات ففي علم الله وحده، ولكن هناك إشارةٌ إلى هذا الكون الهائل الَّذي لا نهاية له، والَّذي يقف الإنسان أمام مشهدٍ من مشاهده الصَّغيرة، هو هذه السَّماء الدُّنيا المزيَّنة بالشَّمس والقمر والنُّجوم نراها ملكًا واسعًا عظيمًا، والأرض كلُّها ذرَّةٌ من ذرَّاته، فيصغُر هذا الكائن الصَّغير - الَّذي هو الإنسان - أمام عظمة خالق هذا الكون العظيم البديع.

وأقول للطَّالب السَّائل: يجب علينا الإيمان بما قال الله بأنَّه خلق سبع سمواتٍ ومن الأرض مثلهنَّ خلقها بقدرته ودبَّرها بعلمه وإرادته، يتنزَّل الأمر بينهنَّ بمشيئته، وهو وحده الَّذي يعلم أبعادها ومساحاتها ومقاديرها وكلَّ ما خفي من أمرها عن علمنا؛ لأنَّه جلَّ شأنه أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا.

فهل كانت هذه الأراضي متفرِّقةً وهي التَّوابع لهذه الأرض، أم هي طبقاتُ الأرض من المركز الوسط إلى أعلاها؟ ذلك الَّذي لا يعلمه إلَّا الله الَّذي خلق الأرض.

والأراضي السَّبع والسَّموات السَّبع من الأمور الغيبيَّة الَّتي يجب علينا الإيمان بها، وسيأتي الزَّمان الَّذي ينكشف فيه لنا غيبُها كما انكشف لنا غيرها ممَّا كنَّا نجهله.

عرض الجنَّة

السُّؤال:

نرجو أن تذكروا لنا شيئًا ممَّا جاء في القرآن يحدِّد لنا عرض الجنَّة؟

الجواب:

ذكر لنا القرآن في الآيتين الآتيتين وصفًا للجنَّة بأنَّ عرضَها كعرضِ السَّموات والأرض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٣]، وقال أيضًا: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

هذا ما أوضحته لنا هاتان الآيتان بشأن سعة الجنَّة، ولا يوجد في

القرآن آياتٌ في سورةٍ تحدِّد لنا معنى أكثر من ذلك من سعة الجنَّة، فليس هذا من شأن القرآن.

وقياس سعة الجنَّة بسعة السَّموات والأرض هو مبالغةٌ في السَّعة والبَسطة، فإنَّ الإنسان لا يعرف سعة السَّموات، ولا يرى من الأرض أكثر ممَّا تراه عيناه.

ولقد جاء ذكر سعة الجنَّة في هاتين الآيتين بعد أن جاء فيهما نَهيُ الإنسان عن الرِّبا، والأمرُ بتقوى الله ثمَّ باتِّقاء النَّار الَّتي أعدَّت للكافرين، والأمر بالطَّاعة والمسارعة إلى المغفرة، فإذا استجاب الإنسان إلى نداء الله وفعلَ ما أمر الله به في هاتين الآيتين فإن الله يُدخله بفضلٍ ورحمةٍ منه جنَّةً عرضها السَّموات والأرض، هذا العرض الَّذي لا يعلمه إلَّا الله.

ولَمَّا كان الإنسان لا يعلم سعةَ الجنَّة فإنَّه سيعمل طمعًا في المكافأة المجهولة للعامل، ونجد مثل هذه المكافأة المجهولة في حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: «**قال الله ﷻ: أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ**»[(١)]، ونجدها أيضًا في المكافأة الَّتي يرصدها إنسانٌ لابنه إذا درسَ دروسه، أو لآخر إذا فعل المطلوب إليه، فهذا الابن أو غيره لا يعلم بمقدار المكافأة أو نوعها، فهي مجهولةٌ عنده، ولَمَّا كانت مجهولةً فإنَّه سيُقبِل على العمل المطلوب إليه بنشاطٍ وجدٍّ ورغبةٍ في النَّجاح وبلوغ القصد للحصول على المكافأة.

ولا شكَّ في أنَّ معرفة مقدار المكافأة أو نوعها يقلِّل من النَّشاط والجدِّ والعمل المثمر.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٢٤٤)، ومسلم، رقم: (٢٨٢٤)، واللَّفظ للبخاريِّ.

هذا، ولله المثل الأعلى.

مقدار اليوم في الآخرة

السُّؤال:

ما مقدار اليوم في الآخرة؛ يوم القيامة؟ هل يعادل يومًا من أيَّام الدُّنيا في الزَّمن، أم يعادل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحَجّ: ٤٧]؟

الجواب:

الآية الكريمة الَّتي ذكرها السَّائل في سؤاله يقول المولى جلَّ وعلا فيها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَجّ: ٤٧].

نزلت هذه الآية في شأن كفَّار قريشٍ عندما دعاهم رسول الله ﷺ إلى اتِّباعه والإيمان برسالته، فكذَّبوه وعادَوه وحاربوه، بل كانوا يتحدُّونه في إصرارٍ وعنادٍ أن يأتي لهم بالعذاب مع أنَّهم يرَون كلَّ يومٍ مصارعَ الظَّالمين ويقرؤون أخبارَ الباغين، ويمرُّون بديارهم ذاهبين أو آيبين، ثمَّ هاجموا وسخروا ممَّن ينصحهم أو يخوِّفهم المصير السَّيِّئ.

ولن يخلف الله وعده؛ لأنَّ ذلك هو سبيل الله وسنَّته المقرَّرة، فإنَّه سيحلُّ بهم ما حلَّ بغيرهم، لا رادَّ لحُكمِه، وإذا قلتم - أيُّها المكذِّبون - إنَّ العهد قد طال بنا. فإنَّ تقدير الأمر في حساب الله هو غيره في حساب البشر، فإنَّ ألفَ سنةٍ عندكم - أيُّها المكذِّبون - كيومٍ واحدٍ عنده، فالله

يُملي ويُمهل ولا يُهمِل، وهلاك الظَّالمين مصيرٌ محتومٌ وشرٌّ واقعٌ، والله يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحَجّ: ٤٨].

أمَّا أجل الهلاك فأمَدُه عندكم طويلٌ، ولكنَّه عند الله قريبٌ، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعَارج: ٦-٧].

أمَّا اليوم الآخر فعِلْمُ طولِه عند الله، ولا شكَّ في أنَّه طويلٌ، ولكنْ لا ندري؛ هل طوله خمسون سنةً أم أقلُّ أم أكثر، علمُ ذلك عند الله، إنَّما علينا الإيمان به، فالإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان.

المعتقدات

التَّوسُّل بالأولياء

السُّؤال:

أرى كثيرًا من النَّاس يتمسَّحون بالقبور، ويتوسَّلون بأصحابها، وينذُرون لهم، ويسألونهم قضاء أشياء لا يقدر على إعطائها إلَّا الله؛ كسلامة ولدٍ من الأذى، أو جلب رزقٍ، أو طلب صحَّةٍ أو زوجٍ أو زوجةٍ أو هدايةٍ، فما حُكم هؤلاء؟

الجواب:

إنَّ الله ﷻ وحدَه المسؤول، وهو الَّذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه، والله تعالى أمرَ النَّاس أن يسألوه وحده، فيقول لمن يريد الدُّعاء: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يُونس: ١٠٦].

وبناءً على هذه الآيات لا ينبغي لإنسانٍ أن يسأل أحدًا غير الله في جلب خيرٍ أو دفع ضرٍّ؛ لأنَّ النَّاس كلَّهم عاجزون محتاجون مربوبون[(١)]، وكلُّهم يسأل الله رحمته ويخاف بطشَه وعذابه ويسأله التَّوبة والمغفرة، ويقول الرَّسول ﷺ: «**إنَّه ليُغَانُ على قلبي[(٢)]، وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مئة**

(١) العباد مربوبون لله: أي مملوكون. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢/ ٤٦٢).

مرَّة»[١]، ويقول ﷺ أيضًا: «**لن يدخل أحدًا عمله الجنَّة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله بفضلٍ ورحمةٍ»**[٢].

هذه هي الحقيقة، وهذا ما يرشدنا إليه العقل السَّليم المفكِّر، فالكلُّ مخلوقٌ لله، فقيرٌ إلى الله، والله هو الخالقُ، وهو وحده الغنيُّ والقادرُ على كلِّ شيءٍ، أمَّا الميِّت - صاحب القبر - فهو الَّذي فقدَ عناصر الحياة كلَّها من سمعٍ وبصرٍ وشعورٍ؛ لأنَّه فقدَ الرُّوح، لذلك لا يدري شيئًا عمَّن كانوا يعيشون معه في الحياة، إنَّه لا يدري شيئًا ممَّا يجري في عالمهم من خيرٍ وشرٍّ، ولا يملك من أمر نفسه شيئًا، ولم يستطع أن يمنع الدُّود حين يأكل لحمه، وإن كان قد فقد القدرة على جلب الخير لنفسه فكيف يعطيه لغيره؟! إنَّه فاقدٌ للشَّيء، وفاقد الشَّيء لا يعطيه.

وخير ما نختم به الجواب نصيحةُ رسول الله ﷺ لعبد الله بن عبَّاس حين قال له: «**يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف**»[٣].

(١) يُغانُ على قلبي: أراد ما يغشاه من السَّهو الَّذي لا يخلو عنه البشر. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٥/ ٤٨٧).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٧٠٢).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٥٦٧)، ومسلم، رقم: (٢٨١٦)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٤) رواه التِّرمذيّ، رقم: (٢٥١٦)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

رأي الشَّريعة في التَّصوُّف

السُّؤال:

ما رأي الشَّريعة الإسلاميَّة بالتَّصوُّف؟

الجواب:

الشَّريعة الإسلاميَّة إيمانٌ بالله وعملٌ بالأركان ومعاملةٌ مع النَّاس، وكلُّ ما خالف ذلك فهو باطلٌ، والتَّصوُّف الَّذي يؤمن به أهل الطُّرق الصُّوفيَّة هو عبادةُ أشخاصٍ، وطاعةٌ من المستضعفين للمستكبرين، وإعراضٌ عمَّا جاء به الله ورسوله.

وإنَّ في التَّصوُّف مظاهرَ لا يقرُّها الشَّرع، فهي مخالِفةٌ لمنهجه وسلوكه ووسائل العبادة الصَّحيحة الَّتي أوضحها الرَّسول ﷺ إمام المهتدين وسيِّد العابدين، وفعلها وعلَّمها لأصحابه الأطهار الَّذين ساروا على سنَّته من بعده، ففي الصُّوفيَّة ذِكر اللِّسان كلماتٍ غير مفهومةٍ،لم تكن معروفةً في عهد الرَّسول ولا في عهد صحابته، وهي رموزٌ وأسرارٌ، والإسلامُ ليس دين رموزٍ وأسرارٍ، إنَّما دينُ وضوحٍ وعلانيةٍ، والقرآن واضحٌ يسيرٌ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧]، أمَّا السُّنَّة فقد قال فيها رسول الهدى والتَّقوى ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالكٌ**»[1]؛ أي: إنَّها واضحةٌ وضوحَ

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٣).

النَّهار بيضاء ناصعةٌ مشرقةٌ.

وهم في أذكارهم يميلون يمينًا ويسارًا، ويأتون بحركاتٍ غير لائقةٍ بمسلمٍ عاقلٍ يحبُّ الله ويوقِّره ويريد أن يذكره باطمئنانٍ؛ فالذِّكر يؤدِّي إلى اطمئنان القلب؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد: ٢٨]، ولكنَّ الصُّوفيَّة تخالف في ذكرها اللهَ ما شرع الله لعباده المتَّقين أن يذكروه به.

وفي التَّصوُّف طقوسٌ ومراتب يرتقي إليها المتصوِّف تدريجيًّا، والإسلام بريءٌ من هذه الطُّقوس؛ لأنَّ الأفضليَّة في الإسلام للتَّقوى؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

وإنَّ التَّصوُّف عند بعض المتصوِّفين رهبنةٌ وانقطاعٌ عن الدُّنيا، والقرآن عاب على الَّذين يلجؤون إلى الرَّهبانيَّة في العبادة، وعدَّها بدعةً، فقال تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحَديد: ٢٧]، والرَّسول ﷺ يقول: «**لا رهبانيَّة في الإسلام**»(١)، فلو أنَّ الصُّوفيِّين استثمروا طاقاتهم والتفاف النَّاس حولهم، ووجَّهوا هذه الطَّاقات والجماهير الوجهةَ الصَّحيحة للإسلام؛ لَاستفادوا وأفادوا.

وهناك مقام الإحسان الَّذي ذكره الرَّسول ﷺ، وهو يردُّ على جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإحسان فقال الرَّسول ﷺ: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»(٢).

هذا هو مقام الإحسان، وهو أفضل مقامٍ عند الله، وهو المقام الَّذي

(١) أوردهُ العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٣١٥٤).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم (٨).

كان يعرفه رسول الله ﷺ، وأخذه عنه صحابته من بعده، يعبدون الله تعالى به، فلمَ لا يتَّبع الصُّوفيَّة سبيل الإحسان في عبادتهم لله؟ ولمَ لا يسمُّون أنفسهم بالمحسنين مثلًا؟

وعبادة الله لا تكون في ظلال الأضرحة[1] وبالانقطاع في الخَلوة كما يفعل الصُّوفيُّون، إنَّما تكون في كلِّ أمرٍ يتناوله الإنسان في حياته؛ في البيت والمسجد والحقل وميادين القتال والصِّناعة والتِّجارة وغير ذلك من مجالات الحياة ودروبها، فإذا أحسن المسلم العمل في هذه الميادين كان عابدًا لله بحقٍّ.

ولو أنَّ الصُّوفيِّين عرفوا ذلك لكان أنفع وأجدى وأفضل لهم ولمن يتَّبعونهم من أبناء الأمَّة الإسلاميَّة.

هدانا الله جميعًا إلى الصَّواب والحقِّ الَّذي من عنده.

(١) الأضرحة: جمع ضريح، وهو الشَّقُّ والحَفْرُ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٦/ ٥٦٧).

الباب العاشر

أسئلةٌ عن العاداتِ، البدعِ، الخُرافات

صوم يحيى وزكريَّا

السُّؤال:

ممَّا اعتاد النَّاس أن يفعلوه ما يسمُّونه بصوم يحيى وزكريَّا، وهو صوم يوم الأحد الأوَّل من شعبان، يجتمع الصَّائمون فيه على مائدةٍ فيها ما لذَّ وطاب بحفلةٍ تُشعَل فيها الشُّموع، ويُحرق فيها البَخُور، وتُنشد فيها الأناشيد، ثمَّ يفطر الصَّائمون على شيءٍ من خبز الشَّعير وماء البئر قبل أن يأكلوا، ومنهم مَن يصوم نصف النَّهار، وعند الإفطار يحتفل الصَّائمون الاحتفال نفسه.

يسأل: هل ورد في هذه البدعة أثرٌ؟

الجواب:

لم يرد في هذه البدعة أثرٌ ولا حتَّى خبرٌ في كتب التَّاريخ المعتمدة، ولم أسمع بتفصيلات هذه البدعة إلَّا من السَّائل في سؤاله.

الصِّيام ليس لزكريَّا ولا لابنه يحيى، إنَّما الصِّيام لله وحده، وهو الَّذي يجزي به كما يقول الرَّسول ﷺ في الحديث القدسيِّ: «**يقول الله تعالى: كلُّ عمل ابن آدم له، إلَّا الصِّيام فإنَّه لي وأنا أجزي به**»[1]، فالصَّوم لله وحده، وعلى الصَّائم أن يبيِّت النِّيَّة من اللَّيل بأنَّه صائم غدًا، أمَّا إذا كان الصِّيام نفلًا فعليه أن ينويه بعد الفجر إن لم ينوه ليلًا، والسُّنَّة أن يفطر الصَّائم على شيءٍ من تمرٍ، فإن لم يجد فعلى رشفاتِ ماءٍ، سواء كان هذا

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٩٠٤)، ومسلم، رقم: (١١٥١)، واللَّفظ للبخاريِّ.

الماء ماء نهرٍ أم مطرٍ أم بئرٍ، أمَّا تعيين خبز الشَّعير وماء البئر للإفطار فهذا شيءٌ لم نسمعه ولم نجده في كتب السُّنَّة النَّبويَّة.

ونسأل الله الهداية لمن ضلَّ السَّبيل.

الاحتفال بالمولد بدعةٌ

السُّؤال:

لماذا يحتفل المسلمون بمولد النَّبيِّ ﷺ وهجرتِه، ولا يحتفلون بمولد المسيح أو بمولد النَّبيِّ موسى عليه السلام، ودين الإسلام يقرُّ ويصدِّق بنبوَّة عيسى وموسى؟

الجواب:

لم يحتفل النَّبيُّ ﷺ بمولده ولا ببعثته ولا بهجرته كما يحتفل الملوك بذكرى مواليدهم وتولِّيهم الملك، ولم يحتفل كذلك أصحاب النَّبيِّ رضي الله عنهم بهذا ولا التَّابعون لهم بإحسان.

لقد اتَّخذ المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه السَّنةَ الَّتي هاجر بها الرَّسول من مكَّة إلى المدينة بدءًا للتَّاريخ الإسلاميِّ، ولم يتَّخذوا يوم الهجرة بدءًا للتَّاريخ ولا شهرها؛ لأنَّ الهجرة كانت في ربيع الأوَّل، والسَّنة الهجريَّة تبدأ في أوَّل محرَّم، وبينها وبين شهر الهجرة شهران، وبين رأس السَّنة الهجريَّة ويوم الهجرة سبعون يومًا.

أمَّا المولد واحتفال المسلمين به فليس من تشريعات الإسلام، ولم

يأمر به الإسلام، ولم يدعُ النَّاس إليها، إنَّما هي من البدع الَّتي حدثت في الإسلام بعد عهود الخلفاء الرَّاشدين.

ويحدِّثنا التَّاريخ أنَّ أوَّل مَن احتفل بالمولد النَّبويِّ هم الفاطميُّون[١]، فقد أراد الفاطميُّون أن يستميلوا الشَّعب المصريَّ ليرضى عن حكمهم، فاستغلُّوا العاطفة الرُّوحيَّة عند الشَّعب، ثمَّ الظُّروف المعيشيَّة الَّتي كان يعيشها في ذلك الوقت، فأقاموا الاحتفال بمولد النَّبيِّ، ثمَّ أتبعوها بعد ذلك بموالد آل البيت، وأغدقوا في هذه الاحتفالات الأموالَ الوفيرة والأطعمةَ على الشَّعب؛ ليصلوا إلى مرادِهم من السَّيطرة على عواطف الشَّعب، ونجحوا في ذلك.

ثمَّ تتابعت الاحتفالات بمولد النَّبيِّ، فحدث احتفالٌ به في الموصل بالعراق، أو في مدينة أربيل، وكان ذلك في القرن الرَّابع للهجرة تقريبًا.

أمَّا قبل ذلك فلم تكن هناك أعيادٌ للمولد النَّبويِّ في أيِّ قطرٍ من أقطار الإسلام.

وهنا - في الكويت - كان أوَّل احتفالٍ للمولد النَّبويِّ احتفلنا به عامًّا، وكان في المدرسة المباركيَّة سنة (١٣٤٨هـ)[٢] على ما أذكر، وأوَّل احتفالٍ للمولد أقيم في مسجد السُّوق الكبير سنة (١٣٥٤هـ)[٣]، أمَّا قبل هذين الاحتفالين فكان النَّاس يجتمعون في بيوتهم يقرؤون السِّيرة لا لشيءٍ

(١) انظر: البدع الحوليَّة، للتُّويجريِّ (١/ ١٤٧).
(٢) أي: سنة (١٩٢٩م).
(٣) أي: سنة (١٩٣٥م).

إلَّا للصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، فكان اجتماعهم لذكر الله والصَّلاة على رسوله ﷺ.

وإحياءُ ذكرى المولد اليوم مع عدم ورود نصٍّ فيه إظهارٌ للشُّعور بمحبَّة الدِّين الَّذي جاء به هذا النَّبيُّ الكريم ﷺ، وشكرٌ لله على أن جعلنا من أمَّة هذا النَّبيِّ الَّذي بعث رحمةً للعالمين، وإرشادٌ للنَّاس إلى سلوك سبيل رسول الله ﷺ من موعظةٍ وتذكرةٍ، والذِّكرى توقظ القلب وتحيي النَّفس.

أمَّا عدم احتفال المسلمين بمولد موسى وعيسى عليهما السَّلام فنجيب عنه بأنَّ المسلمين احتفلوا منذ أن عرفوا الاحتفالات بمولد النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه رسولهم، ولأنَّه خاتم الأنبياء، ولأنَّ شريعته جاءت خاتمةً للشَّرائع ومكمِّلةً للرِّسالات الَّتي كانت قبله جميعها، فالعادة جرت على أن يحتفل المسلمون بمولد نبيِّهم محمَّد ﷺ.

لكنَّنا نجد أنَّ إخواننا المسيحيِّين يحتفلون بمولدِ المسيح عيسى عليه السلام، وهذا الاحتفال يسمَّى بالكريسماس، وهو عند الغربيِّينَ يقعُ يوم (٢٥) ديسمبر من كلِّ عامٍ، وعند الشَّرقيِّينَ يقع يوم (٧) يناير من كلِّ عام.

أمَّا موسى عليه السلام فإنَّ اليهود لا يحتفلون بمولده.

إقامة ليلة الأربعين للمتوفَّى

السُّؤال:

توفِّيت والدتي وقرأتُ لها الختمات ثلاثَ ليالٍ في غير موطني، ثمَّ جئتُ إلى موطني، فهل يجوز لي أن أقيم ليلةَ الأربعين في بلدي لحقِّ

الفقراء أم يجب إقامتها في المكان الَّذي توفِّيت به؟

الجواب:

ليلة الأربعين أو غير ذلك ممَّا اعتاد النَّاس أن يفعلوهُ في مثل هذه المناسبات بدعةٌ من البِدَعِ الَّتي تفشَّت في مجتمعاتنا، فهي لم ترد في السُّنَّة النَّبويَّة ولا هي من فعل الصَّحابة،وعلينا أن نتَّبع ما جاء بكتاب الله وسنَّة رسوله في مثل هذه الأمور.

وخير عمل يقدِّمه السَّائل لوالدته دعوةٌ بالرَّحمة، فإنَّ الدُّعاء من الولد الصَّالح للوالدين من الباقياتِ الصَّالحاتِ، وقد أمرَنَا اللهُ تعالى في كتابه العزيز بالدُّعاءِ لهما فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسرَاء: ٢٤].

والرَّسول ﷺ يُبيِّنُ أنَّ دعاءَ الولدِ الصَّالح من الأعمال المتَّصِلَةِ الدَّائمةِ للوالدين فيقولُ: «إذا مات الإنسانُ انقطَعَعنه عملُهُ إلَّا من ثلاثةٍ: صَدَقَةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو لَهُ»[1].

وممَّا تجدُرُ الإشارةُ إليه من هذا الحديث أنَّ عملَ ليلةِ الأربعين وكلَّ ما شابَهَ ذلك نوعٌ من الإسراف الَّذي يَمْقُتُهُ الإسلامُ ويحذِّرُ منه المسلمينَ ويمنعُهُم من فعلِهِ.

فرُبَّما يكونُ المتوفَّى قد تَرَكَ أطفالًا صغارًا وأولادًا يحتاجون تربيةً ورعايةً حتَّى يكبروا ويخرجوا إلى الحياة، فهم أحقُّ بما يُنْفَقُ في إقامةِ هذه اللَّيالي البدعيَّة من مبالغَ طائلةٍ؛ إذ إنَّ عاداتِ حبِّ الظُّهور وإرضاء

(١) رواه مسلم، رقم: (١٦٣١)، والترمذي، رقم: (١٣٧٦).

المجتمع تتحكَّمُ في مثل هذه الأمورِ هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أُخْرَى فإنَّ ما يَحْدُثُ في هذه اللَّيالي من قراءةِ الختمات وغيرها لا ينفعُ الميِّتَ شيئًا، وإنَّما الَّذي ينفعُهُ أعمالُهُ الصَّالحة من منزلٍ أو مستشفًى أو مدرسةٍ أو أيِّبناءٍ يفيدُ المجتمعَ، أو تركُهُ مؤلَّفاتٍ تفيدُالقارِئَ وتهديه إلى الله، أو دعاءُ ولدٍ صالحٍ لَهُ أو غيرِ ولدِهِ من المؤمنين المخلصينَ، وذلكَ مصداقُ قول الرَّسول ﷺ: «إذا مات الإنسانُ انقطَعَ عنه عملُهُ إلَّا من ثلاثةٍ: صَدَقَةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو لَهُ»(١)، واللهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيل.

قراءة الفنجان

السُّؤال:

ما قولكم في قراءة الفنجان وفي صدقِ أحداثه أحيانًا؟ وهل تصديق قارئِ الفنجان يؤثِّر في إيمانِ المسلمِ؟

الجواب:

يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: ٦٥] معنى ذلك: أنَّهُ لا يعلمُ الغيبَ بشرٌ ولا ملائكةٌ ولا جِنٌّ.

وقد أمرَ الله نبيَّهُ أن يُعلِمَ النَّاسَ أنَّه لا يعلمُ الغيبَ فقال على لسان رسولِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ

(١) سبق تخريجه.

ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فمن ادَّعى معرفةَ الغيبِ فهو كاذبٌ على اللهِ وعلى النَّاسِ؛ لأنَّ هذا المُدَّعي يدَّعي أوهامًا وخرافاتٍ، والإسلامُ حاربَ الأوهامَ والخرافاتِ في كلِّ وكرٍّ من أوكارها حتَّى بيَّنَ للنَّاسِ حقيقتَها.

ولَمَّا بُعث النَّبيُّ ﷺ كان في العرب دجَّالون وكهنةٌ يدَّعون معرفة الغيب ويوهمون النَّاس أنَّهم يتَّصلون بالجنِّ ويأخذون معلوماتهم منهم، فأعلن الرَّسول ﷺ الحرب الشَّديدة على هؤلاء الدَّجَّالين، وقال في الحديث: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيءٍ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلةً**»(١).

والله ﷻ قال في سورة الجنِّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجنّ: ٢٦].

وفي الحديث عن الرَّسول ﷺ: «**العيافة والطِّيرة والطَّرق من الجِبت**»(٢)؛ والعيافة: هي زجر الطَّير، والطِّيرة: التَّشاؤم، والطَّرق: ضرب الحصى، والجِبْت: الشِّرك.

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٢٣٠).
(٢) رواه أبو داود، رقم: (٣٩٠٧).

الأحجبة والتَّعاويذ

السُّؤال:

يعلِّق بعض النَّاس على أجسامهم أحجبةً بقصد حفظ النَّفس من الحسد أو إطالة العمر أو غير ذلك من المقاصد، فما شرعيَّة هذه الأحجبة؟

الجواب:

الحجاب - أو ما نسمِّيه في الكويت باليامعة أو العوذة - ورقةٌ يكتب فيها بعض الآيات القرآنيَّة مع كلمات غير مفهومةٍ، ثمَّ تطوى بشكل مثلَّث وتُغلَّف بالشَّمع بحيث يمنع وصول الماء إليها، ثمَّ تُعلَّق على الصَّدر أو الرَّأس، وهذا عملٌ باطلٌ لا يقرُّه الإسلام.

وقد قال رسول الله ﷺ عنه: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**»(١).

وقال ﷺ أيضًا: «**من علَّق ودعةً فلا ودَعَ الله له، ومن علَّق تميمةً فلا تمَّم الله له**»(٢).

وقال ﷺ أيضًا: «**من تعلَّق بشيء وكِّل إليه**»(٣).

وتعليق التَّمائم والعوذ وما أشبهها شركٌ، والله لا يغفر أن يشرك به؛ لأنَّ الإنسان الَّذي يعلِّق هذه الأشياء يعتمد عليها في شفائه وسلامته أو

(١) رواه أحمد، رقم: (١٧٤٢٢).
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٨٢٠).
(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٧٢).

حفظ ولده وإطالة عمره أو حفظ المكان أو جلب الرِّزق لمحلَّات البيع أو طرد مكروهٍ.

وفي الحديث عن امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ رأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا؟ فقلت: خيطٌ رُقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه، ثمَّ قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشِّرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتُّولة شركٌ**»، قلت: فإنِّي خرجت يومًا فأبصرني فلانٌ، فدمعت عيني الَّتي تليه، فإذا رقيتها سكنت دمعتها، وإذا تركتها دمعت، قال: ذاك الشَّيطان، إذا أطعته تركك، وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك، ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ لكان خيرًا لك وأجدر أن تشفين تنضحين في عينك الماء وتقولين: «**أذهب الباس ربَّ النَّاس، اشف أنت الشَّافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[1].

وإذا أراد الإنسان أن يتداوى من مرضٍ فعليه أن يستشير الطَّبيب المختصَّ فيما يشكو منه، هكذا أرشدنا رسول الله ﷺ في أحاديثه، أمَّا استعمال الحجاب أو التَّعويذة للتَّداوي من الأمراض أو من غيرها ممَّا ذكرناه فهو باطلٌ وبدعةٌ.

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٥٣٠).

بدعة الزَّار

السُّؤال:

هل صحيحٌ ما يحكيه النَّاس عن الزِّيران وأنَّ الزَّار يدخل في الإنسان؟

إنَّ كثيرًا من النَّاس يعتقدون بهذه الخرافة، فما رأيكم؟

الجواب:

الزَّار بدعةٌ من البدع الَّتي انتشرت في مجتمعنا وتمكَّنت من نفوس بعضنا، والزَّار عملٌ لا صحَّة له، ولا يؤمن به عاقلٌ، فهو كذبٌ، والحديث عنه كذبٌ، والتَّخيُّلات الَّتي يتخيَّلها المصابون به - كما يدَّعون - كذبٌ وأوهامٌ، وأصحاب العقول السَّخيفة والمخرِّفة هم الَّذين يصدِّقون هذا الكذب والوهم بوصفه علاجًا لما يتخيَّلون ويتوهَّمون.

فالَّذي يمارس هذه البدعة يزعم أنَّ الجنَّ قد تلبَّس به، وأنَّه يقيم حفلة الزَّار لإخراج الجنِّ من جسده، وهذا ادِّعاءٌ باطلٌ وكذبٌ على الحقائق الثَّابتة، فالحقائق الثَّابتة تقول إنَّ الإنسان خُلِقَ من طينٍ، والجانَّ خُلِقَ من نارٍ، ومحالٌ أن يجتمع الطِّين والنَّار، وممَّا يؤكِّد هذه الاستحالة أنَّ الإنسان من عالم الشَّهادة؛ أي: إنَّه يُرى ويُشاهَد، أمَّا الجانُّ فهو من عالم الغيب؛ أي: إنَّه غائبٌ عن الرُّؤية كما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فكيف يكون التَّلبُّس إذن والجنُّ لا يُرى؟

وإن كان الجانُّ يدخل في جسم المريض على صورةِ ريحٍ أو هواءٍ كما

يقولون، ففي أيَّةِ جهةٍ يدخل في الإنسان، والإنسان مغلقٌ كلُّه؟

إنَّ الهواء متى دخل جوفًا غير البطن هلك، وهو في البطن يؤذي ويزعج؛ لأنَّه يسبِّب الانتفاخ.

إنَّ أسلافنا الأطهار لم يعرفوا هذه البدعة؛ بدعة الزَّار، وقد دخلت علينا في العصور المظلمة ثمَّ ساعد أعداء الإسلام في انتشارها بين أوساطنا، صارفًا وملهيًا لنا عن حقائق الإسلام وعقائده الطَّيِّبة.

وإنَّني أرجو أن يقلع المسلمون عن هذه الخرافة، فيصرفوها، ويقضوا عليها، ويتخلَّصوا من شرورها وفسادها.

النَّحس والتَّشاؤم

السُّؤال:

ما التَّشاؤم؟ وهل ورد عنه نهيٌ في الإسلام؟

الجواب:

قضيَّة النَّحس أو التَّشاؤم لا أصل لها في الدِّين، فقد ورد حديث الرَّسول ﷺ ينهى أمَّته عن التَّشاؤم: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل**»، **قالوا وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطَّيِّبة»**[1].

وروى الإمام أبو داود في «سننه» عن عقبة بن عامر، قال: ذكرت الطِّيرة عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنها الفأل ولا تردُّ مسلمًا، فإذا**

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٧٧٦)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٤)، واللَّفظ لمسلم.

رأى أحدكم ما يكره فليقل اللَّهمَّ لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت ولا يدفع السَّيِّئات إلَّا أنت ولا حول ولا قوَّة إلَّا بك»[١].

كما روى الإمام ابن حنبل في «مسنده» عن ابن عمر أنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**من ردَّته الطِّيَرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله، ما كفَّارة ذلك؟ قال: «تقول: اللَّهمَّ لا خير إلَّا خيرك ولا طير إلَّا طيرك»**[٢].

ومن هذه الأحاديث نفهم أنَّ رسول الله ﷺ نهى أمَّته عن التَّشاؤم والطِّيرة.

ويروى أنَّ الرَّسول ﷺ قال عن التَّشاؤم: «**إنَّما الشُّؤم في ثلاثةٍ: في الفرس والمرأة والدَّار**»[٣]، وبعضهم يأخذ من هذا الحديث دليلًا على جواز التَّشاؤم.

ويردُّ عليهم الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في كتاب «مفتاح دار السعادة»، فيقول: «إخبار النَّبيِّ ﷺ في هذه الثَّلاثة ليس فيه ما يثبت الطِّيرة الَّتي نفاها الله سبحانه، وإنَّما غايته أنَّ الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومةً على من قاربها وساكنها، وأعيانًا مباركةً لا يلحق من قاربها شؤمٌ ولا شرٌّ.

وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشَّرَّ على وجهه، وكذلك ما يُعطاه العبد من ولايةٍ وغيرها، فكذلك «**الفرس والمرأة والدَّار**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٩).
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٣٨).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٨٥٨)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٥)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٤) سبق تخريجه.

والله سبحانه خالق الخير والسَّعد والنَّحس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعدًا مباركةً ويقضي بسعادة مَن قارَبها وحصول اليُمن والبركة له، ويكون في بعضها نحس ينتحس بها مَن قاربَها، وكلٌّ ذلك بقضائه وقدره.

وخلق سائر الأسباب وربطها بمسبِّباتها المتضاربة والمختلفة، وخلق المسك وغيره من الأرواح الطَّيِّبة ولذَّذ بها مَن قاربها من النَّاس، وخلق ضدَّها وجعلها سببًا لألم من قاربها من النَّاس، والفرق بين هذين النَّوعين مدركٌ بالحسِّ، وكذلك في الدِّيار والنِّساء والخيل، فهذا لونٌ والطِّيرة الشِّركيَّة لونٌ»[1].

وقد ذكر النَّبيُّ ﷺ أنَّ اليُمن إن كان في شيءٍ ففي المرأة والدَّار والفرس، وشرح أنَّ يمن المرأة في طاعتها وأمانتها، ويمن الدَّار في سعة مرافقها، ويمن الفرس في سهولتها وراحة راكبها.

إنَّ التَّشاؤم لا يكون إلَّا في عقول السُّذَّج والبسطاء ضعيفي الإيمان، أمَّا الرِّزق والصِّحَّة والحياة وصِلة الشُّؤم بهذا، فنقول: إنَّ هذه الثَّلاثة بيد الله وحده وليست بيد أحدٍ، وعلى الإنسان أن يتفاءل دائمًا في أحواله كلِّها؛ الرِّزق والصِّحَّة والحياة، ويجب عليه أن يطرح التَّشاؤم من عالمه.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٣/ ١٥٥٦).

إفطار الملائكة مع الصَّائمين

السُّؤال:

سمع من بعض النَّاس أنَّ الصَّائم لا يفطر ملائكته المكلَّفون بحراسته حتَّى يصلِّي صلاة العشاء، ويسأل: هل هذا الكلام صحيحٌ؟

الجواب:

إنَّ الله ﷻ خلق الملائكة من نورٍ، وأمرنا بالإيمان بهم، والملائكة كما ذكرهم رسول الله ﷺ لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، يسبِّحون باللَّيل والنَّهار لا يفتُرون، يقول الله في وصفهم: ﴿...لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبيَاء: ١٩-٢٠]، ومعنى يستحسرون: يتعبون، فإذا كانوا لا يأكلون فكيف يصومون؟! والصِّيام هو الإمساك عن الطَّعام، إنَّ من قال هذا لا شكَّ في أنَّه مخرِّفٌ سمع هذا الكلام من شخصٍ مثله، وما أكثر الخرافات والأباطيل الَّتي يروِّجها المبطلون في العالم الإسلاميِّ باسم الدِّين والدِّين بريءٌ منها! تلك الخرافات والأباطيل الَّتي دخلت في ديننا الطَّاهر الطَّيِّب فحسبها النَّاس من معتقداته وآمنوا بها.

فأرجو من السَّائلين الكرام ألَّا يصدِّقوا مثل هذه الخرافات الَّتي تفسد عليهم دينهم وتشوِّه معتقداته الطَّيِّبة في نفوسهم.

حراسة البنت في ليلة زفافها

السُّؤال:

اعتقد بعض السَّابقين منَّا أنَّ هناك حراسةً على البنت في اللَّيلة الأولى من زواجها، فما قصَّة هذه الحراسة؟

الجواب:

إنَّ هذه القصَّة خرافةٌ جاهليَّةٌ أو وثنيَّةٌ لم ينزل الله بها بيانًا ولا سلطانًا، ولا أخبر عنها رسول الله ولا الخلفاء الرَّاشدون ولا الأئمَّة، إنَّما هي من وساوس الشَّيطان، ابتدعها متَّبعوه وآمنوا بها على أنَّها عاداتٌ وتقاليد موروثةٌ، وتعلَّق بها النَّاس جيلًا بعد جيلٍ، والإسلام بريءٌ منها.

والله تعالى أمر نبيَّه أن يستعيذ من همزات الشَّياطين، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧].

أمَّا رسول الله ﷺ فقد حذَّرنا من هذه العادات الَّتي هي من البدع، فقال: **«إيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»**[(١)].

إنَّ قصَّة حراسة البنت ليلة زفافها من رواسب الجاهليَّة وبقايا العصور المظلمة، وينبغي لنا بوصفنا مسلمين مؤمنين بالله وبرسوله أن ننبذ هذه العادات والخرافات، فالرَّسول ﷺ أمرنا بأن ننبذها؛ تطهيرًا لنا من مساوئها ومفاسدها.

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٦٠٧).

معجزات الكلام في البطن أو في المهد

السُّؤال:

تحدَّث النَّاس عن طفلٍ حديث الولادة يتكلَّم في المهد، وقد سمعوا ممَّن تناقل هذا الخبر أنَّه رأى بعينيه هذا الطِّفل يتكلَّم بلسانٍ عربيٍّ فصيح، وتحدَّثوا عن طفلٍ من إندونيسيا ظلَّ في بطن أمِّه تسعة عشر شهرًا يتكلَّم في بطنها، وقد تحدَّثت الصُّحف عن هذا الخبر على أنَّه معجزةٌ.

فهل بالإمكان حدوث الكلام في البطن أو في المهد؟ وهل بالإمكان مكوث الطِّفل في بطن الأمِّ تسعة عشر شهرًا؟

الجواب:

الكلام في المهد جاء ذكره في القرآن الكريم معجزةً لعيسى بن مريم عليه السلام، وهو نبيٌّ من أنبياء الله ورسولٌ من رسله الكرام، فقد كان حمل أمِّه به معجزةً، وكانت ولادته معجزةً، وكان كلامه في المهد معجزةً، ذكر القرآن خبرها بقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٦-١٩]، إلى قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى

نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مَريَم: ٢٩-٣٣].

فكلام عيسى كان معجزةً خصَّه الله بها وجعله ينطق بها؛ براءةً لأمِّه الصِّدِّيقة، ودفعًا للتُّهمة عنها، وليبيِّن للنَّاس أنَّه عبدٌ من عباد الله، وأنَّ مثله في خلقه كمثل آدم خلقه من ترابٍ كما يقصُّ علينا القرآن ذلك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]، فالبشريَّة ليست محتاجةً إلى دينٍ جديدٍ يثبت صاحبها دعواه بمعجزةٍ فيتكلَّم في بطن أمِّه أو في المهد، ليست في حاجةٍ إلى دينٍ جديدٍ يدعوها إلى الله وينظِّم حياتها بعد أن أتمَّ الله عليها نعمته ورضي لها الإسلام دينًا وختم الرِّسالات برسالةِ محمَّدٍ ﷺ.

ولعلَّه أُريد بما نشر في الصُّحف عن طفل المرأة الإندونيسيَّة غرضٌ سياسيٌّ، وقد أثبتت الأيَّام الَّتي تلت هذا الحادث كذبَ ما أشيع عن هذا الطِّفل من كلامه في بطن أمِّه ومكوثه في بطنها تسعة عشر شهرًا.

ولقد أوردت كتب السُّنَّة حدوث معجزتين غير معجزة نطق عيسى في المهد، ففي الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لم يتكلَّم في المهد إلَّا ثلاثةٌ: عيسى بن مريم وصاحب جريجٍ وصبيٌّ كان قد دعت له أمُّه فدعا بغير دعائها**»[1]، والحديث طويلٌ.

وإنِّي أحبُّ أن أقول للأخ السَّائل ولكلِّ مسلم يهمُّه معرفة المعجزات من الخرافات: إنَّ هذا ما جرت عليه البشريَّة، وأخبر به القرآن، وتحدَّثت

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٠).

عنه السُّنَّة، فللَّه ﷻ في خلقه سننٌ لا تتبدَّل ولا تتحوَّل، يقول تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فَاطِر: ٤٣].

فإذا نطق عيسى في المهد فهو آيةٌ في حمله وولادته ونطقه في المهد؛ لبراءة أمِّه الطَّاهرة.

وإذا نطق جريجٌ أو الصَّبيُّ الَّذي دعت له أمُّه فإنَّنا نصدِّق هذا الخبر، ولو أنَّ الحديث لم يشر إلى عمر كلٍّ منهما، ولكنَّ الحديث روى ذلك بطريقٍ صحيحٍ ثابتٍ لا سبيل إلى تكذيبه، فإنَّ ناقله هو حديثُ رسول الله الصَّادق ﷺ، فلا بدَّ إذن من الإيمان به كإيماننا بمعجزة عيسى تمامًا.

هذا ما ورد في شأن الكلام في المهد، وإنِّي أكرِّر القول للسَّائلين: إنَّ ما سمعوه عن طفلٍ يتكلَّم في المهد أو في بطن أمِّه خبرٌ كاذبٌ وافتراءٌ، والله تعالى يقول في هذا الكذب: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النّحل: ١٠٥].

على أنَّ هذه الأخبار ليست هي الأولى من نوعها ممَّا يتناقله النَّاس، فقد سمعت حوادث مماثلة لها.

سمعت عن حجرٍ تكلَّم واتَّجه إلى غير جهته، وسمعت عن صبيٍّ تكلَّم بعد أن خرج من بطن أمِّه، وسمعت عن أنوارٍ خرجت من السَّماء حتَّى وصلت إلى الأرض، وسمعت عن رؤى وأحلامٍ كثيرةٍ وكأنَّها الوحي، ولكنِّي لم أصدِّق هذه الأخبار كلَّها ولن أصدِّقها.

ثمَّ نتحدَّث عن إمكانيَّة خروج الصَّوت من داخل البطن، فنقول: هناك مثلٌ في الكويت يقول: حدِّث العاقل بما لا يليق فإن صدَّق فلا عقل له.

وأعوذ بالله أن يكون السَّائلون بهذه الصِّفة، فإنَّ حقائق الأشياء تقول: إنَّ البطن خاليةٌ من الهواء، وإنَّ الحبال الصوتيَّة في الإنسان هي الَّتي تخرج الصَّوت بوساطة الهواء الَّذي ينقل الصَّوت في شكل موجاتٍ هوائيَّةٍ، ومتى انعدم الهواء انعدم الصَّوت، ولولا الهواء ما سمعنا أصواتنا، إذن؛ فلا بدَّ من وجود وسطٍ ينتقل فيه الهواء ويسير فيه حتَّى يصل إلى أذن السَّامع، فإذا كان الصَّوت لا ينتقل إلَّا بهذه الوسيلة فكيف خرج صوت الطِّفل من بطن أمِّه الإندونيسيَّة وسمعه مَن سمعه؟ إنَّ هذا الكلام غير معقولٍ، بل هو زعمٌ مرفوضٌ، وافتراءٌ غير مقبولٍ.

أمَّا قضيَّة مكوث الطِّفل في بطن أمِّه تسعة عشر شهرً فهو أيضًا من ضروب الخرافة؛ إذ إنَّ المدَّة المقرَّرة لمكوث الطِّفل في بطن أمِّه لا تزيد على تسعة أشهر، بل هي تنقص إلى سبعة أشهرٍ؛ لأنَّ الطِّفل لو استمرَّ في بطن أمِّه أكثر من تسعة أشهرٍ لزاد لحمه ووزنه، وكان ذلك خطرًا على أمِّه في عمليَّة الولادة، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن يجعل تمام الخلقة ونزوله إلى الحياة في تسعة أشهر؛ ليكون في حجمٍ ملائمٍ للموضع الَّذي ينزل منه بعد أن يترك بطن أمِّه.

الشَّيخ أحمد الدَّجَّال

السُّؤال:

اعتاد رجلٌ يدعى الشَّيخ أحمد، يزعم أنَّه حامل مفاتيح الحرم أن يرسل إلى النَّاس من حينٍ لآخر خطابات مكتوبة بعنوان (وصيَّة) يطلب

إليهم فيها أن يقرؤوها، ثمَّ يكتبوها ثلاثين مرَّةً، ويرسلوها إلى أصدقائهم، ويخبرهم في هذه الخطابات أنَّ من يقرأها سيأتيه الخير الوافر، أمَّا من يهملها فسيتعرَّض للابتلاء في نفسه أو ماله أو ولده، ويسأل السَّائلون - في رسالتهم - عن قصَّة هذا الشَّيخ وعن مدى صحَّة دعواه.

الجواب:

ما جاء في هذه الخطابات خرافةٌ كتبها هذا الدَّجَّال المخرِّف، وكنت قد رأيت مثلها منذ خمسين سنةً ولَمَّا أبلغ الحلم، وحججت سنة (١٣٥٠هـ)[١]، وبحثت عن الشَّيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم فلم أعثر عليه، وبحث عنه غيري فلم يجده.

وأقول للإخوة السَّائلين وغيرهم: ليس في الحرم النَّبويِّ وظيفةٌ اسمها حامل مفاتيح الحرم، إنَّما هناك أبوابٌ وخدمٌ، ورئيسهم معروفٌ، ومع ذلك ما زال النَّاس - وقد عرفوا كذب هذه الخرافة - يصدِّقون بها ويرهبونها وينفِّذون ما جاء فيها.

هذه الورقة تتضمَّن رسالةً من الشَّيخ أحمد خادم الحرم المزعوم، ويقول فيها إنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في منامه يأمره بأوامر ليس فيها طاعةٌ لله ولا نهيٌ عن معاصي الله.

وأرجو أن يعلم الإخوة السَّائلون أنَّ الله ﷻ قد أكمل للنَّاس دينه، وقبض إليه رسوله، وبذلك انتهى نزول الوحي، ولم يعد وحيٌ ينزل بعد ذلك، وبعد موت الرَّسول ﷺ بكى الصَّحابة لفراق الوحي وانتهاء اتِّصال السَّماء بالأرض.

---

(١) أي: سنة (١٩٣١م).

والرَّسول ﷺ أخبرنا أنَّ الرُّؤيا الصَّالحة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة، هذا إذا كانت رغبةً في فعل خيرٍ ورهبةً من فعل شرٍّ.

أمَّا أن تكون الأوامر والنَّواهي بعيدةً من الشَّرع فإنَّها غير مقبولةٍ، وهي من فعل الشَّيطان وأعوانه من الإنس الَّذين يضحكون بها من البسطاء من النَّاس.

إنَّ هذه التَّوصية كذبٌ على الله ورسوله، والرَّسول ﷺ قال: «**من كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»(١).

وأيُّ كذبٍ أكبر من هذا الَّذي في هذه الورقة الَّتي تأتينا هكذا كلَّ عام، أو في غيرها ممَّا يدَّعي الدَّجاجلة الَّذين يزعمون للنَّاس مثل مزاعم الشَّيخ أحمد لحاجةٍ في أنفسهم؟!

إنَّ الله ﷻ لا يقرِّب إليه أحدًا بغير طاعته، وفي غير طاعة الله غضبُ الله، وطاعة الله إيمانٌ به وبرسوله، وقيامٌ بأركان الإسلام، وحسنُ معاملةٍ مع النَّاس، وفعلُ خيرٍ، وجهادٌ في سبيل الله، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر، وإذعانٌ لِمَا أمر الله به، وانتهاءٌ عمَّا نهى عنه.

والله ﷻ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القَصَص: ٨٤].

ويقول أيضًا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشّورىٰ: ٢٠].

وهذه الورقة لا تحذِّر من عذاب الآخرة فقط، وإنَّما تحذِّر من عذاب

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١١٠)، ومسلم، رقم: (٣).

الدُّنيا أيضًا، وتبشِّر بخير الدُّنيا، فمَن كتب كذا وكذا فيها كان له ما يريد، ومَن تركها وأهملها خسر.

إنَّ هذا افتراءٌ على الله وكذبٌ على رسوله، وأقول للنَّاس: أيُّها النَّاس! اعقلوا وتبصَّروا واعلموا أنَّ الله جلَّ جلاله خلق هذا الكون وجعل له سننًا يسير عليها، فمن اتَّبع السُّنن هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، ومن خالفها وضلَّ شقيَ وخسر الدُّنيا والآخرة.

الكذب لا يرفع رأسًا ولا يطرد عدوًّا ولا يجلب نصرًا ولا يوصل إلى الخير، والله جلَّ جلاله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

والرَّسول ﷺ قال: «**اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له**»(١).

وإنِّي أنصح الأخوة السَّائلين وغيرهم ممَّن يريدون أن يعبدوا الله على حقٍّ ألَّا يلتفتوا إلى أمثال هذه الخرافات، وأنصح مَن وصلت إليه أمثال هذه الورقة أن يبادر إلى تمزيقها ويحذِّر من يرى مثلها عنده.

ولقد لحظت في هذه التَّوصية كلمةً يقولها الشَّيخ أحمد المزعوم: ومن رمى هذه التَّوصية بعيدًا حُرم من رحمة الله. وأقول له: إنَّ رحمة الله ليست ملكًا لمن انتحل صفة حامل المفاتيح أو سمَّى نفسه الشَّيخ أحمد، فالله ﷻ وحده هو ربُّ الرَّحمة القائل: ﴿...وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٩٤٩)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٧).

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وهذا هو المطلوب، فليطع الإنسان ربَّه فيما بعث به رسوله، وليطع الرَّسول فيما أرسله الله به حتَّى يكون من المفلحين النَّاجين.

أمَّا هذا الشَّيخ أحمد فلا طاعة له علينا؛ لأنَّ هذه الورقة الَّتي يرسلها كلَّ عامٍ لا هداية فيها ولا خير.

وأمَّا تهديده في التَّوصية بالحرمان من رحمة الله، فإنَّ المهدِّد لا يملك من رحمة الله شيئًا، والله ﷻ هو صاحب الرَّحمة، يرحمهم في دنياهم وآخرتهم، وهو يتولَّى الصَّالحين.

دجَّالٌ آخر

السُّؤال:

قرأت رسالةً بإمضاء ناصحٍ يتنبَّأ فيها كاتبها بقيام السَّاعة بعد سنواتٍ قليلةٍ، وينصح النَّاس أن يؤدُّوا فرائض الله من صلاةٍ وصيامٍ، ويفعلوا الخيرات ويقبلوا على الطَّاعات قبل أن يحلَّ بهم يوم القيامة، فما رأي الدِّين فيما جاء بهذه الرِّسالة؟

الجواب:

منذ أكثر من خمسين سنةً وأنا أرى أمثال هذه الرَّسائل تأتي، ويقول القائلون فيها ما قيل في هذه الرِّسالة، وينذرون النَّاس بقيام السَّاعة وحلول الكوارث والمصائب والخسف والزَّلازل، إلى غير ذلك، وأذكر أيضًا أنَّ بعض هذه الرَّسائل قد ذكر فيها أنَّ القيامة ستقوم سنة (١٣٣٥هـ)[١].

وفي عام (١٩٤٤م) شاع في مصر أنَّ السَّاعة ستقوم في منتصف سنة (٤٥)، وترك أصحاب العقول مساكنهم، وخرجوا من بيوتهم؛ خوفًا من زلزلة السَّاعة.

وأحبُّ أن أقول للسَّائل ولغيره من المسلمين: إنَّ هذه الرَّسائل كلَّها أباطيلُ ولا حقيقة لها، فإنَّ قيام السَّاعة هو من علم الغيب الَّذي لا يعلمه إلَّا الله وحده، وهو علَّام الغيوب، فالله تعالى يقول في قيام السَّاعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد روى البخاريُّ في حديث عمر أنَّ جبريل سأل النَّبيَّ ﷺ عن قيام السَّاعة، فأجاب النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائل**»[٢].

أمَّا الحديث عن مجيء الخير أو حلول الكوارث والخسائر فهو باطلٌ

(١) أي: سنة (١٩١٧م).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٨).

أيضًا؛ لأنَّه من علم الغيب الَّذي لا يعلمه إلَّا الله، والله تعالى يقول لرسوله نافيًا عنه علم الغيب: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالغيب أمره بيد الله وحده، ومن صدَّقَ نَبَأً عن المستقبل ولم يَرِدْ به نصٌّ شرعيٌّ فقد أخطأ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**من أتى عرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمَّدٍ**»(١).

التَّبرُّك بالخرق

السُّؤال:

رأى إمام مسجدٍ يقف أمام القبر بعد الصَّلاة وبيده قطعة قماشٍ يمسح بها القبر ثمَّ يضعها على ملابس النَّاس مدَّعيًا أنَّ في هذا شفاءً للنَّاس من الأمراض، وهو يفعل هذا مقابل أجرٍ يأخذه من النَّاس، فهل عمله هذا صحيحٌ؟ وهل في هذه القطعة شفاءٌ للنَّاس؟

الجواب:

من أسماء الله الحسنى: (الشَّافي)، ومن ذلك نعلم أن لا شفاء إلَّا شفاء الله، والرَّسول ﷺ أخبرنا في الحديث: «**من تعلَّق بشيءٍ وكِّل**

(١) رواه أحمد، رقم: (٩٥٣٦).

إليه»[١]، ومعنى وكِّل إليه أنَّ الله ﷻ لا يساعده، وإنَّما يتركه ويسنده إلى ذلك الشَّيء الَّذي اعتمد عليه ليضلَّ ويشقى.

وهذا الَّذي ذكره السَّائل عن إمام المسجد الَّذي يستغفل النَّاس إنَّه رجلٌ ضالٌّ مُضِلٌّ استجهل النَّاس وجرَّهم إلى الشِّرك بالله؛ لأنَّ الشِّفاء ليس بيد أحدٍ غير الله الَّذي جعل لكلِّ داءٍ دواءً، وجعل من الطَّبيب وسيلةً إلى دواء الدَّاء الَّذي يشكو منه المريض، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ الله خلق الدَّاء والدَّواء وجعل الطَّبيب هو الَّذي يقرر الدَّواء، فقال: «**يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاء**»[٢].

وأمَّا هذه الخرقة الَّتي يضعها ذلك الرَّجل الإمام على الرِّجال والنِّساء وفي رقاب الأطفال فإنَّما هي وثنٌ لا تسمن ولا تغني من جوعٍ، ولا تضرُّ ولا تنفع.

وهذا من قبيل دعاء الإنسان لغير الله لجلب الخير أو دفع الضُّرِّ، ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي هذا يقول الرَّسول ﷺ: «**من علَّق ودعةً فلا ودع الله له ومن علَّق تميمةً فلا أتمَّ الله عليه**»[٣]، والودعة والتَّميمة شيئان معروفان، وقال أيضًا: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**»[٤]، وقال للَّذي وضع في يده حلقةً من صفر:

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٧٢).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٣٨)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٨٢٠).
(٤) رواه أحمد، رقم: (١٧٤٢٢).

«**ويحك ما هذا؟**»، قال الرَّجل: من الواهنة، قال الرَّسول ﷺ: «**لن تزدك إلَّا وهنًا، انبذها عنك فإنَّك إن متَّ وهي عليك وكِّلت إليها**»(١).

وبعدُ، فإنَّ فعل هذا الرَّجل وثنيَّةٌ، ومن يوافقه أو يستجب له فهو وثنيٌّ مثله، والرَّسول ﷺ قال: «**من سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ**»(٢).

والإسلام جاء بتوحيد الله ونبذ الشِّرك حتَّى في أقلِّ شيءٍ منه، وقد وصف الحديث الشِّرك فقال: «**الشِّرك أخفى في أمَّتي من دبيب النَّمل على الصَّفا**»(٣)؛ أي: إنَّ في الشِّرك شيئًا خفيًّا أخفى من دبيب النَّمل.

وخير ما نختم به هذا الحديث قول الرَّسول ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٤)، فاللَّهمَّ إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، ونعوذ بك من الشَّكِّ والشِّرك، ونسألك الهداية إلى الحقِّ.

فكُّ السِّحر بالرَّصاص

السُّؤال:

بعض النِّسوة يُذِبن حبَّ الرَّصاص في إناء ماءٍ، ثمَّ يسكبنه على رؤوس المرضى لفكِّ السِّحر، فهل هذا العمل صحيحٌ أم فيه إثمٌ؟ وهل السِّحر

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٣٩١).
(٢) رواه مسلم، رقم: (١٠١٧).
(٣) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمَّال، رقم: (٧٥٠١).
(٤) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٥١٦)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

حقيقةٌ أم خيالٌ؟

الجواب:

هذا العمل حرامٌ؛ لأنَّه ضربٌ من السِّحر، والرَّسول ﷺ نهى عن السِّحر وما يقرِّب منه، فقال ﷺ: «**اجتنبوا السَّبع الموبقات**»، **قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: «الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النَّفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتَّولِّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**[(١)].

وإذابة حبِّ الرَّصاص في الماء واستعماله للعلاج هو كالنَّفث في العقَد، وقد أمر الله نبيَّه بالاستعانة من شرِّ النَّفَّاثات في العقد؛ لأنَّه لا يتَّصل بأيِّ سببٍ حسِّيٍّ مباشرٍ بالمريض، ولا فائدة فيه.

وقد ورد في الحديث أنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**من عقد عقدةً ثمَّ نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك**»[(٢)].

ولقد ذكر القرآن السِّحر في قصَّة موسى عليه السلام، وقال: إنَّ حبال سحرة فرعون وعصيَّهم عندما ألقَوها كان يخيَّل إلى موسى من سحرهم أنَّها تسعى، وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦]، وقال أيضًا: إنَّهم سحروا أعين النَّاس واسترهبوهم كما جاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦].

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم، رقم: (٨٩).

(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (١٤٦٩).

ففي الآية الأولى وصف القرآن السِّحر بالخيال، وفي الآية الثَّانية وصفه بالرَّهبة؛ أي: إنَّ السَّحرة رهبوا النَّاس بعملهم.

من هاتين الآيتين يتبيَّن لنا أنَّ السِّحر لا حقيقة له[1]، وإنَّما هو تخيُّلاتٌ وعقيدةٌ باطلةٌ، ولو كان السِّحر ينفع أو يضرُّ لكان للسَّحرة في النَّاس شأنٌ عظيمٌ، ونحن نرى أنَّ أفقر النَّاس وأبغضهم للنَّاس وأبعدهم من مجتمعات النَّاس هم أولئك الَّذين يستغفلون أقلَّ النَّاس عقولًا وأضعفهم أحلامًا؛ الجاهلات من النِّساء أو أشباههنَّ من الرِّجال الجاهلين، أمَّا مَن وهبه الله علمًا وعقلًا مدركًا فإنَّه لا يؤمن بالخيال ولا يجري وراء الأباطيل.

ومن هذا يظهر أنَّ السِّحر دجلٌ بعيدٌ من الحقيقة قريبٌ من الخيال، بل هو الخيال ذاته، والسَّاحر دجَّالٌ يستغلُّ المغفَّلين، ولا كسب له عند المؤمنين الأقوياء ذوي الفطنة.

حسد العين

السُّؤال:

هل الحسد بالعين صحيحٌ؟ وماذا يعني قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: ٥]؟ وماذا كان يقصد **يعقوب** عليه السلام **عندما قال لأولاده:** ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يُوسُف: ٦٧]؟

(١) هذا رأي الشيخ رحمه الله، وقد خالف به قول الجمهور من أنَّ السحر حقيقة ثابتة.

الجواب:

إنَّ الاعتقاد بحسد العين أمرٌ لا أصل له في معتقدات الإسلام الصَّحيحة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: ٥]، يُفَسَّر الحاسد فيه بأنَّه: من يكره الخير لغيره ويتمنَّى زوال النِّعمة منه.

وقد جاء ذكر الحاسد في موضعٍ آخر من القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤-٢٠٥]، هذا معنى الحسد وصفة الحاسد.

وفي «القاموس»: حسد فلانٌ فلانًا؛ أي: تمنَّى زوال نعمته وتحوُّلها إليه، فهو حسودٌ وهي حسودٌ، إذا كان طبعهما الحسد.

أمَّا ما سأل عنه السَّائل من قصد سيِّدنا يعقوب عليه السلام عندما قال لأولاده: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٧] فقد ضربت الرِّوايات والتَّفاسير في هذا طرقًا شتَّى أبدى فيها كاتبوها وأعادوا، ولم يتَّفق اثنان منهم على معنًى واحدٍ إلَّا خلفٌ نقل عن السَّلف.

والقرآن الكريم لم يكشف لنا عن السَّبب إلَّا كلمة واحدة قالها هي: ﴿إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ [يُوسُف: ٦٨]، وكان ينبغي للمفسِّرين أن يقفوا عند ما أراده السِّياق، فإنَّ يعقوب عليه السلام كان يخشى عليهم شيئًا، ويرى في دخولهم من أبوابٍ متفرِّقةٍ اتِّقاءً لهذا الشَّيء، وهو يعلم أنَّه لا

يغني عنهم من الله من شيءٍ، فالحكم لله والاعتماد عليه، وإنَّما هو خاطرٌ يشعر به، وهو عالمٌ أنَّ إرادة الله نافذةٌ، فلعلَّه كان يخشى أن تثير كثرتهم سوء ظنٍّ؛ لأنَّهم كانوا أحد عشر غير مَن كان معهم، والوقت وقت قحطٍ، والحاجة إلى مصر كبيرةٌ، والله ﷻ أعلم بما كان في نفس يعقوب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٦٨].

الباب الحادي عشر

مع المجتمع في مشكلاته

وسائل الفدائيِّ في المعركة

السُّؤال:

فدائيٌّ توغَّل في الأرض المحتلَّة مع رفاقه الفدائيِّين، وفي أثناء الاشتباك مع جنود العدوِّ حُوصِرَ الفدائيُّون، وكان أحدهم متمنطقًا بحزامٍ فيه متفجِّراتٌ، فهل يجوز له أن يفجِّر هذا الحزام لينجو رفاقه؟ ولعلَّ في هذا التَّفجير هلاكًا لبعض جنود العدوِّ المحيطين به، فهل يعدُّ تفجير الحزام بنفسه انتحارًا أو استشهادًا؟

الجواب:

الفدائيُّ الَّذي خرج بنفسه دون دافعٍ إلَّا ليقاتل أعداء أمَّته ودينه، جعل روحه على كفِّه، لا يدري في أيِّ ساعةٍ تطير هذه الرُّوح، فهو في هذه الحالة قد عرَّض نفسه للموت لا لشيءٍ إلَّا للدِّفاع عن دينه ووطنه وأمَّته.

ورفاق الفدائيِّ هذا فدائيُّون مثله، وقد حصرهم العدوُّ وأسرهم، ثمَّ هم معرَّضون لعذابٍ أو موتٍ، فإن ترك نفسه وتركهم فلا شكَّ في أنَّهم سيهلكون جميعًا، وإن فجَّر حزامه خلَّصهم، وربَّما كان في تفجير الحزام هلاكٌ لبعض جنود العدوِّ، وهذا هو المطلوب في الحرب.

وأحبُّ أن أقول للسَّائل أيضًا: إنَّ الدِّين والعقل لا يختلفان، وهذا القرآن أُنزل لقومٍ يعقلون ويتفقَّهون ويتذكَّرون، ولمن كان له قلبٌ، ولأولي الألباب وأولي الأبصار، فهو في الحالة هذه لا يخالف العقل.

وصاحبنا هذا أشبه مَن تقدَّم فدخل في قلب المعمعة، ثمَّ تقدَّم حتَّى

دخل صفوف العدوِّ منفردًا، فهل يقال لمثل هذا منتحرٌ؟

لا، لا وأيم الله، فليفعلها باطمئنانٍ فهو شهيدٌ، وليفرح بما أعدَّ الله للشُّهداء مثله من رضوانٍ ونعيم، وليعظِّم الله له الأجر إذا أحسن القصد والبلاء، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا[1].

الجهاد أفضل أم الصَّلاة

السُّؤال:

وعظنا مَن قال لنا: إنَّ الالتحاق بكتائب الفدائيِّين أفضل من الصَّلاة والصِّيام؛ ما دفع كثيرًا من شبابنا المتديِّن إلى ترك الصَّلاة ليلتحق بالفدائيِّين طمعًا بالجنَّة، وأؤكِّد لكم على أنِّي سمعت هذا في بعض الخطب، فهل ما قاله هذا الواعظ صحيحٌ؟

الجواب:

قبل أن أجيب السَّائل أذكر هذا الحديث الشَّريف الَّذي رواه الأئمَّة البخاريُّ ومسلم وأحمد والتِّرمذيُّ وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم بقبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهَّلٌ، يستفتون فيفتون برأيهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون**»[2].

---

(١) لقد تنازع أهل العلم في هذه المسألة بين قائل بالجواز وقائل بعدمه.

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٣٠٧)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٣)، وأحمد، رقم: (٦٨٩٦)، والتِّرمذيُّ، رقم (٢٦٥٢)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن =

وهذا ما نحن عليه اليوم، وهذه حالنا في عصرنا الحاضر، فقد سمعت فتاوًى كثيرةً جاء أهلها يتأكَّدون من صحَّتها؛ لأنَّ خاطرهم لم يطمئنَّ إليها، والمؤمن الحقُّ لا يطمئنُّ إلَّا إلى الحقِّ.

أمَّا الجواب عن سؤال السَّائل فقد أجبت عن سؤالٍ كهذا منذ وقتٍ قريبٍ سألني فيه سائلٌ: مَن الشَّهيد؟ وفي الجواب تلوت الحديث الشَّريف الوارد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**الشُّهداء أربعةٌ: رجلٌ مؤمنٌ جيِّد الإيمان، لقي العدوَّ، فصدق الله حتَّى قُتل، فذلك الَّذي يرفع النَّاس أعينهم إليه يوم القيامة، ورجلٌ مؤمنٌ جيِّد الإيمان، لقي العدو فكأنَّما ضرب جلده بشَوْك طلحٍ من الْجُبْن، أتاه سهمٌ غربٌ فقتله فهو في الدَّرجة الثَّانية، ورجلٌ مؤمنٌ خلط عملًا صالحًا وآخر سيِّئًا لقي العدوَّ فصدق الله حتَّى قتل، فذلك في الدَّرجة الثَّالثة، ورجلٌ مؤمنٌ أسرف على نفسه لقي العدوَّ فصدق الله حتَّى قتل، فذلك في الدَّرجة الرَّابعة**»[(١)].

وفي حديثٍ آخر عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: الرَّجل يقاتل للمغنم، والرَّجل يقاتل للذِّكر، والرَّجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٢)].

من هذين الحديثين نفهم أنَّ الإيمان هو الأساس لنيل الشَّهادة.

وإذا رجعنا إلى كتاب الله ﷻ وجدنا أنَّ المدعوِّين للجهاد هم

= ماجه في سننه، رقم: (٥٢).

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٦٤٤)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣١٢٦)، ومسلم، رقم: (١٩٠٤).

المؤمنون يناديهم فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١٠-١١]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [التوبة: ١١١].

أمَّا الصَّلاة فهي ركن الإسلام الثَّاني وعموده، وهي علامة الإيمان، والفارق بين الكفر والإسلام، وهي أوَّل ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة، فإن صلحت الصَّلاة فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، بهذا كلِّه أخبرنا رسول الله ﷺ حين قال: «**بني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصيام رمضان، وحجُّ البيت**»(١)، وقال ﷺ: «**العهد الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢)، وقال ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصَّلاة**»(٣)، وقال ﷺ: «**الصَّلاة عماد الدِّين**»(٤)، وقال ﷺ: «**أوَّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صَلُحَت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»(٥).

ولو كان الجهاد يغني عن الصَّلاة ما شرعت صلاة الخوف الَّتي يؤدِّيها المسلم المجاهد وهو في أشدِّ حالات الخطر والهول بالميدان، ولاكتفى

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٨)، ومسلم، رقم: (١٦)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٢١)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.
(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٢٠)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٤) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠).
(٥) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٤١٣)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

المجاهد بمحاربة العدوِّ المتربِّص به للقضاء عليه.

إنَّه لأمرٌ مؤسفٌ جدًّا أن يقوم بعض خطباء المساجد ليقولوا للنَّاس: إنَّ الجهاد أفضل من الصَّلاة وهي الصِّلة بين العبد وربِّه، فإذا فقد الإنسان صلته بربِّه حين يترك فريضة الصَّلاة منشغلًا بالجهاد، فكيف ينتظر النَّصر من الله وهو الَّذي قطع الصِّلة معه؟!

إنَّ المرء لا يصدِّق أن يقول هذا مسلمٌ يقرأ القرآن ويعلم الآيات الكثيرة الَّتي تتحدَّث عن مكانة الصَّلاة وعن أهمِّيَّتها بين الفرائض الأخرى وعن خطورة إثم تارك الصَّلاة، ولنقرأ قول الله تعالى وهو يصف تارك الصَّلاة بالإشراك: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الرُّوم: ٣١]؛ أي: إنَّ الَّذي يهمل الصَّلاة أو يتركها منشغلًا بغيرها يكون في عداد المشركين، والمشرك لا يغفر الله له شركه بخلاف المذنب فإنَّ الله يغفر له ذنبه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

ولنقرأ قوله تعالى حين ينقل لنا القرآنُ مقالة تاركي الصَّلاة يوم القيامة عندما يُسألون وهم في سقرٍ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدَّثِّر: ٤٢]، فيجيبون في ذلَّةٍ وصغار وإقرار: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦﴾ [المدَّثِّر: ٤٣-٤٦]، فكانت أوَّل إجابةٍ لهم أنَّهم لم يكونوا من المصلِّين، ثمَّ يذكرون بعد ذلك جرائمهم الَّتي وقعوا فيها وهي عدم إطعام المسكين والخوض مع الخائضين.

نعم، إنَّ الجهاد فريضةٌ، فهو نضالٌ ضدَّ الأعداء وحمايةٌ للأوطان من المعتدين وحفاظٌ للوطن من الظَّالمين.

والجهاد أفضل من نوافل الصَّلاة والصِّيام، والرِّباط - وهو حراسة المجاهدين - أفضل من قيام اللَّيل، لكن لكلٍّ فريضةٍ مقامها ودرجتها، ففريضة الجهاد ليست كفريضة الصَّلاة في درجتها ومقامها، لذلك فإنَّ الصَّلاة المفروضة مقدَّمةٌ على كلِّ ما سواها من الأمور الشَّرعيَّة الَّتي ألزم المسلم القيام بها، إنَّها الأساس والقاعدة، والفرائض كلُّها مبنيَّةٌ عليها، فإذا انهار الأساس لضعفه انهار البناء كلُّه، ووقع على صاحبه ودمَّره، ومن هنا ندرك قول الرَّسول ﷺ: «**الصَّلاة عماد الدِّين**»(١).

إنَّ واجب الوعَّاظ كتَّابًا وخطباء ومحدِّثين، أن يحثُّوا شبابنا - وهم درع الوطن وحمايته - على إقامة الصَّلاة وتأديتها في أوقاتها مهما كانت الأعذار، فليس هناك عذرٌ لترك الصَّلاة المكتوبة، وأن ينبِّهوهم إلى مكانة الصَّلاة بين الفرائض، وأن يلفتوا أنظارهم إلى العواقب الوخيمة والمصير السَّيِّئ الَّذي ينتظر تارك الصَّلاة يوم القيامة.

إنَّ أهمِّيَّة الصَّلاة وأثرها الطَّيِّب في المجتمع جعلت عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول ضمن خطبته بعد أن تولَّى الخلافة: «وإنَّ أهمَّ أمركم عندي الصَّلاة، فمَنْ حفظها وحافظ عليها حَفِظَ دينه، ومَنْ ضيَّعها فهو لما سواها أضيعُ»(٢).

ثمَّ نقرأ بعد ذلك مطالبة القرآن لنا بالحرص على الصَّلاة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النِّسَاء: ١٠٣]؛ أي: مطلوبٌ إلينا أن نصلِّي كلَّ فرضٍ في وقته المحدَّد له بالأذان، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البَقَرَة:

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٢٥٥٠).
(٢) رواه مالك في الموطَّأ، رقم: (٦).

٢٣٨]؛ أي: مطلوبٌ إلينا المحافظة على أداء الصَّلوات كلِّها عامَّةً وصلاة العصر خاصَّةً.

أمَّا الصَّوم فإنَّه يأتي في مقامٍ مهمٍّ بين الفرائض؛ لأنَّه من وسائل التَّربية الرُّوحيَّة للمسلم، والصَّوم الصَّحيح يكون لله يُجزي به مؤدِّيه جزاءً خاصًّا بخلاف الفرائض الأخرى، فهي تكون للعبد كما جاء في الحديث القدسيِّ: «**كلُّ عمل ابن آدم له إلَّا الصَّوم فإنَّه لي وأنا أجزي به**»[(١)]، فلا ينبغي للمسلم أن يترك الصَّوم بغير دواعٍ شرعيَّةٍ.

وكتب السِّيرة تتحدَّث أنَّ حمزة بن عبد المطَّلب ﷺ دخل معركة أحدٍ وهو صائمٌ، فقال: والَّذي أنزل عليك الكتاب لا أَطْعَمُ اليوم طعامًا حتَّى أُجالِدَهم بسيفي خارجًا من المدينة[(٢)]، فلم يشغله جهاد الأعداء عن الصَّوم بما فيه من أعباءٍ ومشقَّةٍ.

ولنا في أصحاب رسول الله أسوةٌ حسنةٌ، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٢٧)، ومسلم، رقم: (١١٥١)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٢) انظر: إمتاع الأسماع، للمقريزيِّ (١/ ١٣٤).

هل وصل النَّاس إلى القمر

السُّؤال:

هل صحيحٌ أنَّ رجال الفضاء وصلوا إلى القمر كما نشاهد على الشَّاشة أم هو خيالٌ ودعايات؟

الجواب:

العقل الإنسانيُّ هو الَّذي أوصل الإنسان إلى القمر، ولعلَّه في مستقبلٍ قريبٍ يتجاوز القمر إلى ما هو أبعد منه.

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان، وخلق له عقلًا ميَّزه به من سائر المخلوقات من حيوانٍ وجمادٍ ونبات، وسخَّر له بهذا العقل المخلوقات جميعها؛ ليستخدمها على النَّحو الَّذي يسعده في حياته، ويقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٩].

فالإنسان طار مع الطَّائر في الفضاء، وغاص مع الحيتان في الماء، ومشى على الأرض المسافات البعيدة بأقلِّ زمنٍ، وشقَّ الجبال وعبر الأنهار، ولم يمنع هذا العقل مانعٌ من أن يشقَّ طريقه إلى كلِّ شيءٍ، وعرف دقائق المخلوقات حتَّى وصل إلى الميكروب ورآه على صغره المتناهي، فعرف شكله، وفصَّل فصائله، وعرف شكل كلِّ فصيلةٍ ونوعيَّتها منه، وعرف كيف يتوالد، وأيَّ شيءٍ يُبيد هذا النَّوع وأيَّ شيءٍ يحييه، فقدر على أن يغلب الأمراض بغلبة الميكروب.

وأخيرًا شقَّ طريقه إلى الفضاء، فبدأ يجرِّب سلطته عليه، هل يستطيع أن يشقَّ الطَّريق ويخرج عن نطاق الأرض ويفلت من جاذبيَّتها؟ وهل يستطيع العودة إليها إذا أُفلت من جاذبيَّتها؟، جرَّب هذا بمركباتٍ فارغةٍ وأخرجها، ثمَّ أعادها، ثمَّ استطاع أن يشقَّ الفضاء بمركباتٍ فيها بشرٌ، ووصل البشر إلى القمر، وقد وصل إلى القمر ستَّة أشخاصٍ حتَّى الآن، وطؤوا بأقدامهم سطحه، ثمَّ عادوا يحملون من ترابه وحجارته.

ولم لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى القمر وله عقلٌ وهبه الله إيَّاه، وسخَّر له بسببه كلَّ شيءٍ ليبحث وينقِّب ويعرف ما لم يكن يعرفه من قبل؟!

إنَّ الله ﷻ أنعم على عباده بالعقل، وكرَّم بني الإنسان، وفضَّله على سائر خلقه بهذا العقل، وأنزل كتابه لأهل العقول، أنزله لقومٍ يعقلون ويتفكَّرون ويعلمون، ولأولي الألباب والأبصار.

أمَّا الإنسان الَّذي لا يستعمل عقله ولا ينمِّيه فقد ضرب الله مثلًا له بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ومعنى هذا أنَّ الإنسان الَّذي لا يستعمل عقله في الصَّالحات ولا في النَّافعات كالبهيمة، لا؛ بل أضلُّ من البهيمة، لأن البهيمة فُطرت على فطرةٍ لا يمكِنُ أن تتعدَّاها إلى غيرِهَا إنَّما تظلُّ ماضيةً في حياتها على هذه الفِطْرَة طائعةً أمرَ خالقِهَا، مُسيَّرةً في الطَّريقِ الَّتي هداها إليه.

أمَّا الإنسان فمخيَّرٌ؛ خَلَقَ الخالقُ له عقلًا، وقال له: استعمل هذا العقل، فهو مأمورٌ أَن يُنْمِيَ عقلَهُ، وأن يُبْدِعَ ويَبْتَكِرَ به، فإذا أهملَ هذا

العقل كان أضلَّ من البهيمة.

أخيرًا أقول للسَّائلين: إنَّ الإنسانَ وصل إلى القمر فعلًا وبلا أدنى شكٍّ أو ريبةٍ، ووَطِئَ بقدمِهِ سطحَهُ، وسيصلُ إلى ما هو أبعدُ، وأنا والسَّائلونَ وكثيرٌ غيرنا ما زلنا ننظرُ إلى ما تحتَ أقدامنا، وها نحنُ أولاء ما زلنا في البيتِ، والأرضُ الواسعةُ العريضةُ أصبحت عند أهلِ العقلِ أضيقَ من البيتِ.

مشاهدة التِّلفازِ

السُّؤال:

يعرِضُ التِّلفاز على المشاهدين في برامجِهِ عروضًا بها رقصٌ وأغانٍ مُنْكَرَةٌ لا يُقِرُّهَا الشَّرعُ الإسلاميُّ، أليسَ من أجلِ هذا يَحْرُمُ على المسلم اقتناءُ التِّلفاز؛ حتَّى لا يدخل في بيتهِ وأولادِهِ هذا المُنْكَرُ؟

الجواب:

من الغريبِ أن يصدرَ مثل هذا الكلام من إنسانٍ يعيشُ في هذا العصر! فإذا كانَ الأخُ السَّائل قد تذكَّر الأغاني الخليعةَ والرَّقص وغيرَهُ من المُنْكَرَاتِ فقط، فهل نَسِيَ أنَّ التِّلفاز يعرِضُ في برامجه برنامجَ مع الدِّين الَّذي نقدِّمُهُ نحنُ في التِّلفاز، وهو برنامج مُحبَّبٌ ومفضَّلٌ عند كثيرٍ من المشاهدين؟! فهو يتلقَّى الأسئلة من الأخِ السَّائلِ ومن غيرِه، والجميعُ ينتظرُ الإجابات على الأسئلةِ.

والتِّلفاز يعرضُ أيضًا في برامجِهِ برنامجَ مع كتابِ اللهِ وقراءة القرآن،

ونور على نور، هذا في الدِّين، أمَّا في غيره فهناك برامج ثقافيَّة وعلميَّة وسياسيَّة، وبرنامج عالم الحيوان، ومع الشُّعوب، وركن الزِّراعة، وبرامج الأطفال، وغير ذلك من البرامج النَّافعة المفيدة الَّتي لا غنى للإنسان عنها في حياته.

إنَّ التِّلفاز فيه الطَّيِّب والخبيث؛ فيه برامج يرتاح لها بعض النَّاس، وبرامج أخرى لا يرتاح إليها بعضهم الآخر، وفيه مفتاح إذا رغب المشاهد أن يرى البرنامج الَّذي يرتاح إليه ويريد مشاهدته فتح التَّيَّار عليه واستمع له، وإذا لم يرغب البرنامج الَّذي يرى فيه المنكر قطع التَّيَّار الكهربائيَّ عنه فيسكت، كالسِّراج والمروحة، والمدفأة تفتحها إذا احتجت إليها فيصل لها التَّيَّار الكهربائيُّ، وإذا استغنيت عنها ضغطتَ على الزِّر فينقطع التَّيَّار، والتِّلفاز أيضًا كقطعة أثاث يباح اقتناؤها لمن يريدها، ويباح استعمالها بما ينفع.

الرَّسم والتَّصوير في نظر الإسلام

السُّؤال:

رسالة من طالب يقول فيها: إنَّه يهوى الرَّسم، وإنَّه كثيرًا ما يقوم برسم صور تعجبه، صور أشخاص أو مخلوقات أخرى. ويسأل عن الرَّسم على الوسادة ونحوها من الأقمشة، وهو ما يسمَّى بالتَّطريز. ما حكم الإسلام في هذا كلِّه؟

الجواب:

جاء الإسلام لمحو الوثنيَّة في أيِّ مظهر من مظاهرها، ونهى عن التَّصوير، ووردت أحاديث نبويَّة تلعن المصوِّرين، من ذلك قول رسول الله ﷺ: «**كلُّ مصوِّرٍ في النَّار، يجعل له بكلِّ صورةٍ صوَّرها نفسًا فتُعذِّبه في جهنَّم**، وقال: **إن كنت لا بدَّ فاعلًا، فاصنع الشَّجر وما لا نفس له**»[(١)]، ووردت أحاديث أيضًا منها: ما رواه البخاريُّ ومسلم، عن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الَّذين يصنعون هذه الصُّور يعذَّبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٢)]، وفي حديثٍ آخر يقول: «**أشدُّ النَّاس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»، رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عمر[(٣)].

والَّذي يظهر أنَّ النَّاس كانوا حديثي عهدٍ بالوثنيَّة أوَّل مجيء الإسلام، فنهى عن صنع التَّماثيل؛ حتَّى لا يلفت النَّظر إليها، فيحسبها النَّاس أصنامًا فيتَّجهون إليها بالدُّعاء والعبادة ويشركون بالله.

ولم تكن النُّقود في زمن الرَّسول ﷺ من صنع المسلمين، وإنَّما كانت دراهمهم وفلوسهم ودنانيرهم تأتي من فارس والرُّوم وعليها صورٌ، فلم يمنع الرَّسول ﷺ من استعمالها.

والتَّصوير اليوم غير التَّصوير بالأمس، فالتَّصوير اليوم على الورق كالظِّلِّ، لا؛ بل إنَّ التَّصوير الشَّمسيَّ الفوتوغرافيَّ كالظِّلِّ، بل هو ظلٌّ

(١) رواه مسلم، رقم: (٢١١٠).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٥١)، ومسلم، رقم: (٢١٠٨).
(٣) رواه أحمد، رقم: (٤٧٩٢).

ينعكس على الورق الخاصِّ به، ثمَّ يثبَّتُ بوساطة السَّائل الكيميائيِّ، فهو كالصُّورة في المرآة أو على الماء لا أرى فيه بأسًا، ولا سيَّما حين أصبح من ضروريَّات الحياة، فإنَّه يُستعمل لإثبات الشَّخصيَّة في الجنسيَّة أو الجواز أو الرُّخصة أو الهويَّة، أو في غير ذلك ممَّا يحتاجه الإنسان للدِّلالة على نفسه، أو لاستعماله في وجوهٍ أخرى.

ولقد أفتى كثيرٌ من العلماء في إباحة التَّصوير الفوتوغرافيِّ، أو التَّخطيط على الورق؛ وهو الرَّسم ممَّا لا ظلَّ له.

أمَّا التَّصوير الهيكليُّ؛ أي: التَّماثيل، فإن كانت صورة التِّمثال كاملةً فالإجماع على أنَّها محرَّمةٌ؛ استنادًا إلى الحديث الَّذي ذكرته في مستهلِّ الجواب، وهو ما رواه البخاريُّ ومسلم عن عمر رضي الله عنه، واستنادًا إلى حديثٍ آخر قاله النَّبيُّ ﷺ: «**أشدُّ النَّاس عذابًا يوم القيامة الَّذين يضاهون بخلق الله**»(١).

أمَّا إن كان التِّمثال في شكلٍ لا يمكن أن تقوم معه حياةٌ ولا حركةٌ كرأسٍ أو صدرٍ بلا بطنٍ مثلًا فقد أجازها كثيرون من العلماء والفقهاء.

أمَّا الرَّسم على الوسادة أو النَّمرقة ونحوهما من الأقمشة الَّتي تطرَّز فهي تدخل في باب الصُّور المحرَّمة؛ لأنَّها شبيهةٌ بالصُّور المجسَّمة الوارد تحريمها في الأحاديث الَّتي ذكرناها.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٥٤)، ومسلم، رقم: (٢١٠٧)، واللَّفظ للبخاريِّ.

الغناء والطَّرب في الإسلام

السُّؤال:

قرأ في مجلة العربيِّ مقالًا يتناول موضوع الغناء في الإسلام، قال فيه صاحبه: إنَّ الغناء حلالٌ، وليس هناك أيُّ نصٍّ في القرآن أو الحديث يحرِّمه. ويرجو إبداء رأيي في الموضوع.

الجواب:

لا شكَّ في أنَّ صوت المرأة عورةٌ على الرِّجال، كسائر بدنها الَّذي أمرها الله في القرآن بصيانته، هذا أمرٌ لا خلاف فيه بين المسلمين[1]، حتَّى ولو كانت المرأة تقرأ القرآن.

أمَّا حكم الغناء من رجلٍ بين الرِّجال ومن امرأةٍ بين النِّساء فبَينِ حلٍّ وحرمةٍ؛ فإذا كان الغناء خليعًا كان منافيًا للأخلاق، وسوء الخلق حرامٌ في الإسلام، وإذا كان غير ذلك كالأناشيد القوميَّة أو الاجتماعيَّة أو الشَّعبية تثير في النَّفس الحماس والحميَّة وتنبِّه النَّاس على ذكرياتٍ مجيدةٍ محبَّبةٍ إلى النَّفس وتذكِّر بالأمجاد العظيمة والبطولات السَّابقة، فذلك - لا شكَّ - حلالٌ، فالغناء بها وسماعها والجلوس إليها حلالٌ، وربَّما كان فضيلةً من الفضائل واجب معرفتها.

أمَّا الأوتار وغيرها من الآلات الموسيقيَّة والضَّرب عليها والنَّفخ فيها

(١) هذه المسألة خلافية بين العلماء، تُنظر في مطانها من كتب الفقه.

فلم أجد في مطالعاتي القرآن والسُّنَّة دليلًا على تحريمها[١]، اللَّهمَّ إلَّا ما ألهى المرء وأشغله عن العمل الواجب عليه لله وللوطن، فكلُّ ما يشغل المرء عمَّا يجب عمله نحو نفسه وأهله ووطنه وربِّه فهو حرامٌ، وكذا إذا ضيَّعت عليه الفرصة النَّافعة لحياته، فإن لم تشغله عن الواجب كانت مباحةً، هذا ما أعتقده، والله تعالى أعلم.

طلبة المدارس وفريضة الصَّلاة

السُّؤال:

رسالةٌ من طلبةٍ في مدرسةٍ يقولون فيها: إنَّ فرصة الظُّهر تضيق بنا عن أداء صلاة الظُّهر، وإذا خرجنا من المدرسة بعد نهاية الدَّوام فلن نصل إلى بيوتنا إلَّا بعد خروج وقت الظُّهر ودخول وقت العصر، فهل يباح لنا الجمع بين صلاتي الظُّهر والعصر تأخيرًا؟

الجواب:

أثرت الموضوع هذا في مجلس الآباء بعد وصول رسالة السَّائلين، وساعدني بعض الآباء، ولكنِّي فوجئت من ناظر المدرسة بأن قدَّم لي كشفًا فيه فرصة صلاة الظُّهر في رمضان، وهي ربع ساعةٍ، ثمَّ قدَّم كشفًا آخر يبيِّن فيه فرصة الغداء وصلاة الظُّهر وهي ساعةٌ ونصف، ثمَّ بعد انتهاء الجلسة

(١) هذا حسب مطالعة الشيخ رحمه الله، أما الآن ففي المسألة العديد من البحوث العلمية والرسائل الجامعية التي وصلت إلى إثبات الأحكام الشرعية في هذه المسألة.

قادني مع جملةٍ من الآباء إلى الدَّور الثَّالث، وأراني مصلًّى يسع أكثر من خمسين طالبًا يؤدُّون الصَّلاة، وسألته: هل تقام الجماعة؟ قال لا، ولكن يؤذَّن بالمذياع، ويصلِّي الطَّلبة كيفما يريدون؛ جماعةً أو فرادى.

سررت ولكنْ كان سرورًا غير كاملٍ، فلو عيَّن الطَّلبة إمامًا يقيم لهم الصَّلاة جماعةً لكان أولى بنا ونحن مسلمون، و«**الصَّلاة عماد الدِّين فإن أقمناها أقمنا الدِّين وإن تركناها هدمناه**»(١).

وأذكر أنَّني من هذا المنبر طرقت هذا الموضوع موجِّهًا خطابي إلى المسؤولين في وزارة التَّربية، وقلت لهم: إنَّنا مسلمون، ومنذ عهدٍ ليس بالبعيد كنَّا نقيم الصَّلاة في المدارس، يؤمُّ فيها المصلِّينَ طالبٌ أو مدرِّسٌ، لا يستثنى من ذلك إلَّا مَن كانت مهمَّته في ذلك اليوم الإشراف على المدرسة، فما بالنا اليوم وقد زادنا الله نعمةً على نعمةٍ وزادنا إدراكًا وعلمًا؟! ما بالنا لا نشكره وقد وعد بالزِّيادة لمن شكر؟!

أرجو من المسؤولين في وزارة التَّربية أن يولوا هذا الأمر ما يستحقُّه من العناية والاهتمام؛ بأن تكون في هذه المدارس حصص دينٍ تعلِّم الشَّباب كيف يصلُّون، وتعلِّمهم أركان الصَّلاة وشروطها وواجباتها وسننها ومبطلاتها، إلى آخر ما يجب على المسلم تعلُّمه من أحكام هذا الرُّكن من الإسلام، وأقول في الختام قول سيِّد المرسلين ﷺ لأمَّته: «**اللَّهمَّ هل بلغت اللَّهمَّ فاشهد**»(٢).

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٢/ ٣٥).
(٢) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٥٤٥).

الحجُّ أم الدِّراسة؟

السُّؤال:

أنا طالبٌ جامعيٌّ أبلغ من العمر (٢٤) سنةً، مسلمٌ ولله الحمد، ولي رغبةٌ شديدةٌ في الحجِّ، فهل أترك الدِّراسة وأحجُّ أم الدِّراسة أولى بي وبمستقبلي؟

الجواب:

إنَّ الله افترض الحجَّ على من استطاع إليه سبيلًا، وجعله في العمر مرَّةً واحدةً فقط، فمن تطوَّع بالحجِّ أكثر من مرَّةٍ فهو خيرٌ له، مثل سائر الطَّاعات.

وقد فُرض الحجُّ في السَّنة السَّادسة للهجرة، وقيل بعد ذلك، وأكثرهم قالوا: إنَّ الله فرض الحجَّ بعد فتح مكَّة.

وفي السَّنة التَّاسعة ذهب أبو بكر أميرًا على الحجِّ[1]، ثمَّ لحق به عليُّ بن أبي طالبٍ مكلَّفًا بقراءة الآيات الَّتي نزلت من أوَّل سورة براءة، فقرأها على النَّاس بعرفات أو بمنى، فعن ابن شهاب أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه، قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجَّة في مؤذِّنين بعثهم يوم النَّحر يؤذِّنون بمنًى، ألَّا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثمَّ «أردف رسول الله ﷺ بعليِّ بن أبي طالب، وأمره أن يؤذِّن ببراءة»، قال

(١) انظر: التَّلخيص الحبير، للعسقلانيِّ (٢/ ٤٨٠).

أبو هريرة: فأذَّن معنا عليٌّ يوم النَّحر في أهل منًى ببراءة[١].

واختلف الفقهاء في وجوب الحجِّ على الفور أو على التَّراخي؛ أي: هل يجب أداؤه وقت الاستطاعة حالًا أم يجوز تأجيله إلى أيِّ سنةٍ من سنوات العمر؟

الرَّسول ﷺ أخَّر الحجَّ إلى السَّنة العاشرة مع أنَّ الحجَّ فرضٌ قبل ذلك، وهو يستطيع أداءه بعد فتح مكَّة حالًا، ومكَّة فتحت في رمضان في السَّنة الثَّامنة من الهجرة.

وهذا ما استدلَّ به الفقهاء الَّذين قالوا لا مانع من تأجيل الحجِّ إلى سنواتٍ.

أمَّا الَّذين قالوا بفوريَّته فقد استدلُّوا بقول الرَّسول ﷺ: «**من أراد الحجَّ فليتعجَّل، فإنَّه قد يمرض المريض وتضلُّ الضَّالَّة وتعرض الحاجة**»[٢]، وجاء في الحديث: «**تعجَّلوا إلى الحجِّ، فإنَّ أحدكم لا يدري ما يعرض له**»[٣].

والحجُّ مفروضٌ في العمر مرَّةً كما قلت أوَّل الإجابة.

وطلب العلم لا يُدرَك كلَّ وقتٍ؛ لأنَّ العلم في سنِّ الشَّباب أثبت منه في وقتٍ بعده، وذهاب الطَّالب إلى الحجِّ زمن الدِّراسة قد يؤخِّره في صفِّه بمدرسته سنةً كاملةً، لا سيَّما أنَّ القرآن الكريم قد حثَّ على طلب العلم وأثنى على الَّذين يعلمون، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٦٥٥).
(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٨٨٣).
(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٨٦٧).

يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩]، والرَّسول ﷺ أكثر من الثَّناء على طالبي العلم ومجَّدهم، فقال ﷺ: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السَّموات ومن في الأرض حتَّى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافر**»(١).

وأنت - أيُّها السَّائل - ما زلت في مقتبل العمر، ومازال في الوقت متَّسعٌ، وتستطيع إن شاء الله أن تؤدِّي هذه الفريضة بعد إكمالك سنوات الدِّراسة الَّتي نرجو أن تكون نتيجتها النَّجاح بدرجةٍ ممتازٍ تقديرًا للصَّبر والكفاح في تحصيل العلم.

وأقول لك ولأمثالك: إنَّ الأفضل في حقِّكم إتمام الدِّراسة الَّتي تحفظ لكم مستقبلكم إن شاء الله مهديِّين موفَّقين إلى كلِّ خيرٍ.

أداء الحجِّ أم إنقاذ الفقير؟

السُّؤال:

ادَّخرت مبلغًا من المال بقصد أداء فريضة الحجِّ، لكن لي جارٌ فقيرٌ وصاحب أسرةٍ في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى المساعدة، وأنا أعلم يقينًا شدَّة احتياجه إلى المال، وإذا ساعدته فإنَّ المبلغ المتبقِّي لا يكفي لأداء

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٨٢).

الفريضة، فهل تكتب لي حجَّةٌ لمَّا كنت قد نويتها واستعددت لها روحيًّا وماديًّا؟

الجواب:

إنقاذ شخصٍ من غائلة الجوع والعري وشدَّة الحاجة فضيلةٌ من الفضائل الَّتي أمرنا الدِّين الإسلاميُّ بها، فكيف بإنقاذ أسرةٍ كاملةٍ؟ وكيف بمن يفرِّج عن مسلمٍ كربةً من كرب الدُّنيا؟ لا شكَّ في أنَّ الله تعالى يعطيه الثَّواب ويمنحه الأجر.

والحجُّ منفعةٌ شخصيَّةٌ خاصَّةٌ، أمَّا إنقاذ أسرةٍ من شدَّة الجوع وهول الحاجة والعسر فهو منفعةٌ عامَّةٌ وإحسانٌ وإحياءٌ لنفسٍ مسلمةٍ، بل إحياءٌ للنَّاس جميعًا كما قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائدة: ٣٢].

والسَّائل قد نوى الحجَّ ثمَّ رأى إنقاذ هذا الرَّجل وأسرته من الجوع والعري، فعدل عن أداء فريضة الحجِّ بعد أن نواها وهمَّ بها، فلا شكَّ في أنَّ للسَّائل أجرًا لِهَمِّه بهذه الحسنة؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**من هم بحسنة ولم يفعلها فله أجرها**»، وللسَّائل ثواب نيَّة الحجِّ فقط، أمَّا فريضة الحجِّ نفسها فلا تسقط عنه؛ لأنَّه لم يذهب لأداء شعائر الحجِّ ومنها الوقوف بعرفة، كما يقول الرَّسول ﷺ: «**الحجُّ عرفةٌ**»[1]؛ أي: الوقوف بعرفة.

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٨٨٩).

الحجُّ أم رعاية الأطفال؟

السُّؤال:

رسالةٌ من تسعة أطفالٍ، أكبرهم في الرَّابعة عشرة من عمره، وأصغرهم في شهره الرَّابع، كتب إليَّ كبيرهم يقول: هل يجوز لأبوينا أن يتركانا كي يسافرا إلى الحجِّ؟ نرجو الجواب لمعرفة أمر الشَّرع في هذا.

الجواب:

المسؤوليَّة الكبرى الملقاة على عاتق الأبوين هي تربية الأولاد الَّذين هم هبة الله وعطيَّته ونعمته، وهي أولى بهما من السَّفر إلى الحجِّ؛ لأنَّها أمانةٌ، ورعايتها مهمَّةٌ.

والله ﷻ كتب الحجَّ على من استطاع سبيلًا، وهذان الولدان مكلَّفان شرعًا بما هو أهمُّ؛ بتربية جيلٍ ورعاية مستقبل أمَّةٍ، وهؤلاء هم مستقبل الأمَّة وعمادها وحماتها وبناة أوطانها.

وأحبُّ أن أسرَّ في أذن هذين الأبوين ومَن على شاكلتهما: كيف يطيب العيش لأمٍّ تترك طفلها في شهره الرَّابع؟ تتركه لمن؟ وعند من؟ وبرعاية من؟ ومن يرضعه؟ ومن يغسله؟ ومن يمسح عنه الأذى؟ ومن يستيقظ له في اللَّيل إذا انتبه من نومه؟ ومن يدفئه إذا برد ويروِّح له إذا أصابه الحرُّ؟

لا أحد يرتاح لهذا غير الأمِّ.

إنِّي لا أنصح أبدًا أمًّا تترك أطفالها المحتاجين إلى رعايتها وعطفها

وحنانها لكي تذهب إلى الحجِّ؛ لأنَّ تربية الأولاد أولى، والقيام بشؤونهم أفضل.

وأقول للأب بصفةٍ خاصَّةٍ: اللهَ اللهَ في أطفالك.

إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا

السُّؤال:

رسالةٌ من سائلٍ يقول فيها: لا شكَّ في أنَّكم تعلمون أنَّ دولتنا الكويت - وعلى رأسها أميرها طويل العمر سموُّ الشَّيخ صباح السَّالم - تحترم الأديان وتُجِلُّها بكلِّ إخلاصٍ واحترامٍ، وقد زرت صديقًا لي في جليب الشُّيوخ[1]، وسمعت هناك رجلًا يقول أحاديث بعيدةً من الحقِّ والواقع والصَّواب، ويقول إنَّه سمعها من الشَّيخ عبد الله النُّوريِّ، وأنا لا أصدِّق أنَّ عبد الله النُّوريَّ قال هذا على مسمعٍ ومشهدٍ من الآلاف المؤلَّفة من مُشاهدي برنامجه الدِّينيِّ، أرجوك باسم الإنسانيَّة واسم الإسلام واسم الوطنيَّة أن تستعمل حقَّك في الدِّفاع عن حقِّ الإسلام الَّذي نحن من أمَّته؛ لكي يمتنع أمثال هذا الشَّخص من الكذب على الله ورسوله باسم عبد الله النُّوريِّ واسم غيره من رجال الدِّين الأجلَّاء.

الجواب:

هذا ما جاء في رسالة: (أخي في الإسلام)، وأقول له أوَّلًا:

(١) جليب الشُّيوخ: منطقة تابعة لمحافظة الفروانيَّة في الكويت، وتُعَدُّ من أقدم المناطق فيها.

جزاك الله خيرًا لدفاعك عن أخٍ لك في الإسلام يدعو إلى الله وحده، وأقول ثانيًا: حسبي الله ونعم الوكيل، وأقول أيضًا قول الله تعالى في حقِّ مَن يكذب: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النّحل: ١٠٥].

أنا شخصيًّا أحترم مذاهب الإسلام كلَّها، بل أحترم كلَّ دينٍ، ولم أطعن يومًا في أيِّ عقيدةٍ، اللَّهمَّ إلَّا العقائد الوثنيَّة في كلِّ صورةٍ من صورها الَّتي تشرك بالله أحدًا من خلقه لم يُنزِل به سلطانًا، تلك العقائد الَّتي خرجت عن الإسلام، وأنكرت كون محمَّدٍ ﷺ خاتم النَّبيِّين، وكذبت على الله ورسوله، أمَّا عدا ذلك فلم أعب دينًا من هذه الأديان، ولم أطعن في أيِّ مذهبٍ من المذاهب الإسلاميَّة؛ لأنَّ الله ﷻ احترمَها ونهى عن التَّشنيع[1] على أهلها.

إنَّني مسلمٌ أحترم كلَّ مسلمٍ يقول: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، ويقيم الصَّلاة، ويؤتي الزَّكاة، ويصوم رمضان، ويحجُّ البيت، ويحترم شعائر الإسلام.

أمَّا من كذب عليَّ واختلق بقوله ما لم أقله فالله يتولَّاني ويتولَّاه، وحسبي الله ونعم الوكيل.

والأخ السَّائل الغيور على الدِّين وعلى إخوانه المسلمين الأبرياء حقَّق في نفسه قول الباري جلَّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحُجرَات: ٦].

(١) شنَّعَ عليه الأمرَ تشنيعًا: قَبَّحَهُ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢١/ ٢٩٧).

رجل الدِّين وميدان الدَّعوة

السُّؤال:

وجَّه إلينا سائلٌ رسالةً يقول فيها: هل يجوز لك بوصفك رجل دينٍ أن تجلس مع امرأةٍ تفتي في أمور الدِّين للنَّاس؟

الجواب:

يقول الرَّسول ﷺ: «**ما خلا رجلٌ وامرأةٌ إلَّا ودخل الشَّيطان بينهما**»(١).

الإسلام لم يحرِّم على الرَّجل الخلوة بالمرأة إلَّا الخلوة بالأجنبيَّة، ورجل الدِّين حين يجلس مع امرأةٍ ليفتي في أمور الدِّين لا يختلي بها حتَّى يجعل للشَّيطان مدخلًا بينهما.

وإنَّني حين أجلس مع امرأةٍ للرَّدِّ على الأسئلة أكون أمام آلافٍ من المشاهدين للشَّاشة وأمام عشراتٍ من الموظَّفين بالإستديو، فأنا وهي مرئيَّانِ للنَّاس أكثر ممَّا لو كنَّا في الطَّريق العامِّ.

ثمَّ كيف أدعو إلى هذا الدِّين دون أن أختلط برجالٍ ونساءٍ في ميدان الدَّعوة؟! أيريد السَّائل منِّي أن أكون متزمِّتًا قابعًا في ركن داري صامتًا على ما عندي من حقائق الدِّين كاتمًا على النَّاس ما أعلم ممَّا علَّمني الله؟! أنا لا أرضى لنفسي ذلك، ولا يرضاه لي عملي ولا ديني، وأقول:

---

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٧٨٣٠).

ديني؛ لأنَّ الدِّين يأمرنا بالدَّعوة، والدَّعوة لا تصدر من إنسانٍ قابعٍ في بيته أو في عزلةٍ عن النَّاس بقصد البعد منهم ومن دنياهم وزخارفهم وأباطيلهم؛ لأنَّ العزلة رهبنةٌ، والقرآن يقول في الرَّهبانية: إنَّها بدعةٌ. والرَّسول ﷺ قال: «**لا رهبانيَّة في الإسلام**»(١).

بوصفي رجلًا مطلوبٌ إليَّ أن أبلِّغ الدِّين للنَّاس، يجب أن أخرج وأتحدَّث إلى الرَّجل والمرأة، إلى كلِّ مكلَّفٍ ملزمٍ بالدِّين.

ثمَّ أقول للأخ السَّائل: إنَّ مسجد الرَّسول ﷺ كان مدرسةً يجتمع فيها الرِّجال والنِّساء، يحدِّثهم فيها النَّبيُّ حديث المعلِّم لطلبته، وليس هناك جدارٌ أو حائلٌ يفصل بين الرِّجال والنِّساء، وإنَّما يجلس كلُّ فريقٍ من الجنسين في جهةٍ بعيدةٍ يرى الفريق الآخر، والرَّسول ﷺ يحدِّثهم ويجيب على أسئلتهم.

وعلى سبيل المثال نذكر للسَّائل والقارئ هذا الحديث: روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد الأوسيَّة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ والرِّجال والنِّساء قعودٌ عنده، فقال: «**لعلَّ رجلًا يقول ما يفعلُ بأهله، ولعلَّ امرأةً تُخبرُ بما فعلت مع زوجها، فأَرَمَّ القوم**(٢)**، فقلت: إي والله يا رسول الله، إنَّهنَّ ليقلن وإنَّهم ليفعلون قال: فلا تفعلوا فإنَّما مثل ذلك مثل الشَّيطان لقي شيطانةً في طريق فغشيها والنَّاسُ ينظرون**»(٣).

ويؤيِّد التَّاريخ أنَّ النِّساء والرِّجال في عهد النُّبوَّة كانوا يتسابقون إلى

---

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٣١٥٤).

(٢) أرمَّ القوم: أي سكتوا ولم يجيبوا. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢٦٧).

(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٧٥٨٣).

المسجد؛ ليستمعوا إلى ما يقوله الرَّسول ﷺ، فيأخذون ويتعلَّمون ويستفيدون ويفيدون، ويحدِّثنا التَّاريخ أيضًا عن نساءٍ ورجالٍ خرجوا سويًّا إلى القتال، وقاتلت المرأة والرَّجل جنبًا إلى جنبٍ، والإيمان حارسٌ للاثنين يحجبه ويحجبها، ولم ينزل أحدٌ منهم عن المستوى الرَّفيع؛ عن أدب النُّبوَّة الَّذي عاشوا في رحابه، ولم يهبط عن الخلق العظيم الَّذي علَّمه إيَّاه نبيُّ الخُلُق والأدب والحياء.

ولا أظنُّ الأخ السَّائل قد نسي الحبشة عندما وفدوا على رسول الله ولعبوا لعبتهم في المسجد على مشهدٍ من رجال المدينة ونسائها، وعائشة من جملة النِّساء كانت جالسةً خلف النَّبيِّ ﷺ تتفرَّج مع المتفرِّجين، فعن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزُّبير، أنَّ عائشة قالت: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يومًا على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظرُ إلى لعبهم»[1].

تأنيب الضَّمير

السُّؤال:

كنت حدثًا يوم اطَّلعت على ألصق النَّاس بي - وهما والداي - في حالةٍ لا يحبَّان أن يطَّلع عليهما أحدٌ فيها، وتكرَّر هذا الاطِّلاع مرَّتين، وقد كبرت الآن، وكلَّما تذكَّرت ما حدث منِّي وجدت نفسي في حالة تأنيب ضميرٍ، فهل في ذلك إثمٌ؟ وما التَّوبة من ذلك؟

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٥٤).

الجواب:

عندما فعل السَّائل الفعلة الآثمة الَّتي ذكرها في سياق سؤاله كان حدثًا عمره (٩) سنوات كما يقول، ومَن كان في مثل هذه السِّنِّ لا إثم عليه؛ لأنَّه لم يبلغ الحلم، والتَّكليف في الدِّين لا يكون إلَّا مع ثلاثة أمورٍ مجتمعةٍ؛ الإسلام، والعقل، والبلوغ؛ أي: أن يكون مسلمًا، وأن يكون متمتِّعًا بقواه العقليَّة، وأن يبلغ الحلم؛ أي: سنَّ الرُّشد.

ثمَّ إنَّ السَّائل عندما كبر عقل، وتاب، وأوى إلى الصَّواب والرُّشد، وعرف الحقَّ من الباطل، وأدرك الحلال من الحرام، وأسرع إلى التَّوبة نادمًا على ما فعل، و«**النَّدم توبةٌ**»[(١)] كما قال رسول الله ﷺ.

وإنِّي أنصح الأخ السَّائل أن يتفرَّغ لعمله، ويلقي الأفكار السَّوداء الَّتي تشغله وراء ظهره، ويكرِّس نفسه للعمل لما فيه طاعة الله من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وغيرها ممَّا فرض الله عليه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤].

الرَّسول ﷺ يخبرنا أنَّ باب التَّوبة مفتوحٌ، وأنَّ الله يبسط يده بالرَّحمة والمغفرة للنَّاس ليسرعوا إلى التَّوبة، فقد روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يبسط يده باللَّيل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوب مسيءُ اللَّيل حتَّى تطلع الشَّمس من مغربها**»[(٢)]، فليطمئنَّ السَّائل إلى رحمة الله وغفرانه.

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥٢).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٧٥٩).

من أولو الأرحام؟

السُّؤال:

أرجو أن توضِّحوا لنا مَن الأرحام الَّذين تجب علينا صلتهم وبرُّهم والإنفاق عليهم، وهل هم ذوو القربى أم أولو الأرحام؟

الجواب:

الأرحام وأولو الأرحام وذوو القربى معناها واحدٌ، وهم كلُّ مَن تربطه بالإنسان قرابةٌ من الأب أو من الأمِّ، وكلَّما كانت القرابة ألصق وأقرب كان ثواب الصِّلة أكبر، والأقربون أولى بالمعروف، وأحقُّ بالبرِّ والعطف، ففي قصَّة أبي طلحة أنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء، وإنَّها صدقة أرجو برَّها وذخرها فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنِّي أرى أن تجعلها في الأقربين**»[1]، والله تعالى أمرنا بصلة الأرحام وبرِّهم والتَّودُّد إليهم بالإنفاق عليهم ورعايتهم إن كانوا فقراء وفي حاجة إلى مَن يمدُّ لهم يد المساعدة والمعونة حتَّى يشعروا بالصِّلة.

وبلغ من اهتمام القرآن بهم أن جعلهم في الدَّرجة الأولى من قائمة المحتاجين الواجب علينا صلتهم والإنفاق عليهم، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٤٦١)، ومسلم، رقم: (٩٩٨).

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، وقال أيضًا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٥].

وأمرنا ببرِّهم والتَّودُّد إليهم بزيارتهم ودوام رؤيتهم إن كانوا في يسر حالٍ أيضًا، والسُّنَّة المطهَّرة حثَّت على صلة الرَّحم بقول الرَّسول ﷺ: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه، وينسأ في أثره، فليصل رحمه**»(١)، ويقول أيضًا: «**لا يدخل الجنَّة قاطعٌ**»(٢)؛ أي: قاطع رحمٍ.

فليفهم الأخ السَّائل أنَّ أولي الأرحام هم الأقرباء من جهة الأب أو من جهة الأمِّ، ولا تحديد لهم.

الجنَّة تحت أقدام الأمَّهات

السُّؤال:

يتنكَّر لصنيع والديه، ويقابل إحسانهما بالإساءة، فما موقف الإسلام منه؟

الجواب:

نكران السَّائل لصنيع والديه ومقابلته الحسنةَ بالسَّيِّئة خطيئةٌ كبيرةٌ وجرمٌ عظيمٌ، وما أشبه هذا العمل بالإشراك بالله! فالرَّسول ﷺ يقول: «**أكبر**

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٨٤)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٦).

الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزُّور»[١]، والرَّسول ﷺ قرن عقوق الوالدين بقتل النَّفس، فقال ﷺ: «**الكبائر الإشراك بالله، وقتل النَّفس، وعقوق الوالدين**»[٢]، ومن أهمِّيَّة الوالدين وكبير مكانتهما في الإسلام أنْ قرنَ الله ﷻ الأمر بعدم اتِّخاذ شريكٍ له وإخلاص العبادة له بالإحسان إلى الوالدين، وأمر بعدم التَّلفُّظ بأقلِّ كلمةٍ يحتمل أن تغضبهما، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النِّساء: ٣٦]، وليعلم السَّائل أنَّ «**الجنَّة تحت أقدام الأمَّهات**»[٣]، كما يدلُّ على ذلك حديث الرَّسول ﷺ، فعن جاهمةَ أنَّه جاء النَّبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أمٍّ؟**» قال: نعم، قال: «**فالزمها فإنَّ الجنَّة عند رجليها**»[٤]، وقال ﷺ: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوِ احْفَظْهُ**»[٥]؛ فمن تواضع لأمِّه دخل الجنَّة، ومن برَّ أباه انفتح له بابها.

ونصيحتي للأخ السَّائل ما دام أبواه على قيد الحياة أن يعتذر إليهما، ويلتمس رضاهما؛ حتَّى يرضيا عنه، فليس في العالم قلبٌ أرقُّ من قلبي

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٩١٩).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٨٧١).
(٣) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمال، رقم: (٤٥٤٣٩).
(٤) رواه النَّسائيُّ، رقم: (٤٣١٢).
(٥) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٠٠).

الوالد والأمِّ على ولدهما، فهما دائمًا يُؤْثِران ولدهما على نفسيهما ولو كان بهما خصاصةٌ، ومهما اشتدَّت بهما الظُّروف إلى الحاجة.

وأسأل الله الهادي أن يفتح بصيرة السَّائل ليرى الحقَّ الَّذي يجب أن يتَّبع فيوفي لوالديه حقَّهما من الإحسان والتَّكريم والمعاملة الحسنة.

بِرُّ الوالدين

السُّؤال:

والدها كبيرٌ في السِّنِّ وهي ترعاه، وتقضي كلَّ ما يحتاج إليه، كأنَّه طفلٌ، وفي أثناء تغسيله يعبث في نفسه فتضطرُّ إلى ربط يديه، فهي لا تستطيع تغسيله إلَّا بهذه الوسيلة، فهل يعدُّ هذا الفعلُ إهانةً له يخلُّ ببرِّ الوالدين؟

الجواب:

لا، ليس في ربطِ السَّائلة يدي والدِها في أثناء تغسيله إهانةٌ له ولا عقوقٌ.

لكن يجب على السَّائلة أن تراعي معاملة والدها بالحسنى واللِّين؛ فلا تغلظ له في القول، ولا تظهر له أيَّ تململٍ ولا تأفُّفٍ؛ حتَّى لا يشعر بأنَّها متضايقةٌ من شيخوخته، وأنَّها ضاقت بحاله الَّتي هو عليها، فهو حين يرى نفسه مُقعَدًا وطريح الفراش وأنَّ أحدًا يخدمه بوصفه طفلًا ربَّما يزداد حساسيَّةً وشعورًا لهذا الوضع الَّذي لا يقبله بعض النَّاس من الَّذين لهم حسٌّ مرهفٌ وشعورٌ رقيقٌ وتأثُّرٌ سريعٌ.

أرجو أن تكون معاملة السَّائلةِ والدَها بمظهرٍ لا يحسُّ فيه بما يؤلمه ويكدِّره، وفي هذه الحالة تكون السَّائلة قد قامت بحقِّ البنوَّة الرَّحيمة الحانية، وسيجزيها الله خيرًا على خدمتها لوالدها على هذه الصُّورة المرضية المتواضعة.

معاملة الوالد بالحسنى

السُّؤال:

أسرةٌ مكوَّنةٌ من أربع بناتٍ وثلاثة بنين وأمٍّ، والأب مدمن خمرٍ وقمارٍ، خسر أمواله كلَّها حتَّى امتدَّت يده إلى أثاث المنزل، فباع بعضه ليسكر ويقامر، ونتيجةً لهذا أصيب بخللٍ في عقله، وعندما تعتريه النَّوبة يهدِّدهم بالقتل ويسرق نقودهم، وقد أصبحت الأسرة في شقاءٍ؛ بسبب هذا الأب، فهل يباح لها طرده؟ وهل على أفرادها إثمٌ إذا هم طردوه؟

الجواب:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، وقال تعالى في الوالدين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمَان: ١٥]، ثمَّ إنَّ السَّائل أقرَّ في أوَّل الرِّسالة أنَّ هذا الوالد مصابٌ بمرضٍ عقليٍّ، وأنَّ هذا المرض يعاوده في مراحلَ قد تطول، والمريض بعقله مهما شفي فهو مريضٌ، وهو في عرف النَّاس مجنونٌ.

لهذا أقول: إنَّ طاعة الله تكون في مداراة هذا المريض، ومعاملته باللِّين واللُّطف، فاستعمال الشِّدَّة معه تزيده مرضًا، والعنف يزيده سوءًا، وأيَّ كلمة حنانٍ وعطفٍ يرتجيها الإنسان من مريضٍ بعقله؟

أرجو أن يعين الله هذه الأسرة، ويوفِّقها إلى فعل الخير مع هذا الأب، ولعلِّي أستطيع أن أنصح لكم بإدخال أبيكم مستشفيات الأمراض العقليَّة، فقد يفيده علاجٌ، وعلى كلِّ حالٍ الأسرة أدرى بمصلحة الأب.

وأودُّ أن أضيف إلى ذلك قولي: إنَّ المعاملة بالحسنى واجبةٌ على الأسرة ومطلوبةٌ إليها في هذه الحالة، أمَّا النَّهر أو مقابلة السُّوء بالسُّوء والشِّدَّة بالشِّدَّة بطرده من المنزل تخلُّصًا من متاعبه، فإنَّ الإسلام قد نهى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿...فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٣-٢٤].

صلة ذي القربى

السُّؤال:

أمرنا الله جلَّ شأنه بصلة ذي القربى، فإذا قطعنا هذه الصِّلة خوفًا من وقوع الشِّجار والفتنة - معنى ذلك أنَّنا قطعناها بحكم الضَّرورة - فما الحكم في ذلك؟

الجواب:

إنَّ الله ﷻ أمرنا في محكم التَّنزيل بآياتٍ كثيرةٍ بصلة القرابة، منها قوله

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ويقول: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسرَاء: ٢٦]، وجاء هذا الأمر في نحو عشرة مواضع من كتاب الله.

ولا يتاح في حالٍ من الأحوال قطيعة الرَّحم، ويعجبني في ذلك ما قرأته في الحديث أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ: «**لئن كنت كما قلت فكأنَّما تسفُّهم المَلَّ**[(١)] **ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك**»[(٢)].

فالسَّائل ينبغي له أن يصل أقاربه بما يستطيعه من وصلٍ مادِّيٍّ إن كانوا يحتاجون إلى المادَّة وهو قادرٌ عليها، أو بالزِّيارة والسُّؤال عن الصِّحَّة والتَّهاني إن وجبت التَّهاني، ويشارك في التَّعازي والمواساة إن احتاج الأمر إلى ذلك، وليعلم أنَّ صلة الرَّحم كما قال ﷺ: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه، وينسأ**[(٣)] **في أثره، فليصل رحمه**»[(٤)].

(١) الملَّ: الرَّماد: أي تجعل وجوههم كلون الرَّماد. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٧٥).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٥٥٨).
(٣) النَّسءُ: التَّأخير. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٤٤).
(٤) سبق تخريجه.

الفقير المستحقُّ للصَّدقة

السُّؤال:

أعيش في بحبوحةٍ واسعةٍ من الرِّزق، وأتصدَّق دائمًا على الفقراء والمحتاجين بوصف ذلك من عمل الصَّالحات الَّتي أرجو أن يتقبَّلها الله منِّي، وأريد أن أعرف مَن الفقراء الَّذين يصحُّ التَّصدُّق عليهم شرعًا؛ هل هم الَّذين يمدُّون أيديهم للنَّاس في الطُّرقات العامَّة، أم أناسٌ لهم سمةٌ خاصَّةٌ؟

أرجو الإفادة.

الجواب:

تحدَّث القرآن الكريم عن الفقير المستحقِّ للعطاء، وأوضح وجوب قيام الغنيِّ الموسر بحقِّ الفقير في التَّكافل والبرِّ؛ لمعاونته على مواجهة أعباء الحياة، وأوضح القرآن سمة هذا الفقير وصفته؛ حتَّى يتبيَّن لنا الفقير المحتاج إلى المعونة حقًّا من المحتال الَّذي يتَّخذ من المسألة وسيلةً للعيش.

لكنَّ القرآن قبل أن يذكر لنا هذا الفقير ذكر لنا آياتٍ عدَّةً للتَّرغيب في الإنفاق على المحتاج والبذل للفقير؛ بوعودٍ ودوافع عدَّة، فيقول الله تعالى في آيات التَّرغيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠]، والآيات كثيرةٌ في هذا التَّرغيب.

بعد هذا يرغِّب الباري جلَّ جلاله بإخفاء الصَّدقات، فيقول: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٞ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٧١]؛ وذلك لأنَّ في إخفاء الصَّدقة حفظًا لكرامة المحتاج المعطى له، وصونًا لعزَّته، وقهرًا لتعالي المنفق المعطي وحبِّه للتَّعاظم وافتخاره بالمنِّ والعطاء.

ونجد الرَّسول ﷺ يطلب إلينا في الحديث إخفاء الصَّدقة، ويجعل الَّذي يخفيها من الَّذين يظلُّهم الله بظلِّه يوم القيامة، فيقول النَّبيُّ ﷺ: «**سبعةٌ يظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: إمامٌ عدلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلَّقٌ في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ، فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه**»[1].

أمَّا الآية الَّتي تتحدَّث عن الفقير والبذل له وتتحدَّث عن سمته وحاله فهي قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٤٢٣)، ومسلم، رقم: (١٠٣١)، واللَّفظ للبخاريِّ.

ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣].

معنى الآية: إنَّ الله تعالى أمر بالإنفاق على الفقراء الَّذين أحصروا في سبيل الله، وهم قومٌ هاجروا بدينهم إلى المدينة تاركين أموالهم وأهليهم، فهم محصرون، والمحصر هو المحبوس، حصروا أنفسهم وحبسوها على ما يلقيه إليهم رسول الله ﷺ، فقد آمنوا بالدَّعوة المحمَّديَّة دعوةِ الهدى والتَّوحيد والحرِّيَّة، وكفروا بدين الآباء وعقائد الشُّيوخ وضلالات البيئة الموروثة، فهم عندما طلب إليهم الهجرة خرجوا بلا مالٍ؛ جهادًا في سبيل الله وإعلاءً لكلمته.

وصفت الآية الكريمة هؤلاء الفقراء بصفاتٍ خمسٍ:

الصِّفة الأولى: إنَّهم أحصروا في سبيل الله، فلم يتركوا التَّكسُّب اختيارًا، إنَّما تركوه اضطرارًا؛ بسبب الظُّروف القاهرة، وما كانوا يلاقونه من مشركي قريش من العنت والإساءة والبطش.

الصِّفة الثَّانية: إنَّهم لا يستطيعون ضربًا في الأرض، ولو قدروا على الضَّرب والتَّكسُّب لفعلوا، لكنَّهم لم يكن لديهم المال الَّذي يعينهم على العمل والسَّعي في الأرض.

الصِّفة الثَّالثة: إنَّ الجاهل بحالهم لو رآهم وهم متعفِّفون أعزَّاء لحسبهم أغنياء بسبب تعفُّفهم، فهم ليسوا من أولئك الطُّفيليِّين الَّذين يعيشون عالةً على النَّاس، إنَّما هم أزهد النَّاس عمَّا في أيدي النَّاس، فهم يقنعون بما هم فيه من حاجةٍ وفقرٍ، ويتجمَّلون بالتَّعفُّف، والصَّبر، والتَّنزُّه عن الطَّمع والتَّطلُّع إلى ما في أيدي النَّاس؛ حتَّى ليحسبهم مَن لا نفاذ

لبصره في حقائق الأمور أنَّهم أغنياء، لكنَّ صاحب البصيرة إذا نظر إلى وجوههم وجد عليها أثر المسغبة والجوع والحاجة.

الصِّفة الرَّابعة: إنَّ مَن يراهم يعرفهم بسيماهم، والسِّمة هي العلامة، يقابلك أحدهم بطلاقة وجهٍ وعزَّة نفسٍ وقناعةٍ ظاهرةٍ وحسن قولٍ، ولكن بعد تطلُّعك إلى أسارير وجهه تعرف أنَّه خاوي المعدة، طاوٍ من الجوع والحرمان، صابرٌ على حاله.

الصِّفة الخامسة: إنَّهم لا يسألون النَّاس إلحافًا، فليس شأنهم شأن الشَّحَّاذين، ولا الَّذين يطوفون على النَّاس يلحُّون في السُّؤال، ولو فعلوا ذلك لذهب حياؤهم، وانحلَّت عقدة ألسنتهم، وأصبح السُّؤال عادةً عندهم وسهلًا على ألسنتهم.

إنَّ السُّؤال محرَّمٌ في الإسلام إلَّا للضَّرورة، فقد ثبت في الحديث الَّذي رواه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسألة لا تحلُّ إلَّا لثلاثةٍ: لذي فقرٍ مدقعٍ، أو لذي غُرمٍ مُفظعٍ، أو لذي دمٍ موجعٍ**»(١).

وقال عليه السلام: «**ليس المسكين الَّذي تردُّه التَّمرة والتَّمرتان ولا اللُّقمة واللُّقمتان، إنَّما المسكين الَّذي يتعفَّف، اقرؤوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]**»(٢).

ومَن اتَّصف بهذه الصِّفات وجب على النَّاس إكرامه وحفظ ماء وجهه وسدُّ حاجته.

---

(١) رواه أحمد، رقم: (١٢٢٧٨).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٥٣٩)، ومسلم، رقم: (١٠٣٩)، واللَّفظ للبخاريِّ.

إنَّ الإسلام قدَّره وأمر بإكرامه، قال نبيُّ الإسلام ﷺ: «**ارحموا من النَّاس ثلاثةً: عزيز قوم ذلَّ، وغنيَّ قومٍ افتقر، وعالِمًا بين جهَّال**»(١)، وما أكثر هؤلاء في زمننا هذا!

كانت أيديهم ملأى بخير الله، وكانت نفوسهم سخيَّةً بمال الله، ينفقون منه ذات اليمين وذات الشِّمال على المحتاجين من عباد الله وعلى المبرَّات الَّتي يحبُّها الله، وإذا بالحظِّ يخالفهم، وإذا بهم بين العشيَّة والضُّحى في حاجةٍ بعد أن كانوا يقضون الحاجة، وفي كربٍ بعد أن كانوا يفرِّجون الكرب، ومثل هؤلاء يجب إكرامهم ومعونتهم، ولعلَّهم يكتفون من كلِّ ذلك باحترام النَّاس لهم، وما أجمل تأديب الإسلام لأمَّته حين قال نبيُّ الإسلام ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»(٢)، وحين قال ﷺ: «**خالق النَّاس بخلقٍ حسنٍ**»(٣)!

الإنسان لا يضمن نفسه صحيحًا أبدًا، ولا يضمن أحداث الأيَّام، فقد يمرض الصَّحيح، ولا يضمن الإنسان نفسه غنيًّا؛ فللغنى آفاته، ولا شابًّا؛ فالشَّباب مهما عاش فلا بدَّ له من الهرم يأتيه فيعجزه، والشَّيخوخة تزحف إليه فتقعده.

ويعجبني أن أقرأ على السَّائل هذا الحديث الشَّريف، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحَّتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(٤).

فالمؤمن حذرٌ يخشى عواقب الأمور وآفات النِّعم، فإذا رأى عزيزًا

---

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٣١٨).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٢٠٥٩).
(٤) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٩٧٦٧).

أذلَّه الدَّهر أكرمه، أو صحيحًا أضناه السَّقم واساه؛ لأنَّه يعامل النَّاس بما يحبُّ أن يعامله به النَّاس.

وختامًا أدعو للسَّائل أن يجعل الله في الصَّالحات أعماله.

جزاء الإحسان إلى الفقراء

السُّؤال:

له جيرانٌ لا يرحمون الفقير، وإذا دعته الرَّحمة والشَّفقة إلى أن يعطيهم ما يعينهم على الحياة ضحكوا منه وسخروا، ويسأل أن أوجِّه إلى أمثال هؤلاء نصحًا وإرشادًا.

الجواب:

من أوائل ما أُنزل على رسول الله ﷺ في الأيَّام الأولى من البعثة قوله تعالى في سورة الضُّحى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضّحى: ٩-١٠].

بهذه الآية أمرنا الله أن نرحم اليتيم، ونرعاه، وألَّا نذلَّه، وأمرنا أن نجبر خاطر السَّائل وألَّا نزجره وننهره.

أمَّا جزاء المتصدِّق على الفقير فقد بيَّنه حديث النَّبيِّ ﷺ المرويُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلَّا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللَّهمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللَّهمَّ أعط ممسكًا تلفًا**»[1].

(١) صحيح البخاريُّ، رقم: (١٤٤٢)، ومسلم، رقم: (١٠١٠).

إنَّ الصَّدقات جاءت علاجًا لكثير من الأمراض الخلقيَّة، لا سيَّما أمراض القلوب من الشُّحِّ والبخل والتَّقتير، ثمَّ لحثِّ النَّاس على الرَّحمة بالفقراء والمحتاجين.

وأمَّا أولئك الَّذين لا يرحمون فهم قساةٌ بعيدون من رحمة الله، بدليل قول الرَّسول ﷺ: «**الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء**»(١).

وأمَّا استهزاء أولئك ولَمْزُهم السَّائلَ لِتَصَدُّقه على الفقراء فهو عملٌ مذموم ومفسدٌ؛ لأنَّهم يريدون إفساد كلِّ عملٍ صالحٍ يقوم به الخيِّرون من عمل النَّاس، والله سيحاسب أولئك المستهزئين اللَّامزين على إفسادهم، وقد عاب الله تعالى على جماعةٍ من المنافقين في صدر الإسلام كانوا يترصَّدون للَّذين ينفقون في سبيل الله بالاستهزاء والسُّخرية والتَّقصير عن الإنفاق في وجوه الخير، عاب القرآن على أولئك المنافقين وأخبرنا أنَّ الله سخر منهم وسيعذِّبهم، روى مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: «لمَّا نزلت آية الصَّدقة كنَّا نحامل؛ أي: نحمل الحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدَّق من تلك الأجرة، قال: فتصدَّق أبو عقيل بنصف صاعٍ، قال: وجاء إنسانٌ بشيءٍ أكثر منه، فقال المنافقون: إنَّ الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلَّا رياءً فنزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]»(٢).

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٢٤)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١٤١٥)، ومسلم، رقم: (١٠١٨)، واللَّفظ لمسلم.

أجر كافل اليتيم

السُّؤال:

تزوَّجتْ برجلٍ عنده طفلةٌ من زوجته الأولى الَّتي طلَّقها، وقد رفضت جدَّة الطِّفلة وعمَّتها وخالتها ضمَّها وتربيتها، فتولَّت الزَّوجة الثَّانية رعاية الطِّفلة الصَّغيرة، وهي ما زالت تحسن تربيتها وترعاها أكثر من أولادها الأربعة الَّذين رزقت بهم من زوجها، وتسأل: هل لها الأجر من الله على تربية هذه الطِّفلة؟

الجواب:

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ويقول أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ويقول الرَّسول ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيءٍ**»(١)، وإذا كان الله ﷻ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، فكيف يضيع إحسان الَّتي أحسنت إلى يتيمٍ ضعيفٍ؟ فإذا كانت السَّائلة صادقةً في قولها، فلها من الله أجرٌ عظيمٌ وثوابٌ كبيرٌ تناله جزاء إحسانها إلى تلك الطِّفلة الَّتي فقدت حنان أمِّها فعوَّضتها بحنانها عليها.

وديننا الإسلاميُّ - والحمد لله - يقدِّر المعروف وإن قلَّ، فهذا حديث رسول الله ﷺ يقول: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك**

(١) رواه مسلم، رقم: (١٩٥٥).

بوجهٍ طلقٍ»[1]، فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ للسَّائلة الكريمة بإحسانها إلى هذه الفتاة الثَّواب الجزيل من الله الجليل.

ومسك الختام نذكر حديث الرَّسول ﷺ الَّذي يبيِّن فيه مكانة كافل اليتيم حين يحسن كفالته ويؤدِّي حقوقه والتزاماته الإنسانيَّة نحوه، فإنَّه يكون في ظلِّ الله وفي موطن رحمته ورضاه، وسيكون إلى جوار رسول الله ﷺ يوم القيامة، فلقد روى البخاريُّ عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا وأشار بالسَّبَّابة والوسطى**»[2].

طفلٌ تعذِّبه زوجة أبيه

السُّؤال:

رسالةٌ جاءتني موقَّع عليها من طفلٍ اسمه محمَّد يوسف بن الأحمديِّ، يسطِّر فيها ما أصابه من زوجة أبيه القاسية من إهانةٍ وتعذيبٍ، فيقول: عندي مشكلةٌ ليست مشكلتي وحدي، إنَّما هي مشكلة كلِّ طفلٍ بريءٍ حرمته ظروفه الشَّديدة من حنان الأمِّ وعطفها وكلماتها الحانية الَّتي تمسح الدُّموع وتُطَمْئِن القلب وتجبر الخاطر، أنا طفلٌ في التَّاسعة من عمري، فقدتُ أمِّي الحانية الرَّؤوم، فتزوَّج أبي امرأةً قاسيةً لا تعرف الرَّحمة ولا تؤمن بالخير، تعاملني بقسوةٍ وعنفٍ ولا ترحم طفولتي، فهي تضربني بشدَّةٍ

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٢٦).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٣٠٤)، ومسلم، رقم: (٢٩٨٣)، واللَّفظ للبخاريِّ.

بعصًا غليظةٍ، وتتوعَّدني بالويل إذا حدَّثتُ والدي بما تصنعه معي، ثمَّ تمنعني من دخول المنزل إلى أن يأتي والدي ليلًا، ونتيجةً لهذه المعاملة القاسية تأثَّرتُ نفسيًّا، ورسبتُ في الصَّفِّ الثَّالث ثلاث مرَّاتٍ.

وفي الوقت الَّذي تقسو فيه عليَّ بهذه الصُّورة المؤلمة وتعطيني الرَّديء من الطَّعام والقديم من الثِّياب، تدلِّل ولدها وتغرقه في كلِّ ما يشتهي.

إنَّني معذَّبٌ أعيش سنوات طفولتي في أسًى، وجسمي الصَّغير لا يتحمَّل مثل هذا العذاب، فما ذنبي وخطيئتي؟ إنَّني لم أفعل ذنبًا حتَّى أستحقَّ هذه المعاملة المهينة من امرأةٍ لا تعرف الله ولا تعرف دينه الَّذي يدعو إلى الرَّحمة والشَّفقة والبرِّ.

إنَّ معاملة زوجة أبي لي جعلتني أكره الدُّنيا وأضيق بالحياة، فهل أجد صاحب قلبٍ كبيرٍ يتَّسع لآلامي وأحزاني، ويتحدَّث بما أصابني من ذلٍّ وهوانٍ بكلمةٍ، لعلَّها تصل إلى قلب زوجة أبي فتلين وترحم طفولتي؟

الجواب:

لقد تأثَّرت برسالة هذا الطِّفل البريء الَّذي قذفت به ظروفه إلى كنف هذه السَّيِّدة الَّتي يصفها الطِّفل في رسالته بالمرأة القاسية، تأثَّرت بالرِّسالة ووضعتها بنصِّها كلِّه أمام القارئ، فعسى أن يكون أبوه ممَّن يقرؤونها فيدرك ما أصاب ابنه من إهمالٍ ومهانةٍ ويعرف تقصيره نحوه.

وإنَّني أعرف أنموذجاتٍ كثيرةً من أمثال هذا الطِّفل البريء، وما يحدث لهم من زوجات آبائهم، وأعرف كثيرين منهم تُوفِّيت أمَّهاتهم، ثمَّ تزوَّج الآباء بعد ذلك، وأنجبوا مع زوجاتهم أولادًا خصُّوهم بالحبِّ والرِّعاية تاركين أبناءهم الأوَّلين يعيشون في جوِّ التَّعاسة والحرمان

والضَّعف الَّذي تصنعه لهم زوجات الآباء القاسيات غليظات القلب.

ولو أنَّ هذا الطِّفل كان يتيمًا لوجد مَن يضمُّه بجناحه ويسبغ عليه من عطفه ورعايته، لكنَّه ليس يتيمًا وهو أولى بالعطف والمواساة والتَّكريم.

والله ﷻ يقول لنا بشأن أمثال هذا الطِّفل: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٩]، ففي هذه الآية يأمرنا الله بالتَّقوى والخشية منه، وأن نضع أنفسنا مكان رجل يخشى على ذرِّيَّته بعد وفاته من إنسانٍ غيره يتولَّى أمرهم فيعاملهم بقسوةٍ ووحشيَّةٍ، فالدُّنيا لا تدوم لأحدٍ، ولا يظنَّ إنسانٌ أنَّه سيعيش إلى أن يرى أولاده وقد كبروا واشتدَّت سواعدهم وفي إمكانهم الدِّفاع عن أنفسهم وحمايتها من عدوان مَن تولَّى أمرهم، لا يضمن إنسانٌ هذا.

فمن واجب كلِّ مسلمٍ أن يراقب الله في مثل هذا الطِّفل الضَّعيف إذا قدَّر الله أن يكون تحت رعايته، فينظر إليهم نظرة أبٍ مشفقٍ على أبنائه، ويعمل على إحسان التَّربية له والعناية به، وليعلم أنَّه لو عامل مثل هذا الطِّفل بغلظةٍ فإنَّ الله - وهو القويُّ المنتقم - مطَّلعٌ من فوق سبع سماواتٍ على سيِّئاته لمثل هذا الطِّفل، وإنَّ الله له بالمرصاد، وسيأتي اليوم الَّذي سيقف فيه أمام الله يحصي عليه سيِّئاته ويحاسبه على ظلمه وقسوته على طفلٍ ضعيفٍ لا حول له ولا قوَّة، سيأتي ذلك اليوم؛ يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين، يوم تعرض الأعمال على الله فينال الجزاء لما قدَّم إن كان محسنًا أو مسيئًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحَشر: ١٨].

أمَّا هذا الأب الَّذي نسي أو تناسى أنَّ له ابنًا فقدَ أمَّه الرَّؤوم الَّتي

كانت تغمره بالحنان والعطف والرِّعاية، فتركه لامرأةٍ لا ترحم ضعفه وقلَّة حيلته، فإنِّي أتوجَّه إليه أن ينقذ ابنه من بين أنياب هذه المرأة الَّتي ظهرت في صورة وحشٍ، وليعلم أنَّ هذا الطِّفل هو فلذَّة كبده، وأنَّه جزءٌ منه، وأنَّه إذا كان لا يطيق أن يقطع أحدٌ جزءًا من جسمه فكيف يترك طفله يتعرَّض للهوان والعذاب وهو جزءٌ منه؟! وأنَّ الله سيحاسبه على ما فرَّط في حقِّ ابنه، فهو عنده أمانةٌ استأمنه الله عليها واسترعاه، فهو مسؤولٌ عن الأمانة مسؤوليَّةً كبيرةً ربَّما لا يدرك خطورتها، وسؤال الله يوم القيامة عن الأمانة عسيرٌ، ولن يستطيع أيُّ إنسانٍ أن يفلت من عقاب الله متى فرَّط في حقِّ أحدٍ من رعيَّته المسؤول عنهم.

وأختم كلمتي هذه بحديث رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعول**»(١).

ووالد هذا الطِّفل ضيَّع ابنه حين سلَّمه لهذه المرأة القاسية، فليتَّق الله فلا يأثم، وليحفظ عليه ابنه وفلذَّة كبده وجزءًا من جسمه.

هل ضربُ اليتيم إهانةٌ؟

السُّؤال:

لي بناتٌ ماتت أمُّهنَّ، وقد يحدث أن يعبثن أحيانًا، ويأتين بأفعالٍ تستوجب الرَّدع، فأضربهنَّ للتَّأديب، وقال لي أحد أصدقائي: إنَّ ضربهنَّ إهانةٌ لهنَّ، وإنَّه حرامٌ عليَّ ضربُهنَّ؛ لأنَّهنَّ يتيماتٌ، والله ﷻ قال: ﴿فَأَمَّا

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٩٣٤).

﴿ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضّحىٰ: ٩]، فهل هذا صحيحٌ؟

الجواب:

اليتيم شرعًا مَن فقدَ أباه وليس له معيلٌ، واليتيم عرفًا - كما نشاهده - الَّذي فقد أمَّه وفقد معها عطف أبيه الَّذي تزوَّج بقاسية قلبٍ، فصرفت الأب عن ولده، وشغلته عن رعايته حتَّى قسا قلب الأب، فلم يرع طفله، ولم ينبض قلبه بالحنان عليه.

واليُتم أيضًا رجل تزوَّج وله زوجةٌ وأطفالٌ تركهم ضالِّين بلا معينٍ ولا هادٍ، جياعًا، عراةً، يمدُّون أيديهم للمحسنين يلتمسون اللُّقمة، والأب ينعم بلذيذ الحياة، لا يبالي بهم؛ أيظلُّهم سقفٌ من العوادي، أم هم بالعراء تحت السَّماء، وما أصدق قول الشَّاعر أحمد شوقي:

ليس اليتيم هو الَّذي أبواه قد ... ذاقا الممات وخلَّفاه ذليلا

إنَّ اليتيم هو الَّذي تلقى له ... أمَّا تخلَّت أو أبًا مشغولا[1]

أمَّا سؤال السَّائل عن ضربه لبناته بقصد التَّأديب فإن كان يريد التَّأديب فإنَّ الضَّرب لهذا لا يؤلم؛ لأنَّ المؤدِّب رحيمٌ، والرَّحيم لا يقسو، أمَّا إن كان يضرب بناته تنفيذًا لرغبة زوجته - وهي زوجة أبٍ - فهذا حرامٌ؛ لأنَّه لم ير شيئًا من إساءة أولاده بعينيه لكي يؤدِّبهم، إنَّما هي وشايةٌ ومكيدةٌ أو كما نسمِّيها: فتنة امرأة أبٍ.

فعلى السَّائل أن يتَّقي الله في بناته، ويرعاهنَّ رحمةً بهنَّ وبضعفهنَّ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهنَّ**

(١) انظر: شعر شوقي في ميزان النَّقد، لمحمَّد مصطفى مجذوب (١/ ٨٢).

كنَّ له سترًا من النَّار»، رواه البخاريُّ ومسلم[١].

وقال أيضًا: «**لا تكرهوا البنات فإنَّهنَّ المؤنسات الغاليات**»[٢].

على أنَّه لا حرج على السَّائل أن يؤدِّب أولاده، لكن دون قسوةٍ، وأن يوسِّع دون تضييقٍ، وأن يحسن النِّيَّة والقصد، ومن يتَّق الله يفتح الله عليه ويجعل له مخرجًا؛ قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطّلَاق: ٢-٣].

طرد فقيرةٍ مسيئةٍ

السُّؤال:

أكرمت امرأةً فقيرةً وآوتْها في بيتها، لكنَّها تدخَّلت بينها وبين أهل زوجها ببذر الفتنة فطردتها، لكنَّها سمعت أنَّ طردها بوصفها امرأةً فقيرةً خطيئةٌ في حقِّ إكرام الجار الَّذي أوصى به النَّبيُّ ﷺ، فما رأيكم؟

الجواب:

لا شكَّ في أنَّ الرَّسول ﷺ أمر بإكرام الجار وجعل له حقًّا، وكان من جملة قوله ﷺ في هذا الموضوع: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه**»[٣]، ولكنَّ الشِّقاق والنِّزاع والفتنة الَّتي تسبِّب النِّزاع حالقةٌ للدِّين كما يُحلق الشَّعر من الرَّأس، وقطع دابر الفتنة أَولى، فقد

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٩٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٢٩).
(٢) رواه أحمد، رقم: (١٧٣٧٣).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٠١٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٢٥).

قال الرَّسول ﷺ: «**إيَّاكم وسوء ذات البين فإنَّها الحالقة**»(١).

وإذا شاءت الأخت السَّائلة إكرام هذه الجارة عملًا بوصايا النَّبيِّ ﷺ فلا مانع من إكرامها وهي بعيدةٌ منها ما دامت قد تأكَّدت بنفسها أنَّها تبذر بذور الفتنة بينها وبين حمولتها؛ أهل زوجها كما تقول.

إنَّ الرَّسول ﷺ أثنى ثناءً كبيرًا على سلامة الصَّدر وقال: «**لا يبلِّغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصَّدر**»(٢)، ومعنى قوله ﷺ: لا ينقل أحد له شيئًا من الأخبار السَّيِّئة الَّتي توغر الصَّدر وتسيء الظَّنَّ.

لهذا إن صحَّ ما قالته السَّائلة فلا إثم عليها في طرد هذه الجارة المفسدة مع استمرار إعانتها بعيدًا من دارها.

البخل في الإسلام مذمومٌ

السُّؤال:

إنَّ الله أمرنا بالرِّفق باليتامى، والإحسان إلى الفقراء، فما موقف الإسلام من رجلٍ أعطاه الله يسرًا في الحال ويأمر زوجته أن تلقي فضلات طعامه في الأرض ويبخل بها على الفقراء والمحتاجين؟ وما واجب زوجة هذا الرَّجل؛ هل تطيعه وترمي فضلات **الطَّعام، أم تتصدَّق بها على الفقراء؟**

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٥٠٨)، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٨٩٦)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

الجواب:

هذا رجلٌ شحيحٌ، ورسول الله ﷺ قال لنا: «**اتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم**»(١)، وقال النَّبيُّ ﷺ في حديثٍ آخر: «**إيَّاكم والشُّحَّ، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالشُّحِّ، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»(٢).

وأمَّا أمر هذا الرَّجل البخيل لزوجته بأن تلقي فضلات الطَّعام في التُّراب فهذا إتلافٌ لشيءٍ ينفع، والله حرَّم علينا الإتلاف، أو هو تضييع مالٍ صالحٍ للاستعمال، والله جلَّ شأنه لا يريد من عباده هذا الإتلاف وضياع المال الصَّالح، أمَّا موقف زوجة هذا البخيل من عمله فلا يجب، ويخشى من تلفه إذا بقي، إلَّا مَن يستفيد منه وينتفع به، ولها جزاء ما فعلت، أمَّا الطَّعام الَّذي لا يخشى من تلفه إذا بقي محفوظًا فلا تعطي منه شيئًا إلَّا بإذن زوجها؛ لأنَّها ستستفيد منه ولن يُلقى في الأرض للتَّلف.

وأخيرًا أنصح هذا الرَّجل وأمثاله أنَّ مدَّ يد المعونة إلى المحتاج يُعوَّض من لدن غنيٍّ كريم؛ لأنَّ الله لا تنفد خزائنه، وهو يعطي مَن يتصدَّق على الفقراء أكثر ممَّا يخرج لهم.

فقد وعد جلَّ شأنه المنفق في الخير بقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبإ: ٣٩]، وبقوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحجّ: ٧٧]، ووعدنا بأنَّ «**الحسنة بعشرة أمثالها**»(٣)،

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٧٩).
(٢) رواه أحمد، رقم: (٦٧٩٢).
(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٣٨٥٩).

وأنَّ ﴿ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤]، والله يهدي هذا الزَّوج إلى الصَّالحات.

إذا تخاصم المسلمان

السُّؤال:

تشاجر مع أخيه الشَّقيق، ثمَّ قرأ حديثًا للرَّسول ﷺ: «إذا تخاصم مسلمان فإنَّ الله لا يغفر لهما طالما هما في الخصام»، ويسأل عن هذا الحديث ومدى انطباقه عليهما.

الجواب:

الحديث الَّذي ذكر معناه السَّائل صحيح، ونصُّه كما يأتي: «**تفتح أبواب الجنَّة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكلِّ عبد لا يشرك بالله شيئًا إلَّا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناءٌ، فيقال: أَنظِروا هذين حتَّى يصطلحا**» رواه مسلم(١).

ويقول الرَّسول الكريم أيضًا: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الَّذي يبدأ بالسَّلام**»(٢).

والهجران بين المسلمين حرامٌ، فكيف به بين أخوين من دمٍ ولحمٍ، ونزلا من رحمٍ واحدٍ؟!

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٦٥).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٠٧٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٦٠).

إنَّ الهجرة قطيعةٌ لصلة الرَّحم، والرَّسول ﷺ نهى عن قطع صلة الرَّحم، وأخبر في الحديث أنَّ قاطعها لا يدخل الجنَّة، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخل الجنَّة قاطعٌ**»[١]؛ يعني قاطع رحم. وقال ﷺ يحثُّ على صلة الرَّحم: «**من سرَّه أن يبسط عليه رزقه، وينسأ في أثره فليصل رحمه**»[٢].

إنَّ الهجر يولِّد البغضاء، والبغضاء تحلق الدِّين كما يحلق الموس الشَّعر، والرَّسول ﷺ يقول أيضًا: «**أَوَلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم**»[٣].

فعلى السَّائل وأخيه إن كانا يريدان السَّلام أن يتصالحا، والله الموفِّق إلى السَّلام.

الصُّلح بين المسلمين خيرٌ

السُّؤال:

حدث خلافٌ بين المسلمين، ومكثنا مدَّةً في حالة خصامٍ وقطيعةٍ حتَّى في أيَّام الأعياد، فأرجو أن تحدِّثونا فيما يأمر به الإسلام في حالة الخصام والقطيعة؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٥٤).

الجواب:

نزعة الخصام من النَّزعات الَّتي رُكِّبت في بني الإنسان من قديم الزَّمان بموجب الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها، والخصام يأتي تعبيرًا عن الانفعالات النَّفسيَّة الَّتي تصيب الإنسان من موقفٍ معيَّنٍ حدث فيه خلافٌ بينه وبين آخر.

وحين يحدث الخلاف ويحتدم لا بدَّ أن يكون للشَّيطان دورٌ فيه يتدخَّل بقصد زيادة ناره وتوسيع جانب العنف حتَّى يصل الأمر إلى القطيعة وأحيانًا إلى ما لا يُحمد عقباه، وهذه هي مهمَّة الشَّيطان ووظيفته وصلته ببني الإنسان.

والإسلام يعارض الخصام، ويكره القطيعة، ويحثُّ المسلم على السَّلام والمحبَّة، ويأمره بالعيش مع أخيه جنبًا إلى جنبٍ في ودٍّ وإخاءٍ إنسانيٍّ؛ لأنَّ الحياة تعاونٌ، ومن دونه لا يستطيع الإنسان أن يعيش وينتج، والحياة تقوم على السُّخرة، ومن دونها لا يمكن أن يقوم في الحياة نشاطٌ، فهذا يكلِّف ذلك للقيام بما لا يمكنه أن يعمله، وهكذا النَّاس مسخَّرون لخدمة بعضهم، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣٢].

فالمسلم مطالبٌ بأن يكره الخصام والقطيعة، ويحقِّق السَّلام والمحبَّة في مجتمعه، ولقد جعل الإسلام للإنسان حافزًا نحو تحقيق الصُّلح والسَّلام مع بني جنسه، فوصف ذلك الَّذي يختلف ويتخاصم مع أخيه ثمَّ يسرع إلى السَّلام والصُّلح بعد ثلاثة أيَّامٍ بأنَّه خير النَّاس وأفضلهم وأحسنهم، وصفه بذلك؛ لأنَّه نبذ الشَّرَّ واختار الخير، وكره الخصام وأحبَّ السَّلام، ومعنى وصفه بالخيريَّةِ والأفضليَّةِ أنَّه فعل الحسنات

والطَّيِّبات، ومن أجل هذا فهو مأجورٌ ومثابٌ.

ومَن منَّا لا يحبُّ أن يكون له ثوابٌ عند الله ويكون صاحب درجاتٍ ومقامٍ عند الله؟!

والله تعالى يصف المؤمنين بأنَّهم إخوةٌ، ويطالبهم بأن يصلحوا بين الإخوة، ويدعوهم إلى الإصلاح، فيقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٠].

ومن أحاديث الرَّسول ﷺ نقرأ الأجر الَّذي جعله الله لمن يسعى إلى الصُّلح، ونعرف مكانة من يحقِّق السَّلام في المجتمع، روى الإمام أحمد حديثًا عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة**»، قالوا: بلى يا رسول الله، **قال**: «**إصلاح ذات البين**»[(١)].

وروى البزَّار عن أنس رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي أيُّوب: «**ألا أدلُّك على تجارةٍ؟**». قال: بلى يا رسول الله، قال: «**تسعى في صلحٍ بين النَّاس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا**»[(٢)].

ومن أقواله ﷺ: «**تفتح أبواب الجنَّة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر الله لكلِّ امرئٍ لا يشرك بالله شيئًا إلَّا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناءٌ، فيقولان: أَنظِروا هذين حتَّى يصطلحا**»[(٣)].

فيا أخي المسلم أسرع إلى أخيك المسلم بالسَّلام، وابتغ المحبَّة،

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٧٥٠٨).
(٢) رواه البزَّار في مسنده، رقم: (٦٦٣٣).
(٣) سبق تخريجه.

وافزع إلى الصُّلح؛ حتَّى يغفر الله لك ذنبك، ويمحو عنك سيِّئاتك، وتكون عند الله من التَّوَّابين المقبولين.

وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان

السُّؤال:

شابٌّ في الثَّانية والعشرين من عمره، عمانيُّ الجنسيَّة، ولد في قريةٍ صغيرةٍ بعمان، قال في رسالته: إنَّ عدد سكَّان قريتنا (٢٥٠) شخصًا ينتمون إلى أربعة بيوتٍ، يعيشون طوال السَّنة في خصامٍ وقتالٍ، وأنا الوحيد من بينهم الَّذي ينكر هذه التَّصرُّفات، أمَّا مَن هم في سنِّي فكلُّهم يتعصَّب لبيته، ومع هذا فهم مسلمون يصلُّون ويصومون، وعداؤهم دائمٌ حتَّى في رمضان والأعياد، ويعلمون أنَّ المؤمن لا يكون مؤمنًا حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ولكن لا أثر لهذا عندهم، فلو تكلَّمتم في هذا الموضوع، فلعلَّ فيهم مَن يصغي إليكم.

الجواب:

الإسلام دينٌ جاء يدعو إلى المحبَّة والوئام والسَّلام، وفي الحديث الَّذي رواه البخاريُّ ومسلم وأحمد والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[1].

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥)، واللَّفظ للبخاريِّ.

لهذا كان أعظم شيء في الإسلام وأحبُّه إلى الله: «**إصلاح ذات البين**»[١] كما قال الرَّسول ﷺ، وفي كتاب الله العزيز أمرٌ من الله لعباده المسلمين: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١].

وأخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ إصلاح ذات البين أفضل كثيرًا من التَّعبُّد بصلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ، فقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إصلاح ذات البين**»[٢].

والرَّسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وجدها مسكونةً من طائفتين من العرب، هما الأوس والخزرج، وكان العداء بينهما شديدًا، وكانت الحرب بينهما قائمةً، فألَّف بين القلوب، وامتنَّ الله بهذا التَّآلف عليهم، فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

رُويت أحاديث كثيرة في فضل إصلاح ذات البين والتَّحذير من العداوة والبغضاء الَّتي تكون بين المسلمين، من ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**والَّذي نفس محمَّدٍ بيده لا تدخلون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم**»، وهذا الحديث رواه الإمام مسلم[٣]، ومعناه أنَّ دخول الجنَّة لا يكون إلَّا بالإيمان، والإيمان لا يكون إلَّا بالتَّحابب، والسَّبيل إلى التَّحابب إفشاء السَّلام.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

هي الحالقة، حالقة الدِّين لا حالقة الشَّعر، والَّذي نفس محمَّدٍ بيده لا تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا أفلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السَّلام بينكم»، وهذا الحديث رواه أحمد في «مسنده» عن الزُّبير بن العوَّام[1]، وأبان فيه الرَّسول ﷺ أنَّ الحسد والبغضاء إذا حلَّ في القلب حلقا منه الإيمان كما يحلق الموس شعر الرَّأس.

بهذه النَّصيحة قليلة الكلمات، كبيرة المعنى، المتضمِّنة آيات من كتاب الله وأحاديث قالها رسول الله ﷺ؛ أرجو أن ينتصح الإخوة في عمان؛ فيصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله، فتتآلف قلوبهم، ويعيشوا في بحبوحةٍ من الصَّفاء والهناء والطُّمأنينة، ويتفرَّغوا لأعمالٍ تنفعهم في دنياهم الحاضرة ودنياهم المستقبلة، ويصرفوا قواهم وأوقاتهم في عمرانٍ وزراعةٍ يطعمون بهما من جوعٍ ويأمنون بهما من خوفٍ.

التَّفاخر بالأنساب

السُّؤال:

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وكلام الله العظيم هذا بيانٌ للنَّاس جميعًا بألَّا يفخر أحدٌ على أحدٍ لا بحسبٍ ولا نسبٍ ولا ثراءٍ، وبأنَّهم «متساوون عند الله كأسنان المشط»[2]، والرَّسول ﷺ يتحدَّث في هذا المعنى في خطبته في حجَّة

(١) رواه أحمد، رقم: (١٤٣٠).

(٢) رواه الدَّيلميُّ في الفردوس، رقم: (٦٨٨٣).

الوداع، فيقول: «أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ إلَّا بالتَّقوى»[1].

لكنَّنا سمعنا من آبائنا وأجدادنا ألقابًا ما زالت آثارها فينا، وهي: أصيلٌ، وعامِّيٌّ، وبيسريٌّ، وشيخٌ. فهل هناك أحاديث لم تصلنا فضَّل الرَّسول فيها قومًا على قوم؟ أو هل يوجد آثارٌ للصَّحابة تُقِرُّ هذه الألقاب وتمنع أن يتزوَّج الأصيل بالعامِّيَّة؟

أرجو الإجابة.

الجواب:

جاء الإسلام لعربٍ تمكَّنت منهم الجاهليَّة العمياء، وتحكَّمت فيهم الطَّبقة الباغية، وطغت على حياتهم النَّزعة إلى العصبيَّة، فكانت القبائل تتفاوت شرفًا ومقامًا، وكانت العبوديَّة والولاء والتَّفاضل بالأنساب والأحساب تتحكَّم فيهم تحكُّم مستبدٍّ جائرٍ، فكان الكبير بحسبه ونسبه يأكل الصَّغير المعدوم، وكان القويُّ بكثرته وغلبته يستعبد الضَّعيف بقبيلته وأصله ويستذلُّه.

جاء الإسلام يعلن فيهم مبادئ المساواة والعدل وأسس الأخوَّة والقرابة الحقَّة؛ ليعيشوا جميعًا على أساس التَّفاضل بالإيمان والتَّقوى، لا على أساس التَّفاضل بالحسب والنَّسب، ونجد هذا في النِّداء الإلهيِّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

جاء يعلن لهم أنَّ أبناء الوطن الحاكم والمحكوم، والكبير والصَّغير، والمتعلِّم مدرسيًّا وغير المتعلِّم هم جميعًا إخوةٌ في الله، وذلك لقوله

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٣٤٨٩).

تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]، وهي صفةٌ جميلةٌ جامعةٌ؛ تجمعهم في توحيدٍ وسلامٍ.

فالإسلام جاء بالسَّلام وتوحيد الله، فلا معبود سواه ولا إله غيره، وتوحيد الغاية؛ لتكون غاية النَّاس جميعًا العيش في سلامٍ ومحبَّةٍ كأسنان المشط المتساوية تمامًا.

وبذلك قضى الإسلام على التَّفاضل القبليِّ الَّذي ساد العرب زمنًا طويلًا، وحطَّم الفوارق الَّتي نتجت عن التَّمسُّك بالعصبيَّة الموروثة، تلك العصبيَّة الَّتي كان مظهرها التَّرفُّع والاستكبار والتَّعالي على عباد الله.

قضى الإسلام على مظاهر العصبيَّة والكثرة، وجعل شعار الأخوَّة في الله هو الَّذي يجمع النَّاس، وتقوم على أساسها علاقاتهم في نواحي الحياة كلِّها من بيعٍ وشراءٍ وتجارةٍ وزواجٍ وعلاقاتٍ اجتماعيَّةٍ وسياسيَّةٍ وغير ذلك من أمور الحياة ومعاملاتها.

ومن قصص الإسلام نذكر هذه القصَّة، قصَّة التَّفاخر بالحسب والنَّسب الَّتي قضى الإسلام على مساوئها وأحلَّ محلَّها تشريعاته الإنسانيَّة والرُّوحيَّة: تغاضب أبو ذرٍّ وبلال الصَّحابيَّان الجليلان، فعيَّر أبو ذرٍّ بلالًا بأنَّه ابن السَّوداء، وعلم رسول الله ﷺ بذلك، فقال لأبي ذرٍّ: «**ما لأحدٍ عليَّ فضلٌ إلَّا بعملٍ، إن أنتم إلَّا كطفِّ الصَّاع**[1]»[2].

(١) طفُّ الصَّاع: أي قريب بعضكم من بعض. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ١٢٩).

(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٤٧٧٢).

المساواة في حبِّ الأولاد

السُّؤال:

عندها ابنتان متزوِّجتان، ولهما أولادٌ، والصَّغيرة أغنى من الكبيرة، لكنَّ الصَّغيرة لا تُحسِن إليها كما تحسن الكبيرة، بينما الأمُّ تحبُّ الصَّغيرة وتعطيها في الخفاء حينًا، وفي العلن حينًا آخر، والابنة الكبيرة تعلم أنَّ أمَّها تحبُّ الصَّغيرة، وتجزل لها العطاء، ولكنَّها لا تنكر على الأمِّ هذا التَّصرُّف، فهل على الأمِّ إثمٌ في ذلك؟

الجواب:

أمرنا الله ﷻ بالعدل والإحسان والمساواة بين الأولاد أو بين ذوي القربى.

وما ألحظه من السُّؤال أنَّ الابنة الكبيرة عاقلةٌ، ولولا تمسُّكها بالتَّعقُّل والحكمة لأعلنتها حربًا شعواء على الأمِّ وعلى أختها الصُّغرى المستأثرة بحبِّ الأمِّ.

كان يجب على الأمِّ أن تعدل وتعين المحتاجة صاحبة الأطفال الفقيرة، فهي أولى بالعطف والإحسان، وأجدر بالبرِّ والحبِّ والعطاء، ففي عطاء الأمِّ للكبيرة صلةُ رحمٍ وثوابٌ.

والأمُّ حين تؤثر الصَّغيرة الميسورة إنَّما تبذر بذور العداء بين الأختين بهذه التَّفرقة الظَّاهرة والانعطاف السَّافر، ولا شكَّ في أنَّ هذا سيجعل الابنتين في عداءٍ، ثمَّ تتَّخذان المحاكم ميدانًا لهذا العداء والخصومة

والقطيعة الَّتي أوجدتها الأمُّ بلا سببٍ وجيهٍ معقولٍ.

إنَّ تفضيل بعض الأبناء على بعضٍ يترك أثرًا سيِّئًا في البيوت والأسر، ربَّما يمتدُّ إلى سنين طويلةٍ.

ولقد تحدَّثت كتب السُّنَّة عن شيءٍ من مثل هذا التَّفضيل في صدر الإسلام، فأنكره الرَّسول ﷺ، فهذا بشير والد النُّعمان يمنحه بعض ماله، ويذهب به إلى رسول الله ﷺ، ويخبره بعطيَّته لولده النُّعمان، ويرجو منه أن يشهده عليها، فيسأله الرَّسول ﷺ: «**ألك ولدٌ سواه؟**»، فيقول بشير: نعم، فيقول الرَّسول ﷺ: «**أكُلَّهم أعطيت ما أعطيت هذا؟**»، قال: لا. فينكر عليه الرَّسول ﷺ تخصيص النُّعمان بالعطاء، ويأمره بردِّها والرُّجوع فيها، ويمتنع من الشَّهادة عليها، ويقول: «**لا تشهدني على جورٍ**»[(١)]، ويريد الرَّسول ﷺ أن يثير عاطفة بشير فيقول: «**إنَّ لبنيك عليك من الحقِّ أن تعدل بينهم، ولك عليهم من الحقِّ أن يبرُّوك**»[(٢)]، فرجع بشير في عطيَّته.

فيا أيَّتها الأمُّ، اتَّقي الله واعدلي بين البنتين.

الحبُّ في الإسلام

السُّؤال:

رسالةٌ من شابٍّ يقول فيها: إنَّه متديِّنٌ، وقد أحبَّ فتاةً وأحبَّته على

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٦٥٠)، ومسلم، رقم: (١٦٢٣)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٦٧).

طهرٍ وعفَّةٍ، لم يجتمعا يومًا في خلوةٍ ولا في شارعٍ، إنَّما يكون لقاؤهما دائمًا بين أهليهما، ولم يسمع منها كلمة تشير إلى حبٍّ، ولم تسمع منه مغازلةً، إنَّما يشعر أنَّها تفرح إذا رأته، وعندما يغيب عنها يحسُّ أنَّها تتألَّم مثله، ويسأل الشَّابُّ عن الحبِّ في نظر الدِّين؛ هل هو مباحٌ أم حرامٌ؟ وهل هو آثمٌ في حبِّه هذا؟

الجواب:

إنَّ الأديان كلَّها قامت على الحبِّ، وليس ثمَّة دينٌ سماويٌّ ولا غير سماويٍّ إلَّا وأساسه الَّذي بني عليه هو الحبُّ، لهذا كان الحبُّ في الدِّين قائمًا بين المعبود والعابد، ولا تصحُّ عبادةٌ إلَّا بالحبِّ الَّذي يتَّصف به العابد، أمَّا في ديننا فيقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

ولقد مدح الله في كتابه العزيز مَن يحبُّهم ويحبُّونه، فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥٤].

ولولا حبُّنا لله ما عبدناه، ولولا حبُّنا لرسوله ما أطعناه، وصحابة النَّبيِّ محمَّد ﷺ جاهدوا في الله حقَّ جهاده؛ حبًّا في الله ربِّهم، وحبًّا في محمَّد نبيِّهم، وهذا النَّبيُّ الكريم ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاس أجمعين**»(١).

والله ﷻ يقول في شأن عباده الصَّالحين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، كما جاء في آياتٍ كثيرةٍ أخرى أنَّه سبحانه وتعالى يحبُّ المتطهِّرين والمحسنين والمتَّقين.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٥)، ومسلم، رقم: (٤٤).

والإيمان حبٌّ يظهر أثره في فعل المؤمن، فيفعل ما أُمر به، ويبتعد ممَّا نهي عنه.

وفي الحديث قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النَّار**»(١).

وأخبرنا النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: رجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**»(٢).

والحبُّ أمرٌ خارجٌ عن الإرادة، فهو حالةٌ نفسيَّةٌ تغلب على العقل، وإذا اطمأنَّ إنسان إلى شخصٍ ورأى فيه صفةً يرضاها أُعجب به فأحبَّه.

والأسرة لا تسعد إلَّا بالحبِّ يسود فيها، فيحبُّ بعضهم بعضًا، وربُّ الأسرة يحبُّ أسرته ويحبُّونه، يسعد معهم ويسعدون معه، وينفق عليهم؛ حبًّا بهم.

ورئيس المصنع أو الشَّركة إذا لم يحبَّه موظَّفوه فلن يطيعوا أمره، وعندئذٍ تنحلُّ الدَّائرة الَّتي تجمعه بهم وتسود فيها الفوضى، أمَّا إذا أحبُّوه أطاعوه وبذلوا مجهودهم في تنفيذ أوامره، وعندئذ يكون النِّظام سائدًا، ويصبح الإنتاج كبيرًا، وتدرُّ الأرباح على أرباب المصالح شركاء أو غير شركاء.

ورئيس الدَّولة إذا لم يحبَّه شعبه كرهوه، ومتى كرهوه خاف، وإذا

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٦)، ومسلم، رقم: (٤٣).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٦٠)، ومسلم، رقم: (١٠٣١).

خاف كره الشَّعب، أمَّا إذا أحبَّ شعبه أحبَّه الشَّعب، وأخلص إليه، وأطاعه، وفدى نفسه في سبيل بقائه.

والأمَّة إذا أحبَّ بعضها بعضًا نجحت في الحياة، وقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ مثل هذه الأمَّة؛ بأنَّ كلَّ واحدٍ منها يحبُّ لأخيه ما يحبُّه لنفسه، وهنا تكون صفة الإيثار قائمةً، وبذل النَّفع سائدًا، وما أجمل ثناء القرآن الكريم على أهل المدينة المنوَّرة حين قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وهكذا المجتمعات كلُّها، ولنفرض مثلًا المسجد وإمام المسجد وجماعة المسجد؛ ترى في المحلَّة أكثر من مسجدٍ واحدٍ، هذا تكثر فيه الجماعة، وهذا تقلُّ الجماعة فيه، وسبب الكثرة والقلَّة حبٌّ وكرهٌ، والرَّسول ﷺ حذَّر من كرهٍ يكون بين إمامٍ ومأمومٍ فقال: «**من أمَّ قومًا وهم له كارهون فإنَّ صلاته لا تجاوز ترقُوَته**»(١).

والزَّواج لا يكون سعيدًا ولا يدوم إلَّا إذا قام على الحبِّ بين الزَّوجين، وبالحبِّ يسعدان وتسعد بسعادتهما الذُّرِّيَّة، وهذا ما عناه الباري ﷻ في كتابه العزيز في الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]، والسَّكن هنا هو الحبُّ الَّذي تطمئنُّ إليه النَّفس، والزَّواج القائم على الحبِّ الصَّحيح يجعل من السَّكن جنَّةً، ومن الذُّرِّيَّة حورًا عينًا.

وقد يحبُّ المحبُّ فيغلبه الحبُّ على أمره ويستلب منه قواه كلَّها،

---

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٢١٧٧).

وهذا يُسمَّى في اللُّغة عشقًا، ولكنَّ الإسلام أمرنا أن نكون في هذا الموضع صابرين، وإنَّ لنا في الصَّبر ثوابًا عظيمًا، فقال لنا رسول الله ﷺ حاثًّا على الصَّبر في مثل هذا الموقف: «**مَن عشق فعفَّ، فكتم، فمات، فهو شهيدٌ**»(١).

يقول ابن حزم:

فإنْ أَهْلِكْ هَوًى أَهْلِكْ شَهِيدًا وَإِنْ تَمنُن بَقِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ(٢)

أمَّا الحبُّ القائم على المصالح وجرِّ النَّفع فليس بحبٍّ، إنَّما هو حبٌّ منقطعٌ زائلٌ، متى انتهت المصلحة فيه انقضى أمره، وقد قيل: من أحبَّك لشيءٍ زال حبُّه لزواله.

أمَّا الحبُّ المائع والمتهالك المعروف في عصرنا هذا فهو حبٌّ محرَّمٌ؛ لأنَّ أساسه غير صحيحٍ، ووضعه غير شريفٍ، ولأنَّه لا يكون على عقيدةٍ صادقةٍ، إنَّما الغاية منه وطرٌ يقضى، وخلوةٌ تحصل، والثَّمرة منه إثمٌ وذنبٌ كبيرٌ.

ونتيجة القول: إنَّ الحبَّ شيءٌ شريفٌ، وإنَّ الدِّين والدُّنيا والحياة والعمل والختام؛ كلُّ ذلك قائمٌ على الحبِّ، فيجب أن يكون المحبُّ في كلِّ ذلك شريفًا حتَّى يشرِّفه الحبُّ.

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٢٥٣٨).
(٢) انظر: طوق الحمامة، لابن حزم الأندلسيِّ (١/ ٢٥٧).

السُّخرية من النَّاس إثم

السُّؤال:

أذناي طويلتان، وأصدقائي يسخرون منِّي، وينادونني بعضهم: أبو الأذون الطَّويل. وصارت عندي عقدةٌ نفسيَّةٌ بسبب ذلك، وسمعت بوجود أطبَّاء تجميلٍ، فإذا ذهبت إلى طبيبٍ لتصغير أذناي هل أكون في جملة الَّذين عابهم القرآن بأنَّهم يغيِّرون خلق الله؟

الجواب:

لا أرى في تجميل أو تصغير أذن السَّائل إثمًا عليه، فهو علاجٌ، والعلاج لا بدَّ منه ومطلوبٌ، وربَّما كان من الأمور الواجبة إذا كان منظر أذنيه سببًا ينغِّص عليه عيشه ويكدِّر عليه صفو حياته من السُّخرية الَّتي يتعرَّض لها من أصدقائه.

أمَّا أولئك الَّذين يغيِّرون خلق الله فإنَّ السَّائل ليس منهم إن شاء الله، وليستمع معي إلى الآيات الكريمة الَّتي نزلت في هذا الموضوع.

قال الله تعالى في سورة النِّساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٦-١٢١].

وسبب نزول هذه الآيات - كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنه - أنَّه جاء شيخ من الأعراب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، إنِّي شيخٌ منهمكٌ في الذُّنوب غير أنِّي لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به، ولم أتَّخذ من دونه وليًّا، ولم أواقع المعاصي جرأةً على الله، وما توهَّمت طرفة عينٍ أنِّي أعجز الله هربًا، وإنِّي لنادمٌ تائبٌ مستغفرٌ، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله هذه الآيات السَّابق ذكرها[1].

وفي هذه الآيات يصف الله بعض أنواع الشِّرك، وهو أنَّهم يتَّخذون أصنامًا بأسماء إناثٍ كاللَّات والعزَّى ومناة، أو يدعون شيطانًا مريدًا، فهو يأمر بالضَّلال ويدعوهم ليشوِّهوا خلق الله في الأنعام، ويبتِّكوا آذانها ويخرموا أنوفها ويغيِّروا خلقها ويمثِّلوا بها.

هذا هو التَّغيير الَّذي ذكره الله في كتابه.

وقال بعض التَّابعين: إنَّ تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها، وهي الاهتداء إلى الحقِّ بدليل قول الله ﷻ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الرُّوم: ٣٠]، وقول النَّبيِّ ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[2].

أرجو أن يقرأ الأخ السَّائل جوابي هذا، فيبادر إلى الطَّبيب الَّذي

(١) انظر: معالم التَّنزيل في تفسير القرآن، للبغويِّ الشَّافعيِّ (١/ ٧٠٢).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١٣٨٥).

يستطيع أن يجمِّل أذنيه لا أن يشوِّههما، وأن يكون موفَّقًا إلى العافية الَّتي يريدها.

أمَّا أولئك الَّذين يسخرون من السَّائل لما ابتلاه الله به من العضو المشوَّه له فإنَّهم آثمون على فعلهم هذا، آثمون على تعييرهم لإنسانٍ لا يد له ولا حيلة فيما أصابه، وآثمون لتسبُّبهم فيما أصابه من عقدةٍ أثَّرت في نفسه، وربَّما يكون هذا الَّذي يسخرون منه أنفع منهم للمجتمع وخيرٌ عند الله منهم، والله تعالى ينهانا عن السُّخرية من الآخرين، فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحُجرَات: ١١].

زيارة من أراد الانتحار

السُّؤال:

حاول الانتحار بالنَّار ولم يمت، ونقل إلى المستشفى، فهل تجوز زيارته؟ وهل إن مات يغسل ويكفَّن ويصلَّى عليه كسائر الأموات من المسلمين؟ وهل هو مسلمٌ يورَّث ماله وتقسم تركته على ورثته؟

الجواب:

لقد عدَّت الشَّريعة الإسلاميَّة أنَّ مَن قال: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله؛ فهو مسلمٌ، والانتحار لا يُخرجه من الإسلام؛ لأنَّه تعمَّد قتل نفسه وخلوده في النَّار لكونه قاتل نفسٍ، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ

وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ [النِّسَاء: ٩٣].

والرَّسول ﷺ أخبرنا أنَّ: «**من قتل نفسه بحديدةٍ فحديدته في يده يتوجَّأ بها في بطنه في نار جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بسمٍّ فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبلٍ فقتل نفسه فهو يتردَّى في نار جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا**»[1].

أمَّا الصَّلاة عليه وغسله وتكفينه فأمرٌ لا بدَّ منه لكلِّ مَن قال: لا إله إلا الله. والميراث كذلك يوزَّع على الورثة حسب التَّقسيم الشَّرعيِّ، والزيِّارة في المستشفى لا تمنع من مريضٍ أبدًا؛ إنَّها من أفضل الأعمال على ألَّا يكون هذا المريض أو مَن حاول الانتحار قد جاهر بعملٍ يخرجه من الإسلام، وهذا ما أرجو أن يكون بعيدًا من موضوع حديثنا هذا.

يائسٌ يريد الانتحار

السُّؤال:

أنا شابٌّ في التَّاسعة عشرة من عمري، حرمت من حنان الأبوين، وبقيت مشرَّدًا، لم يترك لي والدي مالًا، جئت إلى الكويت أطلب عملًا لأعيش، فسُدَّت أمامي سبل الحياة، وتحدِّثني نفسي بأنَّني جرثومةٌ يجب أن تُزال من المجتمع، فأرجو أن تخبرني: هل يرحم الله في الآخرة مَن يقتل نفسه، أم سيرى العذاب هناك أيضًا؟

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٤٤)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الجواب:

الرِّسالة مؤلمةٌ، وهي من شابٍّ فائر الدَّم ثائرٍ على المجتمع، أو من شابٍّ يائسٍ أصابته ضائقةٌ فجزع، ولو صبر لكان خيرًا له.

والجزع واليأس ضعفٌ وخورٌ وقلَّة إيمانٍ بالله، والله ﷻ ذمَّ اليائسين ووصفهم بالكفر، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧].

والصَّبر قوَّة وعزيمةٌ، وللصَّابرين عاقبةٌ طيِّبةٌ ورضوانٌ من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

والعاقل من رضي بالعيش حلوه ومرِّه، وقابل الشَّدائد بعزيمةٍ ثابتةٍ وقلبٍ قويٍّ، فإنَّ الرِّزق بيد الله وحده، وقد أعلمَنا أنَّ مع العسر يسرًا، وأنَّ دوام الحال من المحال، والشِّدَّة كلَّما عسرت يسرت، وكلَّما ضاقت فرجت، وكلَّما اشتدَّت انحلَّت.

والحازم المفكِّر لا يستسلم لليأس، ولا يقنط من رحمة الله، إنَّما يتَّخذ السَّبب، أمَّا التَّدبير فبيد الله؛ فالمريض يشفى، والفاشل ينجح، والمصاب ينسى، والصَّابر يعوِّضه الله.

أمَّا شعور السَّائل بأنَّه جرثومةٌ ينبغي أن تزال من المجتمع فأرجو أن يعلم أنَّ شعوره هذا خيالٌ لا حقيقة له، فهو عضوٌ في هذا المجتمع الكبير ولبنةٌ في كيانها وطاقةٌ من قوَّتها، ولا بدَّ أن يستفيد منه المجتمع إذا صبر، ثمَّ إنَّ الله تعالى حرَّم قتل النَّفس، ويقول رسول الله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدةٍ، فحديدته في يده يتوجَّأ بها في بطنه في نار جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بسمٍّ فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنَّم خالدًا**

مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبلٍ فقتل نفسه فهو يتردَّى في نار جهنَّم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا»[1].

من هذا الحديث نفهم أنَّ مَن حدَّثته نفسه بالانتحار ليتخلَّص من عذاب الدُّنيا القصير بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الموت سواء أكان تناولَ سمٍّ، أم إطلاقَ رصاص، أم إلقاءَ نفس من مكانٍ شاهقٍ أم تعرُّضًا لصدمة سيَّارةٍ أو قطارٍ؛ فلا يظنُّ أنَّه ينجو، وإنَّما يعرِّض نفسه لعذابٍ طويل الأمد.

وهذا المنتحر لا هو أبقى على حياته، ولا هو بالنَّاجي يوم القيامة.

والأجدر أن أقول: إنَّه يائسٌ قانطٌ من رحمة الله، واليائس كافرٌ، والقانط ضالٌّ، أمَّا الصَّابرون على ما أصابهم من مرضٍ أو شدَّةٍ أو فقرٍ، الرَّاضون، الَّذين على ربِّهم يتوكَّلون؛ فهم الفائزون الصِّدِّيقون، وسيوفَّون أجرهم يوم القيامة بغير حسابٍ، كما يقول المولى جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

(١) سبق تخريجه.

من تقصير الآباء نحو أولادهم

قسوة أبٍ على أولاده

السُّؤال:

رسالةٌ من أولادٍ يشكون فيها أباهم؛ لأنَّه تركهم منذ عشر سنواتٍ كالأيتام يعانون ذلَّ الحاجة وألم الحرمان، بينما كان ينعم بلذيذ العيش وجميل الثِّياب إلى أن شملتهم عناية الله، فتولَّت جدَّتهم لأمِّهم تربيتهم، وكبر الأولاد، ولمَّا تحسَّنت حالهم طمع الأب فيهم، وأراد ضمَّهم إليه، فهل يحقُّ له ذلك؟

الجواب:

يقول الشَّاعر أحمد شوقي:

ليس اليتيم هو الَّذي أبواه قد ذاقا الممات وخلَّفاه ذليلا

إنَّ اليتيم هو الَّذي تلقى له أمَّا تخلَّت أو أبًا مشغولا[1]

وما أكثر هؤلاء اليتامى! ولا سيَّما عندنا في الكويت بعد أن فتح الله عليها باب يسرٍ لم يحمد النَّاس ربَّهم عليه.

ثمَّ أعقِّب على رسالة السَّائلين بالحديث النَّبويِّ الَّذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقيُّ عن عبد الله بن عمروٍ، قال: قال

(١) سبق تخريجه.

رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع مَن يَعُولُ**»(١)، والأولاد ذكورًا كانوا أو إناثًا هم في ذمَّة أبيهم؛ في قوَّتهم وكسائهم وتعليمهم وفي كلِّ شأنٍ من شؤونهم، فكيف يرضى الأب أن ينعم بالنِّعمة فيأكل من اللَّذيذ ويشرب من المريء وعياله يتضوَّرون جوعًا وربَّما التمسوا الحسنة من المحسنين؟! لا شكَّ في أنَّ مثل هذا الأب لا ضمير له ولا وجدان، إنَّه اللُّؤم، وكفى به لؤمًا أن يشبع وأولاده جياعٌ، ويكتسي وأولاده عراةٌ، وينام على الوثير وأولاده ينامون على الحصير، والأجدر بهذا الأب أن يكرهه أقرب النَّاس إليه، ويرجوا موتَه والتَّخلُّص من انتسابهم إليه؛ لأنَّه كان عبئًا ثقيلًا عليهم وقفلًا مانعًا من وصول خيره إليهم.

لا تلعنوه فالله يلعنه

السُّؤال:

رسالةٌ من أولادٍ، أبوهم يعمل تاجرًا، وقد تركَهم يعيشون مع أمِّهم، واستقلَّ بحياته مع زوجةٍ أخرى وأولاده منها، وهو لا يهتمُّ بهم، وليس عندهم ما يكفيهم من ضرورات الحياة، وهم يعانون ألم الحاجة والعوز، بينما يعيش مع زوجته الثَّانية وأولاده منها في بحبوحةٍ ويسرٍ، ويسأل هؤلاء الأولاد: هل يجب عليهم برُّ هذا الوالد لكونه والدًا؟ وهل عليهم إثمٌ إذا لعنوه؟

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٦٤٩٥)، وأبو داود، رقم: (١٦٩٢)، والبيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (١٥٦٩٤) بلفظ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٨٥٢٦).

الجواب:

قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يَعُولُ**»(١)، والإنفاق على الأولاد - لا سيَّما البنات - ورعايتهنَّ والقيام بحقِّهنَّ بلا إسرافٍ أمرٌ واجبٌ على الأب، فإذا ترك الأب ذلك كان لئيمًا وقاسيًا وكافرًا بواجب الأبوَّة.

وأقرب الأرحام للإنسان أولاده، والله ﷻ قال في كتابه العزيز بشأنهم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمَّد: ٢٢-٢٣].

فهذه آيةٌ من الله ﷻ تتحدَّث عن الَّذين كفروا بربِّهم، وضلُّوا طريق هدايته، وأحبُّوا السَّفاهة والغواية والفساد، ومن فسادهم أنَّهم يقطِّعون كلَّ صلةٍ لأرحامهم، وهم الَّذين أوصى الله ببرِّهم وبالتَّودُّد إليهم.

ومن دلائل عظم جرم مَن يضيِّع أولاده بإهمال شأنهم وترك ما لهم عليه من حقوق أنَّ الله تولَّى لعنه وأصابه بالصَّمم والعمى، فهو أصمُّ لا يسمع نداء الله حين يأمر بالبرِّ والخير لبني الرَّحم، وهو أعمى لا يرى سبيل الهدى الَّذي يدلُّ على الرَّحمة والشَّفقة بأطفاله الَّذين من صُلبه.

وإنَّ الاهتمام بأمور الأولاد واجبٌ؛ إذ إنَّ الرَّسول ﷺ جعل صلة الأرحام سببًا في بسط الرِّزق وحصول البركة، وذلك كما يقول في الحديث: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه، وينسأ في أثره، فليصل رحمه**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).

هكذا تولَّى الله القويُّ لعنة قاطع صلة الرَّحم، ولا داعي إلى أن يأثم السَّائلون بلعنة أبيهم القاسي، والله للظَّالمين بالمرصاد.

واجب الأب نحو أولاده

السُّؤال:

عنده زوجتان، وله من الأولى عشرة أولاد، أكبرهم في العشرين من عمره، وأصغرهم في الثَّالثة، ترك سكنه لزوجته الأولى ولأولاده منها مرَّةً واحدةً، فلا يزورهم ولكنَّه ينفق عليهم بالمعروف، ويشعر الآن بمرضٍ، وينصحه بعض النَّاس أن يترك زوجته وأولاده، ويسأل أن أنصحه.

الجواب:

هؤلاء الَّذين نصحوا السَّائل غشُّوه، ولو كانوا أهل نصحٍ وإخلاصٍ لقالوا له: أحسِن إلى أولادك وإلى أمِّهم الَّتي عاشت معك العمر الطَّويل في وقت الضِّيق والفقر، وصبرت على بؤسك وعدمك، وقاسمتك شقاء العيش، وربَّت أولادك التَّربية الحسنة يوم لا مكيِّف هواءٍ ولا ثلَّاجة ولا أبنية مزوَّدة بوسائل الحياة الحديثة.

هؤلاء الَّذين أشاروا على السَّائل أن يترك زوجته وعياله ليسوا أصدقاء، إنَّهم أعداءٌ يريدون منه أن يكون لئيمًا؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ الَّذي أوصانا برعاية من نعول من أولادٍ ونساءٍ وأهلٍ قال في الحديث: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعول**»[1].

(١) سبق تخريجه.

إنَّ السَّائل هو المسؤول عن هؤلاء الأولاد العشرة وأمِّهم، فهل يظنُّ أنَّه إذا تركهم يسكتون عنه؟! يجوز لهم أن يرفعوا ضدَّه دعوى إلى السُّلطات، ويأخذوا منه النَّفقة الشَّرعيَّة رغمًا عنه، ثمَّ تبدأ عداوتهم له.

وأنا أسأل السَّائل بدوري: هل إنفاقك عليهم وأنت مسيءٌ ومرغمٌ ومقهورٌ من قبل السُّلطات أفضل من إنفاقك عليهم وأنت محسنٌ؟!

نصيحتي للسَّائل - وهي نصيحة مؤمنٍ يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، فقد قال الرَّسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»(١) - أن يعدل بين زوجاته، ويصل أولاده؛ فيجلس إليهم، ويجعلهم يتمتَّعون بحديثه إليهم، ويتمتَّع بحديثهم معه، فإنَّهم زينة الدُّنيا وزهرتها، والأولاد ثمرة الجنَّة، وريحهم من ريح الجنَّة، والبيت الخالي من الأطفال لا بركة فيه.

فليجلس السَّائل مع أولاده، ويتودَّد لهم، وينفق عليهم، ويحسن إليهم، حتَّى إذا فارق هذه الحياة بعد عمرٍ طويلٍ تألَّموا لفراقه، وترحَّموا عليه، ودعوا له بالرَّحمة، فالرَّسول ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له**»(٢)، وليس أبقى للإنسان ذخرًا عند الله من دعوة ابنه له، فهي من الباقيات الصَّالحات الَّتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وإنِّي أعرف آباء كثيرين أساؤوا إلى أولادهم فلعنهم أولادهم، وأخذوا يشيعون عنهم كلَّ سيِّئةٍ صادقين كانوا أم كاذبين.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٣٧٦)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وإنَّ من نكد الدُّنيا عداوة الابن لأبيه كما قال شاعرنا العربيُّ المتنبِّي:

ومن نكد الدُّنيا على الحرِّ أن يرى عـدوًّا لـه مـا مـن صـداقـتـه بـدُّ[1]

فهو ابنه ولا مفرَّ له من الانتساب إليه ثمَّ يكون عدوَّه، هذا أمرٌ لا يطيقه عاقلٌ.

أيُّها السَّائل ومَن هم على شاكلته، بالله عليكم أيُّ النَّاس أحبُّ إلى نفوسكم؛ رجلٌ يجلس إليكم يلعن أباه على مسمعٍ منكم ومن النَّاس، أم رجلٌ يجلس معكم يترحَّم على أبيه ويدعو له ويذكره بالخير دائمًا؟! لا شكَّ في أنَّ الثَّاني هو الَّذي تفضِّلون.

ثمَّ هل يأمن السَّائل شرًّا يأتيه في مستقبله أو جائحةً تصيبه في ماله؟! وهل هو ضامنٌ صحَّته وعافيته؟! هل حالفه الدَّهر ألَّا يضربه بنكباتٍ يحتاج فيها إلى عطف أولاده وإحسان زوجته؟!

أرجو ألَّا ينسى ذلك الَّذي ترك زوجته وولده أنَّه سيتقدَّم في العمر، حتَّى إذا مرَّ على الولد من العمر عشرون سنةً جاءه يطلب إليه ثمن حبَّة أسبرين تخفِّف من آلام رأسه.

وعلى السَّائل أن يحسن إلى أولاده وإلى زوجته، فهم أولى بمعروفه، فليحسن إليهم؛ ليستعبد قلوبهم؛ وليعطف عليهم يحبُّوه كلَّ الحبِّ، وليألفهم يألفوه، فإن طلبوا فليعطهم، وإن غضبوا فليرضهم؛ ليمنحوه ودَّهم، ويجب ألَّا يُسيء إليهم فيملُّوا حياته ويحبُّوا موته ويكرهوا رؤيته في حياته، ويلعنوه بأغلظ اللَّعنات من بعد موته.

(١) انظر: الأمثال السَّائرة في شعر المتنبِّي، للصَّاحب بن عباد (١/ ٣٢).

وأختم نصيحتي لهذا الأب أن يسمع دعاء الرَّسول ﷺ لذلك الرَّجل الَّذي أحسن إلى أولاده وعلَّمهم كيف يبرُّونه، فقد قال ﷺ: **«رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه»**[1].

يضيِّع رزق أولاده في المحرَّمات

السُّؤال:

تزوَّجتْ منذ أكثر من عشرين سنة، ورزقت من زوجها ثمانية أولادٍ، أكبرهم (١٩) سنةً، وأصغرهم (٨) سنوات، وطُلِّقت منذ (٥) سنوات، وزوجها ممَّن يهون عليه أن يصرف في المحرَّمات، ولا ينفق عليها، ولا على أولادها منها، والأولاد كلُّهم في المدارس، ولو تعلم أنَّ أولادها سيكونون عنده في مأمنٍ ورعايةٍ لما مانعت من تسليمهم إيَّاه، لكنَّها تعلم يقينًا أنَّه سيخرجهم من المدارس فيظلُّون ضالِّين مشرَّدين في جهلٍ كجهله وغوايةٍ كغوايته.

الجواب:

الآباء القساة كثيرون، واللِّئام أكثر، والرَّسول ﷺ وصف من ضيَّع ابنه باللُّؤم، وإنَّه للؤمٌ وخسَّةٌ أن يعيش الابن على حساب أحدٍ غير أبيه وهو حيٌّ ليس به عجزٌ يمنعه من الإنفاق والرِّعاية.

وهذا الأب وأمثاله لا ضمير لهم ولا إنسانيَّة عندهم؛ لأنَّهم فقدوا

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٣٧٦).

عطف الأبوَّة ولذَّة الرَّحمة، ولم يشعروا بمعنى نعمة البنوَّة الَّتي أنعم الله بها على بني الإنسان، فالله جعل للرِّجال زوجاتٍ، وجعل لهم من هذه الزَّوجات بنينَ وحفدةً، ورزقهم من الطَّيِّبات، ولكنَّ هذا الأب لم يرع هذه النِّعمة وكفر بها وجحدها وتعامى عنها.

إنَّ الله جعل الرَّجل قوَّام بيته، وكلَّفه بالإنفاق على زوجته وأولاده، وأمره برعايتهم والإنفاق عليهم وتربيتهم التَّربية الصَّالحة، فمن قصَّر في ذلك فهو مؤاخذٌ بتقصيره، وستُحاسبه الدَّولة إن اشتكاه الشَّاكون، أو يحاسبه مالك يوم الدِّين في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

فيا أيُّها الآباء قساة القلوب، اتَّقوا الله في زوجاتكم وأولادكم، وأنفقوا عليهم ممَّا رزقكم الله ومن طيِّبات ما كسبتم، وكونوا من الآباء الَّذين إذا جاء أجلهم ورحلوا عن هذه الدُّنيا فازوا بدعوات الأبناء الصَّالحين، فدعوات الأبناء الصَّالحين تنفع الآباء، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له**»(١).

أيُّها الآباء، راعوا الله في أولادكم ونسائكم، ولا تكونوا من الَّذين إذا ماتوا لعنهم خلفهم؛ لأنَّهم أضاعوا حقَّ الأبناء، فخسروا صالح الدُّعاء، والرَّسول عليه السلام أخبرنا أنَّ ألأم الآباء مَن منع النَّفقة عن أبنائهم حتَّى يتركهم مشرَّدين؛ ذلك أنَّه قال: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعول**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نعلِّم أولادنا البرَّ، ونجمِّل أسماءهم، ونكرمهم، فقال ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»(١)، أمرنا بهذا ليشبَّ الأولاد على الكمال ويترعرعوا على الفضائل، لتزهر دوحتهم ويحسن إنتاجهم، فيكونوا للأمَّة قوَّةً، وللوطن سورًا منيعًا، وللأعداء نكايةً.

وأبناؤك اليوم - أيُّها الأب - هم خلفك، فإذا رعيتهم وأدَّبتهم وأحسنت إليهم قال النَّاس لهم: نعم الخلف لخير سلفٍ، وإذا قصَّرت فيهم فلا أدَّبت ولا أحسنت قال النَّاس فيهم وفيك غير ذلك، والرَّسول عليه السلام قال: «**ما نحل والدٌ ولدًا من نحلٍ أفضل من أدبٍ حسنٍ**»(٢).

إقحام الطَّلاق في الخصومات

السُّؤال:

تشاجرت مع ابن خالي وغضبت، وجئت إلى بيتي وقلت لزوجتي: تكونين طالقةً إذا دخلتِ بيت ابن خالي. والآن عادت المياه إلى مجاريها، وولَّت الضَّغائن، وأصبحنا أحبَّاء أصدقاء، وحتَّى الآن لم تدخل زوجتي بيت ابن خالي، فإذا أرادت أن تزورهم تجتمع وإيَّاهم في بيت الجيران، وأنا في حيرةٍ، ماذا أفعل؟ وكيف أتخلَّص من حلفي هذا؟

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٦٧١).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٥٢)، قال: هذا عندي حديثٌ مرسلٌ.

الجواب:

ورد عن الرَّسول الحكيم ﷺ أنَّه قال كلمة عذبة: «**أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وابغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**»(١).

والسَّائل تنازع مع ابن خاله، فلماذا أدخل زوجته في النِّزاع؟ ولماذا أقحم هذه البريئة في الخصومة؟ أيرغمها على كره من يكره وحبِّ من يحبُّ؟

وليعلم أنَّ زوجته إذا كانت مخلصةً له أحبَّت من يحبُّ وكرهت مَن يكره، وإذا كانت تكرهه أحبَّت ما يكره وكرهت ما يحبُّ ولو حلف عليها ستِّين يمينًا استغلَّت يمينه هذا وذهبت إلى بيت ابن خاله ليقع الطَّلاق وتتخلَّص منه.

بقي أن أجيب عن سؤال السَّائل قائلًا: إنَّه تسرَّع ولم يعقل، فابن خاله هذا رحمٌ وقريبٌ، عاداه ساعة غضبه، فغاضبه وخاصمه غير مفكِّرٍ في مستقبلٍ ولا في ماضٍ، لم ينظر إلى الأمام البعيد، بل كان نظره عند أرنبة أنفه، وكأنَّه قرَّر دوام الخصومة، لهذا سارع إلى أمِّ أولاده البريئة يقول لها: أنت طالقٌ إذا زرت بيت ابن خالي. ولكنَّ المرأة أعقل منه، لم تذهب إلى بيت ابن خاله؛ محافظةً على بيت الزَّوجيَّة، وحرصًا على بقاء رباط الزَّوجيَّة، ورعاية للأطفال؛ حتَّى لا يعيشوا مع امرأة أبٍ لا ترحم ولا تحنو ولا تعطف.

أنصح للأخ السَّائل ألَّا يدع زوجته تذهب إلى بيت ابن خاله، ولتأتِ

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٩٧)، وقال: حديثٌ غريبٌ.

زوجة ابن خاله إلى بيته أو لتجتمعا عند الجيران، فإذا ذهبت زوجة السَّائل إلى بيت ابن خاله وقع الطَّلاق.

وأرجو أن يكون السَّائل قد قرأ كلامي هذا فوعاه، ويكون أمثاله ممَّن يتسرَّعون بكلمة الطَّلاق قد قرؤوه أيضًا، وحفظوا أولادهم من التَّشرُّد والضَّياع والحرمان من الأمومة الحانية والأبوَّة البارَّة والمستقبل المشرق.

مساوئ كثرة الطَّلاق في المجتمع

السُّؤال:

طلَّقت زوجتي لسوء تفاهمٍ، ولي منها أربعة أطفالٍ، وبعد الطَّلاق والفراق ندمت على ما حدث، وأطفالي ضاعوا بسبب فقدهم رعاية الأمِّ، فماذا أفعل لأنقذ أولادي من الضَّياع؟

الجواب:

قبل أن أجيب الأخ السَّائل عن سؤاله أودُّ أن أشرح له أوَّلًا مراحل الطَّلاق بإجمالٍ؛ ليقف السَّائل والقارئ على هذه المراحل.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩-٢٣٠].

ومعنى ذلك أنَّ الرَّجل يطلِّق زوجته طلقةً واحدةً، ويشترط في صحَّة هذا الطَّلاق أن تكون الزَّوجة في طهرٍ لم يمسسها الزَّوج فيه، وألَّا يقع الطَّلاق من الزَّوج في غضبٍ كما يدلُّ على ذلك الحديث الشَّريف: «**لَا طَلَاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ**»(١)، وفسَّر بعضهم الإغلاق بأنَّه الغضب. وتظلُّ الزَّوجة في بيت الزَّوج لا تبرحه حتَّى تنقضي عدَّتها، والمقصود بلزومها منزل الزَّوج في مدَّة العدَّة هو أن يراجع الزَّوجان نفسيهما ويندما على ما حدث بينهما، فتنتهي المشكلات من حياتهما.

وإذا أراد الزَّوج أن يراجعها في العدَّة فله ذلك بلا مهرٍ ولا عقدٍ جديدين، إنَّما بالمعاشرة الزَّوجيَّة أو بأيِّ مظهرٍ يُنبِئ عن الرِّضا، وإن تركها حتَّى تنقضي عدَّتها فعليه أن يسرِّحها بمعروفٍ؛ لأنَّها بانت منه.

وإذا أراد أن يتزوَّجها بعد انقضاء العدَّة جاز له ذلك، ويكون ذلك بعقدٍ ومهرٍ جديدين كما لو كان سيتزوَّجها أوَّل مرَّة، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطَّلَاق: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٣١].

ثمَّ إذا أرجعها قبل انقضاء العدَّة أو تزوَّجها مرَّةً ثانيةً وأراد أن يطلِّقها فإنَّ الطَّلاق في المرَّة الثَّانية يتمُّ كما حدث في الطَّلقة الأولى، وهاتان الطَّلقتان هما المقصودتان بالآية: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩].

وإذا طلَّقها المرَّة الثَّالثة حُرِّمت عليه حتَّى تنكح زوجًا غيره، ثمَّ تعيش مع الزَّوج الثَّاني على أمل الرَّغبة في الحياة الدَّائمة المستقرَّة إلى آخر

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٠٤٦).

العمر ما دامت حياتهما تجري طبيعيَّةً، وليس بقصد التَّحليل، فإذا حدث أن طلَّقها الزَّوج الثَّاني جاز للأوَّل أن يتزوَّجها بعد انقضاء عدَّتها من الثَّاني الَّذي طلَّقها.

هكذا نظر الإسلام إلى موضوع الطَّلاق في المجتمع نظرةً حكيمةً متَّزنةً بعيدةً.

وليس من المعقول أن تجيء شريعة الإسلام فتدعو إلى الفرقة بين الزَّوجين، ولو فعلت ذلك لما وجدت من يستجيب لندائها ويعتنق مبادئها.

غالبًا ما تكون الألفة قائمة بين الأزواج وزوجاتهم، لكن هناك شذوذٌ يمنع الوفاق ويسبِّب الخلاف، ما يجعل عشَّ الزَّوجيَّة أتونًا يحترق به الزَّوج والزَّوجة معًا، والأطفال أيضًا يحترقون بهذه النَّار وهم أبرياء.

تلك أخلاقٌ متباينةٌ، وطبيعةٌ مختلفةٌ، وثقافةٌ غير متكافئةٍ، وتقاليد تمنع الانسجام وتفكِّك الأوصال وتسبِّب الشِّقاق وتجعل من البيت الَّذي كان الأمل به أن يكون جنَّةً، نارًا وسعيرًا يحترق فيه ساكنوه.

وشواهد هذا كثيرةٌ نراها كلَّ يومٍ في المحاكم، إنَّها مآسٍ وفواجعُ امتدَّت آثارها من الزَّوجين إلى الأولاد، وإذا ضاع الولد بين أبويه شقي، فكان جرثومةً تبثُّ الفساد في المجتمع، وتشيع الانحلال والفوضى في الأمَّة.

والأولاد الَّذين يطلِّق آباؤهم أمَّهاتهم يضيعون، فالواحد منهم لا يرى أمَّه في بيت أبيه، إنَّما يرى زوجة الأب الَّتي تكرهه وتكره حياته، بل تكره الأرض الَّتي يطأ عليها، واللِّباس الَّذي يلبسه، تكره حتَّى السَّقف الَّذي يظلُّه، وأشعَّة الشَّمس الَّتي يصيب منها جسمه، تكره له الرَّاحة والشَّبع

واللِّباس، تلك طبيعةٌ أصيلةٌ في البشر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وهذا نصيب الولد من بيت أبيه، أمَّا في بيت أمِّه فإنَّه لا يرى في بيتها أباه، إنَّما يرى لها زوجًا غير أبيه، وكثيرًا ما يكون شأن هذا الزَّوج شأن زوجة الأب، وبهذا يضيع الولد، ويشقى به المجتمع الَّذي نشأ فيه.

إنَّ الطَّلاق شرٌّ للمجتمع، وهو في الإسلام مكروهٌ، وقد أخبرنا الرَّسول ﷺ في الحديث الشَّريف: «**إنَّ أبغض الحلال عند الله الطَّلاق**»(١).

ولهذا حاول الإسلام أن يدفع الطَّلاق بمحاولاتٍ كثيرةٍ للإصلاح، وجعله في بدء الأمر مرَّتين، وفي الثَّالثة تقع الفرقة بالطَّلاق، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النِّساء: ٣٥].

وقد كان هدف الإسلام من محاولات الإصلاح والتَّوفيق بين الزَّوجين الحرص على كيان الأسرة من التَّفكُّك وصيانة الأولاد الَّذين أثمرتهم الحياة الزَّوجيَّة من الضَّياع والتَّشرُّد وفقدان المجتمع للانتفاع بهم.

نعم، الطَّلاق شرٌّ لا بدَّ منه لزوجين عاشا في جحيمٍ، ودواءٌ مرٌّ يتداوى به من مرضٍ مؤلمٍ قاسٍ، وطعامٌ خبيثٌ يدفع به الجوع القاتل، ولكنَّ العاقل والعاقلة يتحمَّلان الحياة القاسية والألم والجوع القاتل من أجل ولدٍ جاء لهذين الزَّوجين في مرحلة العشرة الزَّوجيَّة.

أيُّها المسلمون، يتزوَّج الزَّوجان لينشأا أسرةً، والأسرة لا تقوم إلَّا بالولد، فهو غاية الزَّواج، وهو ثمرةٌ وفلذَّة كبدٍ وضنًى، وهو الابتسامة الَّتي يطرب لها البيت، وهو الأمل، وهو كما قال الشَّاعر حطَّان بن المعلَّى:

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٠١٨).

وإنَّـمـا أولادنـا بـيـنـنـا أكـبـادنـا تـمـشـي عـلـى الأرضِ

لـو هـبَّـت الـرِّيـح عـلـى بـعـضـهـم لامـتـنـعـت عـيـنـي مـن الـغـمـضِ[1]

والرَّسول ﷺ أخبرنا أنَّ: «**الولد من ريحان الجنَّة**»[2]، ولكن ويا للأسف: إنَّ بعض النَّاس لا يستحقُّ الأولاد؛ لأنَّ عقله في شهوته، وإرادته تتبع هواه، فإذا تزوَّج الثَّانية وله من الأولى أولادٌ أضاع الأولاد ولم يلتفت إليهم، وربَّما بخل عليهم حتَّى بالغذاء الضَّروريِّ والكساء السَّاتر، لا يهمُّه جوع أولاده إذا شبع، ولا عراهم إذا اكتسى، ولا يهمُّه مرضهم إذا صحَّ، ولا غطاء لهم إذا حصل على الدِّفء، فأين هذا من قول الشَّاعر أميَّة بن أبي الصَّلت:

غـذوتـك مـولـودًا وعـلـتـك يـافـعًـا تُـعَـلُّ بـمـا أحـنـي إلـيـك وتـنـهـل

إذا لـيـلـةٌ نـابـتـك بـالـشَّـكـو لـم أبـت لـشـكـواك إلَّا سـاهـرًا أتـمـلـمـل

كـأنِّـي أنـا الـمـطـروق دونـك بـالَّـذي طـرقـت بـه دونـي فـعـيـنـي تـهـمـل

تـخـاف الـرَّدى نـفـسـي عـلـيـك وإنَّـهـا لـتـعـلـم أنَّ الـمـوت حـتـمٌ مـؤجَّـل[3]

وليس اليتيم من مات أبواه، وبقي بلا أمٍّ تحنو عليه ولا أب يرعاه، ولكنَّ اليتيم حقًّا هو الَّذي له أمٌّ لا تحنو؛ لأنَّها مشغولةٌ، وأبٌ لا يرعى؛ لأنَّه مأخوذٌ بعقله، وصدق الشَّاعر أحمد شوقي الَّذي قال:

لـيـس الـيـتـيـم هـو الَّـذي أبـواه قـد ذاقـا الـمـمـات وخـلَّـفـاه ذلـيـلا

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، للتَّبريزي (١/ ١٠٢).

(٢) أوردَه المتَّقي الهنديُّ في كنز العمَّال، رقم: (٤٤٤٢٢).

(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة، للتَّبريزيِّ (١/ ٥٣٥).

إنَّ اليتيم هو الَّذي تلقى له أمَّا تخلَّت أو أبًا مشغولا[١]

وإذا كان بعض الحمقى وذوو الجرأة على دين الله قد استغلُّوا رخصة الطَّلاق الَّتي جاء بها الإسلام فاستخفُّوا بأمر الله فيه وجاوزوا الحدود واستباحوا الحرمات وأخذوا يستعملون سلاح الطَّلاق من غير اضطرارٍ، فليس ذلك يحسب على الإسلام، ولا بالَّذي يشوِّه جلال الإسلام وأحكامه وينال من شريعته الحكيمة، فالتَّشريع شيءٌ، والأمَّة الَّتي تنفِّذه وتطبِّقه إيمانًا وإذعانًا شيءٌ آخر؛ فالتَّشريع لا يؤاخذ بفعل من خالف الأمر وتجاوز الحدود، ولو كان هناك من يعمل على مؤاخذة المخالف المسيء لما وجدنا هذا التَّلاعب بأحكام الدِّين والاستخفاف بحدوده.

إلى الأزواج الشُّكَّاك

السُّؤال:

رسالةٌ باكيةٌ جاءتني من زوجةٍ تشكو زوجها الشَّكَّاك، وكلُّ كلمةٍ في الرِّسالة تقطر أسًى وألمًا وحزنًا، عاشت مع زوجها عشر سنواتٍ وأنجبت منه، ثمَّ يتَّهمها بالخيانة مع خادمها وربيبها الَّذي ربَّته في بيتها صغيرًا، يتَّهمها بالخيانة دون أن يخشى الفضيحة أمام النَّاس.

وأخيرًا طردت الخادم البريء، وجاء زوجها بخادمٍ آخر، وشكَّ الزَّوج أيضًا في الخادم الجديد؛ ما زاد من آلام الزَّوجة، وهي مريضةٌ وتخشى على نفسها وأولادها وبيتها، وهي صابرةٌ على ما أصابها، وترجو في

(١) سبق تخريجه.

نهاية رسالتها الطَّويلة أن أضع شكواها كلَّها أمام زوجها وأمام أمثاله الشُّكَّاك الَّذين يقتلهم الشَّكُّ ويهدِّد أسرهم بالتَّشرُّد وبيوتهم بالخراب، لعلَّهم يرتدعون ويحلُّون الثِّقة محلَّ الشَّكِّ.

ولو كان المجال متَّسعًا لنفَّذت رغبتها، لكنِّي اضطررت لتلخيص رسالتها على نحو ينقل آلامها ويصوِّر حالها.

الجواب:

هذه هي رسالة السَّائلة الباكية أضعها هنا مختصرةً كما قلت، وأرجو أن يقرأها هذا الزَّوج الَّذي طوَّع نفسه للشَّكِّ وأسلم قلبه للرَّيب، وأرجو أن يقرأها غيره من الأزواج الَّذين هم على شاكلته يعيشون في حياة الشَّكِّ والاضطراب دون أن يعبؤوا بما سيصيب بيوتهم من خرابٍ وأولادهم من تشريدٍ وتشتيتٍ.

وإنِّي على يقينٍ من أنَّ هذه السَّيِّدة صادقةٌ فيما ذكرته في رسالتها من وقائع، وكان الأولى بهذا الزَّوج الشَّكَّاك أن يسمع أو يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

الآية السَّابقة تحذِّر المؤمنين من الشَّكِّ، وتأمرهم أن يجتنبوا الظَّنَّ وألَّا يركنوا إلى الرَّيب؛ لأنَّه طريقٌ سيِّئٌ ينتهي بسالكه إلى قلق النَّفس واضطراب الحال، ثمَّ ينعكس هذا على من يعيشون في كنفه من زوجةٍ وأولادٍ وأهلٍ، فيشعرون معه بالقلق والحيرة وبلبلة الفكر، ومَن يدري ما يحدث بعد ذلك من أمورٍ لا يرضاها عاقلٌ؟ ثمَّ يكون هذا الشَّكَّاك هو وحده الواقع في إثم ما يحدث من سوءٍ وشرٍّ له ولأسرته؛ لأنَّه هو الَّذي تسبَّب فيما حدث، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

وتحذِّر هذه الآية الكريمة النَّاس من التَّجسُّس على بعضهم وعدم التَّحدُّث في شؤون الآخرين في غيبته بدافع سوء الظَّنِّ للنَّيل منه والإساءة إليه.

وكذلك صوَّر القرآن أحوال الشُّكَّاك والمتجسِّسين والمتحدِّثين بالغيبة في صورةٍ حسِّيَّةٍ قبيحةٍ، فشبَّههم بإنسانٍ يأكل لحم إنسان ميِّتٍ، فيسألهم في هذه الآية: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجرَات: ١٢]، ثمَّ يتولَّى القرآن نفسه الإجابة عن السُّؤال نيابة عن المسؤولين؛ ليصوِّر بشاعة أعمالهم المنكرة، فقال: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

فمن الطَّبيعيِّ أنَّ الإنسان لا يطيق أن يأكل لحمًا لآدميٍّ ميِّت؛ لأنَّ نفسه تتقزَّز من أكل هذا اللَّحم وتعافه وتنفر منه؛ إذ ليس من طبيعة هذا اللَّحم أن يأكله آدميٌّ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يطيق إنسانٌ أن يشكَّ في زوجته ويتجسَّس عليها وأمرها الَّذي يشكُّ فيه كما صوره القرآن كاللَّحم الميِّت؟!

فالأولى بهذا الزَّوج الشَّكَّاك وأمثاله أن يحسنوا الظَّنَّ بزوجاتهم وألَّا يدعوا الشَّكَّ يطلُّ من نوافذ حياتهم ويعيش معهم؛ وذلك حتَّى يحفظوا استقرار أحوالهم وهدوء بيوتهم وستر عوراتهم.

أمَّا هذه الزَّوجة البريئة فإنِّي أقول لها حلًّا للمشكلة الَّتي تعيشها، وهو أن تبحث لها عن خادمةٍ أنثى وتبعد منها الخادم الذَّكر الَّذي تربَّى معها؛ حتَّى تُبقي على نفسها وأولادها وبيتها.

أمسك عليك زوجك

السُّؤال:

تركت أهلي في بلدي، وجاءني كتابٌ من أمِّي وأخواتي يتَّهمون زوجتي بالفاحشة، وثارت ثائرتي وهدَّدتها بالطَّلاق، وتبرَّع أناسٌ بالكتابة إليَّ يبرِّؤون ساحتها، وأنا أعرف عن زوجتي الإخلاص والعفَّة ومنذ تزوَّجتها وأنا معها أسعد زوجٍ.

فما الَّذي أفعله تجاه أخواتي وأمِّي إذا ظهرت براءة زوجتي؟ وما الَّذي أفعله مع زوجتي وقد قيل عنها ما قيل؟

الجواب:

قرأت رسالة الأخ السَّائل، وأرجو ألَّا يتسرع في الحكم، فإنَّ الله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النُّور: ٢٣]، وقال تعالى قبلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النُّور: ٤]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [النُّور: ١٩].

والسَّائل يعرف زوجته بأنَّها الزَّوجة المثاليَّة كما يقول، ويعرف عداء أمِّه وأخواته لها، فكيف يصدِّق ما يقول فيها أعداؤها؟

نصيحتي للسَّائل أن يمسك زوجته الَّتي أثنى عليها في سيرتها وحياتها

معه منذ تزوَّجها، وضحَّت من أجله وفي سبيل سعادته بكلِّ ما تركه لها والدها، وجعلته في خلال السَّنوات الأربع الماضية أسعد زوجٍ.

يجب على السَّائل ألَّا يفرِّط في زوجته الوفيَّة، وأنصحه أن يعضَّ عليها بالنَّواجذ، فما كلُّ بيضاء شحمة، ولا كلُّ حمراء تمرة، فقد لا يجد خيرًا منها إن لم تكن شرًّا منها، فاليوم الخير في النَّاس قليلٌ، فليحتفظ بها لمستقبله ولا يسمح لسيِّئ الظَّنِّ أن يتسرَّب إليه، فالله أمرنا باجتناب الظَّنِّ، وأخبرنا أنَّ بعض الظَّنِّ إثمٌ.

أمَّا سؤاله عمَّا يتَّخذه مع أمِّه وأخواته فيما نسبوه من كذبٍ على زوجته فأقول له: قُلْ مثلما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، والله ﷻ قال في محكم تنزيله يمدح عباد الرَّحمن بأنَّهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفُرقان: ٦٣].

وأمَّا سؤالك الأخير فإنِّي أشهد الله لثنائك على زوجتك أنَّها بريئةٌ وأنَّ ما نسب إليها كان كذبًا وافتراءً، وأنصح السَّائل بأن يمسك عليه زوجته، والله الهادي إلى صراطٍ مستقيمٍ.

رجلٌ يفسد حياة الأزواج

السُّؤال:

شقيق زوجها يزورهم على مراحل بعيدةٍ، وفي كلِّ زيارةٍ يحاول أن

يفسد بينها وبين زوجها، وحاولتْ هي مرارًا إقناعه بالكفِّ عن الفساد، ولَمَّا تمادى في إيقاع الفتنة بينها وبين زوجها صدَّته وأغلظت له القول؛ حتَّى لا يزيد الفتنة، فيكون في ذلك هدمٌ لبيتها، وتشتيتٌ لأولادها، وأخيرًا طلبت إلى زوجها أن يمنعه من دخول البيت، لكنَّ زوجها اعترض على ذلك بدعوى أنَّ منعه من دخول البيت حرامٌ؛ لأنَّه شقيقه الأكبر، وتسأل: هل حرامٌ حقًّا منع هذا الرَّجل من دخول بيتها، علمًا أنَّه يحبُّ الفتنة، وقد أفسد من قبل بين إخوته وزوجاتهم؟ فهي تخشى على نفسها من هذه المشكلات.

الجواب:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزَاب: ٥٨].

وأخبرنا الرَّسول عليه السلام أنَّ النَّمَّام - الَّذي ينمُّ بين النَّاس في عيبٍ أو ينقل الأخبار بغرض الإفساد - لا يدخل الجنَّةَ؛ فقد قال الرَّسول ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة نَمَّامٌ**»(١)، وروي عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الغيبة والنَّميمة يَحُتَّانِ الإيمانَ كما يعضد الرَّاعي الشَّجرة**»(٢)، والنَّميمة؛ هي السَّعي بالفساد بين النَّاس.

أمَّا قضيَّة دخوله البيت أو عدم دخوله فمن الأَولى قبل منعه من الدُّخول نصحه، فإن لم يفد النُّصح معه فمنعه من الكلام في مثل هذا الموضوع، فإن لم يفد هذا ولا ذاك فلا بدَّ من طرده من البيت لكنْ دون

(١) رواه مسلمٌ، رقم: (١٠٥).
(٢) رواه الأصبهانيُّ في التَّرغيب والتَّرهيب، رقم: (٢٢٤٨).

قطيعةٍ، وأعني بقولي دون قطيعةٍ: أن يصل الأخ أخاه إن كان محتاجًا إلى صلةٍ أو معونةٍ؛ لأنَّ الإسلام نهى عن قطع صلة الرَّحم.

زوجها يمنعها من طاعة الله

السُّؤال:

زوجها يمنعها من الصَّلاة والصِّيام، وهي تريد طاعة ربِّها، وتريد أن تعرف كيف تتصرَّف مع هذا الزَّوج إزاء صدِّه عن سبيل الله.

الجواب:

قال الله في كتابه العزيز ذمًّا وتهديدًا ووعيدًا لأمثال من يصدُّ إنسانًا عابدًا عن طاعة ربِّه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾ [العَلق: ٩-١٩].

وبناءً على هذا الأمر من الله العليِّ الكبير يجب على هذه الزَّوجة المؤمنة المطيعة لربِّها ألَّا تطيع زوجها في معصية الله، عليها أن تصلِّي أوقاتها المفروضة وتصوم شهر رمضان؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أمر بعدم طاعة المخلوق فيما يأمر به من معصية الله، فقال: «**لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الله** ﷻ»[1]؛ أي: إذا أمر مخلوقٌ آخرَ بمعصية الله ومنعه من أداء

(١) رواه أحمد، رقم: (١٠٩٥).

شعائر الإسلام فيجب على المأمور ألَّا يطيعه حين يأمره بهذا العصيان.

أمَّا هذا الزَّوج العاصي للرَّحمن المطيع للشَّيطان فعلى الزَّوجة أن تسأل الله الهادي أن يهديه ويبصِّره ويلهمه الرُّشد والصَّواب؛ حتَّى ينتظم في صفوف المؤمنين العابدين الآمرين بالمعروف النَّاهين عن المنكر.

زوجةٌ يائسةٌ تريد الطَّلاق

السُّؤال:

ضاقت بالحياة مع زوجها، وأخذت تتحيَّن الفرص للخلاص منه، ثمَّ حدث أن حلف عليها يمين طلاقٍ ألَّا تفعل شيئًا ما إلَّا بأمره، فوجدت في يمين الطَّلاق ضالَّتها المنشودة في الخلاص منه، وفعلت ما نهاها عنه، فهل يقع هذا اليمين؟

الجواب:

إذا كان اليمين الَّذي أقسم به الزَّوج ليس يمين طلاقٍ؛ بمعنى أنَّ الزَّوج حين أقسم لم يقصد به إيقاع الطَّلاق، وإنَّما قصد به مجرَّد تهديد زوجته لكيلا تفعل ما نهاها عنه: فإنَّ هذا الطَّلاق لا يقع، ولا أثر له على الزَّوجيَّة، وإثمه على من حنث به، وليس على الزَّوج فيه شيءٌ، والزَّوجة ما زالت في عصمة زوجها.

وإنِّي أتوجَّه بكلمةٍ ناصحةٍ إلى هذه الزَّوجة أن تصبر على ما يصيبها من زوجها من سوءٍ وإهانةٍ، وأن تحاول علاج أمره وإصلاح حاله بعرض ما تشكو منه على أهل المعروف من أقاربه وأقاربها، عسى أن يأتي هذا

العلاج بفائدةٍ مرجوَّةٍ، وأن يكون في هذا صلاح شأنه معها، وأمَّا عن إتيان ما يضايقها منه فربَّما يأتي الخير في المستقبل من هذا الَّذي تكرهه؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦].

ثمَّ إنَّ الرَّسول ﷺ ينفِّر الإنسان من اللُّجوء إلى الطَّلاق وسيلةً للعلاج، ويخبرنا أنَّ الطَّلاق - وإن كان حلًّا حاسمًا لبعض الحالات الميؤوس منها بالوسائل الأخرى للعلاج - بغيضٌ عند الله في الأشياء الحلال، فيقول ﷺ: «**إنَّ أبغض الحلال عند الله الطَّلاق**»(١).

زوجها يقسو عليها وعلى أولاده

السُّؤال:

زوجها يعاملها معاملةً فظَّةً ويقسو عليها، ولها منه ثلاثة أطفالٍ يعاملهم بقسوةٍ أيضًا، ولا يشعرهم بحنان الأبوَّة اللَّازمة، فهو متزوِّجٌ قبلها من قريبةٍ لها تأثيرٌ به، وتريد الحلَّ.

الجواب:

ليس لي حيلةٌ فيما تقوله السَّيِّدة السَّائلة، فقضيَّتها قضيَّةٌ اجتماعيَّةٌ، وليست قضيَّةً تتعلَّق بسؤالٍ دينيٍّ حتَّى أستطيع حلَّها، ولكن نصيحتي الوحيدة للسَّائلة: يجب عليها أن تضحِّي في سبيل أولادها الثَّلاثة بكلِّ ما

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٠١٨).

تستطيع وتصبر، فالصَّبر مفتاح الفرج، والصَّبر يسهِّل كلَّ أمرٍ عسيرٍ، والإنسان الَّذي يصبر تهون عليه كلُّ مصيبةٍ تقابله، أمَّا إذا عقد أموره وقابل المصاعب بنرفزةٍ وتشاؤمٍ من كلِّ ما يقع له ضاقت عليه الدُّنيا بما رحبت، وأُغلقت أمامه السُّبل وهي مفتوحةٌ.

والرَّسول ﷺ قال لنا: «**لا تشدِّدوا على أنفسكم فيُشدَّد عليكم، فإنَّ قومًا كانوا قبلكم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم**»(١).

وإنَّ من يقابل الشَّدائد والنَّكبات والمصائب بصبرٍ ورحابة صدرٍ وسعة بالٍ تذلُّ له تلك الشَّدائد، أمَّا من يقابلها بغيظٍ وتشاؤمٍ وانقباضٍ فيشتدُّ عليه الأمر، ويستعصي عليه الحلُّ، ويُرهَق، ويخسر ما يرجو.

ويعجبني في هذا الموضوع قول الشَّاعر ابن النَّحويِّ:

اشتدِّي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلجِ(٢)

وقول مسفر بن مهلهل الينبعيِّ الَّذي قابل الأزمات بلامبالاةٍ:

دع المقادير تجري في أعنَّتها ولا تبيتنَّ إلَّا خالي البال(٣)

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٩٠٤).

(٢) انظر: شرح شذور الذَّهب، للجوجريِّ (١/ ٧١). وبلج الصُّبح: أسفرَ وأضاءَ وأشرقَ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٥/ ٤٢٦).

(٣) انظر: أبيات مختارة، للبصيريِّ (١/ ٧٧).

شكُّ الرَّجل في زوجه وبيته

السُّؤال:

تزوَّجَت من رجلٍ يَكْبُرُها بعشرِ سنواتٍ، وكانَ في فجرِ الزَّواجِ حَسَنَ العشرةِ، قضت معه شهرَ العسلِ خارجَ الكويت، وأخيرًا وبعدَ الرُّجوع للوطنِ تبيَّنَ أنَّ الرَّجل أنانيٌّ بخيلٌ شكَّاكٌ، يتَّهِمُ جيرانه باختلاسِ بيته، إلى آخر ما تقول وله منها طفلتان، فهل تطلب الطَّلاق منه؟

الجواب:

إنَّ المرأةُ مرنةٌ لطيفةٌ، تستطيع بمرونتها ولطفها أن تخلق من الرَّجلِ إِلْفًا لطيفًا يحبُّها زوجها كما تشاءُ، وإذا كانت حكيمةً مدبِّرةً أمينةً فإنَّها تستطيعُ بصفاتها هذه وتلك أن تجعلَ من الرَّجلِ عبدًا طائعًا، والرَّجل خلق رجلًا له إرادة وله قوَّة فإذا كانت المرأة تريد أن تنازع الرَّجل إرادته وقوَّته ونفوذه في البيت وسيطرته على أولاده وعلى خدمه بلا حكمة ولا لطف فأظنُّ أنَّ الرَّجل لا يرضى بذلك؛ لأنَّ القيادة والإدارة والسَّيطرة أعطاهَا اللهُ الخالقُ للرَّجل فقط في حدودِ الحكمةِ والمصلحةِ العامَّةِ.

أمَّا إذا استعملت حكمتها وصفاتها الأنثويَّة فلا شكَّ أنَّ الرَّجل سيُلْقِي إليها بِكلِّ ما تريدُهُ أمامَ ما يراهُ من تصرفَّاتٍ رضيَهَا من زوجتِهِ وراعيةِ بيتِهِ.

أمَّا طلبُ الطَّلاق فليسَ فيه حكمةٌ؛ وهو أبغضُ الحلالِ إلى اللهِ؛ لقوله ﷺ: «أبغضُ الحلالِ إلى اللهِ الطَّلاقُ»[1]، ثمَّ ما ذنبُ الطِّفلتين اللَّتين

(١) رواه أبو داود، رقم: (٢١٧٨)، وابن ماجه، رقم: (٢٠١٨).

ستعيشان يتيمتين لا أبٌ لهما ولا أمٌّ، وهما على قيدِ الحياةِ، فإن تزوَّج الأبُ جاعتا، وإن تزوَّجت الأمُّ ضاعتا، وإن تولَّتهما الأمُّ فلن ترعاهما حقَّ الرِّعاية، إذا ولدَت من زوجِهَا الجديدِ أولادًا وإن ضمَّهما إليه فستعيشانِ في جحيمِ زوجةِ الأبِ.

وأقولُ للأمِّ: اتَّقي اللهَ واصبري، واستعملي سلاحَكِ؛ سلاحَ المرأةِ في رعايةِ زوجك، فإنَّه سيكونُ كما تريدين، ولن يكون بخيلًا ولا أنانيًّا ولا شكَّاكًا كما تقولينَ.

على من يَقَعُ ذنب الانحراف

السُّؤال:

لماذا لا يُنْكِرُ أهلُ الدِّين على المتشبِّهينَ من الرَّجال بالنِّساء والمتشبِّهَاتِ من النِّساء بالرِّجال هذا التَّشبُّهَ؟

الجواب:

أهلُ الدِّين ليس لهم من الأماكن ما يأمرونَ فيها بالمعروف وينهون عن المنكر سوى المساجد إلَّا أنَّه قد تُتَاح لهم فرصةٌ في الإذاعةِ أو التِّلفازِ أو في ميادينَ غيرهما لكن في حدودٍ، فالدُّعاة إلى الله يؤدُّون ما عاهدوا الله عليه من التَّبليغ، فإذا لم يَمْتَثِل من يخافُ وعيدَ اللهِ وعذابَهُ يومَ القيامة فليس عليهم أكثرُ ممَّا يفعلون وأكثرُ من طاقتهم، فهم لا يملكون سياطًا يضربونَ بها على أيدي هؤلاء المنحرفين؛ ليثوبوا[1] إلى رشدهم، إنَّما معهم القولُ بالبرهان،

(١) ثابَ فلانٌ إلى اللهِ: عادَ ورجعَ إلى طاعته. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢/ ١٠٣).

والكلمةُ بالدَّليل تحمِلُ الوعدَ والوعيدَ من اللهِ الَّذي بيده وحدَهُ قلوبُ العبادِ، وبعد ذلك هم لا يملكونَ حيلةً ولا قوَّةً، واللهُ تعالى قال لرسوله الكريم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: ٢٢-٢٦].

فمن سَمِعَ ووَعَى اهتدَى، ومن سدَّ أُذُنيهِ عن سماعِ الحقِّ وأعرضَ عنه ضلَّ وشَقِيَ.

وكما أسلفنا فإنَّ الدِّينَ لم يأت بقوَّةٍ وإجبارٍ، إنَّما يقومُ على الإقناعِ والدَّليل ويتكلَّمُ بالوعد والوعيدِ - وهما يكونان في الآخرة - فما لا يستطيعُ الدِّين مقاومته بالدَّليل والإقناعِ، وبالوعد والوعيد إذا تمرَّدَ المنحرف تستطيعُ أجهزةُ الدَّولةِ المسؤولة مقاومته بالقوَّةِ، وذلك كما يقول القولُ الحكيم: إنَّ الله ليَزَعُ بالسُّلطانِ ما لا يَزَعُ بالقرآنِ[1]، فعلى كلِّ غَيُوْرٍ أن يرفعَ أمرَهُ إلى المسؤولين في وزارة الدَّاخلية إنْ كانَ حريصًا على دينه وتقاليدِهِ.

والتَّشبُّه هذا موجودٌ في كلِّ زمان حتَّى في عهدِ الرِّسالة بدليل قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ المتشبِّهَات من النِّساء بالرِّجال والمتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء**»، **رواه البخاريُّ وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عبَّاس**[2]**، ولولا وجودهم في زمنه ما لعنهم.**

(١) انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٥/ ١٧٢).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٨٨٥)، وأبو داود، رقم: (٢٨٠١)، وابن ماجه، رقم: (١٩٠٤)، وأحمد، رقم: (٣١٥١).

عندما تقسو الأمُّ على ولدها

السُّؤال:

حدث خلافٌ بين أبيه وأمِّه وهو رضيعٌ فافترقا، وبقي مع أبيه حتَّى كبر، وتزوَّجت أمُّه وأنجبت، ثمَّ علم بوجودها، فزارها وتوالَت الزِّيارات، ولكنَّ هذه الأمَّ كلَّما قدَّم الابن إليها إحسانًا قدَّمت إليه إساءةً بالقول والفعل، والله ﷻ أمر بالإحسان إلى الوالدين، ونحن نعلم أنَّ «الجنَّة تحت أقدام الأمَّهات»[1]، والسَّائل يسأل ماذا يفعل ليكسب رضا الوالدة ورضا الله؟

الجواب:

والدة السَّائل أصيبت بعقدةٍ نفسيَّةٍ إثر تركها إيَّاه وهو طفلٌ، فلا يجب أن يلومها؛ لأنَّها فقدت أغلى أمرٍ، وهو نشأة الطِّفل في حجرها، فالمرأة تحنُّ إلى هذا بالطَّبيعة والفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها، أفلا ترى الأنثى من بني الإنسان وهي طفلةٌ تحبُّ اللُّعب وتحنُّ عليها؟! وتصوَّر طفلةً لم تبلغ الثَّالثة من عمرها ترعى لعبتها كأنَّها الأمُّ، ترضعها ثمَّ تلفُّها وتهدهدها، أليس هذا شعور الأنثى بالحنان الَّذي فقدته أمُّ السَّائل؟! يجب إذن ألَّا يلومها، وعليه أن يرعاها، ويحسن إليها، ويقابل سيِّئتها بالحسنة، فهي أمُّه، حملته ووضعته وربَّته ثمانية أشهر، ثمَّ حدث ما حدث بينها وبين أبيه، قطع عليها مدَّة الرَّضاع والتَّربية، وفقدته، ثمَّ منَّ الله عليه بلقائها وهو رجلٌ كامل الرُّجولة، ولعلَّ في هذا اللِّقاء خيرًا له

(١) سبق تخريجه.

سيكتب ثوابه في صحائفه.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ برَّ الوالدين يمحو كثيرًا من الذُّنوب، ذلك أنَّ رجلًا جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رسول الله، إنِّي أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبةٍ؟ فقال ﷺ: «**هل لك من أمٍّ؟**»، إلى أن قال له: «**الزمها فإنَّ الجنَّة تحت رجلها**»[1]؛ أي: أمرَه بالبرِّ.

وجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحقُّ النَّاس بحسن صحابتي؟ قال ﷺ: «**أمُّك**»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «**ثمَّ أمُّك**»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «**ثمَّ أمُّك**»، قال: «**ثمَّ أبوك**»[2].

وأختم كلمتي هذه للأخ السَّائل برجاءٍ خالصٍ هو أن يتَّسع صدره لهذه الأمِّ، فلا يغضب إن غضبت، ولا يسيء إليها إن أساءت إليه، وأن يحسن إليها كما أحسن الله إليه، وأن يدع الله لها.

زوجةٌ تسرق من زوجها

السُّؤال:

رسالةٌ من حائرةٍ تصف فيها مشاعرها المرَّة مِن ألصق النَّاس بها وهي أمُّها، إنَّ أمَّها تسرق من مال أبيها في الوقت الَّذي يعمل فيه أبوها ليلًا ونهارًا من أجلها ومن أجل أولادها منه، وهي في حيرةٍ؛ فإن هي سكتت عن أمِّها وهي تسرق فإنَّها تخاف من عذاب الله لإثم السُّكوت، وإن هي فاتحت أمَّها فربَّما تغضب منها وهي لا تريد إغضابها؛ لأنَّ الله أوصانا

(١) رواه أحمد، رقم: (١٥٥٣٨).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٧١)، ومسلم، رقم: (٢٥٤٨)، واللَّفظ للبخاريِّ.

بالوالدين إحسانًا.

الجواب:

إذا كان والد السَّائلة مقصِّرًا في حقِّ أولاده وبخيلًا على زوجته بحيث يترك الأولاد والزَّوجة نهبًا للجوع أو ينفق عليهم نفقةً ناقصةً تجعلهم يشعرون بالعوز والاحتياج وتضطرُّهم إلى النَّظر لما في أيدي النَّاس الَّذين هم في درجتهم، فتضطرُّ الأمُّ إلى أن تأخذ من الأب ما تنفقه في حاجاتها الضَّروريَّة وعلى قدر الحاجة الماسَّة؛ فإنَّ هذا أمرٌ قد يرضاه الله وربَّما لا يرضاه، والحاكم في هذا النِّيَّة والقصد.

أمَّا إذا كانت الأمُّ تأخذ المال من الأب لتنفق على أشياء تُعدُّ من الكماليَّات أو أشياء يمكن الاستغناء عنها فإنَّ هذا يعدُّ سرقةً وجنايةً، وهو شيءٌ محرَّمٌ يعاقب عليه القانون والدِّين.

وأرجو أن تعلم هذه الأمُّ أنَّ الإسلام جعل المرأة راعيةً في بيتها ومسؤولةً عن رعيَّتها، فالرَّسول ﷺ يقول في الحديث الشَّريف عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**والمرأة راعيةٌ على بيت بَعْلِهَا وولده وهي مسؤولةٌ عنهم**»[1].

ونسأل الله الهداية لهذه الأمِّ على ما تفعله.

أمَّا السَّائلة فأقول لها نصيحتي ألَّا تهدم البيت الَّذي نشأت فيه، فهذا أبوها وهذه أمِّها، ويجب أن تعمل على إبقاء الحياة الودِّيَّة الَّتي تسود البيت، وفي وسعها أن تجتهد فتعالج هذا الأمر الَّذي يحيِّرها بالحكمة والتَّعقُّل؛ حتَّى تكفَّ أمُّها عن عملها.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٥٥٤)، ومسلم، رقم: (١٨٢٩).

شؤون المرأة

كلمةٌ من مسلمةٍ مشفقةٍ

السُّؤال:

أقرأ في كتاب الله العزيز هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

ثمَّ أتأمَّل هذا الجزء من الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: ٣٣]، فتمتلئ بها عيناي، ثمَّ ألتفت حولي؛ أمامي وخلفي ويميني ويساري، فأرى عالمنا الَّذي نعيش فيه عالم المدنيَّة والتَّحضُّر، عالم الأزياء والموضات الَّذي يعيش فيه أهله.

حاولت أن أسأل نفسي: هل نحن في تحضُّر وثقافةٍ ومدنيَّةٍ، أم نحن في جاهليَّةٍ كالجاهليَّة الأولى في تبرُّجها وسفورها؟ إنَّني من هول ما أرى حولي لا أجد الجواب، فهل أجده لديكم؟

الجواب:

أسئلةٌ تردِّدها كثيراتٌ من المؤمنات المتمسِّكات بالحياء والفضيلة، العاضَّات على أحكام الإسلام وحدوده بالنَّواجذ، يسألن هذه الأسئلة وهنَّ مشفقاتٌ على المتبرِّجات والمسرفات على أنفسهنَّ، أولئك اللَّواتي انخدعن ببريق المدنيَّة ولمعان الأزياء، فجرين وراء الشَّيطان جريًا،

وتعلَّقن بالتَّقليد الأعمى.

لقد تركت المسلمة أجمل شيءٍ فيها، تركت حجابها وحشمتها بحجَّة أنَّه من الصَّعب التَّخلُّص من هذه الأوضاع الَّتي تعيش فيها مع المجتمع، وأنا أقول لها: لا المجتمع ولا ما تعيش فيه من صور النَّهضة والثَّقافة والتَّطوُّر ينبغي أن يكون الحاكم لها والمسيِّر لأمورها والمسيطر على شؤونها، إنَّما ينبغي أن تكون هي الحاكمة لا المحكومة، وهي السَّيِّدة لا المسودة، وهي المسيطرة لا المسيطر عليها.

إنَّ الإسلام دلَّ المرأةَ على طريقٍ هداهَا إليه، هو الطَّريقُ المستقيمُ، وقالَ لها: هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعيه ولا تَّتبعي أيَّ سبيلٍ غيرِه يقودُكِ إلى الفتنة والضَّلال، فأينَ هي تلك المرأة الَّتي قادت ولم تُقَدْ، وسادَتْ ولم تَسُدْ وعَفَّتْ فعفَّت الأعين عنها.

لِمَ هذا العُرْيُ؟! ولِمَ هذا التَّبرُّجُ؟! ولِمَ هذه الخَلاعةُ؟! ألم يأن للمرأةِ الأختِ وللمرأةِ البنتِ وللمرأةِ الأمِّ أن تستمعَ بِحِسٍّ مرهَفٍ وعقلٍ واعٍ إلى نداءِ المولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؟!

ألم يأن للمرأةِ أن تستمع بأُذُنٍ صاغيةٍ وفِكْرٍ مفتوحٍ إلى كتاب اللهِ حين يُتْلَى عليها قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النـــور: ٣١]؟!

أيَّتُهَا النِّساءُ في البيتِ والمدرسةِ وفي أيِّ ميدانٍ من ميادينِ الحياةِ، اقرأنَ القرآنَ واذكرْنَ كلَامَهُ، وتدارسْنَ حديثَ رسولِ اللهِ، فإنَّكنَّ القُدْوَةُ في الخُلُقِ، والمدرسةُ الأولى للبنين والبنات.

يا أمَّهاتِ المستقبل، إنَّ مستقبلَ هذه الأرضِ بيدكُنَّ وحدكُنَّ، ولا أكذبُ إذا قلتُ لَكُنَّ: إنَّ مستقبلَ الأمَّةِ بيدِ النِّساءِ لا بيدِ الرِّجال؛ لأنَّ الرَّجل تقعُ عليه مهمَّةُ التَّوجيه والإرشاد، أمَّا المرأةُ فهي الأمينةُ، والموجِّهُ ليسَ كالأمين، وقد صَدَقَ الشَّاعرُ حافظ إبراهيم حين قالَ في الأمِّ:

الأُمُّ مَـدْرَسَـةٌ إذا أعـدَدْتَـهَـا أَعْـدَدْتَ شَـعْبًـا طَـيِّـبَ الأَعْـرَاقِ[1]

وأحبُّ أن أُضِيفَ إلى ذلك أنَّني لم أقصد بالحجاب الَّذي أدعو إليه والَّذي دعا إليه الإسلامُ ذلكَ الحِجَابَ الأسودَ، إنَّما أقصدُ به الحجابَ الشَّرعيَّ، وهو الحجابُ السَّاترُ لمفاتِنِ المرأةِ الَّتي تُثِيْرُ الشَّهوةَ وتُحَرِّكُ النُّفوسَ المريضةَ، فالإسلام أَمَرَ المرأةَ بأن تسترَ مفاتِنَ جسدِهَا إلَّا ما يتحتَّم أن يظهرَ منها بحكم الضَّرورة، وهو اليدان والوجه، ولنقرأ في هذا قولَ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النُّور: ٣١].

لباس المرأة أمام غيرِ محارمها

السُّؤال:

ما مِقْدَارُ ما يُبَاحُ أن يظهرَ من المرأة شرعًا أمامَ غيرِ محارِمِها، كأحمائها[2] وأقاربِ زوجها والغُرَبَاءِ عنها؟

---

(١) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، للهاشمي (٢/ ٢٤٩).

(٢) الحمأ: أبو زوج المرأة، وقيل: الواحد من أقارب الزَّوج والزَّوجة، والجمع: =

الجواب:

يقولُ الله تعالى في كتابِهِ الكريم: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ﴾ [النُّور: ٣١].

نفهمُ من هذه الآيةِ أنَّ على المرأةِ إذا جلست مع غيرِ محارِمِهَا، كأحمائِهَا والغرباءِ أَلَّا تُبْدِيَ زينتَهَا إلَّا ما ظَهَرَ منها، وهو الوجهُ والكفَّين، وأن تَضْرِبَ بخمارها على جيبها؛ أي: أن تلبَسَ الخمار، وهو ما يُغَطِّي الرَّأس سواءٌ أكان طرحةً أم حجابًا، والجيبُ هو فَتْحَةُ الصَّدرِ، وهو صريحٌ في وجوبِ لبس الخمار السَّاتر لرأسِ المرأةِ وصدرِهَا.

يقول تعالى أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزَاب: ٥٩].

وفي هذه الآية يحوط الله تعالى المرأة المؤمنة بهالةٍ من الصَّون والكرامة، فيأمر نبيَّه ﷺ أن يُلزِم نساء المؤمنين أن يدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ أمام الغرباء وغير محارمها من الأقارب.

والجلباب هو الثَّوب الواسع؛ أي: يتستَّرن بثيابهنَّ الواسعة؛ حتَّى

= أحماء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ٦١).

يعرفن بالحصانة والتَّقوى والعفاف، فلا يؤذيهنَّ أحدٌ بنظراتٍ وقحةٍ جريئةٍ أو بأقوالٍ مهينةٍ بذيئةٍ.

ولقد أجمع فقهاء الشَّريعة الإسلاميَّة على أنَّ المرأة عورةٌ، وقال بعضهم إلَّا الوجه والكفَّين، وهو ما يباح كشفه في الصَّلاة وفي الإحرام للحجِّ أو العمرة، أو للتَّعامل في الحياة، ونحن نميل إلى القول الأخير، والله تعالى أعلم.

تجميل جسم المرأة المشوَّه

السُّؤال:

أصيبت في حادث حريقٍ، فتشوَّه صدرها ورقبتها وذراعاها، وقد نصحه أصدقاؤه أن يذهب بها إلى طبيبٍ مختصٍّ في تجميل الأعضاء المشوَّهة، فهل هذا التَّجميل حرامٌ في نظر الإسلام؟

الجواب:

تجميل العضو المشوَّه ليس حرامًا ولا ممنوعًا في نظر الإسلام إذا كان المقصود منه تخفيف حدَّة الدَّمامة في العضو المحروق، فهذا العمل هو من قبيل الضَّرورات الَّتي رخَّص الإسلام من أجلها إتيان المحظورات؛ طبقًا للقاعدة الفقهيَّة الَّتي وضعها فقهاء الأمَّة ونصُّها: الضَّرورات تبيح المحظورات[1].

(١) انظر: شرح القواعد الفقهيَّة، لأحمد الزَّرقا (١/ ١٦٣).

إنَّما الَّذي حظره الإسلام ومنعه هو أن يضع الرَّجل أو المرأة على أيِّ عضو من أعضاء الجسم عضوًا أو شيئًا آخر من شأنه أن يغيِّر من الصُّورة الطَّبيعيَّة الَّتي خلق الله الإنسان عليها؛ كأن تضع المرأة باروكةً على شعرها القصير لتصله بها ليبدو طويلًا، فقد لعن الرَّسول ﷺ هذه المرأة بقوله: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»(١)، وكأن تضع المرأة أيضًا الأصباغ على أظفارها ووجهها، وغير ذلك من وسائل تجميل الجسم الَّتي تستعملها المرأة في هذه الأيَّام؛ ليبدو منظرها جميلًا، فتلفت الأنظار إليها، وكأن تستعمل الوشم والوشر؛ والوشم هو الدَّقُّ، وهو وخز الجلد بالإبرة ووضع الصَّبغ عليه بحيث يبقى هذا الصَّبغ تحت الجلد ولا يزول، أمَّا الوشر فهو حكُّ الأسنان بمبردٍ حتَّى ينفلج ويتساوى، وهذا العمل يعقب مرضًا في الأسنان، ورائحته عفنةٌ، ويغيِّر لون الأسنان، وكأن يضع الرَّجل شيئًا خارجًا يبدو أمام النَّاس على غير طبيعته.

كلُّ هذه الوسائل الَّتي يستعملها النَّاس ويقصد بها الزِّينة وإخراج كيان الإنسان في غير طبيعته هي الَّتي يحرِّمها الإسلام ويمنع المسلمين من استعمالها، والمسألة ترجع إلى النِّيَّة، فالأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، قال الرَّسول ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى**»(٢).

فإذا كان السَّائل لديه الإمكانيَّات المادِّيَّة فليتوكَّل على الله، وليُجر لزوجته عمليَّة التَّجميل.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٣٣)، ومسلم، رقم: (٢١٢٢).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١)، ومسلم، رقم: (١٩٠٧) بلفظ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّة، وإنَّما لامرئ ما نوى».

صراع على السُّفور

السُّؤال:

خلافي مع زوجتي في السُّفور، فهي تريد أن تجاري المجتمع فتلبس القصير والضَّيِّق وتمشي سافرةً، وأنا أريدها أن تلتزم بما أمرها به الشَّرع؛ فتلبس إلى ما تحت الرُّكبة، وتستر السَّاقين، وتلبس الخمار؛ حتَّى لا تنهشها الذِّئاب في الطَّريق كما تنهش غيرها من السَّافرات، ولمَّا طالبتها مُلِحًّا بالتزام أدب الإسلام في الزِّيِّ طلبت الطَّلاق، ولي منها أولادٌ، وأخشى أن تهدم الأسرة بسبب هذه المشكلة، فأرجو أن تكتبوا لنا كلمةً في رأي الشَّرع في المشكلة، لعلَّ زوجتي تقتنع، لا سيَّما أنَّها تصوم وتصلِّي وتعطف على المحتاجين.

الجواب:

عنِيَ الإسلام عنايةً كبيرةً بالمكانة الَّتي يجب أن توضع فيها المرأة، فوضعها في مكانةٍ لم تحظ بمثلها المرأة في أيِّ شرعٍ سماويٍّ سابقٍ أو في أيِّ مجتمعٍ تواضع عليه النَّاس واتَّخذوا له القوانين والأحكام، حتَّى المجتمعات الغربيَّة الَّتي عرفت المدنيَّة والحضارة لم تحظ المرأة بالاهتمام الَّذي أولاها بها الإسلام ضمن تشريعاته، فقد نصَّ الإسلام على المحافظة على كرامتها، وأعطاها حقوقها كاملةً غير منقوصةٍ، وأحاطها بسياجٍ متينٍ من العفاف والفضيلة، ومنعها من التَّبذُّل والسُّفور والخروج من محيط الحياء؛ حتَّى لا تسير نحو الهبوط والتَّسفُّل والانحطاط.

ولقد عرفنا نساءً مشَين زمنًا في طريق السُّفور الغربيِّ وتعلَّقن بالتَّقليد الأعمى، ثمَّ عدن إلى تعاليم الإسلام وأحكامه ونظمه واحتُرمن بها وعملن بها، ثمَّ عرفن أنَّه ما أنقذهنَّ من سقطة السُّفور والتَّبرُّج والامتهان والتَّبذُّل سوى تعاليم الإسلام وأحكامه الإلهيَّة الَّتي يحاول خصوم الإسلام من الغربيِّين والسَّائرين على دروبهم من أبناء الأمَّة الإسلاميَّة أن يضعوا لهنَّ أحكام الإسلام ونظمه في صورة الأغلال الَّتي تطوِّق الأعناق وتخنق الحرِّيَّات وتحدُّ من نشاطها وتقلِّل من حيويَّتها.

والأمُّ عماد المجتمع وأساسه ومرشده، وهي اللَّبنة الأولى في بنائه، وهي بالمشاركة مع الرَّجل تبني المجتمع القويَّ المحافظ على شخصيَّته وسماته وصفاته وكرامته.

فإذا كان الإسلام قد وضع المرأة في هذا المكان الحسَّاس وهو بناء الأمَّة وإعداد أبنائه على أساسٍ سليمٍ، ووضعها في مكان القيادة المنزليَّة توجِّه وترشد إلى الخير والمعروف والفضائل حتَّى يخرج أعضاء الأسرة في البيت أعضاءً نافعين خيِّرين عاملين، فهل يليق بها بعد أن وضعها الإسلام في هذا المكان السَّامي الحسَّاس وأعطاها هذا المركز الخطير أن تمشي سافرةً كاسيةً عاريةً، تلقِّن لمن في البيت الانحلال، وتعطي لهم درسًا في تفكُّك الشَّخصيَّة، وتعلِّمهم الابتذال وتدهور الأخلاق؟! هل يليق بها أن تكون قدوةً سيِّئةً لا قدوةً حسنةً وأن يراها الأولاد في المنزل فيقلِّدوها ويسيروا على طريقها فيفعلوا كما تفعل فتكون لهم بئس القدوة وبئس المربِّية وبئس الأمُّ؟!

لتسمع الأمُّ ما أنزل الله خالقها في شأنها من أمرٍ بغضِّ البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار مفاتن الجسد وتغطية الرَّأس والصَّدر بالخمار؛ وذلك

ليحوطها بسياج العفَّة والطُّهر، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النُّور: ٣١].

ولتسمع المرأة ما أنزل الله في شأنها من أمرٍ بارتداء الثَّوب الواسع السَّاتر للجسد؛ ليعرفن بالحصانة والتَّقوى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزَاب: ٥٩].

ولتسمع المرأة ما أنزل الله في شأنها من أمرٍ بعدم التَّمثُّل بنساء الجاهليَّة الأولى اللَّواتي تزيَّنَّ وتهتَّكن وفرَّطن في جنب الحياء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

ومن فجر الإسلام نأتي بهذا الخبر، وفيه يحدِّد نبيُّ الإسلام ما يجب أن تظهر به المرأة من لباس الفضيلة والطُّهر، فعن أمِّ سلمة أنَّ أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها دخلت على النَّبيِّ ﷺ وعليها ثيابٌ رقاقٌ، فأعرض عنها، وقال: «**يا أسماء إنَّ المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها بأن يُرى منها إلَّا هذا وهذا**»[1]، وأشار إلى وجهه وكفَّيه.

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤١٠٤).

وهذه الزَّوجة الَّتي نحن بصدد خلافها تطيع ربَّها فتصلِّي وتصوم وتنفق على المحتاجين، وهذا عملٌ عظيمٌ إذا صدر من مسلمةٍ تأتمر بأوامر الله وتنتهي بنواهيه.

لكن ما فائدة صلاة هذه الزَّوجة إذا كانت صلاتها لا تنهاها عن المنكر الَّذي تتمسَّك به؟!

ما قيمة صلاتها إذا لم تبعث فيها الخشية من الله، فتلبس اللِّباس الطَّويل السَّاتر للمفاتن؟!

ما الثَّمرة الَّتي تجنيها هذه الزَّوجة من صلاتها إذا كانت لا تريد أن تلتزم بالزِّيِّ الإسلاميِّ المحتشم الَّذي يحفظ عليها أنوثتها وعرضها؟!

إنَّ هذه الزَّوجة إذا استمرَّت على سفورها وتبرُّجها - وهو موضوع خلافها مع زوجها - فإنَّ صلاتها لن تفيدها في شيءٍ من الثَّواب، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهي لا تريد أن تترك المنكر، والرَّسول ﷺ يقول في الحديث: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلَّا بعدًا**»(١).

فعلى هذه الزَّوجة أن تتَّقي ربَّها الَّذي تعبده بالصَّلاة والصِّيام وبرِّ المحتاجين، فتطيع زوجها الَّذي يريد لها الخير والعفاف والفضيلة، وتبقى على زوجها وعلى كيان أسرتها.

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١١٠٢٥).

حجاب المرأة في الإسلام

السُّؤال:

سألنا بعض المواطنين: ما حكم الإسلام في السُّفور المنتشر في هذه الأيَّام؟ وما حكم فاعليه؟ وهل الحجاب شريعةٌ إسلاميَّةٌ، أم جاءنا من الأعاجم كما يدَّعي بعض النَّاس؟

الجواب:

السُّفور الموجود هذه الأيَّام ليس سفورًا، إنَّما هو تبرُّجٌ، والتَّبرُّج تيَّارٌ جارفٌ لا حيلة لي ولا لغيري فيه.

والتَّبرُّج معناه: ظهورٌ بغير حشمة وتعرُّضٌ لأنظار المتفرِّجين، ولو أنَّ المرأة توَّجت نفسها بتاج الحشمة واقتصرت على كشف الوجه دون غيره من سائر الجسد لما ضرَّها ذلك، ولكانت مطيعةً لربِّها الَّذي أنزل في شأنها في كتابه الكريم قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وإنَّ نساء الجاهليَّة كنَّ يتبرَّجن، فلمَّا جاء الإسلام أمر المؤمنات أن يدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ؛ حتَّى لا يطمع فيهنَّ الَّذي في قلبه مرضٌ، ولا يتعرَّضن للإيذاء من ذئاب الطَّريق، تلك الذِّئاب الَّتي تؤذي المرأة السَّافرة الَّتي أضاعت كرامتها حين مشت في الطَّريق كاسيةً عاريةً.

والإسلام غيورٌ، أمر المؤمنين أن يغضُّوا من أبصارهم، وأمر المؤمنات

أن يغضضن من أبصارهنَّ وأن يحفظن فروجهنَّ وألَّا يبدين زينتهنَّ إلَّا ما ظهر منها، وقد قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النُّور: ٣١].

ونصَّ أكثر الفقهاء على أنَّ معنى قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥١] يعني: الوجه والكفَّين. وهما ما يجب أن يظهر بالضَّرورة ولكن دون زينةٍ.

وأمَّا الحجاب الأسود الَّذي مرَّ بالعصور المظلمة السَّوداء على المسلمات، والنِّطاق الحديديُّ الَّذي ضرب عليهنَّ ومنعهنَّ من التَّعليم والتَّفقُّه في الدِّين والظُّهور للنُّور، فكانت المرأة تمرض وتموت ولا تعرض على طبيبٍ؛ فهذا لم يأمر به الإسلام؛ إنَّ الإسلام دين الرَّحمة واليسر أوجب على المرأة المحرمة في الحجِّ الَّذي هو ركنٌ من أركان الإسلام أن تكشف وجهها؛ لأنَّ تغطيته من محظورات الإحرام، وإذا غطَّته فدت بنحر ذبيحةٍ.

ولنرجع إلى تاريخ الإسلام، فقد أثبت لنا أنَّ المسلمات قاتلن مع رسول الله ﷺ ضدَّ الكفر، ومع الخلفاء الرَّاشدين في حروب الرِّدَّة، وقاتلن في فتح دمشق، فكيف قاتلت المسلمة حينذاك وهي محجَّبةٌ أو مبرقعةٌ؟!

رأيي أنَّ غطاء الوجه لم يفرض على أحدٍ من المسلمات إلَّا على نساء النَّبيِّ فقط، وإنَّ الله قال للمؤمنين في حقِّهنَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأمَّا الحجاب الأسود فهو بدعةٌ دخلت في الإسلام في أثناء القرن الثَّاني من الهجرة، أدخلها الأعاجم في قصور خلفاء بني العبَّاس، ومن

هذه القصور انتشرت بين الخواصِّ، ثمَّ أخذها بعض المسلمين اليوم عن عدم تدبُّرٍ وفهمٍ لنصوص القرآن وروحه.

مناقشةٌ في السُّفور والحجاب

السُّؤال:

رسالةٌ من سائلٍ سطَّر فيها عتابًا رقيقًا؛ لأنِّي سُئِلْتُ عن السُّفور والحجاب فأجبت فيهما - كما يقول - إجابةً ضعيفةً لا تمثِّل الحقيقة، وتعجَّبَ الأخ السَّائل أن يصدر منِّي هذا الكلام وأنا رجل دين أدعو إلى الفضيلة والحقِّ.

الجواب:

أودُّ أن أقول للأخ السَّائل: إنَّني لم أقل إلَّا الحقَّ الَّذي جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ؛ لأنَّ الحقَّ أمانةٌ في عنقي، وقد عاهدت الله على أن أقوله وأجهر به مهما وجدت من تيَّارٍ مخالفٍ لما أعتقده وأؤمن به.

ومازلت أعتقد وأؤمن بأنَّ الوجه والكفَّين ليسا عورةً، والله ﷻ قال في محكم آياته: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النُّور: ٣١] ولم يقل: على وجوههنَّ. والجيب هو فتحة القميص، وإذا أراد الأخ السَّائل أن يستشهد بآيةٍ قرآنيَّةٍ فيجب ألَّا يحرِّف فيها، فالقرآن لا يمكن أن يدخله تحريفٌ، والآية الَّتي استشهد بها السَّائل هي قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النُّور: ٣١]، وهذه الآية في سورة

النُّور، وليس فيها الزِّيادة الَّتي ذكرها السَّائل في رسالته، وهي: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٢]، فهذه الزِّيادة في سورة البقرة، والموضوع الَّذي نناقشه موضوع نساء لا موضوع رجال.

وممَّا جاء في رسالة الأخ السَّائل أنَّه يجب على المرأة أن تضع عمامةً على رأسها لتسدل الحجاب على وجهها خوفًا من أن يلمسها الحجاب. وينصحني بالرُّجوع إلى كتب فقهاء الإسلام في تغطية الوجه.

وأقول للأخ السَّائل: إنَّ فقهاء الإسلام الَّذين ينصحني بالرُّجوع إليهم جعلوا تغطية الوجه في الحجِّ من محظورات الإحرام.

ومعنى المحظور: الممنوع، فهم لم يبيحوا تغطية الوجه إلَّا لمن تخشى الفتنة، لا فتنتها هي، وإنَّما فتنة الرِّجال النَّاظرين لها يوم الإحرام، وتلك قال في حقِّها بعض الفقهاء: لا فدية عليها.

يا أخي السَّائل، إنَّ الدِّين الإسلاميَّ دين يسرٍ لا دين عسرٍ، لقد جعل الله الدِّين يسرًا لا حرج فيه، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المَائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: ٧٨].

والرَّسول ﷺ يقول: «**إنَّ الدِّين يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّين أحدٌ إلَّا غلبه فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا**»(١).

ويقول ﷺ: «**لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم**»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٩).

(٢) سبق تخريجه.

وإذا كانت آيات القرآن والأحاديث الشَّريفة قد جعلت لنا الطَّريق واسعًا فلماذا نضيِّقه؟! وإذا كانت قد جعلت الأمور سهلةً، فلماذا نجعلها وعرةً صعبةً؟!

حبوب منع الحمل

السُّؤال:

يستعمل بعض النَّاس في الوقت الحاضر الحبوب المانعة للحمل للتَّقليل من الإنجاب بدعوى أنَّ ظروف المعيشة المرهقة لا تسمح بكثرة الإنتاج البشريِّ الَّذي يتزايد كلَّ عامٍ، أليس هذا الاتِّجاه من النَّاس يُعارض حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: «تناكحوا تَكْثُرُوا فإنِّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة»[(١)]؟

الجواب:

هذا الحديث الَّذي ذكره الأخ السَّائل مرسلٌ، والحديث الصَّحيح الوارد عن النَّبيِّ ﷺ هو: «**تزوَّجوا الودود الولود فإنِّي مكاثرٌ بكم**»، رواه أبو داود عن معقل بن يسار[(٢)].

وأحبُّ أن أقول للأخ السَّائل: إنَّ الكثرة لا تكون بالعدد، وإنَّما الكثرة بالرِّجال أصحاب العقول المفكِّرة، أمَّا الكثرة العدديَّة فقد تكون وبالًا على الأمَّة، وخيبة أملٍ لها، ولنضرب للسَّائل مثلًا أدركنا زمانه:

---

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٠٢١).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٢٠٥٠).

كانت هولندا لا تتجاوز (٥) ملايين نسمة، استعمرت بلادًا عدد سكَّانها (٨٥) مليون نسمةً، فهل أفادتهم الكثرة فطردوا المستعمر الَّذي استعبدهم عشرات السِّنين؟!

وبريطانيا كان عدد سكَّانها أقلَّ من (٤٠) مليون نسمة، استعمرت جزءًا كبيرًا من العالم، وألمع جوهرة كانت في تاج ملكها هي جوهرة شبه القارَّة الهنديَّة الَّتي كان عدد سكَّانها في أثناء الحرب العظمى (٢٨٠) مليون نسمة، استعمرتها بريطانيا (٣٠٠) سنةً، وكانت تسوق جنودها من أبناء المستعمرات إلى الميادين - كالأغنام - أفواجًا، لا تبالي بالأعداد الهائلة الَّتي قتلتها منهم، فهل أفادتهم الكثرة؟!

أكرِّر القول للأخ السَّائل: هذا الحديث النَّبويُّ للدِّلالة على أنَّ الكثرة العدديَّة لا قيمة لها في مجال القيم والاعتبارات، يقول الرَّسول ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم في كلِّ أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قيل: يا رسول الله أمِن قلَّةٍ بنا يومئذٍ؟ قال: «**لا، بل أنتم كثيرٌ لكنَّكم غثاءٌ كغثاء السَّيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**» قلنا: وما الوهن؟ قال ﷺ: «**حبُّ الدُّنيا وكراهية الموت**»، رواه أحمد والبيهقيُّ وأبو داود عن ثوبان[(١)].

أمَّا حبوب منع الحمل فإنَّ التَّركيب الكيماويَّ لها لا يحتوي على مخدِّرٍ ولا مسكرٍ، فإذا استُعملت هذه الحبوب لقصدٍ حسَنٍ فهي مباحةٌ كسائر المباحات والضَّرورات الَّتي يراد من ورائها تحقيق مصلحةٍ؛ كمراعاة ظروف ضعف الأمِّ بسبب كثرة الحمل السَّريع، أو بسبب اعتلال

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢٣٩٧)، وأبو داود، رقم: (٤٢٩٧)، والبيهقي، رقم: (٩٨٨٧).

صحَّتها، أو مراعاة ظروفٍ خاصَّةٍ بأسرةٍ مضطرَّةٍ إلى تنظيم حياتها وكيانها حسب إمكانيَّاتها المادِّيَّة كي تحيا حياةً أفضل، أمَّا إذا استعملت هذه الحبوب لقصدٍ سيِّئٍ فإنَّها عندئذٍ تكون حرامًا، فإباحتها تتوقَّف على نيَّة من يستعملها وقد قال الرَّسول ﷺ: «**الأعمال بالنِّيَّات**»(١).

مدَّة الجنين في بطن أمِّه

السُّؤال:

قرأ في بعض كتب الفقه أقوالًا للأئمَّة الأربعة في جواز بقاء الجنين في بطن أمِّه أكثر من تسعة أشهر، واختلفوا في المدَّة هذه؛ فقال بعضهم: إنَّها سنتان، وقال بعضهم: إنَّها أكثر، إلى سبعة أعوامٍ. فكيف يصحُّ ذلك من الأئمَّة والعلم الآن يخالفهم؟

الجواب:

إنَّ الأئمَّة الأربعة - رحمهم الله - لم يستندوا في أقوالهم هذه إلى أدلَّةٍ منصوص عليها، إنَّما كانت أقوالهم مبنيَّةً على اجتهادٍ ورأيٍ فقط، ولقد أنكر الطِّبُّ في عصوره الأخيرة بقاء الطِّفل في بطن أمِّه أكثر من المدَّة الَّتي قدَّرها الله لتكوينه.

والإمام داود الظَّاهريُّ والإمام جعفر الصَّادق وأئمَّة أهل البيت قالوا هذا القول من قبل، فأنكروا أن يزيد زمن الحمل على الأجل المقدَّر؛ وهو تسعة أشهرٍ.

---

(١) سبق تخريجه.

وما يقال خلافًا لذلك فيجب ألَّا يكون محلَّ صدقٍ واعتبارٍ.

أمَّا رأينا في الموضوع فإنَّنا نؤيِّد القول الأخير، ثمَّ نقول: إنَّ الله ﷻ قدَّر قدرًا، وسنَّ سننًا، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣].

رأي الدِّين في تعليم البنت

السُّؤال:

ما حكم تعليم الفتاة في الشَّريعة الإسلاميَّة؟

الجواب:

إنَّ الله بعث محمَّدًا ﷺ معلِّمًا للنَّاس، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجُمُعَة: ٢]، وأمره بدعوتهم للخروج من الظُّلمات، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، فهو معلِّمٌ يُخرج النَّاس من ظلمات الجهالة إلى نور المعرفة.

وأمر الله نساء نبيِّه أن يتعلَّمن العلم من المصطفى ﷺ ويعلِّمنه نساء الأمَّة، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزَاب: ٣٤].

ومعنى هذا أنَّ بيوت أزواج النَّبيِّ ﷺ مدارس يتلقَّى فيها نساء الأمَّة العلم من زوجات النَّبيِّ ﷺ متعلِّمات الدِّين منه، وقد فسَّر علماء

المسلمين كلمة الحكمة بأنَّها السُّنَّة العمليَّة المفسِّرة لكتاب الله، والله ﷻ أنزل الذِّكر على محمَّدٍ ﷺ؛ ليبيِّنه للنَّاس، وجعل نساءه وساطةً بينه وبين نساء الأمَّة.

والدِّين الإسلاميُّ لم يفرق بالتَّكليف والعمل بين ذكرٍ وأنثى، فالكلُّ مكلَّفٌ، والكلُّ مسؤولٌ، والكلُّ مطالبٌ بالمعرفة والتَّحصيل والتَّعلُّم، لا فرق بين ذكر وأنثى.

ومحمَّدٌ ﷺ لم يُبعث للرِّجال خاصَّةً، إنَّما بُعث للرِّجال والنِّساء على السَّواء، وهو القائل ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدِّين، وإنَّما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمَّة قائمةً على أمر الله، لا يضرُّهم مَن خالفَهم، حتَّى يأتي أمر الله**»، رواه البخاريُّ ومسلم والتِّرمذيُّ[(١)].

ويقول الرَّسول ﷺ: «**طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ**»[(٢)].

الَّذين يرمون البريئات بالسُّوء

السُّؤال:

وشى بفتاةٍ بريئةٍ لأهلها بمجالستها للرِّجال ومعاشرتها لأحدهم، فاضطرَّ أهلها إلى إخراجها من المدرسة، وحرمانها من التَّعليم الَّذي كانت تأمله، وعندما استيقظ ضميره ندم على ما فعل في حقِّ الفتاة،

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٧١)، ومسلم، رقم: (١٠٣٧)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٦٤٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٢٢٤).

وبات معذَّب الضَّمير منغَّصًا في حياته، ويسأل: كيف له التَّوبة من كذبه وافترائه على الفتاة البريئة، وما مسؤوليَّته فيما حدث لها؛ لأنَّه يخشى عقوبة الله له.

الجواب:

نريد أن نذكِّر السَّائل بما قال الله تعالى في أمثاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النُّور: ٢٣-٢٥]، والله ﷻ قال في السُّورة نفسها قبل هذه الآيات الثَّلاث: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النُّور: ١٩].

والإنسان يجب أن يكون منزَّهًا عن كلِّ ما يشينه، وأن يدعو الله بحماية نفسه وولده من كلِّ ما يعيب، والمؤمن لا يكون مؤمنًا حقًّا حتَّى يأمن النَّاس من شرِّه، وحتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، قال الرَّسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[1]، فهل هذا السَّائل الحائر يحبُّ لنفسه ولبناته ما قذف به هذه البريئة المسكينة الَّتي انهارت صحَّتها وقواها، حتَّى اضطرَّ أهلها إلى إدخالها المستشفى؟! إنَّه الآن يشهد بنفسه أنَّها بريئةٌ من كلِّ ما ألصقه بها من باطلٍ ورماها به من زورٍ وبهتانٍ.

ولو فرضنا أنَّ الشَّيطان أغوى هذه الفتاة فسلكت سبيل الغواية، أما

(١) سبق تخريجه.

كان الأجدر بالسَّائل الحائر أن يكتم أمرها على النَّاس حتَّى لا يفضحها؟! إنَّ من ستر على مؤمنٍ ستر الله عليه في الدُّنيا والآخرة، كما الرَّسول ﷺ: «**مَنْ سترَ مسلمًا سترَهُ الله في الدُّنيا والآخرة**»(١).

والقذف كبيرةٌ من الكبائر وموبقةٌ من الموبقات تهدم حسنات الإنسان، فضلًا عن كونها تقلق راحة المجتمع، وهذه السَّيِّئة لا يكفِّرها إلَّا أن يطلب المرء العفو ممَّن قذفها، والله تعالى يقبل التَّوبة من عباده، ويقول في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشّورىٰ: ٢٥]، ويقول تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غَافر: ٣].

والمعروف أنَّ للتَّوبة شروطًا، هي النَّدم وترك المعاصي والعزم على عدم العودة إليها، وهذه الشُّروط الثَّلاثة تتعلَّق بحقِّ الله تعالى على العبد، أمَّا حقُّ العبد على العبد فيُزاد على هذه الشُّروط الثَّلاثة أن يعفو صاحب الحقِّ عن حقِّه.

وليعلم السَّائل أنَّ لهذه الجريمة حدًّا شرعيًّا هو ثمانون جلدةً، وذلك لقول الله في محكم التَّنزيل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النُّور: ٤].

وكلمتي المخلصة لهذا الأخ السَّائل أن يسعى ليتَّصل بوليِّ أمر الفتاة المظلومة، فيكذِّب بنفسه ما سبق أن أذاعه عنها، ويكشف له عن حقيقة أمرها؛ ليظهر براءتها وطهرها وعفافها.

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٩٩).

الباب الثَّاني عشر

مع البشر في تاريخه

لغات العالم المختلفة

السُّؤال:

كيف وجدت اللُّغات الَّتي يتكلَّم بها العالم منذ وجد أحفاد آدم، وكلُّ شعبٍ من شعوب الأرض له لغته الخاصَّة ولسانه المميَّز؟ وما المقصود بهذه الآية من سورة الرُّوم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٢]؟

الجواب:

هذا السُّؤال ليس سؤالًا دينيًّا، إنَّه سؤالٌ يجب أن يوجَّه إلى رجل تاريخٍ، لكنِّي سأجيب السَّائل عنه راجيًا من الله التَّوفيق.

لا شكَّ في أنَّ اللُّغة الَّتي كان يتكلَّم بها آدم وبنوه كانت لمرحلةٍ واحدةٍ، بها كانوا يتفاهمون ويتعايشون.

ثمَّ كثر بنو آدم وتفرَّقوا في الدِّيار ثمَّ تباعدوا حسب الظُّروف وتبلبلت ألسنتهم، فكان لكلٍّ منهم مصطلحاتٌ في اللُّغة، ثمَّ طال عليهم العمر وتباعد بهم الزَّمن، وكان هذا من أسباب اختلاف الألسنة عند أحفاد آدم.

ولقد علمنا من دراستنا أنَّ جنوب أوروبَّة كانوا يتكلَّمون لغةً واحدةً هي اللُّغة اللاتينيَّة، واليوم نجد أهلها يتكلَّمون بما لا يقلُّ عن عشر لغات.

والعرب في وطنهم يتكلَّمون بلهجاتٍ مختلفةٍ، فلكلٍّ من المصريِّ والسُّوريِّ والعراقيِّ واليمنيِّ لهجته، وممَّا يجدر بالذِّكر: لولا أنَّ الله تعالى

لم يحفظ لنا لغتنا بالقرآن الَّذي نزل باللُّغة العربيَّة لكانت للبلاد العربيَّة لغاتٌ مختلفةٌ، يحتاج كلُّ بلدٍ إلى ترجمانٍ، بل نقول: إنَّه ربَّما كان سيحدث انقراضٌ لنا كما انقرضت أممٌ بلغاتها، ولكنَّ القرآن هو الَّذي حفظنا من الانقراض.

ثمَّ ألا ترى - أيُّها السَّائل - أنَّ العامِّيَّ من أهل المغرب لا يستطيع أن يفهم العراقيَّ أو اليمنيَّ إلَّا بلغة القرآن؟ ومن لا يعرف الفصحى الَّتي في القرآن لا يقدر أن يفهم الآخر إلَّا إذا تكلَّم بلغة القرآن، فالحمد لله أن حفظنا بالقرآن، الحمد لله على هذه المنَّة والفضل.

من هذا نفهم أنَّ طول الزَّمن واختلاف الوطن هما ما فرَّقا بين لغات النَّاس.

إيمان العرب قبل الإسلام

السُّؤال:

هل كان عرب الجاهليَّة يعرفون الله قبل بعثة محمَّدٍ ﷺ، وهل أقرُّوا بالله؟

الجواب:

نعم كانوا يعرفون الله حقَّ المعرفة، وكانوا على شيءٍ من شريعة إبراهيم عليه السلام، فحرَّفوها وأدخلوا فيها أشياء لم ينزل الله بها من سلطانٍ.

كانوا يعرفون الله ويقرُّون له بالرُّبوبيَّة الكاملة؛ بأنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ،

وبيده مقاليد كلِّ شيءٍ، وبأنَّه الخالق والرَّازق والمحيي والمميت، وذلك بدليل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف: ٨٧].

هكذا اعتقدوا بربوبيَّة الله في كلِّ شيءٍ، وفي القرآن آياتٌ أخرى كثيرةٌ تدلُّ على هذا الاعتقاد، لكنَّهم كانوا يحبُّون الأصنام ويقدِّسونها ويعظِّمونها؛ لأنَّهم اعتقدوا أنَّ أصحابها عملوا أعمالًا صالحةً حظوا بها عند الله بمكانةٍ جليلةٍ، وصاروا أقرب إلى الله منهم، ولذلك فهم يتوسَّلون بهم إلى الله، ويتَّخذونهم وسطاء عنده لقضاء الحاجات من جلب خيرٍ ودفع ضرٍّ.

ويتحدَّث القرآن عن إجابة مشركي العرب عندما سُئلوا عن سبب عبادتهم للأصنام ودعائهم لهم عند قبورهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨]؛ أي: ما نحبُّهم وما نعظِّمهم وما نقف أمام قبورهم ندعوهم ونستغيث بهم إلَّا لأنَّهم أتقياء بما قدَّموه من أعمالٍ صالحةٍ، فهم قريبون من الله، والله يتَّقبل من القريب، أمَّا نحن فمذنبون مقصِّرون بعيدون من باب الله.

والمعروف أنَّ آدم عليه السلام ترك أولاده على دعوة التَّوحيد، وهي عبادة الله وحده، ثمَّ بمرور الزَّمن دخلت الوثنيَّة إلى قلوب النَّاس بحبِّ الصَّالحين والغلوِّ في حبِّهم، فعبدوا غير الله، ودعوهم من دونه تعالى، ومن هنا انطفأ نور التَّوحيد من القلوب، وتلاشت معالمه من حياتهم، فأرسل الله نبيَّه نوحًا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى نبذ دعوة الأصنام وعبادة

أصحابها، وإلى معرفة الله وحده دون شريكٍ على نحو ما هو مذكورٌ في سورة نوحٍ وغيرها من السُّور.

وفي «صحيح البخاريِّ» أنَّ ابن عبَّاس ﷺ قال: إنَّ ودًّا ويغوث ويعوق ونسرًا كانوا رجالًا صالحين في قوم نوحٍ، فلمَّا ماتوا أوحى الشَّيطان إليهم أن انصبُّوا على مجالسهم حتَّى لا تنسوهم، فلمَّا تقادم الزَّمن وتنسَّخ العلم عبدوهم من دون الله(١).

وهكذا كلَّما جاء نبيٌّ أو رسولٌ دعا قومه إلى معرفة الله آمنَ به فريقٌ منهم وكفر به كثيرون، وعندما يموت النَّبيُّ أو الرَّسول فإنَّ دعوته إلى الله تموت في القلوب شيئًا فشيئًا بمرور الزَّمن وبفعل البدع والتَّقاليد الَّتي يألفها القوم وتطغى على دعوة التَّوحيد، فيرسل الله نبيًّا أو رسولًا يدعو قومه إلى الله.

ويقول المؤرِّخون: إنَّ بلاد العرب كانت خاليةً من الأوثان والأصنام، وإنَّ أوَّل من أدخل فيها الأصنام هو عمرو بن لحيٍّ الخزاعيُّ الَّذي عاش قبل الإسلام بنحو (٣٠٠) سنةٍ تقريبًا(٢).

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٩٢٠).

(٢) انظر: السِّيرة النَّبويَّة والتَّاريخ الإسلاميُّ، لعبد الشَّافي محمَّد عبد اللَّطيف (١/ ٥٩).

أسئلةٌ عن تاريخ العرب

السُّؤال:

قرأ في بعض الكتب أنَّ المكتشفات والمخطَّطات الَّتي عثر عليها علماء الآثار وجدوا بها أنَّ السُّومريِّين نزحوا من شرق العراق وسكنوا المنطقة المسمَّاة: أور، من لواء النَّاصرية حاليًّا، وكوَّنوا هناك دولةً، ثمَّ جاء الآكديُّون النَّازحون من جنوب غرب العراق واستولوا عليهم وكوَّنوا الدَّولة الآكاديَّة، وفي زمنها ظهر إبراهيم عليه السلام فيهم.

ويسأل: هل الآكديُّون عربٌ أم لا؟ ومتى ظهرت كلمتا عربٍ ومستعربةٍ؟ وما دين إبراهيم؟ وهل تكلَّم إبراهيم العربيَّة؟

الجواب:

لا شكَّ في أنَّ إبراهيم الخليل ظهر في العراق، والرَّاجح عند المؤرِّخين المسلمين أنَّه ظهر في بابل قرب الحلَّة حاليًّا، وبابل وأور على نهر الفرات، ولعلَّ الدَّولة الّتي ظهر فيها إبراهيم عليه السلام كانت تحكم ما بين بابل وأور، ولم يكن إبراهيم عربيًّا، وكان العرب يومئذٍ يسكنون جنوب الجزيرة العربيَّة وباديتها، ومنهم عرب اليمن وعرب الحجاز، ومن عرب الحجاز قبيلة جرهم، وبعد أن سلم إبراهيم الخليل من النَّار هاجر إلى مصر ومنها إلى فلسطين، ورزقه الله بإسماعيل عليه السلام، وهاجر بإسماعيل وأمِّه هاجر إلى وادي مكَّة، ونشأ إسماعيل في حجر أمِّه ومع العرب من قبيلة جرهم، وتكلَّم العربيَّة، ثمَّ تزوَّج منهم وأنجب، وسمِّيت ذرِّيَّته بالمستعربة؛ لأنَّ إسماعيل ليس بعربيٍّ، لكنَّه نشأ في العرب، وأنجب

أولاده من أمٍّ عربيَّةٍ.

وبعد أيَّام إسماعيل ظهرت كلمة مستعربة صفةً لأبنائه، أمَّا كلمة عرب فإنَّها قديمةٌ، وقد باد من العرب قبائلُ كثيرةٌ؛ منهم عادٌ وثمود وجرهم، وظهرت أسماءٌ لقبائل كثيرةٍ.

وقسَّم المؤرِّخون العرب ثلاثة أقسامٍ:

العرب البائدة: الَّذين انقرضت قبائلهم أو بادت أسماؤها.

العرب العاربة: الَّذين نزحوا من اليمن؛ بسبب سيل العرم، وانتشروا في بقاع الجزيرة العربيَّة.

العرب المستعربة أو العدنانيَّة: هم ذرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام، ومنهم قبيلة قريش الَّتي ولد منها رسول الله ﷺ، وهم أكثر العرب عددًا، وقد دخل فيهم كثير من غيرهم وزاوجوهم وخالطوهم(١).

أمَّا دين إبراهيم عليه السلام فهو دين الحنيفيَّة، والحنيفيَّة كلمةٌ معناها الصَّافية؛ أي: توحيد الله توحيدًا لا يشوبه أيُّ شركٍ أو شكٍّ، وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما حكاه القرآن فيه: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعَام: ١٦١-١٦٣].

وحكى القرآن أيضًا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٧].

وأمَّا السُّؤال عن أصل إبراهيم فلا أعلم عنه إلَّا ما جاء في القرآن في

(١) سبق تخريجه.

الآيـة الـكـريـمـة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤].

وأمَّا عن أصل سكَّان العراق قبل الآكديِّين والسُّومريِّين فأرجو توجيه هذا السُّؤال إلى عالمٍ في التَّاريخ؛ لأنِّي لا أعرف من التَّاريخ إلَّا الإسلاميَّ.

لماذا قتل قابيل هابيل؟

السُّؤال:

قرأ في كتاب «الأضداد» قصَّة ابني آدم، وفهم منها أنَّ آدم زوَّج أولاده من أخواتهم، وأنَّ سبب قتل قابيل لهابيل هو الخلاف على أختٍ لهما حسناءَ، فكيف يتزوَّج الأخ أخته؟

الجواب:

وجد آدم عليه السلام في الأرض ولم يكن فيها بشرٌ غيره، وأراد الله أن يعمر هذا الكون وأن تنتشر ذرِّيَّة آدم، ولكن كيف تنتشر الذُّرِّيَّة بلا زواجٍ؟! فخلق الله حوَّاء من نفسه وكانت زوجته، ثمَّ أمر الله أن تلد حوَّاء من آدم توائم؛ في كلِّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى، وتقصُّ علينا التَّوراة أنَّ كلَّ ذكرٍ توأم يتزوَّج أنثى توأم غيره، فأمر آدم قابيل أن يتزوَّج توأم هابيل، وأمر هابيل أن يتزوَّج توأم قابيل، ورفض قابيل ذلك، وأصرَّ على أن يتزوَّج توأمه هو، هذه هي القصَّة روتها لنا التَّوراة فقط، وليس هناك تاريخٌ ولا مؤرِّخ غير التَّوراة الَّتي انفردت بذكر هذه القصَّة.

أمَّا القرآن فلم يأت بها، إنَّما ذكر لنا في الآيات الكريمة الآتية قصَّة القتل، يقول الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المَائدة: ٢٧-٣٠].

ومن هذه الآيات نفهم أنَّ الله تقبَّل القربان من أحدهما، ولم يتقبَّل من الآخر، وأنَّ سبب القتل كان الحسد فقط. وهي أوَّل جريمة قتلٍ وقعت في الأرض وكان سببها الحسد[1].

أمَّا إباحة زواج الأخ بأخته فالله أباح هذا بين أولاد آدم عليه السلام لبقاء النَّسل وانتشاره.

كتاب سليمان إلى ملك سبأٍ

السُّؤال:

قرأت في تفسير سورة النَّمل أنَّ سليمان عليه السلام كتب إلى بلقيس كتابه هذا: (من عبد الله سليمان ابن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم والسَّلام على من اتَّبع الهدى، أمَّا بعد: فلا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين)، فهل هذا صحيحٌ؟

(١) انظر: زهرة التَّفاسير، لأبي زهرة (٤/ ٢١٣٥).

الجواب:

نحن لا نعرف من رسالة سليمان إلى ملكة سبأ إلَّا ما حكاه لنا القرآن، فالقرآن قال لنا في قصَّة سليمان قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النَّمل: ٢٠-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النَّمل: ٢٨-٣١].

معنى هذا أنَّ موضوع الكتاب كان: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم لا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين.

وهذا الكتاب موقَّعٌ بتوقيع سليمان، سواء أكان هذا التَّوقيع من فوق كما هي عادة الملوك الَّذين يوقِّعون بأعلى الصَّحيفة وسليمان عليه السلام كان نبيًّا ملكًا، أم كان موقِّعًا بختمٍ تختم به الرَّسائل في آخرها، فإنَّ علمَ ذلك عند الله، ولم يُعثر على هذا الكتاب ولا تحدَّث به أحدٌ من المؤرِّخين، وكلُّ ما قيل في الكلام عليه هو خوضٌ، وليس كلام المفسِّرين نصًّا يجب التَّصديق به، إنَّما التَّصديق يجب أن يكون فيما حكاه القرآن أو ثبت نقله عن المصطفى ﷺ الَّذي لا ينطق عن الهوى.

المهمُّ في الأمر هو ما حكاه لنا كتاب الله: أنَّ سليمان عليه السلام تفقَّد الطَّير ولم ير الهدهد، وبعد لحظةٍ جاء، فقال له الهدهد: علمي ليس كعلمك، وقد رأيت في سبأٍ أمَّةً تملكهم امرأةٌ، يعبدون الشَّمس من دون

الله، فقال له سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النَّمل: ٢٧]، وقال: هذا كتابي احمله إليهم. وحمل الهدهد الكتاب وألقاه إلى الملكة، ففتحته وجمعت مجلس الشُّورى في مملكتها، وقالت تستشيرهم: ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النَّمل: ٣٢]، هذا كتابٌ جاءني من سليمان مكتوبٌ فيه: ﴿...بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النَّمل: ٣٠-٣١]، إلى آخر القصَّة الَّتي جاءت في سورة النَّمل، وكانت نهايتها إيمان ملكة سبأ بنبوَّة سليمان عليه السلام وانصياعها لأمره وانضمامها تحت لوائه؛ حفظًا لسلطتها، وحقنًا لدماء شعبها وقومها، فقالت كما قصَّ القرآن: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النَّمل: ٤٤].

قصَّة أصحاب الفيل

السُّؤال:

ما قصَّة أصحاب الفيل؟ وما مقالة عبد المطَّلب جدِّ النَّبيِّ ﷺ لأبرهة؟

الجواب:

قصَّة أصحاب الفيل مذكورةٌ في كتاب الله لا يستطيع أحدٌ إنكارها، وقد وضَّحها المؤرِّخون، وهي تتلخَّص في أنَّ أبرهة سيِّد الحبشة باليمن قاد جندًا ليهدم الكعبة ومعه فيله يخيف بها خيول العرب، فلمَّا قارب البيت هابته قريشٌ، فأخبر صاحب كلمة قريش يومئذٍ وكان عبد المطَّلب بن هاشم أنَّه لم يأت لقتالهم وإنَّما جاء ليهدم الكعبة، وقال لهم: إذا خلَّيتم

بيني وبين الكعبة فليس لي حاجةٌ بقتالكم. وكان جنده قد أخذوا إبلًا لعبد المطَّلب، فجاء عبد المطَّلب ليستردَّ الإبل وكان جميلًا حسن الهيئة يحترمه مَن يراه، فقال له أبرهة ما تريد منِّي؟ قال: إنَّ لي إبلًا أخذها قومك وأريد أن تردَّها، فقال أبرهة: كنت أظنُّك أنَّك جئت تطلب إليَّ أن أترك بيت إلهكم، فقال عبد المطَّلب: إنَّ للبيت ربًّا يحميه وأنا ربُّ الإبل[1]، وبعد أن استردَّ إبله نزل إلى البيت وتعلَّق بأستار الكعبة ودعا الله ﷻ قائلًا:

لَا هَـمَّ إِنَّ الْـمَـرْءَ يَـمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحَالَكْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْـ ... ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ
جَرُّوا جَمِيعَ بِلَادِهِمْ ... وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالَكْ
عَمِدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ ... جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكْ[2]

ثمَّ خرجت قريش من مكَّة فزحفت إليها جيوش أبرهة فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجِّيل، فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ، كما جاء ذلك في سورة الفيل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ٣-٥].

ولعلَّ سائلًا يسأل عن هذا الطَّير الأبابيل وما جنسه وصفته. ونقول: إنَّ الأبابيل هي الجماعات والأسراب الَّتي يتبع بعضها بعضًا؛ أي: إنَّ هذه الأسراب من الطَّير كانت ترمي القوم بحجارةٍ من سجِّيلٍ، والتَّاريخ

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (٢/ ١٦٣).
(٢) انظر: قصَّة الأدب في الحجاز، لعبد الله عبد الجبَّار الخفاجيِّ (١/ ٥٠٠).

لم يحدِّثنا عن صفة هذا الطَّير ولا شكله، والأوصاف الَّتي يصفه بها المفسِّرون ينبغي عدم الاطمئنان إليها والوقوف عندها، فالله وحده هو الَّذي يعلم ذلك، فله ﷻ في كلِّ شيءٍ آيةٌ تدلُّ على أنَّه قادرٌ مقتدرٌ يقهر بقدرته الطَّاغين ويقضي على المعتدين الظَّالمين، وقد أخذ كلَّ قومٍ طغوا وبغوا بخارقةٍ من الخوارق فقضت عليهم.

وليس غريبًا أنَّ الله يرسل على مَن اعتدى على حرمة بيته طيرًا من الطُّيور المهاجرة ترميهم بأمراضٍ وبائيَّةٍ نقلتها من بلاد نائيةٍ أصابت بها هؤلاء المعتدين فأهلكتهم.

أمَّا الحجارة الَّتي رمتها الطَّير على المعتدين فإنَّ وصفها من علم الله أيضًا، ومحاولة البحث عنها والاجتهاد في معرفتها رجمٌ بالغيب وتيهٌ في المجهول.

وقد تحدَّثت بعض كتب التَّاريخ عن هذه الأحجار فوصفتها بأوصافٍ مختلفةٍ منها أنَّها كانت مرض جدريٍّ وحصبةٍ، لكن ثبت أنَّ هذين المرضين لم تعرفهما جزيرة العرب إلَّا بعد حادث الفيل[1].

قصَّة ذي القرنين

السُّؤال:

ما قصَّة ذي القرنين الَّذي جاء ذكره في سورة الكهف من

(١) انظر: البداية والنِّهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ البصريِّ (٢/ ٢١٧).

كتاب الله العزيز: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣]، فمَن ذو القرنين؟ وأين مكان السَّدِّ؟ وهل هو باقٍ حتَّى الآن؟ وهل هو - كما يُقال - في الصِّين؟ وأين يأجوج ومأجوج؟ وهل هما من البشر أو من غير البشر؟ وما معنى القِطْر في قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]؟

الجواب:

سئل الرَّسول ﷺ عن ذي القرنين فلم يكن عنده جوابٌ؛ لأنَّه لا يعلم إلَّا ما علَّمه الله، فقد كان أمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب كما يقول الله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وإنَّ القصَّة حدثت قبل بعثته، فلا بدَّ من وحي يأتي بالجواب، وجاء الجواب من عند الله جلَّ جلاله بأنَّ ذا القرنين ملكٌ كان ذا سلطانٍ وطيد الدَّعائم، يسَّر الله له أسباب الحكم والفتح وأسباب البناء والعمران وأسباب السُّلطان والمتاع.

واختلف المفسِّرون في معرفة ذي القرنين؛ فقال بعضهم: إنَّه الإسكندر المقدونيُّ اليونانيُّ الَّذي وسَّع دائرة ملكه شرقًا وغربًا، فملك الهند والصِّين وإيران والأفغان والشَّام والعراق ومصر وسائر شمال أفريقيَّة، ولا نعرف عن دينه شيئًا، ولعلَّه كان مؤمنًا بوحدانيَّة الله، والمعروف أنَّ المقدونيَّ كان مع سعة ملكه وقوَّة سلطانه ذا عقلٍ كبيرٍ وحكمةٍ.

وقال آخرون: إنَّ اسمه أبو بكر بن أفريقش، وهو الَّذي اكتشف إفريقيَّة، وسُمِّيت باسمه.

وقال آخرون: إنَّه من أهل اليمن؛ لأنَّ ملوك اليمن كانوا يعرفون

بالأذواء، ومنهم: (ذو يزن، وذو ريدان، وذو نفر، وذو ظليم، وذو كلاع، وذو رعين).

لكنَّنا لا نملك وسائل تحقِّق هذه الأقوال مصدرًا صحيحًا يُعوَّل على أخباره؛ إذ إنَّ هذه القصَّة كقصَّة قوم نوحٍ وقوم هودٍ وقوم صالحٍ، فهي قصصٌ حدثت قبل التَّاريخ، والتَّاريخ بالنِّسبة إلى عمر الإنسان حديث عهدٍ، والحفريَّات تكشف لنا كثيرًا من الحوادث لم يذكرها لنا التَّاريخ وكانت قبله بآلاف السِّنين أو عشرات الألوف.

أمَّا الأساطير الإسرائيليَّة فكثيرةٌ جدًّا، وخيرٌ لنا تركها.

ومن خصائص هذا الملك:

١. أنَّ الله أعطاه ملكًا واسعًا وعقلًا مدركًا يعرف به كيف يحكم ويغلب.

ب. أنَّ الله آتاه سببًا زحف به متوجِّهًا إلى المغرب حتَّى بلغ مكانًا لا يحجب عنه مغرب الشَّمس، ولعلَّه وصل إلى حدِّ البحر المحيط من جهة مغرب إفريقيَّة الَّذي سمَّاه الأقدمون: بحر الظُّلمات.

وآتاه سببًا ثانيًا بلغ به مكانًا لا يحجب عنه مطلع الشَّمس إلى حدِّ الأرض المعمورة من المشرق فوجدها تطلع على قومٍ.

وآتاه سببًا ثالثًا بلغ به بين السَّدَّين، فرأى هناك قومًا عُرفوا باسم يأجوج ومأجوج، كانوا همجًا حُرموا من المدنيَّة والعقل، ولا يكادون يفقهون قولًا.

ج. استطاع بعقله وإدراكه أن يقيم سدًّا بناه من زُبَر الحديد وأفرغ عليه مذاب القطر، والقطر: هو النُّحاس الذَّائب المصهور، فأصبح سدًّا منيعًا

تعجز دونه همم المغيرين، واختلف المفسِّرون في موطن هذا السَّدِّ وأين هو، ولعلَّ التَّاريخ أو الأبحاث العلميَّة المقبلة تكشف لنا ما خفي علينا من أمره.

د. كان ملكًا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأنَّه قال بعد أن بنى السَّدَّ: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

هـ. كان ملكًا عادلًا رحيمًا يكره الفتك ولا تُغريهِ الغلبة؛ لأنَّه قال كما جاء في سورة الكهف: ﴿...أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُ جَزَاءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨].

و. كان يكره الاستغلال وجباية المال؛ لأنَّه قال كما يقصُّ القرآن: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]، لم يطلب من النَّاس مالًا، وإنَّما طلب معونة الرِّجال.

هذا هو ما نعلمه عن ذي القرنين، لا نعلم من أيِّ قومٍ هو ولا اسمه ولا بلده ولا زمن ملكه.

ولقد ذكر القرآن من رحلات ذي القرنين - كما قلنا - ثلاث رحلاتٍ؛ رحلة إلى جهة المغرب، ورحلة إلى جهة المشرق، ورحلة ثالثة إلى بلادٍ جبليَّةٍ وجد من دونها قومًا لا يكادون يفقهون قولًا، كانوا يغيرون على هذه البلاد فيجتازون مضيقًا بين جبلين، فطلب أهل البلاد من ذي القرنين أن يحميهم من هؤلاء المتوحِّشين الَّذين هم يأجوج ومأجوج، فأمر ذو القرنين بجمع الحديد زبرًا، والزُّبر جمع زبرةٍ، وهي القطعة العظيمة، وأخذ يصفُّها بين الصَّدفين، والصَّدف هو جانب الجبل، ولا يكون الصَّدف إلَّا إذا كان في مقابلة صدفٍ آخر، فكأنَّه قابل صدفةً، ثمَّ

أشعل النَّار على الحديد، حتَّى إذا احمرَّ جعله نارًا أفرغَ عليه فذابَ النُّحاس وهو القطر، أمَّا معنى القطر فإنَّ القطر مذاب النُّحاس.

وبعد أن فرغ من بناء السَّدِّ قال لهم: هذا رحمةٌ من ربِّي، يعني: أنَّ هذا العمل رحمةٌ من رحمات الله وفَّقني لبنائه فبنيته لا بحولي ولا بقوَّتي، إنَّما بتوفيقٍ من الله وعونٍ منه، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨]؛ أي: لا يقدر أحدٌ على إزالة هذا البناء إلَّا عند قيام السَّاعة عندما تدكُّ الجبال دكًّا فلا ترى في الأرض عوجًا ولا أَمْتًا[1].

أمَّا مكان السَّدِّ فقيل: إنَّه في الصِّين، وقيل: إنَّه في آسيا الصُّغرى.

وقد قرأت كتابًا عنوانه: «شخصيَّة ذي القرنين»، للأستاذ (أبو الكلام آزاد)، وزير معارف الهند السَّابق، طُبع في بغداد، أطال فيه مؤلِّفه الكلام على شخصيَّة ذي القرنين، وقال: إنَّ شخصيَّة ذي القرنين والأوصاف الَّتي وصفها به القرآن تنطبق على أحد ملوك فارس المسمَّى كورش الَّذي كان يملك في القرن السَّادس قبل الميلاد، وقال في السَّدِّ: إنَّه في بلاد القوقاز، وإنَّ الَّذي بناه كورش، وإنَّ هذا السَّدَّ لم يزل قائمًا لا يصعد عليه أحدٌ ولا ينقِّب فيه، وإنَّه مسلَّح بالحديد والنُّحاس.

هكذا قال، ولعلَّه أطنب أو وسَّع القول في أوصاف كورش المتوفَّى سنة (٥٢٥) قبل الميلاد، وقارن أوصافه بالأوصاف المذكورة في كتاب الله تعالى، وعلى كلِّ حالٍ فالرَّجل بحَّاثةٌ، وأبدى فيما كتب وجهة نظرٍ حار منها الأوائل قبل الأواخر.

---

(١) الأَمْتُ: الانخفاض والارتفاع، وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٧]؛ أي: لا انخفاضَ فيها ولا ارتفاع. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٤/ ٤٢٥).

أمَّا سؤال السَّائل عن يأجوج ومأجوج، وهل هم من البشر؟

فلا شكَّ أنَّهم من البشر؛ لأنَّ كلمة القوم لا تطلق إلَّا على البشر، وقد أنذرنا القرآن بخروجهم بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبيَاء: ٩٦].

فالرَّسول ﷺ جعل خروجهم من علامات السَّاعة، وقال بعض المُفسِّرين: إنَّ لهم عدَّة هجمات، وإنَّ من هجماتهم تلك الَّتي كانت بزعامة ملكهم جنكيز الَّتي قضت على الخلافة العباسيَّة وخربت بغداد ولكن هؤلاء المغيرين لم يأتوا من بلاد القوقاز وإنَّما جاؤوا من بلاد المغول وعلى كلٍّ حال فإجابتي هذه إجابة ظنِّيَّة، والله أعلم بالحقيقة.

وجود العرب والمسيح

السُّؤال:

هل كان على الأرض عرب قبل سيِّدنا المسيح عليه السلام؟

الجواب:

العربُ أُمَّةٌ قديمةٌ كانت قبل سيِّدنا إبراهيم جدِّ المسيح الأعلى عليهما السَّلام بدليل أنَّ إبراهيم ﷺ عندما أسكن من ذرِّيَّته إسماعيلَ وأمَّه هاجر في مكان البيت عند زمزم -المكان المعروف اليوم بحرم مكَّة- جاءتهم جماعة من العرب من قبيلة جرهم وساكنوهم.

وعندما كبر سيِّدنا إسماعيل عليه السلام تزوَّج منهم وأنجب ذرِّيَّته وهم الَّذين

سمُّوا العرب المستعربة.

«وبين إبراهيم وموسى سبعمئة سنة، وبين موسى وعيسى خمسمئة سنة، وبين عيسى ومحمَّد ﷺ ستُّمئة سنة»[1]، من هنا نعلم أنَّ العرب وجدوا قبل سيِّدنا إبراهيم عليه السلام لكن تاريخ وجودهم على الأرض لا يعلمه إلَّا الله.

اليهود وقيام دولتهم

السُّؤال:

سمعت من أحد الخطباء أنَّ اليهود لن تقوم لهم قائمة ولكن الواقع أثبت عكس قول الخطيب إذ قامت لهم دولة بمساعدة الدُّول الكبرى والخيانات من العملاء فأرجو تفصيل ذلك، وتفسير قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١١٢].

الجواب:

لو قرأ السَّائل الآيات من أوَّلها لوضح له المعنى، وظهر له الصَّواب، فقد بدأت الآيات في سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٠].

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٤١٧٢).

ثمَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، ويأمرنا الله بالاعتصام بحبله والتَّجمُّع ويذكرنا بالنِّعمة الَّتي ألَّف بها بين قلوبنا فأنقذنا بها من الضَّلال وهي نعمة الإسلام.

ثمَّ يأمرنا بالدَّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وينهانا عن التَّفرقة والاختلاف فإذا ائتمرنا بهذه الأوامر كنَّا خير أمَّة أخرجت للنَّاس كما يقول تعالى في السُّورة نفسها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

وإيمان المسلم إيمان بريء من كلِّ شائبة، خالص من كلِّ نزعة من نزعات الشَّكِّ إنَّه إيمان مُصفَّى إنَّه إيمان لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

لا فلسفة فيه ولا تعقيد لا كهنة ولا أحبار ولا رهبان إيمان يصل العبد بربِّه بلا وساطة ولا شفيع فالله مع الإنسان في كلِّ أمر من أمور حياته الله مع الرَّاعي بين غنمه، ومع الزَّارع في أرضه، ووراء محراثه، ومع التَّاجر في سوقه، ومع الملك في ديوانه، ومع الموظَّف وراء مكتبه، ومع العالم بين كتبه، والعامل في معمله، والصَّانع في مصنعه وبين آلاته، والفيلسوف في محراب فلسفته.

إيمان بديهة، لا تكلِّف هذه البديهة تفكيرًا، ولا تشتِّت خاطرًا، ولا تزعج وجدانًا.

ولو آمن أهل الكتاب هذا الإيمان لكان خيرًا لهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البَقَرَة: ١٣٧].

ثمَّ ذكر الباري ﷻ أنَّ من أهل الكتاب مؤمنين كإيمان المسلمين، قام إيمانهم على التَّسليم، لا وساوس فيه ولا هواجس، ساروا على الصِّراط المستقيم ولم يسيروا في المتاهات الَّتي لا يهتدي إليها السَّالك.

وأكثرهم الفاسقون، خارجون على الإيمان الحقيقيِّ المصفَّى؛ لأنَّه إيمانٌ مرهقٌ معقَّدٌ محاطٌ بضبابٍ كثيفٍ من الشَّكِّ والارتياب.

وهؤلاء وأمثالهم أمام إيمانكم القويِّ ضعفاء، فالصَّفاء في إيمانكم يقضي على الكدر في إيمانهم، واليقين في إيمانكم يمحو الشَّكَّ في إيمانهم، والإخلاص الَّذي عندكم لا يقابله نفاقهم.

إنَّهم في قتالكم لهم يألمون كما تألمون، ولكنَّكم ترجون من الله ما لا يرجون، فهم بذلك ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عِمرَان: ١١١].

فأين هذه الصِّفة فينا الآن؟ إنَّنا - لا شكَّ - قد خسرناها يوم انحرفنا عن صراط الله المستقيم الَّذي أمرنا أن نهتدي إليه، وإنَّ آيات الله لتكشف المستور من أمر اليهود وتفضح المتوقَّع من خزيهم في خطِّ حياتهم مع المسلمين خاصَّةً ومع البشريَّة عامَّةً.

إنَّ داء الحسد يغلي في صدورهم لا يسكن أبدًا، إنَّهم يكيدون دائمًا للإسلام والمسلمين والبشريَّة، فلهذا لفت القرآن نظر المسلمين إلى أن يأخذوا حذرهم من اليهود الَّذين يسعون دائمًا في تدبير الكيد لهم وتوجيه الضُّرِّ إليهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، فإذا تمسَّك المسلمون بإيمانهم وأخذوا حذرهم كما أمرهم ربُّهم وكانوا مع الله في أحوالهم جميعها، لن يضرُّوهم إلَّا أذًى، وسيظلُّ كيانهم سليمًا معافًى من كلِّ كيدٍ، ولن يخزيهم الله أبدًا ما داموا متمسِّكين بإيمانهم، ولن يخلفهم الله وعده الَّذي وعد.

بعد هذا يؤكِّد الله الوعد والوعيد؛ الوعد للمسلمين، والوعيد لليهود، فيقول تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢] إلى آخر الآية.

حكمٌ قاطعٌ بمصاحبة الذِّلَّة لليهود أينما وجدوا في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، ذلَّة لازمتهم أبد الدَّهر، في أنفسهم وفي أيدي المسلَّطين عليهم ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢]؛ إلَّا بعقدٍ وعهدٍ يدخلون فيه مع المسلمين أو مع غيرهم في ذمَّة الله، وحبلٍ من النَّاس، وهي العهود الَّتي تعطى لهم من دولٍ أخرى يعاونونهم بها كما جاء في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [الإسرَاء: ٦].

وهكذا عاش اليهود وقامت في هذا العصر قائمتهم، وكانت لهم دولةٌ لها سلطةٌ، تعاهد وتعاقد من تشاء، ولكنَّها - مع الأسف - دولةٌ ضعيفةٌ تساندها دول البغي والسُّلطان، وهي ليست قائمةً إلَّا بهذه المساندة، فإذا عاد المسلمون إلى ربِّهم وآمنوا برسالة محمَّدٍ ﷺ وعملوا بما جاء به وانتهوا عمَّا نهي عنه، وصَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، فتلك علامة انتهاء هذه الدَّولة اليهوديَّة الملعونة الفاسدة المفسدة.

وليعلم الأخ السَّائل أنَّنا على موعدٍ مع نصر الله، ولن يخلف الله وعده، إنَّ الله ﷻ قال لنا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحَجّ: ٤٠]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٧]، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الرُّوم: ٤-٥].

نعم، نحن على موعدٍ مع الله يوم نتمسَّك بديننا القويِّ، ويومها يتجلَّى وجه الإسلام مشرقًا تعمر به القلوب، وتطلع شمسه صافيةً لا يحجبها حجابٌ ولا ضبابٌ ولا سحابٌ، مشرقة بنورها الآفاق، وسيجعل الله لنا من الضِّيق فرجًا، ومن البلاء عافيةً، ومن الشَّرِّ خيرًا ونعمةً، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّف: ٨]، وقال: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصَّف: ١٣].

ما حدث يوم السَّقيفة

السُّؤال:

ما السَّقيفة، وماذا حدث يوم السَّقيفة؟

الجواب:

السَّقيفة سقفٌ يعقد على طريقٍ عامٍّ، كنَّا نسمِّيه فيما مضى في الكويت مسقفًا.

أمَّا السَّقيفة المشهورة بيوم السَّقيفة فقد كانت في المدينة في محلَّة بني ساعدة من الأنصار ومن الأوس، واشتُهرت السَّقيفة بحادثها المعروف، ذلك أنَّ كبار الأنصار من الأوس والخزرج اجتمعوا في تلك السَّقيفة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ يريدون انتخاب خليفةٍ له على المسلمين، وكان اختيارهم متوجِّهًا إلى سعد بن عبادة زعيم بني ساعدة، وبلغ هذا الاجتماع كبار

المهاجرين، فمضوا إلى السَّقيفة وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان أبو بكر رجلًا وقورًا وفيه أناةٌ، فتكلَّم وذكر تاريخ المهاجرين وما لهم من فضل السَّبق وتحمُّل المصاعب والمصائب في سبيل دينهم، ثمَّ ذكر الأنصار وفضلهم على الإسلام ونصرتهم له وأثنى عليهم، ولم يترك شيئًا من مآثرهم إلَّا ذكره، ثمَّ قال: والأئمَّة من قريش، وهذا ما أُثِر عن رسول الله ﷺ، ثمَّ قال: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء»[1].

وأخيرًا وبعد جدالٍ تمَّت بيعة أبي بكرٍ أوَّل خليفةٍ لرسول الله، وحفظ الله الإسلام من الفتنة، وجنَّب أهله الخلاف ومساوئه، وحفظ وحدة المسلمين بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٦٦٧).

الباب الثَّالث عشر

مع أسئلةٍ عن الأدعية- الأذكار

الدُّعاء في غير أوقات الصَّلاة

السُّؤال:

هل صحيحٌ أنَّ الدُّعاء لا يُقبل إلَّا عند الصَّلاة وأنَّ الله لا يستجيب من عبده في غير أوقات الصَّلاة؟

الجواب:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

لم يحدِّد الباري ﷻ موعدًا للدُّعاء ولا مكانًا ولا حالةً من الحالات يدعو فيها المرء، ولا حدَّد رسول الله ﷺ لذلك شيئًا، ولكنَّ الرَّسول ﷺ أخبرنا أنَّ أفضل الدُّعاء في السُّجود؛ لأنَّ العبد يكون في حالة السُّجود أقرب لربِّه، يخضع لله بسمعه وبصره وجبهته في ذلٍّ نفسيٍّ وانكسار قلبٍ، فقال ﷺ: «**أقرب ما يكون إليه العبد من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدُّعاء**»(١).

وليس معنى ذلك أنَّ الدُّعاء في غير الصَّلاة غير مقبولٍ عند الله، إنَّما للعبد أن يدعو الله في كلِّ وقتٍ ويناجيه في كلِّ حالةٍ وعلى أيِّ وضعٍ، والله تعالى يسمع دعاء عبده المسلم ويستجيب له برحمته وهو الخبير اللَّطيف بعباده.

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٤٨٢).

ومطلوبٌ من العبد أن يدعو الله بقلبٍ خالصٍ ونفسٍ ذليلةٍ ومشاعر ترجوه وحده وترجوه؛ خوفًا من ناره وطمعًا في جنَّته.

إحياء ليلة نصف شعبان

السُّؤال:

من الأسئلة الموسميَّة الَّتي تثار في أوقاتها لاتِّصالها بالعبادات تلقَّينا السُّؤال الآتي:

اعتاد بعض النَّاس إحياء ليلة النِّصف من شهر شعبان بدعوى أنَّ لها فضائل؛ لأنَّها اللَّيلة الَّتي قال الله فيها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخان: ٤]، المذكورة في أوَّل سورة الدُّخان، وفي هذه اللَّيلة يؤدِّي المحتفلون صلاةً خاصَّةً تعرف بصلاة النِّصف من شعبان، ويقرؤون أدعيةً خاصَّةً في هذه اللَّيلة بنيَّة طول العمر والإغناء عن النَّاس وتبديل الشَّقاء إلى سعادةٍ، ونحن الآن في شهر شعبان وعلى أبواب الاحتفال بليلة نصفه، فهل هذه اللَّيلة هي الَّتي ذكرها القرآن في سورة الدُّخان؟ وما شرعيَّة الاحتفال بهذه اللَّيلة؟

الجواب:

ليلة النِّصف من شهر شعبان من اللَّيالي المباركة عند هذه الأمَّة، ولم يرد ذكرها في القرآن، وإنَّ بعض المفسِّرين ذكروا شيئًا في تفسير الآية الكريمة من سورة الدُّخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخان: ٣-٤].

والحقيقة أنَّ القرآن نزل في ليلة القدر، وليلة القدر من شهر رمضان، والقرآن لم ينزل في ليلة النِّصف من شعبان؛ لأنَّ الباري جلَّ جلاله قال في شأن هذه اللَّيلة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، وقال أيضًا: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، والتقاء الجمعين في شهر رمضان المعظَّم.

ولم يثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ احتفل بنصف شعبان، ولم يثبت أيضًا أنَّ أحدًا من أصحابه الَّذين ساروا على نهجه واتَّبعوا سنَّته احتفل بنصف شعبان.

أمَّا الأحاديث الواردة في فضل ليلة النِّصف من شهر شعبان فكثيرةٌ نقتصر منها على حديثين:

الأوَّل: الَّذي رواه ابن ماجه عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إذا كانت ليلة النِّصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فإنَّ الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشَّمس إلى السَّماء الدُّنيا فيقول: ألا من مستغفرٍ فأغفر له؟ ألا من مسترزقٍ فأرزقه؟ ألا من مبتلًى فأعافيه؟ حتَّى يطلع الفجر**»[1].

ومعنى ينزل: أنَّ رحمات الله ونعيمه وخيره يكون فيه من النَّاس أقرب من سماء الدُّنيا، وتفتح أبواب السَّماء فيستجاب الدُّعاء وينظر الله نظرة رأفةٍ إلى عباده وهو جلَّ جلاله الغفور الرَّحيم.

وفي هذا الحديث بشارةٌ من النَّبيِّ ﷺ للمسلمين في زمنٍ يُرجى فيه البرُّ وتُدرك فيه الرَّحمات؛ ليتضرَّع المسلمون فيه إلى ربِّهم.

ولا عجب فللَّه في هذه الأمَّة أوقاتٌ مباركةٌ، وله فيها نفحاتٌ على عباده الَّذين يفعلون ما يؤمرون.

---

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (١٣٨٨).

أمَّا الحديث الثَّاني فقد رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يطلع الله ﷻ إلى خلقه ليلة النِّصف من شعبان فيغفر لعباده إلَّا اثنين: مشاحن، وقاتل نفس**»(١)، والمشاحن هو الَّذي يبثُّ الشَّحناء بين النَّاس، والشَّحناء هي العداوة الَّتي تملأ النَّفس ويضيق بها الصَّدر، وهي الفتنة والفتنة أشدُّ من القتل، أمَّا الثَّاني فهو قاتل النَّفس وهو معروفٌ.

وقد ثبت أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصلِّي في هذه اللَّيلة أكثر ممَّا يصلِّي في غيرها، وكان يقول في سجوده: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(٢)، وثبت أيضًا أنَّه كان يقول في سجوده: «**اللَّهمَّ إنَّك عفوٌّ كريمٌ تحبُّ العفو فاعف عنِّي**»(٣).

وممَّا رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**أتاني جبريل عليه السلام، فقال: هذه اللَّيلة ليلة النِّصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النَّار**»(٤).

هذا ما أحببت ذكره عن هذه اللَّيلة المباركة جوابًا عن سؤال السَّائل راجيًا من الله أن يوفِّقنا إلى طاعته ويجعلنا ممَّن تقرَّب إليه بعبادته بما شرع لنا في الدِّين.

(١) رواه أحمد، رقم: (٦٦٤٢).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٥٦٦)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.
(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٥١٣)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٤) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٣٥٥٦).

التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى

السُّؤال:

قرأ في كتابٍ أدعيةً مكتوبةً بصورة شعرٍ مخمَّس، متضمِّنةً التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى، ومكتوبًا عليها: تُقرأ في أوقات معيَّنةٍ وبعددٍ مخصوصٍ بعد الظُّهر وبعد العصر. فهل هذا صحيحٌ؟

الجواب:

قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والنَّبيُّ ﷺ ذكر لنا أسماء الله الحسنى، وهي الأسماء الَّتي جاء بها القرآن مثل: القدُّوس، السَّلام، العزيز، الجبَّار، المتكبِّر، الرَّحيم.

والدُّعاء من العبد مطلوبٌ في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ لأنَّ الله ﷻ غنيٌّ قادرٌ، بيده كلُّ شيءٍ، ونحن ضعافٌ محتاجون إليه على الدَّوام، فمنه نسأل الصِّحَّة والهداية والغنى وقضاء الحاجات؛ لأنَّ المؤمن يعلم أنْ لا مانع لما أعطاه الله ولا معطي لما منعه الله، ولا رادَّ لما قضاه الله، فهو وحده المالك لذلك كلِّه، وهو الغنيُّ ونحن الفقراء إليه.

لهذا كان على المسلم دائمًا ألَّا يسأل غير الله، ولا يدعو سواه، ولا يتوسَّل إليه إلَّا بأسمائه الحسنى وبصفاته.

أمَّا ما ذكره السَّائل من أمر المنظومة الَّتي عثر عليها وقرأها بأعدادٍ

مخصوصةٍ بعد كلِّ فريضةٍ، فذلك ما لا أعرفه، ولم أعثر على أثرٍ في السُّنَّة النَّبويَّة في هذا، وعلى المسلم أن ينهج المنهج الَّذي جاء به مَن بعثه الله ليعلِّم المسلمين أمور دينهم، وجعله أسوةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأمرنا أن نقتدي به حتَّى لا نعبده بالهوى والرَّأي.

لقد علَّمنا رسول الله أدعيةً حسنةً سهلةً لا تقييد فيها ولا تعقيد ولا تعجيز، وأمرنا صلوات الله عليه أن ندعو الله بما نحبُّ أن ندعوه به من أمور دنيانا وآخرتنا بما لا ظلم فيه ولا إثم؛ لكيلا نعتدي بالدُّعاء على أحدٍ.

وليس للدُّعاء أوقاتٌ معيَّنةٌ ولا هيئةٌ خاصَّةٌ، إنَّما للمسلم أن يدعو ربَّه في كلِّ وقتٍ وأينما كان وعلى كلِّ حالٍ.

وإذا أراد الأخ السَّائل أن يدعو الله فليدعه بما جاء عن نبيِّه ﷺ، وهو مسطورٌ في كتب السُّنَّة بإفاضةٍ، ففيها أدعيةٌ كان النَّبيُّ ﷺ يتوسَّل بها إلى خالقه في أوقات الشِّدَّة وفي غيرها من الأوقات.

الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عبدالله النوري

المتوفى سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) رحمه الله

ملحق سؤالوني الجزء الأول

اعتنى به

د. تركي محمد حامد النصر

فكرة وإشراف

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

من هدي القرآن

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

[آل عِمرَان: ١٠٤]

تقديم

الحمد لله الَّذي لا إله إلَّا هو وحده لا شريك له، يُحيي ويُميت وهو على كلِّ شيءٍ قدير، أحمده سبحانه وتعالى أن هدانا لهذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أن منَّ علينا بالهداية، وأُصلِّي وأُسلِّم على النَّبيِّ الكريم، عبد الله ورسوله الَّذي وصفه في كتابه العزيز أنَّه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨]، وهدانا إلى صراطه المستقيم، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٥٣].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه الأشدَّاء على الكُفَّار الرُّحماء بينهم الرُّكَّع السُّجَّد الَّذين فتح الله بهم القلوب، وطهَّرها بهم من العيوب، أمَّا بعد:

فأُقدِّم لك - يا أخي المسلم - هذا المُلحق للجزء الأوَّل من كتاب: «سألوني»، يتضمَّنُ أسئلةً وجِّهَت إليَّ من إخواني المواطنين وغيرهم في البلاد المجاورة من المسلمين، فلم أبخل بالإجابة عنها، وكُنتُ قدَّمت أجوبتها على شاشة التِّلفاز، أو الإذاعة، أو البريد، أو الهاتف، وقد كانت أسئلة كثيرة، منها ما كتبت للسَّائل جوابه، ومنها ما شافهته بالرَّدِّ عليه، وانتقيتُ الجوابَ المُهِمَّ فقدَّمته إليك - يا أخي المسلم - في هذا الكتاب الَّذي جعلتُهُ تابعًا للجزء الأوَّل مُلحقًا به، وأسأل الله - جلَّ شأنه - أن يُعِيننا على طبع الجزء الثَّاني الَّذي يتضمَّن الأجوبة الفقهيَّة.

وإتمامًا للفائدة فقد قرأتُ وسمعتُ اعتراضاتٍ على بعض الأجوبة الَّتي جاءت في الجزء الأوَّل، ومن هذه الاعتراضات ما كان خطِّيًّا، ومنها

ما كان شفويًّا، ومنها ما كان لطيفًا، ومنها ما كان عنيفًا، وأهمُّ هذه الاعتراضات ما وصلني من العمِّ الحاجِّ صالح المنصور أبا الخيل من عنيزة القصيم، وسمَّاها - حفظه الله - ملاحظات، وقد كتبت ردًّا عليها، ورأيت أن أُقدِّمها للأخ القارئ في آخر هذا المُلحق.

وختامًا أرجو اللهَ الكريمَ أن ينفعَ القارئ والسَّامع، وينفعني به في آخرتي، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنَّه سميعٌ مجيبٌ، وهو نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

عبد الله النُّوريُّ

مع كتاب اللّه الكريم

كتابة المصحف

السُّؤال:

- لحظت في بعض النُّسَخِ من القرآن أنَّ رقم الآية يوضع في أوَّلها، وفي نُسخٍ أخرى يوضع في آخرها، وأنَّ عدد آيات السُّور في بعض نسخ المصاحف يختلف عنها في نسخٍ أخرى، فمثلًا سورة المائدة آياتها (١٢٣) في نسخة و(١٢٠) في أخرى، فما سرُّ هذا الاختلاف؟ وعلامات الوقف والوصل تختلف في نسخ عن أخرى أيضًا، فما سبب هذا؟

الجواب:

إنَّ القرآن نزل على أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ لا تعرف الكتابة، وبَعَثَ اللهُ في هذه الأمَّةِ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجُمُعَة: ٢]، كما جاء ذلك في سورة الجمعة، وفي سورة البقرة: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩]، وهناك نفرٌ قليلٌ لا يتجاوز عددهم أصابع اليد تعلَّموا هذه الكتابة من خارج الجزيرة لكثرة أسفارهم، ثمَّ فتح الله على هذه الأُمَّة فتعلَّموا القراءة والكتابة بفضل هذا الدِّين، إلَّا أنَّ الكتابة الَّتي تعلَّموها كانت بدائيَّة، لم تُبنَ على قواعد ولا أصول، بل كان الإنسان يكتُبُ كما يحلو له أن يكتب، وقد يحذف حرفًا لا يُلفظ، أو يزيد في حرفٍ مُشدَّدٍ حرفًا مثله، وقد تعلَّموا الكتابة فكتبوا القرآن كما يحلو لهم؛ آيات لم تُفصَّل، وكلمات لم تُشَكَّل، وحروف لم تُنقَّط، حتَّى إذا جاء وقت جمع القرآن وتدوينه كتبوه بكتابتهم، بلا تشكيل، ولا تنقيط، ولا فواصل بين الآيات، وكتبوه على

الرَّقاق، وهي جلودٌ رقيقةٌ مدبوغةٌ، حتَّى جاء الحجَّاج في عهد الوليد بن عبد الملك الأمويِّ، فأمر بتشكيل القرآن، وتنقيط الحروف؛ ليعرف النَّاس العين من الغين، والخاء من الجيم، والسِّين من الشِّين إلى آخره، وشكَّلوا أواخر الكلمات؛ ليعرفوا المنصوب من المجرور، والمرفوع من المجزوم.

ثمَّ وصلت الكتابة في عهد عبد الحميد الكاتب إلى حالتها الَّتي نعرفها الآن، واتَّسعت معرفة النَّاس بقواعد لغتهم؛ ما أدَّى إلى اتِّساع بيانهم، وكلَّما اتَّسعَ العِلمُ اتَّسعت دائرةُ الجهلِ حوله حتَّى اشتغل أكثر النَّاس بالمادَّة عن طلب العلم!

فرأى علماء القرآن أن يُحدِّدوا أواخر الآيات، ويضعوا علامات يعرف بها القارئ فصل الجملة عن أختها ووصلها، فوضعوا للآيات دوائر، لكنَّهم اختلفوا في عدِّ هذه الآيات، فمثلًا قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، هل هي آيةٌ مستقلَّة أم مُتَّصلة بما بعدها؟ ووضعوا حروفًا يعرف بها القارئ الجمل؛ فوضعوا (م) علامة للوقف اللَّازم، و(ج) علامة للوقف الجائز، و(ط) علامة للوقف المطلق، وكلمة (قف) علامة للوقف المُستحبِّ، وهكذا.

وكان هؤلاء العلماء في أقطار مُختلِفةٍ؛ فمنهم الَّذين في العراق، ومنهم في الشَّام، ونقل عنهم النَّاس هذه التَّعليمات، ولم يختلفوا فيها إلَّا اختلافًا قليلًا لا يمسُّ قدسيَّة القرآن.

أمَّا الكتابة فقد أجمع المسلمون في أقطار الأرض جميعها على الاحتفاظ بأصلها؛ احترامًا لها، حتَّى قالوا: إنَّ كتابة القرآن بالحروف الَّتي كُتِبَت به في عهد الصَّحابة أمرٌ واجبٌ لا يجوز تغييره؛ حتَّى لا يتسلَّل

الخطأ إلى القرآن، وحتَّى لا يتقوَّل أعداء القرآن بتحريفه، فمثلًا: كلمة (يُنَشَّأُ) تُكتَب هكذا حسب قواعد الإملاء، أمَّا في القرآن فإنَّها تُكتَب ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ [الزّخرُف: ١٨]، ومثلًا: كلمة (يَعْبَأُ) تُكتَب هكذا حسب القواعد، أمَّا في القرآن فإنَّها تُكتَب ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾ [الفُرقان: ٧٧]، وكلمة (صلاتك) تُكتَب في القرآن ﴿صَلَوٰتَكَ﴾ [التّوبَة: ١٠٣].

ترتيب السُّور والآيات في كتاب الله

السُّؤال:

عَلِمتُ أنَّ القرآن الكريم كُتِبَ في أيَّام عثمان، وجُمِعَ من حفظته، ولكنِّي أودُّ إيضاح الآتي:

- ما الأساس الَّذي وُضِعَت عليه السُّور والآيات ورُتِّبت؟

- بعض القصص أُعِيدَ ذِكرُها أكثر من مرَّةٍ في سورٍ مختلفةٍ، مثل قصص أنبياء الله إبراهيم وموسى وصالح وغيرهم، فما السَّبب في هذه الإعادة؟

- بعض الآيات مكرَّرة في النَّص مثل آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، فقد ذُكِرَت مرَّتين في سورة النِّساء، فما الحكمة من ذلك؟

الجواب:

لم يُجمَعِ القرآن في أيَّام عثمان، إنَّما جُمِعَ في أيَّام أبي بكر في السَّنة

الأولى من وفاة الرَّسول ﷺ، ورُتِّبَت السُّور اجتهادًا من أئمَّة الصَّحابة.

أمَّا الآيات فوضعها الرَّسول ﷺ في مواضعها، بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى لجبريل، فقد روي عن الرَّسول قوله: «**أتاني جبريلُ فأمرني أن أَضَعَ هذه الآية بهذا الموضع من هذه السُّورة**»[1]، فكان الرَّسول يأمرُ كَتَبَةَ الوحي أن يضعوها في المكان المأمور به.

أمَّا إعادة القصص وتكرارها فيأتي على مراحل قد تتكرَّر في موضع دون آخر، فمثلًا: حياة موسى وقصَّته ذُكِرَت مرَّتين في سورة طه والقصص، وقد ذُكِرَ في القصص ما لم يُذكَر في طه، ففي طه ذُكِرَت قِصَّةُ السَّامريِّ والعجل ولم تُذكَر في القصص، وقِصَّة ماء مدين وما بعدها ذُكرت في القصص ولم تُذكر في طه، وظروف حياته مع بني إسرائيل جاءت في سورة طه أكثر ممَّا ذُكرت في غيرها من السُّور، وإذا جاءت القِصَّة فإنَّما تأتي مضربَ مثلٍ يضربها الله للقارئ في سياق النَّصيحة والتَّحذير، وكلُّها تدور في محيط الدَّعوة إلى الله تعالى، وتحرير العقيدة من العبوديَّة لغيره سبحانه، ولو كانت شخصيَّةُ النَّبيِّ - أيِّ نبيٍّ - هي مناط القِصَّة في القرآن لجاءت في موضعٍ واحدٍ قصَّةً كاملةً دون أن تتجزَّأ، ولكنَّ الأحداثَ جاءت مُفصَّلة؛ فكانت أمثالًا ذُكِرَت بآياتٍ فيها تحذيرٌ وإنذارٌ وتهديدٌ ووعيدٌ، وكلُّها أخبار وأنباء تتحدَّث عن أُممٍ لفَّها الزَّمن في ماضيه البعيد ودفنها في طيَّاته، ولم يزل الإنسان في الوقت الحاضر يرى مشاهدَ لِمَا حدث في الماضي تُمَثَّلُ على مسرح الحياة، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾ [هُود: ٤٩].

(١) رواه أحمد، رقم: (١٧٩١٨).

أمَّا تكرار الآية في مواضع عدَّة من السُّورة نفسها أو غيرها فهو تأكيدٌ، فالآية الَّتي ذكرها السَّائل في سورة النِّساء ذُكِرَت مرَّتين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] خُتِمَتِ الأولى (٤٨) بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، أمَّا الثَّانية (١١٦) فختمت بقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّسَاء: ١١٦]، والكذب غير الضَّلال، لكنَّ الجريمة واحدة، والعقاب واحد، فلا غفران ولا توبة، وهنا مثلٌ أقرب ممَّا ضربه السَّائل في تكرار بعض الآيات، وهو في سورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافِرون: ١]، هناك آية واحدة قد تكرَّرت مرَّتين في هذه السُّورة القصيرة، هي آية: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [الكافِرون: ٣]، وكان تكرارها للتَّأكيد، أرجو أن أكون قد أوضحت الإجابة مع الاختصار.

متى جُمِعَ القرآن؟

السُّؤال:

سمعت منكم مرَّةً أنَّ جمع القرآن كان في خلافة أبي بكر، ولكنِّي سمعت من خطيب جمعة أنَّ عثمان رضي الله عنه هو الَّذي جمع القرآن، وقد وُصِفَ بأنَّه جامع القرآن، فأيُّ الرِّوايتين أصحُّ؟

وهل كان في الصَّحابة من يستوعب حفظ القرآن كلِّه؟

الجواب:

في حروب الرِّدَّة الَّتي حصلت أيَّام أبي بكر قُتِلَ كثيرٌ من الصَّحابة، لا

سيَّما في حرب أهل اليمامة، فقد قُتِلَ نحو سبعين من القُرَّاء، فاقترح عمر على أبي بكر رضي الله عنهما أن يجمع القرآن؛ خوفًا من ذهاب القُرَّاء، ثمَّ يكون بعد ذلك ما لا يُحمد عقباه.

وقد كان الجمع الغفير يُقيمون في المسجد، يحفظون القرآن، ويستمعون لقراءة النَّبيِّ ﷺ أو يكتبونها، وكان عليه السلام يدارس أصحابه القرآن سورة سورة، ويقول عليه السلام: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»، رواه مسلم[1]، ونفهم من هذا أنَّ كثيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يحفظون كتاب الله، وقد رغَّبهم عليه السلام في مدارسته مع غيرهم ليحفظوه.

أمَّا جمع القرآن فقد كان بأمر أبي بكر وإشارة عمر رضي الله عنهما، جمعوه في مصحفٍ واحدٍ من صدور الرِّجال، وقارنوه فيما كُتِبَ إملاءً من رسول الله ﷺ في الصُّحف وغيرها، وكانوا يراجعون القُرَّاء الحافظين مع ما وجدوه مكتوبًا، حتَّى لا يبقى مجال لدعوى منافق قد يُشكِّك بعض ضُعفاء العقول أو بعض الجاهلين، وكان المنافقون والمُرْجِفون[2] كثيرين، فلو أنَّ أحدهم رأى شبهة لأذاعها، وأكثر الإرجاف عنها، وأقام لها القيامة؛ حتَّى يعلم بها النَّاس.

وهذه حكايةٌ أُحِبُّ أن يسمعها السَّائل وغيره: كثيرٌ من النَّاس كان يحفظ آخر التَّوبة، ولكنَّهم لم يعتمدوا على الحفظ فقط، ولم يجدوا لها

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٩٩).

(٢) أرجف القوم: إذا خاضوا في أخبار الفتن ونحوها من الأخبار السَّيِّئة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٣/ ٣٢٥).

نصًّا مكتوبًا، ولكي يطمئنُّوا أنَّها كُتِبَت ظلُّوا يبحثون حتَّى وجدوها مكتوبة عن أحد الأنصار، اسمه: خزيمة، كما حدَّث بذلك زيد بن ثابت أحد أعضاء اللَّجنة الَّذين كُلِّفُوا بجمع القرآن، وقد ثبت أنَّ زيدًا كان من حُفَّاظ القرآن، وكان من حُفَّاظه أيضًا أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن مسعود[1].

أمَّا جَمعُهُ في أيَّام عثمان فلم يكن كجمعه أيَّام أبي بكر؛ لأنَّ عثمان رضي الله عنه أمر أن تُنسخ من المصحف الَّذي كان عند حفصة أربع نسخ، وتُوزَّع في الأقطار؛ لتكون مرجعًا يرجع إليه النَّاس في تصحيح قراءاتهم - لأنَّ النَّاس بدؤوا يلحنون ويغلطون - ويكتبونه في صحفهم حافظًا عن حافظ؛ فلكيلا ينتشر التَّحريف بين النَّاس أمر أن توزَّع النُّسخ الأربع في الأقطار الشَّماليَّة والجنوبيَّة والشَّرقيَّة والغربيَّة، وأمر الولاة بأن يعدِموا كلَّ منسوخٍ من القرآن بأيدي النَّاس يخالف نصَّ النُّسخةِ الأمِّ الَّتي بعثها الخليفة وكتبتْها اللَّجنةُ المذكورة، هذا ما عَلِمنَاه عن تاريخ جمع القرآن، والله أعلم.

الإعراض عن الذِّكر فشل

السُّؤال:

ما تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا

(١) انظر: تفسير المراغي (١١/ ٥٦).

﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]؟

الجواب:

هذه الآية تُبيِّنُ حقارة الجهل، وذلَّة الجاهل الَّذي يُعرِض عن تعلُّم أمور دينه عند الله؛ لأنَّ الله فرض التَّعلُّم على كلِّ مسلم ومسلمة، يتعلَّمون من دينهم ما يُفَقِّههم في عبادة ربِّهم؛ حتَّى يعبدوه على بصيرة، فالله ﷻ أنزل كتابه وأمرنا أن نقرأه، ونتدبَّر آياته، ونفتح قلوبنا لاستقبال ما يرشدنا إليه، وننزع عن هذه القلوب أقفال الجهل، ولا نكون كمن قال الله ﷻ فيهم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمَّد: ٢٤-٢٥].

وهناك أُناس تعلَّموا العلم، وتفقَّهوا في الدِّين، لكنَّهم اتَّبعوا داعي الضَّلال فأضلَّهم الله على علم، وختم على سمعهم وأبصارهم وقلوبهم، وكان جزاؤهم وجزاء أولئك الَّذين أعرضوا من جنس أعمالهم - والجزاء يكون دائمًا من جنس العمل - أن يُحشَروا يوم القيامة عميانًا، ويقول قائلهم: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]، ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ [طه: ١٢٦] نسيتَها إمَّا بالإعراض عن تلقِّيها وإمَّا بالتَّجاهل بعد معرفتها، فيكون الجواب: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، هذا ما أفهمه من تفسير هذه الآية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾

السُّؤال:

جاء في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البَقَرَة: ٣٥-٣٦]، وفي سورة طه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طٰه: ١٢١]، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعرَاف: ١٩]، وقد ذكرتم في كتاب «سألوني» أنَّ هذه الشَّجرة رُبَّما تكون نوعًا من النَّبات، ألا يُمكن أن يكون المقصود من هذه الشَّجرة قطف ثمار اللَّذَّة بين الزَّوجين؟ هكذا أفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعرَاف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعرَاف: ٢٧].

الجواب:

نهى الله - سبحانه وتعالى - آدم وزوجته عن الاقتراب من شجرة معيَّنة في الجنَّة، ولم يُبيِّن القرآن نوعها ولا صفتها، وإنَّما اكتفى بالإشارة إليها ليحدِّدها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعرَاف: ١٩]، وعدم التَّصريح بنوعها عندما أورد ذكرها لا يمنع أن يكون للشَّجرة مفهوم خاصٌّ عندنا، ويجب علينا نحن - المسلمين - أن نؤمن بأنَّها شجرة فقط، ليس لها صفة خاصَّة، ولم تكتسب تعريفًا يُحدِّد نوعها بالإشارة إليها بلفظ هذه، إذن،

فلتكن ما تكون، شجرةَ كرمٍ، أو تينٍ، أو تفَّاحٍ، أو كافورٍ، أو سنبلةً بين مثيلاتها من أشجار الجنَّة.

ولكنَّ آدم عليه السَّلام - وهو الإنسان المفطورة غريزته على حبِّ الاستطلاع - وقع بين النَّهيِ الإلهيِّ والرَّغبة الصَّارخة في معرفة هذه الشَّجرة، وبين وسوسة إبليس وإغرائه، فعجَّل بخطواته إليها، وأكل منها، وهكذا الإنسان خُلِقَ من عجلٍ، وهكذا النَّاس يتحدُّون كلَّ قيد، ويرغبون في كلِّ ممنوع، وصدق الشَّاعر قيسُ بنُ الملوَّح حين قال:

وَزَادَنِيْ كَلَفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مُنِعَتْ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا(١)

وأدرك آدم أنَّه جنى جناية عظيمة، وأجرم جرمًا كبيرًا، وأنَّه سيلقى جزاء ما اقترف من إثم، وأدرك أنَّه ذو إرادة يستطيع أن يزن أموره، ويتقدَّم أو يتأخَّر، فتوجَّه إلى ربِّه بعد أن تبيَّن خطأَه وعرف زلَّته، وأنَّه جنى وأذنب، وعَرَفَ آدم وزوجه الخير من الشَّرِّ حينما بدت لهما سوآتهما، فتبيَّن لهما أنَّهما عاريان عن اللِّباس كالحيوانات، أمرٌ لم ينكراه قبل أن يأكلا من الشَّجرة، فأخذا يتستَّران خلف الشَّجر، أو يأخذان ما يسترهما من ورقه وأغصانه.

وهكذا إرادة الله عندما أراد للأرض أن تعمرَ هيَّأ لها من مخلوقاته بني الإنسان، ووهبهم عقلًا كرَّمهم به، وفضَّلهم على غيرهم، وسخَّر لهم ما في الأرض والسَّماء، حتَّى فتح لهم أبواب الفضاء.

(١) انظر: أدب الدين والدنيا، للماوردي (١/ ٥٤).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾

السُّؤال:

إنَّ الله ﷻ علَّم آدم الأسماء كلَّها ولم يعلِّمها للملائكة، فقالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٢]، **فمعرفة آدم للأسماء ليست من مجهوده، وإنَّما هي من عند الله سبحانه وتعالى، فلو أنَّه جلَّ جلاله لم يعلِّمها آدم لما عرفها، فهل كان آدم أفضل من الملائكة؟**

الجواب:

الملائكة فُطِرُوا على حالٍ واحدة من الصَّفاء والبهاء والطَّاعة المطلقة المستسلمة لله تعالى، فَهُم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحْريم: ٦]، ولا يطرأ عليهم تحوُّل ولا تبدُّل، فلا طفولة وصبا، ولا شباب وشيخوخة، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون ولا يتزوَّجون، وليس عندهم زمن، عِلمُهُم من الله، يتلقَّونه من الله تلقِّيًا مُباشرًا، كما قال الله تعالى على لسانهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البَقَرَة: ٣٢].

أمَّا الإنسان فعنده استعدادٌ فطريٌّ للتَّعليم، وقد امتاز به على الملائكة، فأودع الله فيه قِوًى وقدرة على التَّلقِّي والاستزادة من المعارف، يكتسب هذه الاستزادة بالنَّظر والملاحظة والتَّجرِبة والحاجة والمجاهدة، فيتعلَّم، وقد لا تكفيه وجهة نظر فيحتاج أن يستنبط ويخترع، وقد قيل: الحاجة أمُّ الاختراع.

والإنسان يستطيع أن يربط العلل بالمعلولات، فهو ذو قدرة على الإدراك بعقله ما لا يدركه غيره من المخلوقات، والإنسان ينتقل من الطُّفولة إلى الصِّبا، ثمَّ إلى الشَّباب والاكتهال، ثمَّ إلى الشَّيخوخة، وفي كلِّ طورٍ من الأطوار يتعلَّم معارف جديدة تُعينه على اكتساب معارف أخرى، ونقلها للأجيال، ويضيف إليها الجيلُ الخلف معارفَ استنبطها لم يعرفها السَّلف، وتجارِب جديدة يتركها للجيل الَّذي يليه.

وتعليم الله ﷻ آدم الأسماء كلَّها تعليم نظر واستنباط كما نفهم، فالإنسان الَّذي يتعلَّم في المدرسة علَّمه الله، والَّذي يكسب رزقه بعرق جبينه وتعب جسمه رزقه الله، والَّذي تناول الدَّواء بيده وشُفِيَ من مرضه شفاه الله، فالله جلَّ جلاله وهب آدم عقلًا يدرك، وأودع فيه قدرة على البحث والنَّظر في الكشف عن خصائص الأشياء، وأعطاه لسانًا يُعَبِّر عن ذلك، وبهذه القدرات الثَّلاث؛ العقل والاستنباط والتَّعبير استطاع آدم بعون الله ﷻ أن يعرف ما طُلِبَ إليه، واستطاع ابن آدم بهذا العقل أن يُسَخِّر ما في هذا العالم من مخلوقات، وكلٌّ من غذَّى هذا العقل بالمعرفة ساد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحَجّ: ٤٧]؟

الجواب:

تبدأ هذه الآية بقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٦-٤٧]، والمعنى: أنَّ القرآن نزل لِمن لهم قلوبٌ تعقِل، وآذانٌ تَسمَع، وأعينٌ تُبصِر، فإذا تعطَّلت القلوب والعقول فلا تنفع بعد ذلك أُذن ولا عين؛ لأنَّ عمى القلب عمًى للحواسِّ جميعها، فلا بدَّ إذن لمن يعتبر أن يعقل بقلبه، والله ﷻ ذكر في سورة الأعراف ناسًا ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢]، ونفهم من الآيتين الكريمتين أنَّ العقل هو الدَّليل الواضح على إنسانيَّة الإنسان، بخلاف من لا عقل له؛ فهو يرى ولا يُدرِك، ويسمع ولا يعتَبِر، أمَّا القلوب الَّتي تعقل وتفقه، والعقول الَّتي تدرك، فإنَّها تتذكَّر، وتجنح إلى الإيمان، وتخشى العاقبة، وتتحدَّث بالعبر، وتنطق بالعِظات، وتأخذ من مصارع الأُمم دروسًا تُدرِكُ بها ما وراء هذه الدُّروس من سُنَنِ الله الَّتي لا تتبدَّل.

ثمَّ يقول جلَّ جلاله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، وذلك أنَّ قريشًا كانت تقول لرسول الله ﷺ: قُل لربِّك يُنزِل علينا العذاب الَّذي وعدتنا به. والعذاب آتٍ لا بُدَّ منه، وواقع على كلِّ مُقصِّرٍ ومُستهترٍ ومُستَخِفٍّ بأوامر الله والقيم الإنسانيَّة، ولن يُخلِفَ الله وعده؛ لأنَّ خلف الوعد إنَّما يكون من العجز، والله منزَّه عن العجز، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا

عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحَجّ: ٤٧]، وهذا تأكيدٌ لوقوع وعد الله، والمشركون إذا استبطؤوا وقوعه فإنَّ لله تقديرًا غير تقديرهم، وحسابًا غير حسابهم، وإنَّهم إذا لم يؤخذوا به في الدُّنيا، أُخِذُوا به في الآخرة، فهم أبدًا ودائمًا في قبضة الله الَّذي بيده الزَّمن يُصرفه كيف يشاء، ولن يفلتوا أبدًا، والله جلَّ جلاله يملي ويمهل، لكنَّه لا يهمل، وإذا أَخَذَ فإنَّ أخذه أليمٌ شديدٌ، وإنَّ أخذه أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ، فما بال هؤلاء المشركين يستعجلون بالعذاب ويهزؤون بالوعيد؟!

السَّماوات السَّبع(١)

السُّؤال:

أودُّ السُّؤال عن تفسير الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: ١٢]، فما معنى سبع سماوات؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٤]؟ وهل السَّماء فضاء أم بناء؟

الجواب:

الآية الكريمة الَّتي سأل عنها السَّائل هي آخر آية في سورة الطَّلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطّلَاق: ١٢].

---

(١) سبق أن أجبت عن مثل هذا السُّؤال صحيفة (٢٥٨) من الجزء الأوَّل، بعنوان: أين الأراضي السَّبع؟

وفي اللُّغة العربيَّة كلُّ ما علاك فهو سماء، والسَّماء معناها: السَّقف، وهي من السُّموِّ، والسُّموُّ: هو الارتفاع، والإيمان بالسَّماوات إيمانٌ غيبيٌّ يجب علينا أن نؤمن بوجودها إيمانًا تامًّا، فالسَّماوات سبع، والعرش فوقهنَّ، والنُّجوم والشُّموس والكواكب الَّتي نراها هي في السَّماء الدُّنيا، زيَّن الله بها هذه السَّماوات، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: ٥]، والسَّماوات الَّتي ذكرها الله في كتابه لا عِلمَ للنَّاس بحقيقة مدلولها وأبعادها ومساحاتها، وكذلك الأراضي السَّبع؛ فقد تكون أرضنا هذه الَّتي نعرفها واحدة منهنَّ، والباقيات في عِلمِ الله، أو قد يكون معنى مثلهنَّ أنَّ الأرض في تركيبها وخصائصها مثل السَّماوات؛ لأنَّ الله ﷻ أخبرنا في سورة تبارك أنَّه: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [المُلك: ٣]، فقد يكون تركيب الأرض أيضًا من طباق، وما يقوله علماء الفلك لا يمكن الجزم به؛ لأنَّه نظريَّات قابلة للتَّعديل والتَّصحيح، إنَّما يلزمنا أن نؤمن بأنَّ هناك سبع سماوات، وأنَّها طباق على أبعاد متفاوتة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [المُلك: ٣-٤].

ثمَّ يسأل السَّائل عن طيِّ السَّماء كطيِّ السِّجلِّ؛ فالسِّجلُّ هو الصَّحيفة المكتوبة، تطوى حتَّى تكون كالأسطوانة أو الأنبوبة، طويلة مُستديرة، وطيُّها بقدرة الله ﷻ، وقد يكون معنى ذلك أنَّ البصر ينجلي له كلُّ شيءٍ فلا يمنعه مانع، فيكون وجود السَّماء كعدمها، وعلى كلِّ حالٍ فالله أعلم بمراده، وعِلمُنا محدود، وهو وحده الَّذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلَاق: ١٢].

آيات من سورة التوبة

السُّؤال:

أرجو تفسير هذه الآية الكريمة من كتاب الله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النِّسَاء: ١٧].

الجواب:

هذه الآية الكريمة من سورة النِّساء، رقمها (١٧)، مسبوقة بآية (١٦)، ومختومة بآية (١٨)، والآيات الثَّلاث مربوط بعضها ببعض، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النِّسَاء: ١٦-١٨]، وضمير يأتيانها يرجع إلى الفاحشة، وفاعل الإتيان الرَّجل والمرأة سواء، لا فرق بين ذكرٍ وأنثى، والتَّوبة تعديل أساسيٌّ في شخصيَّة التَّائب.

والله ﷻ أمر في كتابه العزيز بإنزال العقوبة على الَّذين يأتون الفواحش، وفي هذه الآية يأمر بالكفِّ عن العقوبة عند التَّوبة، ثمَّ يوجِّه قلوب العباد إلى أنَّ الله ﷻ توَّاب رحيم، وأنَّه عفوٌ عن التَّائبين المتطهِّرين المُصلحين، وأنَّه جلَّ شأنه يأمر بقبول أمثال هؤلاء في المجتمع، ثمَّ

يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النِّسَاء: ١٧]، كلُّ مذنبٍ أو مخطئ يُقدِمُ على المعصية بجهالة، والجهالة معناها: الضَّلال، سواء طالَ أمدها أم قَصُرَ، وكلُّ مذنب يعرف أنَّ الذَّنب الَّذي يأتيه هو حرام، سواء كان التَّحريم شرعيًّا أم قانونيًّا.

والله ﷻ يقبل توبة التَّائب ما دام في فسحة من العمر، وفي بحبوحة من الأمل والأجل، والقرآن مملوء بالآيات الَّتي تُرَغِّب بالتَّوبة، يقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفُرقان: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥].

وإنَّ التَّوبة الَّتي يقبلها الله تلك الَّتي تصدر عن نفسٍ هزَّها النَّدم، ورجَّها رجًّا شديدًا، حتَّى استفاقت من غفلتها، فتابت، وأنابت إلى ربِّها وهي في فسحة من العمر، أمَّا التَّوبة في قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النِّسَاء: ١٨] فهي توبة مُضْطَرٍّ لجَّت به الغواية، فلم يعد لصاحبها مُتَّسعٌ لارتكاب الذُّنوب، ولا فسحة لعمل الخطيئة، فهذه التَّوبة لا تُبدِّل شيئًا ولا تُغيِّر اتِّجاهًا.

ويطعمون الطَّعام على حُبِّه

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨]؟ ومن الَّذي أطعم الطَّعام على حُبِّه؟

الجواب:

هذه آيةٌ رقم (٨) من سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وتُسمَّى: سورة الدَّهر أو الإنسان، وهي مكِّيَّة، وقيل: إنَّها مدنيَّة، وفي أوَّلها وصفٌ لكلِّ إنسانٍ أنَّه خُلِقَ من عدم، ولم يكن قبل خلقه شيئًا مذكورًا، وكان أوَّله نطفة، ثمَّ ظهر بعد ذلك إنسانًا كاملًا أنعم عليه خالقه بالسَّمع والبصر والعقل؛ حواسٌّ يميزُ بها الخير من الشَّرِّ، والنَّافع من الضَّارِّ، فهو بعد ذلك إمَّا يكون شاكرًا وإمَّا كفورًا، وللكفور عذابٌ في نار تُسَعَّرُ فيها سلاسل وأغلال، ووصف الأبرارَ بأنَّهم يوفون بالنَّذْرِ، ويخافون عذاب الله في يومٍ شرُّه مستطير، ويطعمون الطَّعام، ولا يمنُّون على من يطعمونه، وقد وعدهم الله جزاءً على عملهم جنَّاتٍ دانية ظلالها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، إلى آخر ما هنالك ممَّا وصفه الرَّبُّ الكريم جلَّ جلاله في هذه السُّورة الكريمة.

وقد اختلف المفسِّرون في ذكر من نزلت فيه هذه الآية، فقيل: نزلت في مطعم ابن ورقاء الأنصاريِّ[1]، وقيل: نزلت فيمن تكفَّل بأسرى بدر، وهم

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٠).

سبعة، منهم الإمام عليُّ بن أبي طالب ﷺ، وقيل: نزلت في عليِّ بن أبي طالب وحده، وذكروا حكايةً طويلةً نقلها القرطبيُّ في تفسيره رواية عن النَّقَّاشِ والثَّعلبيِّ والقشيريِّ وغيرهم، أنقلها للمشاهدين باختصار: مرض الحسن والحسين وعادهما أصحاب رسول الله ﷺ، وقال أحدهم لو نذرت عن ولديك، فنذر عليٌّ كرَّم الله وجهه: «إن برئ ولداي صمت لله ثلاثة أيَّام». وقالت فاطمة مثل ذلك، وألبس الله الغلامين العافية وليس عندهم قليل ولا كثير إلَّا ثلاثة أصواع من شعيرٍ استقرضها عليٌّ ﷺ، قال: فقامت فاطمة ﷺ إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أتى المنزل فوضع الطَّعام بين يديه للإفطار من صيامهم اليوم الأوَّل وإذا بمسكينٍ يقول: «السَّلام عليكم أهل بيت محمَّد، أنا مسكينٌ جائعٌ». فسمعه عليٌّ ﷺ فندب فاطمة إلى البذل، فأطعماه الطَّعام، ومكثوا يومهم وليلتهم، وفي اليوم الثَّاني جاءهم يتيم من أولاد المهاجرين استشهد أبوه، وقال لهم: «أنا جائع، أطعموني أطعمكم الله». فأطعموه الطَّعام، وفي اليوم الثَّالث جاءهم أسير، فأعطوه طعامهم، ومكثوا ثلاثة أيَّام بلياليها لم يذوقوا فيها إلَّا الماء[1]، ثمَّ إنَّ القرطبيَّ رحمه الله نقل عن الحكيم التِّرمذيِّ في «نوادر الأصول» أنَّ هذا الحديث قد تطرَّف فيه صاحبه؛ لأنَّ الله ﷻ قال في كتابه العزيز: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩]، وعليٌّ هو أعلم النَّاس بشريعة الله[2]، وثبت في الأخبار عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**خير الصَّدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول**»[3]، وعليٌّ - كرَّم الله وجهه - أشدُّ وأقوى من تمسَّك بأوامر القرآن، واتَّبع الرَّسول الكريم عليه السلام.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٣١).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٤).
(٣) رواه البخاري، رقم: (١٤٢٦)، ومسلم، رقم: (١٠٣٤).

وأقول: إنَّ هذه الآيةَ تُصَوِّر شعورَ البرِّ والعطف والخير مُمَثَّلًا في إطعام الطَّعام مع الحاجة إليه؛ إيثارًا للمحتاجين من الجائعين، لا سيَّما أنَّ السُّورة نزلت في مكَّة، في البيئة القاسية للمشركين الَّذين يبذلون للمفاخرة وحُبِّ الذِّكر، وربَّما كانوا يمنُّون بما يبذلون، وقد مدح الله ﷻ في كتابه قومًا كان الإيثار من صفاتهم، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩]، والطَّعام الَّذي عليه قوام الحياة يجعلون منه نصيبًا لمن كانوا في أشدِّ الحاجة إليه، مُمتثلين أمر رسولهم ﷺ القائل: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة**»(١)، فهم يُطعِمُون المسكين الَّذي أذلَّه الحرمان، واليتيم الَّذي اجتمع عليه اليُتم والفقر، والأسير الَّذي في القيد، والَّذي انقطعت به وسائل السَّفر، والَّذي حيل بينه وبين مصادر رزقه، فمثلهم موضع عطف وإحسان، ومَن أطعمهم وآثرهم لوجه الله واحتسابًا لِمَا عند الله كان من الأبرار الَّذين يستحِقُّون رضاء الله.

وقد ذكر الشَّيخُ الفضل الطَّبرسيُّ - وهو من أئمَّة الشِّيعة - في تفسيره «مجمع البيان» حكايةَ الإمامِ عليِّ بن أبي طالب، ذكرها منزَّهة من الزِّيادات، وقال: إنَّه أعطى من طعامه في يوم واحد ثلثًا للمسكين وثلثًا لليتيم وثلثًا للأسير، وهي رواية مقبولة سواء كان فعله ذلك في يوم واحد أم في أيَّام ثلاثة، وعلى كلِّ حال فليس بغريب على عليِّ بن أبي طالب السَّابق إلى الإسلام النَّاشئ في بيت النُّبوَّةِ الزَّكيِّ التَّقيِّ أن يفعل الخير، فيؤثر على نفسه، ويُطعم الطَّعام على حُبِّه لوجه الله، لا يريد في إطعامه هذا جزاءً ولا شكورًا.

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٣٩٢)، ومسلم، رقم: (٢٠٥٩)، واللفظ لمسلم.

عاقبة التَّفرقة في الدِّين

السُّؤال:

ما تفسير الآيتين الكريمتين في أواخر سورة الأنعام (١٥٩) و(١٦٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩-١٦٠]؟ وكم صور القرآن؟

الجواب:

القرآن يحتوي على سور بالسِّين لا صور بالصَّاد، فالصُّورة رسمٌ على ورق أو على شيءٍ آخر، أحيانًا تكون تخطيطًا وأحيانًا تكون ظلًّا، أمَّا ما في القرآن فهو سورٌ، والواحدة سورةٌ، والقرآن يحتوي على (١١٤) سورة، منها المُطَوَّل ومنها القصار، وأطول سورة في القرآن سورة البقرة، وأقصرها سورة الكوثر.

وأمَّا الجواب عن سؤال السَّائل فالَّذين فرَّقوا دينهم هم الَّذين اتَّبعوا الباطل والهوى، فقسَّمتهم الخلافات المذهبيَّة مللًا ونحلًا وأحزابًا كانت على غير طريق الحقِّ، وطريقُ الحقِّ واحدٌ لا يتشعَّب، وقد تفرَّق اليهود والنَّصارى إلى مذاهبَ اختلفت، فكفَّر بعضهم بعضًا، وعَلِمَ الله جلَّ جلاله أن سيكون في هذه الأمَّة مذاهب ومعتقدات وأوضاع وأنظمة بعيدة كلَّ البُعد من طريق الحقِّ، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ لأنَّك بريءٌ منهم ما أحدثوا أحداثًا وابتدعوا بدعًا، و﴿أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، والشِّيع: جمع شيعة،

وشيعة الرَّجل: أتباعه، وتُجمع أيضًا على أشياع، والفعل: شايع.

وفي الآية تنبيهٌ للرَّسول ﷺ إلى ألَّا يدخل في جدال مع الَّذين كانوا في زمنه من أهل الكتاب الَّذين اختلفوا في دينهم؛ لأنَّ أمرهم إلى الله ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فيجزي كلًّا بما كسب، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهكذا تكون رحمة الله الَّتي كتبها على نفسه، فقد كتب مضاعفة الإحسان بعشر حسنات، أمَّا السَّيِّئة فلا يجزي صاحبها إلَّا بسيِّئة واحدة، أمرٌ قرَّره جلَّ شأنه ولا رادَّ لأمره، ولكن لا إحسان مع الكفر، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

حكم القانون أو حكم الشَّريعة

السُّؤال:

قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المَائدة: ٤٥]، هل الدُّول الَّتي استبدلت بحكم القرآن القوانين الوضعيَّةَ من هؤلاء؟ وهل هناك آيات في كتاب الله تُهدِّد من لم يحكم بما أنزل الله؟

الجواب:

في القرآن آيات كثيرة تأمر بالحكم بما أنزل الله، من ذلك الآيتان الكريمتان (٥٩) و(٦٠) في سورة النِّساء: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى

ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النِّسَاء: ٥٩-٦٠]، والآيات من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المَائدة: ٤٥]، ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المَائدة: ٤٧]، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المَائدة: ٤٨] إلى أن يقول: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المَائدة: ٤٩]، ثمَّ يقول في الآية (٥٠): ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المَائدة: ٥٠]، وهناك آيات أخرى منها الآية (٤٦) من سورة الزُّمر وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٦]، والآيات الكريمة الَّتي ذكرنا وآيات أخرى لم نذكرها كلُّها تُحَذِّرُ المسلمين من الحكم بغير ما أنزل الله في كتابه، أو في سنَّة رسوله.

وقد بُعِثَ رسول الله ﷺ بعثًا إلى البلاد الَّتي خضعت لحكم الإسلام في عهده، وبُعِثَ خلفاؤه الرَّاشدون من بعده رسلًا وحُكَّامًا لبلادٍ فَتَحَها الإسلام وكانوا يوصونهم بالحكم بما أنزل الله وما جاء في سنَّة رسوله، وتحكيم العقل فيما لم يرد به نصٌّ في الكتاب والسُّنَّة، وذلك هو تحرِّي العدل.

حكم الاستعاذة لقارئ القرآن

السُّؤال:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النّحل: ٩٨] **تشتمل الآية على أمر، فهل الاستعاذة واجبة؟ لأنِّي أرى كثيرًا من النَّاس يقرؤون ولا يتعوَّذون!**

الجواب:

قال الله تعالى في سورة النَّحل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النّحل: ٩٨-١٠٠].

إنَّ قارئ القرآن يلتقي بالله بوساطة كلماته بتلاوتها، وإذا كان هذا شأنه فمن المناسب واللَّائق في هذا اللِّقاء الكريم أن يُبعد العبد نفسه من وساوسِ الشَّيطانِ وهمزاتهِ ولمزاتهِ وكلِّ داعية إليه، يرجم الشَّيطان بمشاعر الإيمان الَّتي يستحضرها وهو يتهيَّأ للقاء ربِّه في تلاوة كتابه، ثمَّ يستعين على ذلك بالله، متعوِّذًا به من الشَّيطان الَّذي رجمه بلعنته، وطرده من رحمته.

ويسأل السَّائل عن حكم الاستعاذة؛ فقد اختلف الفقهاء فيها، فقال بعضهم: إنَّها مندوبة، وقال بعضهم: إنَّها واجبة، وهذا ما تميل إليه نفسي؛ لأنَّ الله ﷻ أَمَرَ، وامتثال الأمر واجب، فإذا كنت في الصَّلاة

فتعوَّذ في الرَّكعة الأولى، وإذا كنت خارج الصَّلاة فتعوَّذ كلَّما أردت القراءة، والاستعاذة بالله من الشَّيطان الرَّجيم سلاحٌ داخليٌّ، يشهره الإنسان بقوَّة إيمانه على عدوِّه اللَّدود الشَّيطان الرَّجيم الَّذي يتربَّص به ويقعد له بكلِّ سبيل، فإذا صدق القارئ باستعاذته أقبل على آيات الله يتلوها بقلبٍ قد أخلاه لها من كلِّ وسواس، فيتدبَّر ما يقرأ، ويتفهَّم ما يتلوه، ويكون لكلمات الله أثرها الطَّيِّب فيه، فيزداد إيمانًا، وينال ما شاء الله أن ينال من ذلك الأثر.

أصل الإنسان

السُّؤال:

ما أصل الإنسان؟ يقول بعض النَّاس: إنَّ أصل الإنسان حيوان، ويقول آخرون: إنَّ أصل الإنسان إنسان، فما الحقيقة؟ أرجو الجواب.

الجواب:

إنَّنا مسلمون، ولا نعلم إلَّا ما قاله الله ورسوله، ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة المؤمنون: في الآيات (١٢) و(١٣) و(١٤): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وفي آيةٍ أخرى في سورة الحجِّ قال جلَّ شأنه في الآية الخامسة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾ [الحج: ٥]، وفي الآية الأولى من سورة النِّساء قال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النِّسَاء: ١].

من هذه الآيات الثَّلاث نفهم أنَّ أصل الإنسان من تراب، خلقه الله إنسانًا، وسوَّاه فأحسن خَلقَه، وخلق له زوجًا من نفسه، وليس هو بحيوان، وأنا لا أرضى أن يكون أصلي حيوانًا؛ لأنَّ الحيوان مخلوق دنيء، والله جلَّ شأنه كرَّم ابن آدم فلم يذلَّه ولم يُهِنهُ، والحيوان أعجم والإنسان ناطق، والحيوان لا عقل له وإنَّما يمشي على فطرة وسنَّة لا يتعدَّاها، والإنسان عاقل سخَّر بعقله كلَّ شيء، فغاص في البحار حتَّى أعماقها، وصعد في الأجواء وتجاوز أبعادها، وسخَّر الحيوان فدرَّبه، والجماد حتَّى أنطقه، والحيوان لم يفعل شيئًا من ذلك ولن يفعل أبدًا، سيظلُّ منهمكًا في أكله وشربه، ولم يزل على فطرته.

والإنسان حتَّى في حيوانيَّته - أي: أكله وشربه وسائر شهواته البهيميَّة - أفضل من الحيوان الأعجم؛ لأنَّه طبخ وشوى واكتسى وافترش ونظَّم ومدَّن، أقول أخيرًا: من رضي أن يكون أصله من الحيوان فليفعل، أمَّا أنا وكلُّ إنسان عاقل فلا نرضى أن نكون من هذا الصِّنف؛ لأنَّ الله كرَّم ابن آدم، فلا يهون إلَّا إذا كان حيوانًا.

تطوُّر خلق الإنسان

السُّؤال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، **ماذا يقول الطِّبُّ في تفسير هذه الآية؟**

الجواب:

الآيات الكريمات من سورة المؤمنون (١٢) و(١٣) و(١٤)، ولَمَّا لم أكن طبيبًا فليكن الجواب مؤكَّدًا بالبيِّنةِ الواضحة من الدُّكتور محمود البوز الَّذي أحَلْتُ السُّؤالَ إليه، فتفضَّل مشكورًا بالجواب الآتي: قال حفظه الله: سبحان الَّذي خلق فأبدع! لقد استطاع العلم الحديث في القرن العشرين أن يُفَسِّر تلك الآيات البيِّنات، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢]، فَدَمُ الإنسان ولحمه وعظامه تتكوَّن من أملاح عضويَّة وغير عضويَّة، فيها: الكربون، والكالسيوم، والفوسفور، والصُّوديوم، والبوتاسيوم، والكبريت، والكلور، والحديد، والمغنيزيوم، وغير ذلك من عناصر أخرى بنسب ضئيلة، وهذه الأملاح جميعها - عضويَّة كانت أم غير عضويَّة - في تراب الأرض وفي الطِّين الَّذي يزيد على التُّراب بالماء الموجود فيه، والماء يزن أكثر من ثلثي وزن جسم الإنسان، فجسم الإنسان يتكوَّن من عناصر كتلك العناصر الموجودة في

الطِّين والتُّراب، و«**النَّاسُ بنو آدمَ وآدمُ مِنْ تُرَابٍ**»(١)، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٣-١٤]، ومعنى هذا أنَّ الخلق يبدأ باتِّصالِ حيوانٍ منويٍّ من الرَّجُلِ ببويضةٍ من الأنثى، والحيوانُ المنويُّ خليَّة واحدة وكذلك البويضة، يدخل الحيوان المنويُّ في البويضة ويصبح الاثنان خليَّة واحدة، نطفة تسكن في جدار رحم الأمِّ؛ أي: ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المُرسَلات: ٢١]، وتصبح النُّطفة الأولى علقة لاصقة في هذا الجدار أو القرار المكين، ثمَّ تنقسم الخليَّة المكوَّنة من خليَّة الذَّكر والأنثى إلى خليَّتين ثمَّ (٤) ثمَّ (٨) ثمَّ (١٦) ثمَّ (٣٢) ثمَّ (٦٤) ثمَّ (١٢٨)، وهكذا يزداد عدد الخلايا زيادة لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يُحصيها عدًّا، وهذه الخلايا الكثيرة تكون بادئ ذي بدء مُضغة طريَّة، تتكوَّن من خلايا لم تتشكَّل، ثمَّ يصير التَّشكيل رويدًا رويدًا، فتختصُّ بعض الخلايا في عمل الجِلد، والأخرى في عمل النَّسيجِ العصبيِّ والمخِّ، وبعضها في عمل العظام ثمَّ العضلات، وهكذا إلى أن يتكوَّن الجنين في بطن أُمِّه من خلايا لا حصر لها، وأنسجة وأجهزة، وأعضاء بها نُبصِرُ ونسمع ونشمُّ وننام ونأكل ونمشي، فسبحان من خلق فصوَّر!

إنَّ أصلنا من تراب، وإلى التُّراب نعود، والعبرة في التُّراب أنَّه تحت أقدامنا، ولكن من منَّا يستطيع أن يجعل منه إنسانًا كما فعل الله سبحانه وتعالى؟ إنَّ الإعجاز هنا في وجود الخامات بوفرة، ولكنَّ الخالق سبحانه

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٩٥٦). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وتعالى واحد.

انتهى كلام الدُّكتور محمود البوز، وأترك التَّعليق عليه لمن سمعوا، وشاهدوا، وقرؤوا.

وادٍ غير ذي زرع

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]؟ **أرجو توضيح معنى الآية.**

وكم عدد ذُرِّيَّة إبراهيم عليه السلام؟ **وأين يقع هذا الوادي الَّذي أسكن فيه ذُرِّيَّته؟ جزاكم الله خيرًا.**

الجواب:

كان لسيِّدنا إبراهيم عليه السلام زوجة واحدة، هي سارة، لم يتزوَّج غيرها، ولم تلد، حتَّى إذا بلغت سنَّ اليأس - ولبناتِ حوَّاءَ موعدٌ إذا بَلَغنَهُ لا يَلِدنَ وكلُّهُنَّ يعرِفنَ ذلك - قالت سارة لإبراهيم: لو وهبتك جاريتي هاجر لعلَّ الله يرزقك منها ذُرِّيَّة، فقَبِلَ إبراهيم هِبَةَ زوجته سارة، وشَكَرَ لها صنيعها، ولمَّا ولدت هاجر من إبراهيم سيِّدنا إسماعيل غارت سارة، وأخذت تُسِيء إلى هاجر، وإلى ابنها؛ لأنَّ هاجر أصبحت بمقام الضَّرَّة من سارة، وأعدى أعداء المرأة ضرَّتها الَّتي تشاركها قلب زوجها، لا سيَّما أنَّ هاجر أصبحت أُمًّا لابن إبراهيم الوحيد، وأراد إبراهيم أن يقطع

هذا النِّزاع والقلق من أساسه، فدعا الله أن يقطع هذه الشَّحناء من بيته، فأمره ربُّه أن يهاجر بهاجر إلى موضع كريم وسيكون له شأن في الإسلام، وانتقل إبراهيم بهاجر وبابنه الوحيد إسماعيل إلى الجنوب بعيدًا، يقطع الفيافي ليلًا ونهارًا، حتَّى وصل إلى المكان الَّذي أراده الله، إلى وادٍ غير ذي زرع، وهذا الوادي يقع بين الصَّفا والمروة، لأمر أراده الله، وأسكن أهله قريبًا من موضع زمزم، فالوادي الَّذي يسأل عنه السَّائل هو المكان الَّذي فيه البيت المعظَّم: الكعبة المشرَّفة، وبقيت هاجر هناك حتَّى شبَّ إسماعيل، وكان ما كان من أمره مع أبيه في بناء البيت كما هو موضَّح في كتاب الله وسنَّة رسوله.

ويسأل السَّائل عن أسرة سيِّدنا إبراهيم، فهي تتكوَّن من زوجته سارة الَّتي ولدت ابنه إسحاق، وإسحاق أصغر من إسماعيل بعشر سنوات تقريبًا، فسارة أمُّ إسحاق، وهاجر أمُّ إسماعيل، نفهم من هذا أنَّ أسرة إبراهيم عليه السلام تتكوَّن من امرأتين وابنين.

ودعاء إبراهيم عليه السلام كما حكاه القرآن: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فهو لم يُسكِن ذُرِّيَّته كلَّها، وإنَّما أسكن بعضها.

وإسماعيل لمَّا بلغ السَّعي وأخذ يمشي مع أبيه واستطاع أن يمشي من مكَّة إلى مِنى رأى إبراهيمُ في المنام أنَّه يذبحه ليُقدِّمه قربانًا لله عز وجل، ورؤيا الأنبياء حقٌّ، وأراد تنفيذ ما رآه، ففداه الله بِذِبحٍ، واطَّلع الله على نيَّة إبراهيم وطاعته لربِّه، فبشَّره بإسحاق كما جاء في الآيات الكريمة من سورة الصَّافَّات من آية (١٠١-١١٣): ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾

[الصَّافات: ١٠١-١٠٢] إلى آخر الآيات.

طيرة الأمم من أنبيائهم

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يَس: ١٨-١٩]**؟ أرجو إفادتي عن معنى التَّطيُّر والطَّائر؟**

الجواب:

الآيتان رقم (١٨) و(١٩) من سورة يس، والتَّطيُّر: التَّشاؤم وتوقُّع الشَّرِّ.

والتَّشاؤم من خرافات الجاهليَّة، لا يقوم على أساس من العلم أو الواقع، ورسل الله يبيِّنون للنَّاس أنَّ التَّشاؤم خرافة، سببه ضعف النَّفس أمام الخيال وتصديق الوهم، وأنَّ حظَّ الإنسان ونصيبه من خير أو شرٍّ لا يأتيه من خارج نفسه، وإنَّما هو مرتبط بنيَّته في عمله، متوقِّف على كسبه، وإرادة الله بالعبد تنفذ إليه من خلال نفسه واتِّجاهه في عمله، فهو يحمل تشاؤمه معه، وهذه هي الحقيقة الثَّابتة القائمة على الأساس الصَّحيح.

أمَّا التَّشاؤم بالوجوه والمواليد والكلمات والأمكنة فهو خرافة لا أصل لها أبدًا أمام العقل السَّليم، والآية الكريمة تضرب لنا مثلًا في قرية بَعَثَ الله إلى أهلها رسولين، ثمَّ عزَّزهم بثالثٍ يشدُّ أزرهما، فكذَّبوهم ثمَّ زادوا عِنادًا وإصرارًا على الكفر والضَّلال، ثمَّ يردُّ أهل القرية على الرُّسل ردًّا

فاجرًا فيقولون لهم: لقد جئتمونا والشُّؤم معكم، فإن لم تنتهوا عنَّا فسنرجمكم بالحجارة، وإن لم تخرجوا فسيمسَّكم منَّا العذاب الأليم، ولكنَّ الرُّسلَ يردُّون عليهم فيقولون: بل طائركم معكم، مستقرٌّ في كيانكم الفاسد، فهو ليس شؤمًا أتاكم منَّا، وإنَّما هو شؤم معكم، كامن في إصراركم على الضَّلال، وابتعادكم من الحقِّ، وكفركم بالله ورسله وعنادكم.

وفي الحديث الشَّريف الَّذي رواه البزَّار عن عمران بن الحصين، والطَّبرانيُّ عن ابن عبَّاس، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من تَطيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له**»(١).

وكان لعرب الجاهليَّة اعتقاد في التَّطيُّر والتَّشاؤم حاربه الإسلام وردَّهم عنه إلى النَّهج السَّويِّ والعقل السَّليم، وإلَّا فما معنى أن يُصَدِّق إنسان عاقل أنَّ في هذا المكان أو هذه الزَّوجة أو هذا الابن شؤمًا، أو أنَّ في هذا الزَّمان بؤسًا؟! فقد أدركت قومًا يتشاءمون من يوم الأربعاء فلا يسافرون فيه، ويتشاءمون من شهر صفر فلا يتزوَّجون فيه، ومن محاق الشَّهرِ القمريِّ - وهي الأيَّام الثَّلاثة من آخره - فلا ينشِئُون فيه عملًا.

والمؤمن الصَّادق الإيمان هو من يتوكَّل على الله، ويحكِّم العقل في كلِّ شأن من شؤونه، فلا يضعف أمام حادث من الحوادث يأتيه في مناسبة من المناسبات، فيعتقد أنَّ الحادث جاء من هذه المناسبة. قل لي بالله ما ذنب طفلٍ صغيرٍ ولِدَ فماتت أمُّه أو مات أبوه؟ من الَّذي أمات الميِّت؛ الطِّفل أم المُحيي المُميت جلَّ شأنه؟! وما ذنب امرأةٍ تزوَّجها رجلٌ

(١) رواه البزار، رقم: (٣٥٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٥٥).

فاحترقت الدَّار أو غرقت السَّفينة؟! فهل للمرأة في هذا الإحراق أو الإغراق يد؟! كلَّا! إنَّ الأمر جاء بقضاء الله وقدره، فمن مات مات بأجله، ومن احترق أو غرق فبأمر مقدَّر.

وفي الحديث الَّذي رواه البخاريُّ ومسلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن كان الشُّؤم في شيءٍ ففي الدَّار، والمرأة، والفرس**»(١)، وشرح رسول الله ﷺ ذلك فأوضح لنا أنَّ شؤم الدَّار ضيقها أو جار سوء، ويُمنها سعتها، وشؤم المرأة سوء خلقها، ويمنها حسن خلقها، وشؤم الفرس جماحها، ويمنها هدوءُها.

وأخيرًا، أقول للسَّائل: آمن بالله واستمع إلى قول الله لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعـرَاف: ١٨٨]، وقـولـه جلَّ جلاله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعَام: ٥٩]، واعلم أنَّ التَّشاؤم شرك وجاهليَّة وخرافة من بقايا الوثنيَّة، وكلُّ شيءٍ من عند الله وبيده، ولا يجري أمرٌ إلَّا بقضاء الله وقدره.

أصحاب السَّبت

السُّؤال:

قرأت في سورة البقرة قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البَقَـرَة: ٦٥]، **فهل مُسِخُوا قردةً حقيقيِّين أم أنَّ للآية معنى آخر؟**

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٠٩٤)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٥).

الجواب:

هذا الخطاب موجَّه إلى اليهود، فقد قال الله تعالى لهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٦٣-٦٦].

كان بنو إسرائيل قد طلبوا إلى موسى آية يرون الله فيها، فجاءتهم الآية مُنذِرَة؛ إذ رأوا الطُّور، وهو صخرة على هيئة جبل في صحراء سيناء، رأوها قد ارتفعت فوق رؤوسهم كالسَّقف المرفوع لا يمسكه شيء كما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعرَاف: ١٧١]، ففزعوا إلى موسى يطلبون إليه النَّجاة، وكانت فرصة له عليه السلام أن يأخذ منهم العهد بقوَّة كدعوة مجدَّدَةٍ، فيتمسَّكون بالكتاب الَّذي أُنزِلَ إليهم، ويُنَفِّذُون أوامره، ويبتعدون من نواهيه، ويذكُرون ما فيه ويتذكَّرون، ولكنَّ القومَ المفطورين على الشَّرِّ المتمسِّكين بالسُّوء لم يستجيبوا لتلك الدَّعوة، بل تولَّوا ونكصوا على أعقابهم، فهو يُذَكِّرُهم بهذه الآية بأسلافٍ لهم من قبل، قد خالفوا أمر الله، واعتدوا في السَّبت، فمسخهم الله قردة، وأنزلهم من مرتبة الإنسان إلى مرتبة الحيوان الَّذي لا إرادة له، حتَّى صاروا كالبهائم تعيش لشهواتها البهيميَّة من أكل وتوالد، وليس من الضَّروريِّ أن يستحيلوا من صورة بشر إلى صورة قرد، ولكنَّ أرواحهم وأفكارهم وانطباعات الشُّعور فيهم جعلتهم كالقردة.

وفي سورة الأنفال إشارة إلى أنَّ الإنسان إذا سُلِبَ عقله وبصيرته كان

كالبهيمة، بل هو أضلُّ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢]، وقال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، نفهم من هاتين الآيتين أنَّ الإنسان الَّذي لا عقل له أو لا رشد يستدلُّ به على الطَّريق المستقيم أو يميز به النَّافع من الضَّارِّ كالبهيمة بل أضلُّ منها؛ لأنَّ للبهيمة فطرة، والَّذي لا عقل له من بني البشر لا فطرة له، وما أحسن قول الشَّاعر معروف الرُّصافيِّ:

إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِيْ بِلَادٍ رَأَيْتَ أُسُوْدَهَا مُسِخَتْ قُرُوْدَا(١)

وهؤلاء القوم عندما خالفوا أمر الله خسأهم فأبعدهم من عالم الإنسان، وطردهم من عالم البشريَّة، وردَّهم إلى حيوانيَّة أدنى الحيوانات وأبشعها خلقة وفطرة؛ حيوانيَّة القردة، فلا هم من البشر إلَّا في الصُّورة، ولا هم من الحيوانات إلَّا في الأخلاق، فنفهم من هذا أنَّ الله ﷻ لم يمسخ خلقتهم، وإنَّما مسخ أخلاقهم، فكانوا كالقردة في نزواتها.

فليستجيبوا لي

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

(١) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للمهدي (١/ ٣٦).

﴿١٨٦﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]؟ **أرجو شرح هذه الآية، وهل معناها أنَّ الله يُجِيب كلَّ من دعاه، أم أنَّ المعاصي تكون حائلًا بين الدُّعاء والإجابة؟**

الجواب:

جاءت هذه الآية الكريمة بين آيات الصَّوم، والصَّوم امتناعٌ من الشَّهوات، وضبطٌ للنَّفس، وصبرٌ على الجوع والظَّمأ، ومجالٌ لِأَن يتَّصل الإنسان بربِّه اتِّصال طاعة وانقياد، يقول الرَّسول ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»(١)، ومعنى الاحتساب: الإيثار لِمَا عند الله من رضا ونعيم، وفي هذه الآية إيناسٌ للصَّائمين وتنبيه لهم أنَّ الله جلَّ شأنه دائمًا وأبدًا قريب من الإنسان، وأنَّ الإنسان هو الَّذي تختلف أحواله مع الله، فيدنو أو يبعد، ويتَّصل أو ينقطع.

والصَّائم مُهيَّأ للقرب من الله والتماس رضاه، ويعيش حياته في ظلِّ هذا القُربِ والحبِّ، ولهذا قال جلَّ جلاله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، فهو وحده تولَّى هذه الإجابة، فلم يقل لنبيِّه: قُل لهم. مثلما قال في الإجابة لَمَّا سألوا عن الخمر والأهلَّة، وعمَّا أحلَّ الله لهم، وعن ذي القرنين، إنَّما قال عن نفسه: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، إجابة لذيذة كريمة، يشعر المؤمن بنداوتها وحلاوتها، ويشعر العبد الصَّالح بحبِّ الله لعباده المؤمنين ورضاه عنهم، ويعيش المؤمن في جنابٍ رضيٍّ وملاذ أمين، وفي ظلِّ هذا الأُنس والقرب يوجِّه الله عباده إلى أنَّ شرطَ هذه الإجابةِ الاستجابةُ له والإيمان به، ولعلَّ هذا يقودهم إلى الرُّشد والهداية والصَّلاح، فيقول لهم:

---

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٨)، ومسلم، رقم: (٧٦٠).

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]؛ أي: ليمتثلوا أوامري، وينتهوا عمَّا نهيت عنه، ويتَّبِعوا السَّبيلَ الرَّشيدَ والصِّراطَ السَّويَّ.

وهنا أُحِبُّ أن ينتبه السَّائل إلى كلمة عبادي في الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، إنَّ الله ﷻ إذا نسب العبد إلى نفسه فإنَّما هو اختيارٌ منه لهذا العبد وتقديرٌ له، فمثلًا: قال عن محمَّد ﷺ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ١]، وقال عن بعض أنبيائه عليهم السَّلام في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [صٓ: ١٧]، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [صٓ: ٤١]، وقال عن سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [صٓ: ٣٠]، ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [صٓ: ٤٥]، وقال عن كثير من أنبيائه في سورة الصَّافَّات: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصَّافات: ٨١]، وعن موسى وهارون: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٢٢]، ومعنى هذه النِّسبة أو الإضافة إليه جلَّ شأنه اختيارٌ وتفضيلٌ وتقريبٌ، ومن كان في حمى الله حماه الله؛ لهذا يقول الباري ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجر: ٤٢]، فعباد الله هم الَّذين استجابوا لأمره، وأدَّوا ما عليهم من واجب، وكانوا مع الله في أحوالهم جميعها، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨]، ويستجيب الله لهم إذا دعوا، وينصرهم إذا استنصروا، ويغفر لهم إذا استغفروا، ويتوب عليهم إذا تابوا، ومن كان مع الله كان الله معه.

«كان خُلُقه القرآن»(١)

السُّؤال:

ما معنى الآيات الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدَّثِّر: ١-٤]؟

الجواب:

سأل السَّائل عن معنى أربع آيات، والوصايا الَّتي أوصى بها ربُّ السَّماء رسوله ﷺ في أوَّل هذه السُّورة ستُّ وصايا في سبع آيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدَّثِّر: ١-٧]، نداء عُلويٌّ من ربِّ السَّماء، يدعو محمَّدًا ﷺ للأمر الجلل؛ أمر الدَّعوة والجهاد والكفاح والمشقَّة، ولِيتهيَّأ لهذا الأمر العظيم، فيقوم له بقواه كلِّها، ويلقى النَّاس مُنذِرًا ومُبَشِّرًا، لا يلتفت إلى عناد معاند، ولا يتهيَّب من كبر متكبِّر، يدعو النَّاس باسم الله وإلى الله الكبير الَّذي تضاءلت أمام كبريائه كلُّ كبرياء، إنَّه يدعوه إلى أن يخلع عنه دثار الرَّاحة، ويُطَهِّرَ ثيابه من غبار الزَّمن الَّذي عاشه قبل النُّبوَّة، فإنَّه منذ اليوم يلبس ثياب النُّبوَّة، ويتدرَّع بثياب الجهاد في سبيل الله، حتَّى يكون صالحًا للعمل، وهذا معنى تطهير الثِّياب.

وكان محمَّد ﷺ - قبل أن يكون نبيًّا - رجلًا من النَّاس، يعيش من عمله، فقد رعى الغنم في صباه، وتاجر في شبابه وكهولته، حتَّى إذا أتمَّ

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٤٦٠١).

الأربعين من عمره اختاره الله رسولًا لهذه الأُمَّة، ثمَّ رسولًا للنَّاس كافَّة ورحمةً للعالمين، وممَّا ينبغي ليأخذ النَّبيُّ ﷺ نفسه في مقام النُّبوَّة أن يهجر الرُّجز، والرُّجز معناه: عبادة الأوثان والشِّرك، وأن يُطَهِّر الثَّوب ممَّا قد يُصيبه، ولا يضجر من كلام المشركين أو عنادهم، فالنُّبوَّة عبء ثقيل تنوء[1] بحمله الجبال.

هذه كلُّها أوامر إلهيَّة، نزلت على الرَّسول ﷺ تُعِدُّه للنُّهوض بالتَّبعة الكبرى، ومواجهة قريش بالجهر بالدَّعوة، وتخبره بما سيترتَّب على ذلك من مشاقَّ كثيرة متنوِّعة، تحتاج مواجهتها إلى استعداد نفسيٍّ، وصبر كبير، واحتمال ثقيل، وإنَّها تقول له: إنَّك قد بُعثت من الله، وإنَّك رحمة مهداة من عند الله، فلا يرى النَّاس منك استعلاء ولا تطاولًا ولا منًّا بالإحسان ولا سلطانًا ولا سيطرة.

مع الرَّسول في بيته

السُّؤال:

سائل يطلب تفسير الآيات الكريمة رقم (٣٢) و(٣٣) و(٣٤) من سورة الأحزاب، وهي قول الله ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

(١) ناء به الحمل: أثقله وأماله. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١/ ٤٧١).

ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

الجواب:

إنَّ الله ﷻ أمر نساء النَّبيِّ بأمرٍ خصَّهنَّ به دون سائر النِّساء؛ لأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين، ولهنَّ مكانة عليا على بقيَّة النِّساء، فكأنَّه يقول لهنَّ: إذا استقصيت النِّساء جماعة لم يوجد منهنَّ من نساء يكنَّ في الفضل والكرامة مثلكنَّ، فأنتنَّ أمَّهات المؤمنين، فلا تخضعن بالقول برخامة صوت أو لين كلام، ففي النَّاس منافقون، وقد يطمع في الخيانة من في قلبه مرض وفساد وريبة ونفاق، والقلوب المريضة الَّتي تُثار وتطمع موجودة في كلِّ عهد وبيئة تجاه كلِّ امرأة، ولا طهارة من الدَّنس ولا تخلُّص من الرِّجس إلَّا بالتَّقوى. فالله أمر نساء النَّبيِّ أن يكون حديثهنَّ في أمور معروفة، لا هذر فيها ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وأمرهنَّ بملازمة البيوت فلا يبرحنها؛ لأنَّ حوائجهنَّ مقضيَّة وهنَّ فيها، والبيت مملكة المرأة، إلَّا أن يكون في خروجها ضرورة، أو حاجة تفيدها وتفيد من هي مسؤولة عنه.

ثمَّ قال الله تعالى لنساء النَّبيِّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ أي: لا تُظهِرنَ من الزِّينة ما يلفت إليكنَّ نظر الرِّجال، فقد كان من تبرُّج الجاهليَّة أن تبرز المرأة محاسنها، وتمرَّ بين الرِّجال كاشفة صدرها وعنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات بالحشمة، وأن يدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وأمرهنَّ أن يضربن بخمرهنَّ على جيوبهنَّ، ولا يبدين زينتهنَّ إلَّا لأزواجهنَّ أو

محارمهنَّ من الرِّجال، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النـــور: ٣١].

ثمَّ يُشير النَّصُّ القرآنيُّ إلى أنَّ التَّبرُّج من مُخلَّفات الجاهليَّة الَّتي يرتفع عنها الإسلام بآدابه، ثمَّ يأتي أمر إقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وطاعة الله ورسوله صلة بالله يرتفع بها الإنسان ويشعر أنَّه أهدى وأعلى وأتقى، وأنَّه حَرِيٌّ أن يهدي النَّاس إلى الحقِّ والنُّور، وهي خاتمة التَّوجيهات الأخلاقيَّة والسُّلوكيَّة لأهل بيت النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه لا يقوم شيء من تلك التَّوجيهات بغير عبادة وطاعة، ومتى تمَّ ذلك ذهب الرِّجس وطُهِّرَتِ النَّفسُ، ومن أحقُّ بذلك من أهل بيت النُّبوَّة؟ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحـزَاب: ٣٣]، وأهـل بيـت النُّبوَّة يعني: رجالًا ونساءً وبناتٍ وأزواجًا وأقاربَ، وكلُّما كان المرءُ منهم أقربَ وبالنَّبيِّ أخصَّ وألزمَ كان بالإرادةِ أحقَّ وأجدرَ، وأعني بالإرادة إرادة الله ﷻ ليذهب عنهم الرِّجس، ورُوِيَ في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ كان يمرُّ ببيت فاطمة رضي الله عنها ستَّة أشهرٍ إذا خَرَجَ إلى صلاة الفجر، فيقول: «**الصَّلاة يا أهل البيت**، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣]»[(١)].

وبعد ذلك كلِّه قال الله لنساء النَّبيِّ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾ [الأحزَاب: ٣٤]، اذكرن نعمة الله عليكنَّ بأن جعلكنَّ في بيت النَّبيِّ أو في بيوته، تلك البيوت الَّتي تتلى فيها آيات الله الَّتي

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٢٠٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

تُزَكِّي النُّفوس، وفيها الحكمة الَّتي تُرَبِّيها، واحمَدنَ الله على ذلك واشكُرنَهُ على جزيل فضله عليكنَّ، واعلمن أنَّكنَّ مكلَّفات بذكر ذلك للأمَّة، فلا تبخلْنَ بإجابة سائلة، فإنَّ الله ﷻ لطيفٌ بكنَّ؛ إذ جعلكنَّ في بيوت هي أفضل البيوت، يتنزَّل فيها جبريل بآيات الله وشرائعه، وخبيرٌ بكنَّ؛ إذ اختاركنَّ لرسوله أزواجًا، وللمؤمنين والمؤمنات أمَّهات ومعلِّمات.

هل حرَّم الرَّسول شيئًا أحلَّه الله له؟

السُّؤال:

كنَّا قبل خمسة أيَّام جالسين أنا وأصدقائي وسمعنا من إحدى الإذاعات تلاوة كريمة ابتدأها القارئ بسورة التَّحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ [التحريم: ١] **فهل حرَّم النَّبيُّ ﷺ أشياء أحلَّها الله له؟ أرجو أن تتكرَّموا بالجواب عن هذه الرِّسالة، فتشرحوا لنا سبب نزول هذه الآيات، وتذكروا لنا الشَّيء الَّذي حرَّمه النَّبيُّ على نفسه من حلالٍ أحلَّه الله له؟**

وما معنى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥]؟ **وما معنى كلمة سائحات؟**

ومَن هُنَّ زوجات الرَّسول؟ وكم عددهنَّ؟

الجواب:

نزلت سورة التَّحريم في المدينة، وهي تعرض لنا صورة من حياة النَّبيِّ ﷺ في بيته، وفيها توجيهات عامَّة للأُمَّة على ضوء ما وقع للنَّبيِّ مع أزواجه، وقبل أن نتكلَّم على هذه الحياة علينا أن نأتي بقِصَّة تَعدُّد زوجات النَّبيِّ ﷺ، وقصَّة كلِّ زوجةٍ من هؤلاء الزَّوجات:

١- أوَّل زوجاتِه خديجة بنت خويلد، تزوَّجها وهو ابن (٢٥) سنة، وكانت هي في الأربعين من عمرها، وعاشت معه (٢٥) سنة لم يتزوَّج غيرها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكانت سنُّه ﷺ قد تجاوزت الخمسين.

٢- وبعد وفاة خديجة تزوَّج عليه السلام سودة بنت زمعة، وكان زوجها السَّكران ابن عمرو بن عبد شمس من مهاجري الحبشة، وتوفِّيَ هناك، ولم تكن ذات مال أو جمال، وكانت عجوزًا لا حامي لها، فتزوَّجها ﷺ ليؤويها ويحميها، وكان زواجه منها أيضًا تأليفًا لأعدائه من أهلها.

٣- ثمَّ تزوَّج عائشة بنت الصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنه، وهي بنت أحبِّ النَّاس إليه، ولحبِّ أبيها كانت هي أحبَّ النِّساء إليه، عقد عليها قبل الهجرة، ودخل بها بعد الهجرة.

٤- ثمَّ تزوَّج حفصة بنت عمر بعد أن مات زوجها، ولم تكن ذات جمال أيضًا، فتزوَّجها تشريفًا وتطييبًا لخاطر أبيها.

٥- ثمَّ تزوَّج زينب بنت خزيمة، وكان قد قُتِلَ زوجُها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر، وليس لها مَن يحميها في المدينة، وهي مسلمة، ولم تكن ذات جمال.

٦- وتزوَّج أمَّ سلمة، فقد مات زوجها من جِراحٍ كان قد أصيب بها يوم أُحد، وكانت ذات عيال من أبي سلمة، فتزوَّجها وضمَّ إليه عيالها.

٧- تزوَّج زينب بنت جحش، وهي بنت عمَّته، وكانت زوجًا لزيد بن حارثة الَّذي تبنَّاه، فتزوَّجها ليقضي على عادة التَّبنِّي الَّتي حرَّمها الإسلام، وكانت زينب جميلة.

٨- تزوَّج جويريَّة بنت الحارث، ولهذا الزَّواج قصَّة: ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ عَلِمَ أنَّ بني المصطلق جاؤوا ليغزوا المدينة، فخرج إليهم ﷺ، وانتصر عليهم، وأسر رجالهم، وكانوا عربًا من أشرف القبائل، ورجا في إسلامهم خيرًا للمسلمين، فتزوَّج من بنت سيِّدهم الحارث، ولمَّا عَلِمَ المسلمون بذلك قالوا: أصهار رسول الله لا يسترقُّون. فأطلقوا أسراهم، وأسلم القوم جميعًا، وكانوا من أقوى أنصار المسلمين[1].

٩- ومن زوجاته أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان، هاجرت وتركت وطنها وقومها، وكانت امرأة مسنَّة، فتزوَّجها لينقذها من ضياع الغربة والأهل والزَّوج.

١٠- وتزوَّج صفيَّة بنتَ حُيَيِّ بن أخطب اليهوديِّ، بعد أن قتل قومها من بني النَّضير، وكانت قد أسلمت، وحسن إسلامها، فآواها إليه وضمَّها إلى بيته، وكان قبل زواجه بها قد خيَّرها بين أن تلحق بأهلها أو أن يعتقها ويزوِّجها من تختار، فقالت: اخترت الله ورسوله.

١١- وآخر زوجاته ميمونة بنت الحارث، وكان زوجها قد مات في الإسلام، وكانت مُسِنَّة.

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٢٢/ ٥٠).

نفهم من ذلك أنَّ تعدُّد زواجه ﷺ كان إنقاذًا من ضياع، أو إن شئت فقل: نجدة. وقد رأينا أنَّ هذه الزَّوجات لم يَكُنَّ شوابًّا، ولا كان لهنَّ مال، ولا رغب فيهنَّ لجمال، ما عدا عائشة وزينب وجويريَّة بنت الحارث سيِّد بني المصطلق، وقد ذكرنا الأسباب الَّتي دفعته ﷺ للزَّواج بهنَّ.

وقد عاش النَّبيُّ ﷺ في بيته مع أزواجه رجلًا، لكنَّه كان «**ألين النَّاس مع نسائه وأكرمهم، ضحَّاكًا بسَّامًا**»(١)، حتَّى أنَّه ﷺ كان يقول: «**خيركم خيركم لأهله**»(٢)، ومن قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم**»(٣)، وكان ﷺ يشفق على نسائه أن يدخل عليهنَّ وهو غير باسم، ولم يجعل من هيبة النُّبوَّة سدًّا رادعًا بينه وبين نسائه، ومن قوله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى لم يبعثني مُعنِّتًا**(٤) **ولا مُتَعنِّتًا**(٥)، **ولكن بعثني معلِّمًا مُيَسِّرًا**»(٦)، ومع ما كان عليه من لُطفٍ وعطفٍ ولينٍ وحسنِ معاشرةٍ فقد كان بيته خاليًا من كلِّ متاع الدُّنيا، فلمَّا نزلت عليه الآيتان الكريمتان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]، خيَّرهنَّ، فقلْنَ: بل نختار الله ورسوله والدَّار الآخرة.

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (١٨٧١٩).
(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٨٩٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) رواه الترمذي، رقم: (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٤) معنِّتًا: مُشدِّدًا يُلزِم بما يصعب أداؤه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/ ١٤).
(٥) تعنَّت فلانٌ فلانًا: إذا أدخل عليه الأذى. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/ ١٥).
(٦) رواه مسلم، رقم: (١٤٧٨).

أمَّا سبب نزول الآيات من أوَّل سورة التَّحريم فبعد أن تزوَّج النَّبيُّ زينب بنت جحش غارت عائشة منها؛ لأنَّه لم يكن في نساء النَّبيِّ من يضاهيها في وسامتها وشبابها سواها، وفي يوم من الأيَّام اتَّفقت عائشة وحفصة على شيء تفعلانه ضدَّ زينب بنت جحش، وبعد أن خرج النَّبيُّ من عند زينب ودخل على إحداهنَّ قالت له: أكلت مغافير. والمغافير: صمغ حلو الطَّعم، كريه الرَّائحة، يعمل منه أهل المدينة شرابًا، فقال ﷺ: «**لا، ولكنِّي كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدًا**»[(١)]، فأخبرت المرأة بذلك صاحبتها، وانكشفت المؤامرة؛ لأنَّ الله أطلع رسوله على الأمر، وذكر ﷺ لهما ما دار بينهما، فقالت إحداهنَّ: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التّحْريم: ٣]، وكان من جرَّاء هذا الحادث أن غَضِبَ النَّبيُّ ﷺ على نسائه غضب تأديب، وآلى ألَّا يقربهنَّ شهرًا، وخاف النِّساء كلُّهنَّ من أن يؤدِّي هذا الغضب إلى تطليقهنَّ، وغضب الحليم شديد يضرب العرب به الأمثال، وقديمًا قالوا: اتَّقِّ غضب الحليم. ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ عاد إلى بيته بعد (٢٩) يومًا بعد أن نزلت الآيات الكريمات[(٢)]. وفي الآيات تأنيب لأزواجه ﷺ، لا سيَّما الزَّوجتين المتآمرتين، فقال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التّحْريم: ٤-٥].

---

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٩١٢)، ومسلم، رقم: (١٤٧٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٨٨).

أمَّا سؤال الأخ السَّائل عن معنى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التّحريم: ١] فلا يخفى أنَّ العسلَ حلالٌ، وهو من أنفع المباحات، ولا يجوز لأحد أن يحرم نفسه من مباحٍ؛ إرضاءً لآخرَ، فتحريم الحلال يستوجب المؤاخذة، واليمين الَّتي يحلفها الإنسان على حرمان نفسه من شيءٍ مُباحٌ قد فرض الله تَحِلَّتها؛ أي: كفَّارتها، لا سيَّما اليمين في غير معروف، فالعدول عنها أوجب، وبحقِّ الحالف أولى.

وأمَّا سؤال الأخ الفاضل عن معنى كلمة سائحات في الآية الكريمة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التّحريم: ٥] فالسِّياحة معناها: التَّأمُّل والتَّدبُّر والتَّفكُّر في إبداع الله.

وفي ختام الجواب أُحِبُّ أن أبيِّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُطلِّق زوجة من زوجاته دخل بها، ولم يضرب واحدة منهنَّ قطُّ، ولم يُروَ عنه أنَّه ضرب خادمًا أو نَهَرَهُ، حتَّى إنَّه ثبت عنه أنَّه كان يكره ذلك، هذه صورة من حياة النَّبيِّ ﷺ في بيته، نرى فيها حياةَ رجلٍ كان ينهضُ بإنشاء أمَّة ويُعِدُّها لِتنهض بحمل العقيدة الإلهيَّة في صورتها الختاميَّة، وتُنشئ في الأرض مجتمعًا ربَّانيًّا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في صورة واقعيَّة يتأسَّى بها النَّاس، فهذه مقتطفات من حياة إنسانٍ كريمٍ رفيعٍ جليلٍ عظيمٍ لم تمنعه تأدية رسالته من أن يعيش حياة كعامَّة النَّاس، جرى القدرُ بأن يكون هذا الإنسان العظيم بشرًا رسولًا، إنَّها الرِّسالة الكاملة الَّتي يحملها الرَّسول الكامل ﷺ، ويجب على كلِّ مسلم أن يجعل منها في حياته كلِّها أسوةً حسنة.

موضع السُّجود من الرُّكوع

السُّؤال:

في سورة آل عمران آية يقول فيها الباري ﷻ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٤٣]، **أرجو تفسير هذه الآية.**

وهل يجوز السُّجود قبل الرُّكوع؟

الجواب:

السُّجود معناه باللُّغة العربيَّة: التَّطامن والتَّذلُّل. والرُّكوع معناه: الانحناء. وكِلا الفعلين فيه تواضع وخشوع، وقد يطلق الرُّكوع على السُّجود، والسُّجود على الرُّكوع، ولكنَّ فقهاء الإسلام باصطلاحاتهم قيَّدوا الرُّكوع بفعله المعروف، والسُّجود بفعله المعروف في صلاتنا نحن المسلمين، ومع ذلك فما زال كثير من العرب يطلقون الرُّكوع على الفعلين، فيسمُّون الرُّكوع ركعة الهواء، والسُّجود ركعة الأرض.

والله ﷻ أراد من عباده في كلِّ دين أنزله على أنبيائه من زمن نوح حتَّى محمَّد صلَّى الله عليهم أجمعين أن يخشعوا له وحده، ويستشعروا التَّواضع في هذا الانحناء والتَّطامن، وإن كانت الصَّلوات في كلِّ دين تختلف في أعمالها وصورتها فإنَّ النَّاسَ جميعًا طولِبُوا أن يُصَلُّوا بمثل ما طولِبنا؛ بخشوعٍ وتذلُّل ودعاء واستغفار.

والرُّكوع والسُّجود عبادة لله وطاعة وخشوع، إنَّها حياة موصولة بالله، لا تحتاج إلى واسطة ولا وجاهة ولا شفاعة، لا تحتاج إلَّا إلى أن يُخلص

العبد لربِّه بوقوفه خاشعًا ذليلًا خاضعًا له، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ**»(١).

وفي تفسير القرطبيِّ محمَّد بن أحمد الأنصاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عند ذكره الآية الكريمة (٤٣) من سورة آل عمران قال: «﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾ [آل عِمرَان: ٤٣] قدَّم السُّجود هنا على الرُّكوع؛ لأنَّ الواو لا توجب التَّرتيب، وقيل: كان شرعهم السُّجود قبل الرُّكوع»(٢).

وعلى كلِّ حال أرى أنَّ المعنى هو: أنَّ الله ﷻ أمر مريم أن تتعبَّد مع المتعبِّدين، فتقيم الصَّلاة قانتة، - والقنوت: الخشوع والتَّذلُّل - وتطيل صلاتها مُطمئنَّة، وتفعلها كاملة مع المتعبِّدين، وليس هناك حاجة إلى أن نفهم هل هناك ركوع قبل السُّجود أم سجود قبل الرُّكوع، وإنَّما علينا أن نعلم أنَّ الله طلب إلينا أن نعبده راكعين ساجدين خاشعين مطمئنِّين كما أمر بذلك مريم أمَّ عيسى عليهما السَّلام وعلى نبيِّنا أفضل الصَّلاة والسَّلام.

فضل بعض الأنبياء على بعض

السُّؤال:

قرأت في سورة الإسراء الآية الكريمة: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإســـرَاء: ٥٥]،

(١) رواه مسلم، رقم: (٤٨٢).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٨٥).

وقد عَلِمنَا أنَّ نبيَّنا ﷺ أفضل الأنبياء، فبماذا فُضِّلَ عليهم؟

الجواب:

الأنبياء منهم مرسلون ومنهم غير مرسلين، ولهذا قيل: كلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا. فالنَّبيُّ رجلٌ أُوحِيَ إليه بوحيٍ لم يؤمر بتبليغه، أمَّا الرَّسول فأوحِيَ إليه بوحي وأُمِرَ بتبليغه، والرُّسل أفضل من الأنبياء بما خصَّهم الله به من الرِّسالة والتَّبليغ، وكلُّما اتَّسعت رسالة النَّبيِّ كان أفضل، فمن الرُّسل من بُعِثَ إلى أهله، ومنهم من بُعِثَ إلى قومه، ومنهم من بُعِثَ إلى ملأ، ومنهم من بُعِثَ بشرع مؤقَّتٍ، ثمَّ جاءت بعثة النَّبيِّ ﷺ للبشر جميعهم بهداية كاملة عامَّة، أكمل الله بها دينه الَّذي بعث به رسله الأوَّلين، وأتمَّ بهذه الرِّسالة نعمته على البشر، فكان محمَّدٌ ﷺ رحمةً عامَّةً للعالمين، وخاتم النَّبيِّين، والرَّسولَ للنَّاس أجمعين، والأشياء تُكمَل بخواتيمها.

كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة في الأوامر والشِّدَّة في الأحكام، وكانت تعليمات عيسى تأمر باتِّباع شريعة موسى مع الزُّهد في الدُّنيا والابتعاد منها، وجاءت شريعة محمَّد ﷺ وسطًا في كلٍّ منهما، وكانت للدِّين والدُّنيا، ويسرًا لا تكليف فيها، وسبيلًا سهلةً لا وعورة فيها، وكانت كما وصفها ﷺ: «**ليلها كنهارها**»[1]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، وبهذا كانت هذه الأمَّة أمَّة وسطًا، وشريعة الإسلام شريعة وسطًا، وكان محمَّد رسول الله ﷺ في اعتقادنا

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢).

أفضل الأنبياء، ومعنى الفضل في اللُّغة العربيَّة: الزِّيادة، ولمَّا كانت رسالة محمَّد للأمم جميعها فلم تُخصَّص بها أمَّة دون أمَّة كان المبعوث بها أفضل الأنبياء ﷺ.

طالوت ملك بني إسرائيل

السُّؤال:

ما تفسير الآيات الكريمة المُتَضَمِّنَة قِصَّة الملأ من بني إسرائيل الَّذين سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم ملكًا ليقاتلوا في سبيل الله؟ وهل هذا النَّبيُّ هو داود الَّذي قتل جالوت، أم غيره؟

الجواب:

هذه الآيات الكريمة تأتي في آخر الجزء الثَّاني في سورة البقرة من الآية (٢٤٦) إلى (٢٥٢)، وهنا خلافٌ في اسم هذا النَّبيِّ: هل هو شميل أم صمويل؟ وكان جواب النَّبيِّ لهم: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٦]؛ لأنَّه يعرف طباع قومه اليهود وإحجامهم عن امتثال الأوامر، ولكنَّهم أصرُّوا على تعيين الملك؛ ليجمع شملهم بعد شتات، ويوحِّد صفوفهم بعد تفرقة، وقال لهم نبيُّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧]، وطالوت تعريب شاؤول، فقد جاء ذكره في التَّوراة باسم: شاؤول، وكان طويل القامة قويَّ العضل، واعترض اليهود على تمليكه عليهم؛ لأنَّه فقير ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧]، وفيهم من هو أغنى منه، فقال نبيُّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧]، والعلم المقصود في هذه الآية علم سياسة الملك وتدبير الأمور؛ لأنَّ الملك يحتاج إلى مثل هذا، ثمَّ أخبرهم نبيُّهم أنَّ من توفيق الله لطالوت - زيادة على سعة العلم وبسطة الجسم - أن يعود التَّابوت إليهم، والتَّابوت: هو - كما ذكره المفسِّرون - صندوق يحتوي على مقدَّسات من مخلَّفات أنبيائهم، ومن هذه المخلَّفات نسخة الألواح الَّتي أعطاها الله لموسى، وآثار مقدَّسة تطمئنُّ إليها نفوس من يُقَدِّسونها، فكان لهذا الصُّندوق شأن عند بني إسرائيل، إذا رأوه اطمأنُّوا وسكنت نفوسهم، وكان أعداء اليهود قد اغتصبوا هذا الصُّندوق ونكَّلوا بهم تنكيلًا عظيمًا.

وانقاد الملأ من بني إسرائيل للملك طالوت، - تعريب شاؤول - وكان في هؤلاء الجنود داود عليه السلام وكان جنديًّا مِقدامًا شُجاعًا قبل أن يكونَ نبيًّا، فبرزَ لِمَلِكِ الأعداء، واسمه: جالوت - تعريبًا لاسمه في التَّوراة: جليات - وقتلَهُ، وبقتله نصرَ اللهُ الفئة القليلة من بني إسرائيل على الفئة الكثيرة من أعدائهم، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩].

وكانت هذه الشَّجاعة وسيلة إلى شهرة داود الَّذي وَرِثَ بعد موت طالوت مُلك بني إسرائيل، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١]، فكان ملكًا وعالمًا وصانعًا للدُّروع، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبيَاء: ٨٠]، ومن هنا نفهم أنَّ النَّبيَّ الَّذي سأله بنو إسرائيل أن يبعث لهم ملكًا هو غير داود، وأنَّ داود كان جنديًّا في جيش هذا المِلك، وبعد وفاته ملك داود ومن بعده ابنه سليمان، ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [صٓ: ٣٠].

الثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا

السُّؤال:

من هم الثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا ونزلت فيهم الآية الكريمة من سورة التَّوبة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التّوبَة: ١١٨]؟

الجواب:

هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الرَّبيع، وهلال بن أُميَّة، من صحابة رسول الله ﷺ تخلَّفوا عن غزوة تبوك، وكان من أمرها أنَّ رسول الله ﷺ أمر بالاستعداد لها عندما بلغه تجمُّع الرُّوم وتجهُّزهم لغزو المسلمين في بلادهم، وكان النَّاس في زمن عسرة وجدب وشِدَّةِ حرٍّ، ومع ذلك أمر الرَّسول ﷺ بالتَّجهُّز العامِّ، وهنا وجد المنافقون فرصتهم في ضعاف الإيمان، يثبِّطونهم عن الخروج، وقال المنافقون لهم: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التّوبَة: ٨١]، ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾ [التّوبَة: ٩٠]، لكنَّ ناسًا تخلَّفوا لا يُشَكُّ في إيمانهم، وليسوا فقراء، ومنهم الثَّلاثة: كعب، ومرارة، وهلال.

ولمَّا رجع النَّبيُّ ﷺ جاء المُخلَّفون يحلفون بالله أنَّهم تخلَّفوا ويذكرون في اعتذارهم هذا أسبابًا كاذبة، وقد أمر الله رسوله أن يُعرِضَ عنهم، وإلى هذا أشارت الآيتان الكريمتان: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا

كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

أمَّا الثَّلاثة فإنَّهم اعترفوا بذنوبهم، والرَّسول ﷺ لا يشكُّ في صدق إيمانهم، وأصحاب الرَّسول ﷺ يشهدون لهم بذلك وكلُّهم قال: والله يا رسول الله ما كان لي من عذر، فوكَّل الرَّسول أمرهم إلى الله وظلُّوا أيَّامًا لا يكلِّمهم أحد واجتنبهم النَّاس حتَّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ثمَّ جاءتهم بشرى قبول توبتهم فأنزل الله الآيتين الكريمتين: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

من هم المنافقون

السُّؤال:

الرَّجاء تفسير الآية الكريمة: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠].

والآية الثَّانية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون: ٥].

من هم هؤلاء الَّذين لن يغفر الله لهم؟ ومن هم الَّذين لَوَّوا رؤوسهم واستكبروا وصدُّوا عن الرَّسول عليه السلام؟

الجواب:

هاتان الآيتان نزلتا في جماعة المنافقين، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن عبد الله بن عبَّاس عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، قال عمر: «لمَّا مات عبد الله بن أُبَيٍّ دُعِيَ رسول الله ﷺ للصَّلاة عليه فقام إليه، فلمَّا وقف يريد الصَّلاة تَحَوَّلتُ حتَّى قُمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أعلى عدوِّ الله عبد الله بن أُبَيٍّ القائلِ يومَ كذا وكذا: كذا وكذا، وأُعَدِّدُ أيَّامه ورسول الله ﷺ يتبسَّم، حتَّى إذا أكثرت عليه، قال: «**أَخِّر عنِّي يا عمر، إنِّي خُيِّرتُ فاخترت، قد قيل لي**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٨٠]، ولو أعلم أنَّي لو زدت على السَّبعين غُفِرَ له لزِدْتُ»، قال عمر: ثمَّ صلَّى عليه ومشى معه فقام على قبره حتَّى فرغ منه، فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم، قال عمر: فوالله ما كان إلَّا يسيرًا حتَّى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التّوبَة: ٨٤-٨٥]»[1].

والنِّفاق معناه: مخالفة الباطن للظَّاهر، والمنافق يقابل بوجه ويدابر بوجه آخر، والنِّفاق نفاقان: نفاق في الاعتقاد والدِّين وهو كفر، ونفاق في العمل وهو مرضٌ نفسيٌّ أو خلقيٌّ، وفي الحالتين نرى المنافق يكذب

(١) رواه البخاري، رقم: (١٣٦٦)، وأحمد، رقم: (٩٥).

ويخادع ويتستَّر ويُداهن، وهو من هذا يتعذَّب في نفسه فيخشى أن ينكشف أمرُه أو يظهر سرُّه، والمنافقون في الأُمَّة كالسَّرطان يُصيب الجسم، وينفثون سمومهم فيه حين المحن والبلاء كما ينفث المرض سُمَّه في جسم المريض إذا أحسَّ ضعفًا، فهم في السَّرَّاء عالة، وفي الضَّرَّاء سوس ينخر في عظام الأمَّة، يدَّعون الإيمان، ويُظهِرُون الإخلاص والمحبَّة، ويُحسِنون القول إذا رأوا الأمَّة في خير ونعمة وقوَّة ومنعة، ويُظهِرون الكيد وقت الكرب والضِّيق، ويُكشِّرون عن أنياب الكره للأمَّة عند الشِّدَّة، يمنطقون كلامهم، ويُحسِنون خطبهم، ويخدعون السَّامعين بأقوالهم وأيمانهم، ويخرجون من كلِّ موقف بعذر يَحسُنُ وقعه على الآذان، ولهم بين السُّلطات سمَّاعون ينخدعون بالأقوال والأيمان، إنَّهم يُظهِرون الشَّرَّ دائمًا وهم دائمًا مع الشَّرِّ أينما دار، لا يرى منهم شعبهم في الشِّدَّة إلَّا الجبن والهلع، ولا يرى منهم الرَّخاء إلَّا سوء الخلق وسلاطة اللِّسان والانتهازيَّة، ولقد وصفهم الكتاب الكريم بقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

إذا حصل لمواطنيهم هزَّة أرجفوا، أو إذا أُصيب شعبهم بنكبةٍ هوَّلوا، أو إذا اعتدى معتدٍ كانوا مع الأعداء، وكانوا على المواطنين والشَّعب وحذَّروا من الدِّفاع عن الوطن، وحثُّوا على ترك مراكز الدِّفاع عنه.

والنِّفاق في الإسلام أحطُّ من الكفر؛ لأنَّ الله ﷻ أعدَّ للكافرين عذاب النَّار وقال فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٦-٧].

لكنَّه ذكر المنافقين بسوء الأخلاق، ووصفهم بأقبح الصِّفات فإذا قيل لهم: ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ١١]، ولكنَّهم هم المفسدون، وإذا قيل لهم: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البَقَرَة: ١٣]، وهم في الوقت نفسه سفهاء! ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤] يظنُّون أنَّ هذا هو الذَّكاء والدَّهاء والقدرة على الخداع والتَّستُّر، والمنافق دائمًا في عذاب أليم؛ خوفًا من أن ينكشف أمره، ويظهر خداعه، وتتلقَّفه الأيدي الجبَّارة متى وقع في الفخِّ وتلقَّى أسوأ الجزاء، وكلُّ منافق لا يقف عند حدِّ الكذب والخداع والسَّفه والادِّعاء، وإنَّما يضيف إلى هذه الصِّفات صفتَي اللُّؤم والضَّعف، فهو كما وصف الله المنافقين في سورة البقرة: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٠]، يخافون من سوء العاقبة عند انكشاف أمرهم وإفشاء سرِّهم.

والمرض إذا أصاب البدن أخرجه عن اعتدال مزاجه وصِحَّة أعضائه، وإذا أُهمِلَ ولم يعالج أنشأ مرضًا آخر، ومرض النُّفوس كمرض الأبدان، يخرجها عن كمالها إلى فساد وارتياب وشكٍّ، والنِّفاق مرض نفسيٌّ وانحراف خلقيٌّ يبدأ يسيرًا ثمَّ يزداد، وازدياد هذا المرض يكون في لؤم المنافق وضعفه وخِسَّته، أمَّا الصَّريح الواضح الصَّادق القويُّ - والقويُّ لا يخاف لأنَّه قوي - فلا يغمز ولا يلمز، ولا يخادع ولا يكذب، ولا يحتاج إلى أيِّ صفة من صفات النِّفاق.

ولنستعرض قصَّة من قصص المنافقين في كتاب الله المبين مع اليهود:

لقد وعد المنافقون إخوانهم اليهود بالنَّصر، قالوا لهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]، لكنَّ الله العالم بكلِّ شيء عَرَفَ حقيقة المنافقين فأظهر مكنونهم، وكشف عن بواطنهم، وقال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١٢]، وفعلًا قال المنافقون هذا؛ لأنَّهم يخافون، والخوف جعلهم يخادعون فلا يحفظون عهدًا ولا يوفون وعدًا كما وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا ائتمن خان**» روى هذا الحديث مسلم[(١)]، وكما وصفهم في حديث آخر: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النِّفاق حتَّى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(٢)]؛ لهذه الخصال المذمومة والصِّفات الشَّائنة[(٣)] أعدَّ الله للمنافقين عذابًا أشدُّ من عذاب الكافرين، وجعل لهم الدَّرك الأسفل من النَّار، كما يقول المولى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٥]، فلأوَّل وهلة لا يدرك الإنسان حكمة هذه الشِّدَّة، ولكنَّه إذا نظر في أثر النِّفاق من النَّاحية العامَّة سياسيَّة أو اجتماعيَّة وتجاوز برهة في تفكيره؛ رأى أثره السَّيِّئ على المنافق في المجتمع، ووجد أنَّ المنافق أقوى عنصر في الفساد الاجتماعيِّ وانهيار الأُمَّة.

---

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٣)، ومسلم، رقم: (٥٩).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٤)، ومسلم، رقم: (٥٨).

(٣) شائنة: معيبة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٩٢).

وأنت - أيُّها القارئ الكريم - لو رجعت إلى دينك الإسلاميِّ لعرفت أنَّ الإسلام لم يحارب طائفة من النَّاس كما حارب المنافقين، وضع لهم صفات غير ما وضع للكافرين من المشركين والكتابيِّين؛ لأنَّ النِّفاق مرض فتَّاك إذا حلَّ في الشَّعب أهلكه، لا يُستثنى من ذلك أمَّة من الأمم، ولا عصرًا من العصور، وله أثره السَّيِّئ في الأفراد والجماعات، فهو وإن قلَّ شأنه في علاقة فرد بفرد لكنَّه يتضاعف أثره أضعافًا كثيرة إلى أن يصير شرًّا مستطيرًا إذا اتَّخذته الأمم في علاقاتها بأمم أخرى، أو الدُّول في ارتباطها بدول أخرى.

والإسلام كما حرَّم النِّفاق بين الأفراد حرَّمه كذلك بين الأمم المسلمة في علاقاتها بالأمم الأخرى مسلمة أو غير مسلمة، فاقرأ - أيُّها المسلم الكريم - ما في كتاب الله من أوامر، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النّحل: ٩١]، ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المَائدة: ١]، ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التّوبَة: ٤]، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفَال: ٦١]، إلى آخر ما هنالك من آيات تتضمَّن الأمر بالوفاء بالعهد والابتعاد عن الغدر الَّذي هو أساس النِّفاق.

ويُجَمِّل بعض النَّاس النِّفاق فيُسَمُّونه مجاملة، ويتفنَّنون في تزويقه وتنميقه، ويظنُّونه لازمًا لمواكبة الحياة، حتَّى يقال: فلان لا يجامل إذا كان لا ينافق، وليعلم الأخ المسلم أنَّ المجاملة غير النِّفاق، وأنَّ النِّفاق غير المجاملة، فالمجاملة معناها: المعاملة بالحسنى، أو المعاملة بالجميل، وإعطاء الإنسان حقَّه من التَّقدير، أمَّا النِّفاق فهو كذب على الإنسان بما لا يستحقُّه من تقدير وتعظيم، أو هو كما قلنا: مقابلة بوجه ومدابرة بوجهٍ آخر.

المنافقون

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]؟ **من هم المقصودون في الآية؟ وما معنى كلمة خبال؟ ومن هم السَّمَّاعون؟ وما معنى الفتنة؟**

الجواب:

الآيات الَّتي قبل هذه والَّتي بعدها نزلت حكاية عن غزوة تبوك، وفيها فضح الله المنافقين من أهل المدينة الَّذين مردوا[1] على النِّفاق، وغزوة تبوك كانت في أعقاب سنة شديدة مجدبة، في صيف شديد الحرارة، في وقت نضجت فيه الثِّمار وطاب فيه الجلوس في الظِّلال، أراد الله أن يمتحن المؤمنين بهذا الامتحان القاسي؛ ليعرف فيه صادق الإيمان من ذي الإيمان الضَّعيف.

وكان في المدينة السَّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار الَّذين آمنوا بالله ورسوله ثمَّ لم يرتابوا، سمعوا الدَّعوة إلى الجهاد فاستجابوا لها ولم يتخلَّف منهم مُتخلِّف، وقد أنفق الموسرون منهم في سبيل الله كثيرًا، وجاء المعسرون إلى الرَّسول ﷺ يسألونه ما يحملهم عليه فقال لهم: ﴿لَآ

(١) مرد على الشيء مرودًا: مَرَنَ واستمرَّ. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩/ ١٦٥).

أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]

وفيهم قوم حديثو عهد بالإسلام وآخرون أسلموا خوفًا أو مجاملة، وهؤلاء وأولئك ضعاف الإيمان، ولا يزال المنافق يرى فيهم موطن ضعف يستطيع به أن يُثبِّطهم ويبلبل إيمانهم، وهناك يعيش في هذه البيئة الصَّالحة منافقون اجتمعوا على الكيد للإسلام يدُّسون ويخذلون.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٨-٩]، ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]، وقد بُلِيَ الإسلام بهم.

فلمَّا دعا الرَّسول ﷺ للجهاد تخلَّف من هؤلاء المنافقين كثيرون، وقدَّموا بين يدي الرَّسول ﷺ أعذارهم الكاذبة، ولو أنَّهم خرجوا مع المسلمين ما زادوهم إلَّا خبالًا، ولأوضعوا خلالهم يبغونهم الفتنة، والخبال: هو الاضطراب، والفتنة: هي الَّتي تُفرِّق بين الصُّفوف المتماسكة وتفتيت وحدته، والإيضاع: هو الخسارة أو الإسراع في الشَّيء، فكأنَّهم يريدون أن يُسرِّعوا في خسارة المسلمين أو يُحدثوا خلخلة في صفوفهم، ثمَّ يشير الباري ﷻ إلى نفوسٍ لا تزال حديثة عهد بالإيمان، وقلوبها لم تَصفُ للإسلام وتعطي أسماعها لكلمة السُّوء، ونفهم من هذا أنَّ المقصود في الآية هم المنافقون، والسَّمَّاعون هم حديثو العهد بالإيمان.

نبأ الفاسق

السُّؤال:

ما معنى الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦]؟ **وما سبب نزولها؟ وما معناها؟ وماذا يترتَّب عليها لو صدَّق السَّامع خبر الفاسق؟**

الجواب:

نبدأ أوَّلًا بسبب النُّزول، فقد قيل: إنَّ رسول الله ﷺ أرسل الوليد بن عقبة ليجمع مال الصَّدقة من بني المصطلق، فخرجوا للقائه، ولكنَّه ظنَّ أنَّهم جاؤوا يريدون به شرًّا لعداء كان بينهم في الجاهليَّة، فقفل راجعًا وأخبر النَّبيَّ ﷺ أنَّ القوم منعوا الزَّكاة وارتدُّوا، وأنَّهم همُّوا بقتله، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبَّت ولا يتعجَّل، فانطلق إليهم حتَّى أتاهم ليلًا، فسمع أذانهم وصلاتهم وعلم أنَّهم متمسِّكون بالإسلام[١].

وأيًّا كان سبب النُّزول فإنَّ الآية عامَّة تُحَذِّر كلَّ مسلم من أن يصغي إلى نبأ كاذب ينقله حاسد أو مرجف؛ ليشيع في المسلمين الفوضى، وليوغر[٢] قلوب بعضهم على بعض، وليفسد عليهم أمرهم، وينزع الثِّقة

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣١١).

(٢) الوغر: احتراق الغيظ، وهو ضغنٌ وعداوةٌ وتوقُّدٌ من الغيظ والحقد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٢٨٦).

والطُّمأنينة فيما بينهم.

والفاسق: هو الكاذب، أو من كان مظنَّة للكذب ويتعجَّل الخبر دون أن يتحقَّق منه، والصَّادق موضع ثقة، والفاسق موضع شكٍّ حتَّى يثبت خبره.

وكلمة تبيَّنوا تُشير إلى أنَّه واجب على المؤمن إذا سَمِعَ خبر السُّوء أن لا يبادر إلى تصديقه حتَّى يتثبَّت النَّبأ من ناقل الخبر، فإن كان من أهل الإيمان والثِّقة استمع لقوله، وإن كان غير ذلك فلا يتعجَّل فقد يكون في قوله صدق أو شيء من الصِّدق؛ لأنَّ عاقبةَ التَّعجُّل والتَّسرُّع ندمٌ يعود على المتسرِّع بالحسرة.

الرَّفث ليلة الصِّيام

السُّؤال:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] **إلى آخر الآية، أرجو التَّفضُّل بإيضاح معنى قوله تعالى:** ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] **وما يتعلَّق بالمباحات الَّتي أباحها الله لنا حتَّى يتبيَّن لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، جزاكم الله خيرًا.**

الجواب:

كلمة اختان يختان اختيانًا معناها: خان وظلم وغدر، والمعنى:

تغافلون أنفسكم فتخونونها وتعرِّضونها للعقاب.

وقد كان النَّاس يُفطِرون مع غروب الشَّمس ويسهرون، فمتى نام أحدهم امتنع عن الأكل والشُّرب والشَّهوة حتَّى غروب الشَّمس من اليوم التَّالي، وفي ذلك روى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنَّ النَّاس كانوا يأكلون ويشربون ويخالطون النِّساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا، ثمَّ إنَّ رجلًا من الأنصار يُقال له: قيس بن صِرْمَة صلَّى العشاء ثمَّ نام، فلم يأكل ولم يشرب حتَّى أصبح، فأصبح مجهودًا، وكان عمر قد أصاب من أهله بعدما نام فأتى النَّبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فأنزل الله عليه الآية الكريمة(١).

أمَّا المباحات الَّتي أباحها الله لنا ما بين غروب الشَّمس وطلوع الفجر فهي حلال طيِّب، جاز لنا أن نستعمله في غير نهار رمضان؛ أي: متى غربت الشَّمس، وهو معنى قول الرَّسول عليه السلام: «**إذا أدبر النَّهار وأقبل اللَّيل فقد أفطر الصَّائم**»(٢)، فقد أباح الله لنا الأكل والشُّرب، ومقاربة الأهل والتَّمتُّع بالطَّيِّبات حتَّى يطلع الفجر، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧].

والخيط الأبيض معناه: النَّهار الجديد المُقبِل، والخيط الأسود معناه: اللَّيل المنتهي المُدبِر، وهذه هي حدود الله الَّتي نهانا عن الاقتراب منها بقوله ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]؛ لأنَّ من تعدَّى حدود الله فقد ظلم نفسه، وفي الآية الكريمة إشارة لطيفة، وكلمة سائغة يتذوَّقها المتكلِّم، ويأنس السَّامع لها، تلك هي قول الله تعالى في وصف

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢١٢٤).

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٩٥٤)، ومسلم، رقم: (١١٠٠).

العلاقة بين الزَّوجين: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]، واللِّباس ساتر يحفظ عورة الإنسان لئلَّا تبرز لأبصار الآخرين، واللِّباس واقٍ لمن لبسه يقيه برد الشِّتاء وحرَّ الصَّيف، وكذلك الصِّلة بين الزَّوج والزَّوجة تَستُرُ كلًّا منهما وتقيه، فتستره من غمزات المُتكلِّمين، واغتياب المُغتابين، وتقيه من النَّظر إلى الحرام والوقوع فيه، وحتَّى من التَّفكير فيه.

والإسلام الَّذي أخذ هذا الكائنَ الإنسانيَّ بواقعه كلِّه وارتضى تكوينه وفطرته كما هي: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشّمس: ٧-٨]، هذا الإسلام العظيم قد أخذ بيد المسلم إلى معارج الارتفاع بكلِّ شيءٍ؛ فحماه عن الوقوع بمحرَّمات منعه منها بطيِّباتٍ أباحها له وتَنَسَّم عليه بنسمات لطيفة فخلق له من نفسه زوجًا تطيب له معها الحياة، ثمَّ دثَّرهما بهذا الدِّثار اللَّطيف ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]، ما أحلاها كلمة وأعذبها على المتكلِّم والسَّامع! ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧].

اسم اللّٰه الأعظم

السُّؤال:

تسأل مواطنة عن اسم الله الأعظم، فهي تعرف أنَّ أسماء الله (٩٩) اسمًا فهي تريد الاسم الأعظم منها، فأيُّ واحدٍ هو؟

الجواب:

لله أسماء حسنى، وهي الَّتي وردت في القرآن الكريم مفردة (٩٩) اسمًا، وهناك أسماء غيرها وردت في القرآن لله تعالى مثل: ربِّ العالمين، خير الرَّازقين، أرحم الرَّاحمين، بديع السَّموات والأرض، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، وهي كثيرة لا أدري كم هي، إنَّما أعلم أنَّها غير التِّسعة والتِّسعين اسمًا الَّتي هي الأسماء الحسنى، وهناك أسماء أخرى كثيرة جدًّا لم ترد في القرآن، مثل: حنَّان، منَّان، غياث، شافي، معافي، وتر، وأمثالها، أمَّا الاسم الأعظم الَّذي أعتقد أنَّه الاسم الَّذي لا يستطيع أحد أن يتسمَّى به فهو: الله، وهو اسم مفرد لا يُجمع ولا يُثنَّى ولا يجوز فيه التَّصريف.

مع رسول الله ﷺ في أحاديثه حلاوة الإيمان

السُّؤال:

«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفرِ كما يَكره أن يُقذَف في النَّار».

ما معنى هذا الحديث ومن رواه؟

الجواب:

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والبخاريُّ ومسلم في

«صحيحهما»، ورواه أيضًا التِّرمذيُّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه[1] باللَّفظ نفسه الَّذي كتبته، وقد تتغيَّر بعض ألفاظه بتغيُّر الرِّوايات لكنَّ المعنى واحد، والمعنى الَّذي سألت عنه هو: أنَّ من اتَّصف بصفات ثلاث وعُرِفَ بها كان مؤمنًا حقًّا يتلذَّذ بصالح أعماله، فالصِّفة الأولى: حبُّه لله ورسوله حُبًّا لا يعادله حبٌّ، ويَرْخُصُ دونه كلُّ شيءٍ فهو آكد عليه من حبِّه والديه وولده ونفسه وماله، ومن علامات هذه المحبَّة الدِّفاع عن دين الله وشريعته، والامتثال لأوامره، والابتعاد عن معاصيه، فيغضبه ما يغضب الله، ويسرُّه فعل ما يُحِبُّه الله.

ومحبَّة الله تظهر في الإنسان بطاعة الله؛ لأنَّ الله يُحِبُّ من عبده أن يطيعه، وإذا أطاع العبدُ ربَّه أحبَّه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] ومن أحبَّ الله أحبَّ رسوله ومن يطع الرَّسول فإنَّه أطاع الله.

أمَّا الصِّفة الثَّانية: فهي أن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّه إلَّا لله محبَّة صافية خالصة لله وحده، لا تشوبها شائبة دنيويَّة، فيُحِبُّه لأنَّه من أهل التَّقوى، ولأنَّه مُحسِنٌ ابتعد عن معاصي الله، ويُحِبُّ الصَّالحين من عباده، عدالته ظاهرة، يُحِبُّه لصفات فيه هي صفات الطَّائعين، فلم يُحِبُّه لثروته وجماله، ولا خوفًا من سطوته، ولا لإحسان أسداه إليه، ولا لمعاملة تجاريَّة أو جوار حسن، أو لمصالح متبادلة.

أمَّا الصِّفة الثَّالثة: فهي كرهه للكفر وما يُقرِّبُه منه كما يكره أن يُقذف في النَّار، وهنا جعل الوقوع في نار الدُّنيا أسهل من وقوعه في الكفر

(١) رواه البخاري، رقم: (٢١)، ومسلم، رقم: (٤٣)، والترمذي، رقم: (٢٦٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد، رقم: (١٢٠٠٢).

الَّذي يجرُّه إلى نار الآخرة.

فمن اجتمعت فيه هذه الصِّفات الثَّلاث وجد حلاوة الإيمان، وإنَّها لذَّة وفرح وراحة يراها المؤمن في طاعة ربِّه، وهي ألذُّ ممَّا يجده الطَّاعم للحلاوة؛ لأنَّ المؤمن يتحمَّل المشاقَّ في طاعة الله فلا يجد لها تعبًا ويؤثرها على كلِّ عرض دنيويٍّ في سبيل الطَّاعات.

السَّبع المحرَّمات

السُّؤال:

ما السَّبع المُحرَّمات الواردة في قول رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السَّبع الموبقات: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النَّفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتَّولِّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

الجواب:

هذا الحديث رواه البخاريُّ ومسلم وأبو داود والنَّسائيُّ عن أبي هريرة[1]، ومعنى المُوبِقَات: المُهلِكَات، وهي المعاصي الَّتي تُهلِك صاحبها فلا يكون له منها نجاة، ثمَّ شرح كلَّ واحدة منها.

وفي حديث آخر: «**اجتنبوا السَّبع الكبائر: الشِّرك بالله، وقتل النَّفس،**

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم، رقم: (٨٩)، وأبو داود، رقم: (٢٨٧٤)، والنسائي، رقم: (١١٢٩٧).

والفرار من الزَّحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، وقذف المحصنة، والتَّعرُّب بعد الهجرة»[١]، فأوَّل هذه الموبقات: الشِّرك بالله، ولا يليق بعاقل أن يجعل لخالقه ورازقه شريكًا لا يَخلِقُ ولا يَرزِقُ، ولا يَنفَعُ ولا يَضُرُّ.

وثانيها: قتل النَّفس، لما فيه من اعتداء وظلم، وثالثها: التَّولِّي يوم الزَّحف، فهو شكٌّ في وعد الله بالنَّصر لعباده المؤمنين، والمؤمن يمتاز بصلته بالله، فهو مع الله حيٌّ، وهو معه إن كُتِبَت له الشَّهادة، و«إنَّما هي إحدى الحسنيين إمَّا ظُهُورٌ، وإمَّا شهادةٌ»[٢].

ورابعها وخامسها: أكل مال اليتيم وأكل الرِّبا، وهو أكل مال بغير حقٍّ، وإثراء على حساب الآخر كما يسمُّونه الآن.

وسادسها: قذف المحصنات، وهو تهجُّمٌ على أعراض بريئة، وتهديدٌ لأسر، وتلويثٌ لشرف بلا دليل، وقد يحدث بقذف المحصنة انهيارُ بيتٍ عامر، وشكٌّ وقلق بين زوجين، أو بين ابن وأبيه، أو فرد وأسرته؛ لهذا سمَّى رسول الله هذه السَّيِّئات موبقات ومهلكات وكبائر.

وسابعها: التَّعرُّب بعد الهجرة، ومعنى ذلك: التَّخلُّق بأخلاق عرب الجاهليَّة أو أخلاق الأعراب الَّذين قال الله فيهم: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧].

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٥٦٣٦).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٤٢٨)، وهو قول لعبد الله بن رواحة.

من هو المسلم ومن هو المؤمن؟

السُّؤال:

قرأت هذا الحديث:

«المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَهُ النَّاس على أموالهم وأنفسهم».

ما الفرق بين المؤمن والمسلم؟ وما درجة هذا الحديث من الصِّحَّة؟

الجواب:

قبل أن أجيب عن سؤال السَّائل أقول: الحديث رُوِيَ بصيغ كثيرة منها:

١- «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» رواه مسلم عن جابر بن عبد الله[(١)].

٢- «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم**»، رواه أحمد والتِّرمذيُّ عن أبي هريرة، ورواه الطَّبرانيُّ[(٢)]، ومعنى الدِّماء والأنفس واحد.

٣- «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما**

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٤١).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٦٥١٥)، والترمذي، رقم: (٢٦٢٧)، وقال: حديث حسن صحيح، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٤٤٤).

نهى الله عنه»، رواه البخاريُّ وأبو داود والنَّسائيُّ عن عبد الله بن عمرو[١].

٤- «**المؤمن من أَمِنَهُ النَّاس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هَجَرَ الخطايا والذُّنوب**»، رواه ابن ماجه عن فضالة بن عُبيد[٢].

والجواب:

معنى الإسلام في اللُّغة العربيَّة: الانقياد والخضوع والاستسلام، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: ١٤] يعني: استسلمنا وخضعنا.

أمَّا الإيمان فهو تصديق بالقلب، وإقرار باللِّسان، وعمل بالأركان، والأركان كما يفهمها كلُّ مسلم خمس: «**شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والحجِّ، وصوم رمضان**»[٣].

وقد بيَّن الباري ﷻ في بعض الآيات الكريمة علامات الإيمان الَّتي يتَّصف بها المؤمن، منها قوله تعالى في أوَّل سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٥].

---

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٤٤٤)، وأبو داود، رقم: (٢٤٨١)، والنسائي، رقم: (٨٦٤٨).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٩٣٤).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٨).

وللإيمان علامات جاءت في أحاديث كثيرة أكتفي منها بهذين الحديثين:

الأوَّل: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**»(١)، ومعنى هذا الحديث أنَّ من علامة المؤمن أن يُحِبَّ لأخيه من الخير ما يُحِبُّه لنفسه، فيُحِبُّ له السَّعادة العاجلة والآجلة، والصِّحَّة في الجسم، والأمن في الوطن، ويُحِبُّ له كما يُحِبُّ لنفسه من مال وبنين، ولا يحسده على خير يناله، وأن يكره له الشَّرَّ كما يكرهه لنفسه.

أمَّا الحديث الثَّاني: فهو قول الرَّسول ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مِمَّا سواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفرِ كما يَكره أن يُقذَف في النَّار**»(٢).

ومحبَّة الله تدعو المتَّصف بها إلى طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، فلا يرغب إلَّا فيما عنده، ولا يرهب إلَّا من عذابه، وأن يصلح ما بينه وبينه، فيعبده بإحسانٍ مستشعرًا مراقبته وقربه، كما قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»(٣).

أمَّا من يدَّعي محبَّة الله وهو غارق في الذُّنوب فهو كاذب، ومثله من يظهر للنَّاس بمظهر الصَّالحين فإذا خلا إلى نفسه بارز الله بالمعاصي وحاربه بارتكاب الآثام، فهذا ومَنْ على شاكلته كاذب في محبَّة الله،

---

(١) رواه البخاري، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٤)، والترمذي، رقم: (٢٥١٥)، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٨).

ودليل محبَّة الرَّسول ﷺ متابعة دينه، وسلوك سبيله الَّتي كان يدعو إليها على بصيرةٍ هو ومَنْ اتَّبعه، وهو النَّبيُّ الكريم والمرشد العظيم، الهادي من الضَّلالة والمنقذ من الكفر والغواية، الَّذي أرسله ربُّه جلَّ جلاله ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقد أوجب الله حُبَّه وجعله طاعة له: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاس أجمعين**»، رواه البخاريُّ، ومسلم، والإمام أحمد عن أنس بن مالك[1].

وليس من حبِّ النَّبيِّ ﷺ مدحه مع مخالفة أمره، والثَّناء عليه مع عصيانه بعمل الموالد له، وإنشاد القصائد الَّتي يصف فيها المنشدون كلَّ أعضاء جسمه، فإنَّ هذا لا يقرب من رسول الله شيئًا؛ لأنَّ الَّذي يفعل هذا يخالف سنَّة الرَّسول، ويعصي أمره، ويغرق في الشَّهوات إلى مفرق رأسه، أمَّا إذا اقترن القول بالفعل تفانيًا في حبِّه عليه السلام فذلك والله من تمام الإيمان المأمور به.

الظُّلم في الإسلام

السُّؤال:

سمعت في إحدى الإذاعات العربيَّة حديثًا عن الله ﷻ ورد فيه: «إنِّي حرَّمتُ الظُّلم على نفسي» وفيه: «كلُّكم جائع وأنا أطعمكم، وكلُّكم عراة وأنا أكسوكم»، ولفظه بكامله طويل.

---

(١) رواه البخاري، رقم: (١٥)، ومسلم، رقم: (٤٤)، وأحمد، رقم: (١٢٨١٤).

وأرجو التَّفضُّل بالإجابة عن سؤالي هذا: ما درجة هذا الحديث من الصِّحَّة؟ وأين أستطيع العثور عليه؟

الجواب:

الحديث صحيح، رواه مسلم، والإمام أحمد في «مسنده» عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه، قال أبو ذرٍّ: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «**إنِّي حرَّمت الظُّلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرَّمًا، فلا تظالموا، يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلُّكم جائع إلَّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلَّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنَّكم تُخطِئون باللَّيل والنَّهار وأنا أغفر الذُّنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنَّكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلَّ إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلَّا كما ينقص المخيط إذا أُدخِلَ البحر، يا عبادي، إنَّما هي أعمالكم أُحصيها عليكم ثُمَّ أوفيكم إيَّاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلَّا نفسه**»[1].

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧)، وأحمد، رقم: (٢١٥٤٠).

الخير والشَّرُّ

السُّؤال:

حدثت مناقشة في الصَّفِّ بيننا وبين مُدَرِّستنا حول الخير والشَّرِّ، تقول المُدَرِّسة: الخير والشَّرُّ من الله، واستدلَّت بالحديث الشَّريف الَّذي رواه عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما: «واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك»(١)، وكثيرٌ منَّا قال: إنَّ الخيرَ من الله والشَّرَّ من الإنسان، وفريقٌ قال: إنَّ الإنسان مُخيَّر فالشَّرُّ والخير من عمله بدليل قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزلة: ٧-٨]، أرجو الجواب.

الجواب:

هذه مسألة تكلَّم فيها كثيرٌ من النَّاس وعجزوا عن الوصول إلى حلٍّ يقنع؛ لأنَّ موضوع القدر موضوع شائكٌ خَطِرٌ، والكلام قد يَجُرُّ المتكلِّم إلى شطط بالقول، وكم من كلمة قالها الإنسان لا يُلقي لها بالًا يهوي بسببها في الإثم ولكن لا بُدَّ من إجابة مختصرة حسب معرفتي:

هناك أعمال اختياريَّة يفعلها الإنسان مُختارًا دون أن يجبره عليها أحد كالمعصية مثلًا يفعلها الإنسان باختياره وكذا الطَّاعة؛ لهذا فإنَّ الله يُثِيب

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

الطَّائع على طاعته، ويعاقب العاصي على معصيته؛ لأنَّ الله ﷻ لا يأمر بالفحشاء وإنَّما ينهى عنها، وبالأوامر والنَّواهي أنزل الكتب السَّماويَّة وبعث الأنبياء وقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٢٣]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبيَاء: ٩٤]، وقال أيضًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزلة: ٧-٨]، وجعل للطَّائعين خلودًا في النَّعيم وللعاصين عذابًا أليمًا.

وهناك أعمال لا يملك الإنسان دفعها ولا جلبها، كالصِّحَّة والمرض، والغنى والفقر، والإنجاب والعقم، والحياة والموت، والطُّول والقصر، والجمال والقبح، إلى غير ذلك من أشياء لا يستطيع الإنسان فعلها ولا دفعها، فهذه كلُّها من الله وحده لا يعاقب عليها ولا يجزي بها، وإنَّما يُجازي على الصَّبر والشُّكر، ويعاقب على الجزع والنُّكران، كما يعاقب مَنْ دفع نفسه باختياره إلى التَّهلكة، أو بذَّر ماله بأشياء غير مشروعة.

أمَّا أنَّ يسلكَ الإنسانُ طرق الضَّلال ويُقَصِّر في طاعة الله ويأتي نواهيه ويقول هكذا قدَّر الله عليَّ؛ فهذا كاذب، اتَّخذ إلهه هواه، وضلَّ السَّبيل على علم، ولا مفرَّ للإنسان من القضاء والقدر فهو محيط به؛ لهذا كان من المستحسن أن يَشكُرَ الإنسانُ ربَّه على الهداية ويسألُ اللهَ أن يُعينه على سلوك الطَّريق المستقيم، كما يسأله التَّوفيق.

أمَّا الحديث الَّذي ذكرته السَّائلة في أوَّل رسالتها فهو هكذا:

روى الإمام أحمد والتِّرمذيُّ والحاكم عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إنِّي أُعلِّمُكَ كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا**

استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجفَّتِ الصُّحف»[(١)].

الثَّواب على قدر المشقَّة

السُّؤال:

ما معنى قول القائل: الثَّواب على قدر المشقَّة، وهل هو حديث؟

الجواب:

ما أعرفه أنَّ هناك حديثًا رواه الحاكم يشبه ما ذكرت، يقول فيه: «**إنَّ لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك**»[(٢)]، وصحيحٌ أنَّ الأجر على قدر المشقَّة، ففي الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشَّهوات**»[(٣)]، فليس سهلًا أن يترك الإنسان في الشِّتاء القارس فراشه الدَّافئ ثمَّ يتوضَّأ بالماء البارد، ثمَّ يخرج من بيته متوجِّهًا إلى مسجده معرِّضًا نفسه لريحٍ باردة أو مطرٍ يَبُلُّ الثِّياب، يفعل ذلك ليؤدِّي صلاة الفجر، حتَّى إذا عاد إلى بيته عاد مسرورًا في نفسه؛ لأنَّه أدَّى واجبًا

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٥١٦)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأحمد، رقم: (٢٦٦٩)، والحاكم، رقم: (٢٥٧٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم: (١٧٣٣).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٦٤٨٧)، ومسلم، رقم: (٢٨٢٢).

عليه، ولا شكَّ أنَّ أجر هذا يكون على قدر ما لاقى من مشقَّة.

قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: «**ألا أدلُّك على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدَّرجات، إسباغ الوضوء على المكاره وكثرةُ الخُطَا إلى المسجد، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة**»[(١)]، وإسباغ الوضوء على المكاره؛ أي: تكرار الوضوء عند شِدَّة البرد.

وأفضل الطَّاعة في الجهاد الحراسة، وهي أمر صعب لا سيَّما في اللَّيل، وعند شرَّة[(٢)] العدوِّ وقسوته، والحارس مُعَرَّض للخطر دائمًا لأنَّه فدائيٌّ، فهو في مشقَّة، وثوابه أكثر من ثواب رفاقه لا شكَّ، وفي الحديث: «**عينان لا تمسُّهما النَّار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تَحرُسُ في سبيل الله**» رواه التِّرمذيُّ[(٣)].

والإقدام وقت الزِّحام أمرٌ رغَّب فيه الإسلام وحثَّ عليه، أمَّا حصر هذا الكلام بأداء فريضة الحجِّ فأمر لا أظنُّ أن يكون صحيحًا؛ لأنَّ الله أوجب الصَّلاة على كلِّ أحد ولم يعذر منها إلَّا من لا عقل له، ولم يُسقِط تكليفها إلَّا عن طفل أو مجنون أو فاقد للصَّواب، أمَّا الحجُّ فإنَّه واجبٌ على من استطاع إليه سبيلًا، والاستطاعة هي: صحَّة ويسرٌ وفراغٌ وأمنٌ.

وأنا لا أنكر أنَّ في السَّفر إلى الحجِّ مشاقٌّ، وكان السَّفر إلى الحجِّ شاقًّا وكان المسافر عرضةً لكلِّ خطر؛ خطر البادية والضَّياع والجوع والظَّمأ والأمراض، دون أن يلقى أيَّ دفعٍ لهذه الأخطار، ولا شكَّ أنَّ الله تعالى

---

(١) رواه الترمذي، رقم: (٥١).

(٢) الشِّرَّةُ: الحرص والرغبة والنشاط. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢/ ١٥٦).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (١٦٣٩)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

يجزي هذا المسافر على قدر ما يناله من مشقَّة.

ثواب الصَّبر على المكاره

السُّؤال:

عشت مع زوجي (٢٨) عامًا في نكد، فقد كان مسرفًا عربيدًا مدمنًا مبذِّرًا، وفي هذه المدَّة رزقني الله بنين وبنات وكنت آمل أن يكون لي مع الأبناء سعادة ولكن قيل في المثل: فرخ البطِّ عوَّام، فقد سلك الأبناء مسلك أبيهم في أخلاقه، وخاب أملي وأصبت إثر ذلك بأمراض عصبيَّة لا أستطيع معها احتمال أي كلمة تقال لي، وانهارت أعصابي وأصبحت في خطر، أرجوك هل أؤجر على هذا؟ وهل أنال من صبري ثوابًا؟

الجواب:

قال ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[1]، وخفايا القلوب لا يعلمها إلَّا الله، فإن كنتِ احتسبتِ أجركِ هذا لله فلا شكَّ أنَّ جزاءك سيكون خيرًا، وللصَّابرين أجر يوفونه بغير حساب، هذا ما أستطيع أن أقوله للأخت السَّائلة، وأسأل الله أن يعينك على تحمُّل ما تقاسين.

(١) رواه البخاري، رقم: (١).

الجزع عند المصيبة

السُّؤال:

أرجو إيضاح الحديث الشَّريف: «ليس منَّا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليَّة»، وما درجته من الصِّحَّة؟

الجواب:

الحديث صحيح، رواه البخاريُّ في «صحيحه»، والإمام أحمد في «مسنده»[(١)]، ومعناه: ليس من أهل سُنَّتنا ولا ممَّن سار على طريقتنا واتَّبع منهجنا مَنْ إذا أصابته مصيبة بفقد عزيز له لطم الخدود، أو شقَّ الجيوب، ويقصد بذلك تمزيق الثِّياب، وليس من أهل سنَّتنا من دعا بدعوى الجاهليَّة، وهو الَّذي ينادي بندائهم كمن يقول: واعزي، واسندي، واذخري وما أشبه ذلك من الكلمات الَّتي تُبيِّن عدم الثِّقة بالله والاعتماد على غيره.

ومثل هذا الحديث، حديث آخر رواه النَّسائيُّ عن أبي موسى، ولفظ الحديث: «**ليس منَّا من حَلَقَ، ولا خَرَقَ، ولا سَلَقَ**»[(٢)]، ومعنى سلق: رفع صوته بالبكاء عند المصيبة جزعًا على الميِّت العزيز، وحلق: حلق شعره، وخرق: شقَّ ثوبه.

والحديثان تعليمٌ للأمَّة على الصَّبر عند المصائب واحتسابها عند الله،

---

(١) رواه البخاري، رقم: (١٢٩٤)، وأحمد، رقم: (٤٣٦١).

(٢) رواه النسائي، رقم: (٢٠٠٠).

واعتمادًا على قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧].

العمائم تيجان العرب

السُّؤال:

قرأت في كتاب زَعَمَ صاحبه أنَّ جملة: «العمائم تيجان العرب» هي حديث عن رسول الله ﷺ، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

نعم، إنَّه حديث ورد في روايتين، نصُّ الحديث في الرِّواية الأولى الَّتي رواها الدَّيلميُّ في كتابه: «الفردوس» عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما بهذا اللَّفظ: «**العمائمُ تيجانُ العربِ فإذا وضعوا العمائم وضعوا عِزَّهُم**»[(١)]، والنَّصُّ الثَّاني رواه القُضاعيُّ عن عليٍّ بن أبي طالب بهذا اللَّفظ: «**العمائم تيجان العرب والاحتباء**[(٢)] **حيطانها وجلوس المؤمن في المسجد رباطه**»[(٣)]، وسند الحديثين ضعيف، وأقول:

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس، رقم: (٤٢٤٦).

(٢) الاحتباء: هو أن يضمَّ الإنسانُ رجليه إلى بطنه بثوبٍ يجمعهما به مع ظهره، ويشدُّه عليها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، وابن الأثير (١/ ٣٣٥).

(٣) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٤١١٣٢).

كانت العِمامة هي العلامة الَّتي يمتاز بها العربيُّ عن غيره ويُعرَفُ بها، والرَّابطة الَّتي تربط بين العرب في بلاد الغربة، حيث لا يرغب العربيُّ بلبس زيٍّ آخر من أزياء الأمم الأخرى، ولمَّا كان ذلك كذلك كان ترك العمائم احتقارًا للزِّيِّ العربيِّ ولمن لم يستبدله، وتركًا لمبدأ اعتزُّوا به، هذا ما ظهر لي من معنى الحديث والله أعلم.

الصَّلاة على النَّبيِّ

السُّؤال:

ما معنى صلاة الله على النَّبيِّ، وصلاة الله على البشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزَاب: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزَاب: ٤٣]؟

الجواب:

صلاة الله على النَّبيِّ ﷺ حُسنُ الثَّناء منه على رسوله، والصَّلاة من الملائكة استغفار ودعاء، والصَّلاة من البشر دعاء، فقولنا: اللَّهُمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد؛ معناه اللَّهمَّ أحسن ثناءك على سيِّدنا محمَّد وأجزه عنَّا خيرًا، وصلاة الله على عباده رحمة منه لهم، والصَّلاة من الملائكة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ عندما قال: «**الملائكة تُصلِّي على أحدكم ما دام في مصلَّاه الَّذي صلَّى فيه، ما لم يُحدِث، تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه**»[1].

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٤٥)، ومسلم، رقم: (٦٤٩).

وأمَّا في اللُّغة فالصَّلاة عبادةٌ فيها ركوع وسجود وقراءة ودعاء، وهي على المؤمنين فرضٌ مُعيَّنٌ بأوقات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النِّسَاء: ١٠٣].

كيفيَّة الصَّلاة على النَّبيِّ

السَّؤال:

من عادتنا بعد الصَّلوات أن يقرأ الإمام الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزَاب: ٥٦]، فيردُّ عليه الجماعة بالصَّلاة على النَّبيِّ في صورةٍ جماعيَّةٍ كالنَّشيد، وفي يوم من الأيَّام حضر واعظ من قبل وزارة الأوقاف وأفاد بأنَّ هذه بدعة، فهل تكون الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ بدعة؟ أم أنَّ هذا الواعظ مدسوس؟

الجواب:

قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّها ضلالة**»، رواه التِّرمذيُّ عن العرباض بن سارية[(١)]، وقال عليه السلام في حديثٍ رواه البخاريُّ ومسلم: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ[(٢)]**»[(٣)]، ومعنى

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) ردٌّ: أي: مردود عليه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢١٣).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، رقم: (١٧١٨).

الحديث: من ابتدع في الإسلام شيئًا يخالف الإسلام، واعتبره النَّاس دينًا واجبًا اتِّباعه فهو مرفوض وبدعة.

وقد ظنَّ بعض النَّاس أنَّ هناك شيئًا اسمه بدعة حسنة وبدعة سيِّئة، والرَّسول ﷺ لم يحسن شيئًا من البدع بل قال: «**كلُّ بدعةٍ ضلالة**»(١)، ولم يُفَرِّق بين البدع وإنَّما أجملها بكلمة: كلُّ.

والبدعة هي الشَّيء يفعله الإنسان ويُلْزِمُ النَّاس بفعله حتَّى يظنَّ الجاهل أنَّ هذا من الدِّين، أمَّا إذا كنت بينك وبين نفسك تُصلِّي على النَّبيِّ بالصَّلوات الَّتي أمر بها النَّبيُّ، أو فعلها هو بنفسه، فلا إثم عليك بل تثاب على هذا الفعل لأنَّه أمر حسن.

وكذلك إذا سبَّحت أو هلَّلت أو كبَّرت أو قرأت أو دعوت، فإنَّك تُثاب على هذا، أمَّا أن تجمع النَّاس حولك يسبِّحون لتسبيحك، ويهلِّلون لتهليلك، ويؤمِّنون لدعائك، وتفرض عليهم هذا الشَّيء في أوقات مُعيَّنة يظنُّها الجاهل بالإسلام دينًا واجب الاتِّباع، فهذه بدعة و«**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»(٢)، وهذا حدث لم يفعله الرَّسول ولا خلفاؤه، فالرَّسول عليه السلام قال: «**إيَّاكم ومُحدَثَاتُ الأمور فإنَّ كلَّ بِدعةٍ ضلالة**»(٣)، والله أعلم.

(١) رواه مسلم، رقم: (٨٦٧).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٨٥٢١).
(٣) رواه أحمد، رقم: (١٧١٤٤).

من هو الشَّهيد؟

السُّؤال:

سمعتكم في إحدى النَّدوات تقولون ما معناه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الشَّهيد هو الَّذي يُقتَل في سبيل الله فقط»، وأودُّ أن أضيف أنَّ من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون وطنه فهو شهيد، ونحن نجاهد لاسترداد وطننا، شَجِّعوا شبابنا لفتح باب الشَّهادة على مصراعيه حتَّى لا يتقاعس المجاهدون.

الجواب:

الحديث الَّذي ذكرت رواه الإمام أحمد عن سعيد بن زيد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد**»[(١)]، ورواه أيضًا البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود، والتِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ[(٢)]، وزاد النَّسائيُّ عليه: «**من قُتِلَ دون مظلمته فهو شهيد**»، وهذه الزِّيادة رُوِيَت عن سويد بن مقرن[(٣)]، والشَّهيد معناه: المظلوم الَّذي يقاد له يوم القيامة من ظالمه.

أمَّا الشَّهيد الَّذي يغفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر فهو ذلك الَّذي

---

(١) رواه أحمد، رقم: (١٦٥٢).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٢٤٨٠)، ومسلم، رقم: (١٤١)، وأبو داود، رقم: (٤٧٧٢)، والترمذي، رقم: (١٤٢١)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي، رقم: (٣٥٤٤).

(٣) رواه النسائي، رقم: (٣٥٤٥).

باع نفسه في سبيل الله كما جاء في الآية الكريمة من سورة التَّوبة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

أو كما جاء في الآيات الكريمة من سورة الصَّفِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّف: ١٠-١٣].

أو كما جاء في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩-١٧١].

أمَّا كلمتي الَّتي قلتها في النَّدوة الَّتي ذكرها السَّائل والَّتي ما زلت أذكرها قلت:

الشُّهداء كثيرون، ولكنَّ الشَّهيد في سبيل الله هو الَّذي خرج يقاتل لإعلاء كلمة الله، فإذا عرف الإنسان أنَّه مقتولٌ لا محالة فليجعل نيَّته في سبيل الله، وليدافع عن وطنه وحقِّه في أرضه، ويدافع عن أهله وماله فلماذا يجعل نيَّته للدُّنيا فقط ما دامت «**الأعمال بالنِّيَّات**»[1]؟ فليقاتل في سبيل الله ربِّ الوطن والحقِّ والأهل والمال.

---

(١) سبق تخريجه.

وقد ثبت في كتب السُّنَّة أنَّ صحابة رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، الرَّجل يقاتل حَمِيَّة، والرَّجل يقاتل شجاعة، فأيُّهم في سبيل الله؟ فقال عليه السلام: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا فهو في سبيل الله**»[1].

وليعلم الإخوة المشاهدون والأخوات المشاهدات وأرجو أن يسمع السَّائل أنَّ كلمة شهيد غير كلمة سبيل الله، فالشَّهيد هو الَّذي قُتِلَ ظلمًا ويقاد له يوم القيامة من ظلمه، أمَّا سبيل الله فمعناه: تكفير الذُّنوب ما تقدَّم منها وما تأخَّر، كما جاء في الآيات الكريمة من سورة الصَّفِّ الَّتي ذكرناها.

تاريخُ الهجرةِ النَّبويَّة

السُّؤال:

يحتفل النَّاس في أوَّل محرَّم بذكرى الهجرة النَّبويَّة، فهل كانت الهجرة في أوَّل محرَّم؟ وقد سمعنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ ولِدَ وهاجر وتوفِّي في ربيع الأوَّل، أرجو إيضاح ذلك وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الثَّابت أنَّ هجرة الرَّسول ﷺ كانت في أواخر صفر، قيل: إنَّه خرج من بيته ليلًا واختفى بالغار ثلاث ليالٍ، ثمَّ خرج يلتمس طريق البحر حتَّى وصل إلى قباء، وأقام بها وبنى مسجدها، وصلَّى فيه أوَّل جمعة صُلِّيَت

(١) رواه البخاري، رقم: (١٢٣)، ومسلم، رقم: (١٩٠٤).

في الإسلام، ثمَّ دخل المدينة صباح اليوم الثَّاني عشر من شهر ربيع الأوَّل، هكذا روت التَّواريخ، وإن خالفها آخرون في بعض الرِّوايات، وليس في هذا الخلاف ضرر على الدِّين، ولا على المجتمع الإسلاميِّ إن شاء الله.

والاحتفال بالهجرة، أو بأوَّل يوم من أيَّام السَّنة الهجريَّة أمرٌ غير مشروع، فلم يحتفل النَّبيُّ ﷺ ولا أصحابه ولا التَّابعون لهم بإحسان بالمولد ولا البعثة ولا المعراج ولا الهجرة، وأوَّل من احتفل بالمولد أمير إربل في العراق، ثمَّ احتفل بها بعض أمراء المماليك في مصر، ثمَّ صارت عادة، وأوَّل احتفال بالمولد أُقيم في الكويت كان في مسجد السُّوق الكبير سنة (١٣٥٢هـ)[١]، وأوَّل احتفال أُقِيم في ذكرى المعراج كان في المدرسة المباركيَّة سنة (١٣٤٨هـ)[٢].

أمَّا الهجرة والاحتفال بها فقد جاء متأخِّرًا وأظنُّه سنة (١٣٦٤هـ)[٣]، أمَّا تعطيل الدَّوائر في أوَّل يوم من مُحَرَّم فكان قبل ذلك، واتَّخذ النَّاسُ اليوم الأوَّل من مُحَرَّم موعدًا للاحتفال بذكرى الهجرة؛ لأنَّه اليوم الَّذي يتحوَّل فيه التَّاريخ الهجريُّ فتنتهي بغروب شمس آخر يوم من ذي الحجَّة سنةٌ وتبدأ سنةٌ؛ لأنَّ اليوم في السَّنة القمريَّة يبدأ من أوَّل اللَّيل، فيُقال ليلة الجمعة إذا غربت شمس يوم الخميس، وللذِّكريات مكانة في قلوب النَّاس، وفيها موعظة لمن كان له قلب، وتنبيه لمن غفل، وإصلاح لمن طلب الإصلاح، وهداية لمن سألها.

---

(١) أي: سنة (١٩٣٣م).

(٢) أي: سنة (١٩٢٩م).

(٣) أي: سنة (١٩٤٥م).

أمَّا التَّاريخُ الهجريُّ وكونه يبدأ بهلال مُحَرَّم فقد كتب المؤرِّخون في ذلك كثيرًا، وأختصره للسَّائل:

في سنة (١٧) من الهجرة النَّبويَّة عُرِضَت على أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب وثيقة دين مكتوبة تستحقُّ في شعبان، فقال: أيُّ شعبان؟ أشعبان هذا أم الَّذي قبله أم الَّذي بعده؟ ثمَّ جمع مجلس الشُّورى، وتذاكروا في تاريخ يُسَجِّلون به أعمالهم ويوثِّقون به وثائقهم، ثمَّ أمر رضي الله عنه باتِّخاذ الهجرة تاريخًا إسلاميًّا؛ لأنَّها أهمُّ حادث في الإسلام، فرَّق الله به بين الحقِّ والباطل، وانتشرت به الدَّعوة الإسلاميَّة، واشتدَّت به سواعد المسلمين، وأعزَّ الله به الإسلام وطهَّر به الجزيرة العربيَّة.

«الحجر الأسود»

السُّؤال:

أرجو أن تُحدِّثنا عن تاريخ الحجر الأسود، وحُكم تقبيله واستلامه.

الجواب:

إنِّي في الحقيقة لا أعرف من تاريخ الحجر الأسود شيئًا، إلَّا أنَّه كان في بناء الكعبة منذ بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما الصَّلاة والسَّلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٧].

وفي الحديث الَّذي رواه التِّرمذيُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**نزل الحجرُ الأسودُ من الجنَّةِ، وهو أشدُّ بياضًا من اللَّبن**

فسوَّدَتهُ خطايا بني آدم»[١].

واستلام الحجر وتقبيله سُنَّةٌ مؤكَّدةٌ، ومن لا يستطيع تقبيله يستلمه بيمينه ثمَّ يُقَبِّلُ يده، ولمَّا حجَّ النَّبيُّ ﷺ حجَّة الوداع استلمه بِمِحجَن كان بيده، والمحجن: عودٌ له رأسٌ محنيٌّ، وروى أهل السُّنن أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله، وقال: «**إنِّي أعلم أنَّك حجرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ، ولولا أنِّي رأيت النَّبيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قبَّلتُكَ**»[٢].

وتُنسَبُ إلى الحجر الأسود روايات لا أعلم صحَّتها، فيُقال: إنَّ إبراهيم عندما أمره الله ببناء الكعبة جاءه إسماعيل بهذا الحجر من جبل أبي قبيس، ويقال: إنَّ جبل أبي قبيس اهتزَّ وانشقَّ عن هذا الحجر، ويقال: إنَّ جبريل هو الَّذي جاء بالحجر، والحقيقة هي أنَّ الله ﷻ أعلم.

ومن تاريخ الحجر الأسود: أنَّ قريشًا لمَّا أعادت بناء الكعبة، اختلف فيمن يرفع الحجر الأسود إلى مكانه من البناء، حتَّى كادوا أن يقتتلوا، ثمَّ تركوا الفصل في ذلك إلى أوَّل داخل عليهم من باب بني شيبة، فكان الدَّاخل رسول الله ﷺ وكان يومئذٍ في الخامسة والثَّلاثين من عمره، فوضع الحجر في ثوب، حملتْ أطرافه بطون قريش، حتَّى إذا بلغ مكانه من البناء وضعه بيده الشَّريفة، وبذلك انحسم الخلاف، وفي عام (١٤٠هـ)[٣] وضع الطَّوقَ على مكان الحجر أميرٌ كان على مكَّة، يُقال له: زياد بن عبد الله، وفي سنة (٣١٧هـ)[٤] هجم على مكَّة عدوُّ الله القَرْمَطِيُّ

---

(١) رواه الترمذي، رقم: (٨٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٥٩٧)، وابن ماجه، رقم: (٢٩٤٣)، والنسائي، رقم: (٣٩٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: (٩٢٢٠).

(٣) أي: سنة (٧٥٧م).

(٤) أي: سنة (٩٢٩م).

المُسمَّى: أبو طاهر، فَقَتَلَ الحجيجَ في المسجد الحرام، وملأ بئر زمزم من جثث القتلى وضربَ الحجر الأسود بدبُّوسٍ كان في يده، ثُمَّ اقتلعه واقتلع باب الكعبة، وأقام بمكَّة أحد عشر يومًا يقتل وينهب ثُمَّ رحل إلى هجر يحمل معه الحجر الأسود والباب، وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة، وضعه في مكان سمَّاه: دار الهجرة، وقد دفع له المسلمون خمسون ألف دينار فداءً للحجر فلم يقبل، ولكنَّهم أعادوه بعد أن ابتلى اللهُ أهلَ تلك البلادِ بالجُدريِّ والأوبئة وبعد أن مات أبو طاهر، ومن تلك الضَّربة تفتَّت الحجر الأسود إلى قطع، وقد حاولوا لصقها ببعضها فلم يفلحوا، حتَّى جاء العهدُ العثمانيُّ وأَمَرَ أحد السَّلاطين واليه على مصر بترميم البيت، فكان من جملة ما فعل هذا الوالي أن اقتلع الحجر الأسود من مكانه، وربطه بأحزمة من فِضَّة، ثُمَّ صبَّ عليه مادَّة لاصقة من الخلف تحميه من التَّفتُّت ثُمَّ وضعه في مكانه، وأعاد ذلك الطَّوقَ الفضيَّ الَّذي صنعه زياد بن عبد الله.

هذا ما أعرفه من تاريخ الحجر الأسود، ونسأل الله أن يتولَّانا هو نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

محمَّد.. والأنبياء

السُّؤال:

حصل بيني وبين والدي نقاش، قال: إنَّ محمَّدًا رسول الله أفضل الأنبياء والمرسلين، وأقول: لا فرق بينه وبين سائر الأنبياء؛ لأنَّ الله ﷻ

قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فمن هو المصيب؟

الجواب:

أبوك على حقٍّ، فالنَّبيُّ محمَّد ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وإمامهم، وبشريعته تمَّت الشَّرائع ونَسَخَ منها ما نسخ، أمَّا الآية الَّتي ذكرتها دليلًا على كلامك فإنَّك أخطأت فهم معناها، فبدايةُ الآية هي: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومعناها: أنَّ المؤمنين آمنوا بالله، والكتب، والرُّسل جميعهم لا فرق في إيمانهم بين رسولٍ ورسول؛ لأنَّ الرُّسلَ كلَّهم جاؤوا بتوحيد الله، وعقيدة واحدة، فإن كان هناك فرق ففي التَّشريع وحده لا في العقيدة، بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣]، فالأنبياءُ من لدن نوح حتَّى ختمت الرسالات برسالة محمد ﷺ أجمعين كلُّهم جاؤوا بتوحيد الله، بكلمة: لا إله إلا الله.

من هذا نفهم أنَّ محمَّدًا ﷺ فُضِّلَ على سائر الأنبياء بكونه خاتمهم ومؤيِّدًا لِمَا جاؤوا به ومُقِرًّا برسالاتهم جميعًا ومكمِّلًا لشرائعهم، ولمَّا كان الأنبياء أفضل جميع الخلق فمعنى هذا أنَّه ﷺ أفضل المخلوقات جميعها صلَّى الله عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين.

اسم محمَّد في التَّوراة والإنجيل

السُّؤال:

كثيرًا ما قرأت في الكتب السَّماويَّة المُقدَّسة، - وهي: التَّوراة والإنجيل والقرآن - أنَّها تحملُ في طيَّاتها اسم النَّبيِّ موسى وعيسى ابن مريم وتحمل صورهم أيضًا، ولم تُشِر هذه الكتب السَّماويَّة بكلمةٍ واحدةٍ إلى ذكر اسم النَّبيِّ محمَّد سوى القرآن، بينما القرآن يُشير إلى الأنبياء الثَّلاثة ولكنَّ صورة محمَّد لم تظهر فيه حتَّى الآن، لماذا؟

الجواب:

إنَّك لم تقرأ التَّوراة ولا الإنجيل؛ لأنَّ التَّوراة لم تذكر اسم عيسى أبدًا، ولم تظهر في التَّوراة صورة موسى ولا عيسى أبدًا، والإنجيل مجموعةُ عهدٍ جديد هي أربعة أناجيل أرجو أن تخبرني في أيِّها قرأت اسم موسى، ورأيت صورة موسى وعيسى؟ فالأناجيل لم تنطق باسم عيسى (ع ي س ى) وإنَّما ذكرته بلفظ يسوع أو المسيح، أمَّا القرآن فقرأنا فيه أسماء أنبياء كثيرين، ومنهم موسى وعيسى عليهما الصَّلاة والسَّلام، ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

أمَّا جوابي على الصُّور فاسمح لي أن أقول لك: إنَّه في تلك الأيَّام لم يكن هنالك صورٌ ولا مُصوِّرون، ولعلَّك رأيت صورًا خياليَّة تخيَّلها بعض الرَّسَّامين في لوحات رأيناها في متاحف وكتب، لكنَّها لم تُرسَم في التَّوراة والإنجيل، ورجائي من السَّائل أن يتأكَّد ممَّا يقرأ ويقول.

هل كان محمَّد يؤمن بالحظِّ

السُّؤال:

هل كان النَّبيُّ ﷺ يؤمن بالحظِّ؟ أرجو الجواب مع الأدلَّة.

الجواب:

الحظُّ من القدر، وتوفيق الله من القدر، والرَّسول عليه السلام أخبرنا أنَّ الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وهي ستَّة: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**»[1]، فالحظُّ من قَدَرِ الله، والإيمان بالقدر ركنٌ من أركان الإيمان، ومن كفر بالقدر كان ناقص الإيمان، ومن نقص إيمانه كان كافرًا.

هل الكون مخلوق من أجل محمَّد؟

السُّؤال:

قرأت كلامًا معناه أنَّ الله جلَّ شأنه قال لنبيِّه ﷺ: لولاك ما خلقت الأفلاك، فهل كان النَّبيُّ ﷺ عِلَّة لخلق هذا الكون؟

الجواب:

أستغفر الله العظيم وأتوب إليه، أفعال الله لا تُعلَّل ولا يستطيع أحد

(١) رواه مسلم، رقم: (٨).

أن يتقوَّل فيها، والإطراء[١] في المدح كذب وبهتان، والرَّسول عليه السلام حذَّرنا من أن نطريه كما أطرى غيرنا أنبياءهم فقال: «**لا تطروني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**»، رواه البخاريُّ[٢].

وفي سورة الذَّاريات قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦] وهذا ما يجب أن نقف عنده ولا نتعدَّاه إلى قول مفترٍ كذَّاب.

مع صحابة رسول الله ﷺ

السُّؤال:

كنَّا في مجلس وجرَّنا الحديث إلى ذكر أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وقال أحدهم: كلُّ أصحاب النَّبيِّ أفاضل، وكلُّ واحد منهم اختصَّ بفضيلة، وقال آخر: إنَّ أبا بكر هو أفضل الصَّحابة على الإطلاق، وقال ثالث: صلَّى رسول الله ﷺ مأمومًا بأبي بكر، وهذه فضيلة لم تكن لأحد من الصَّحابة، وقال غيره يكفيه فضلًا قول الرَّسول عليه السلام: «إنَّ من أَمَنِّ النَّاس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متَّخِذًا خليلًا غير ربِّي لاتَّخذت أبا بكر ولكن أُخوَّة الإسلام»، نرجو الإفادة عن صحَّة ما جرى، وهل ائتمَّ الرَّسول ﷺ بأبي بكر؟

---

(١) الإطراء: مجاوزة الحدِّ في المدح والكذب فيه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٤٨٨).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٤٤٥).

الجواب:

الحديث ذو شجون، وأفضل صحابة الرَّسول أبو بكر، والحديث الَّذي ذكره السَّائل هو جزءٌ من حديثٍ رواه البخاريُّ ومسلم والتِّرمذيُّ، قال: خاطب رسول الله ﷺ النَّاس، وقال: «**إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنيا وما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**»، قال أبو سعيد: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، فكان رسول الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: «**من أَمَنِّ النَّاس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت مُتَّخِذًا خليلًا غير ربِّي لاتَّخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقيَنَّ في المسجد باب إلَّا سُدَّ إلَّا باب أبي بكر**»[(١)]، هذا هو نصُّ الحديث.

وفَضْلُ أبي بكر لا يخفى على من قرأ سيرته، فسيرته رضي الله عنه ملأى بالذِّكرِ العطر، وأحاديث النَّبيِّ ﷺ فيها أوسمة يتحلَّى بها في كلِّ موطن من مواطن الإيمان، من ذلك قوله عليه السلام: «**ما لأحدٍ عندنا يَدٌ إلَّا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يدًا يُكَافِئُهُ الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[(٢)]، ومنها قوله ﷺ لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»[(٣)]، وقوله له: «**أنت عتيق الله من النَّار**»[(٤)]، وقوله ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يَؤُمَّهم**

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٤)، ومسلم، رقم: (٢٣٨٢)، والترمذي، رقم: (٣٦٦٠)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٦١)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.
(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٧٠)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.
(٤) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٧٩)، وقال: حديثٌ غريبٌ.

غيره»[١]، وهذا قليل من كثير ممَّا ورد ذكره من أحاديث في فضائل أبي بكر، وإنَّ لأصحاب النَّبيِّ ﷺ فضلًا كبيرًا، لا سيَّما السَّابقون الأوَّلون، ولكلٍّ منهم ذِكرٌ عَطِرٌ، وأبو بكر أكثر النَّاس صحبة لرسول الله وأكثرهم إخلاصًا، وقد سبق الجميع بإيمانه، وبذل ما يملك في سبيل الدَّعوة إلى الله، فكان كما أراد الله ورسوله أن يكون.

أمَّا كون الرَّسول عليه السلام صلَّى مأمومًا بإمامته فلم يثبت ذلك وإنَّما قال عليه السلام عندما اشتدَّ المرض عليه: «**مُرُوا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالنَّاس**»[٢]، وصلَّى أبو بكر بالنَّاس.

وفي صلاة الفجر الَّتي توفِّي يومها رسول الله ﷺ وكان النَّاس يُصلُّون بإمامة أبي بكر، كشف سَجفَ[٣] الحجرة ورأى النَّاس يُصَلُّون، فتبسَّم، وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا بصلاتهم فرحًا برسول الله، وشعر أبو بكر بذلك، ونكص يريد أن يُخلي المكان له ﷺ، ولكن الرَّسول لم يخرج بل قال: «**أتِمُّوا صلاتكم**»[٤].

وفي رواية أخرى لمسلم قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ وجد في نفسه خفَّة فخرج بين رجلين هما: العبَّاسُ وعليٌّ رضي الله عنهما، وكانت صلاة الظُّهر، وأبو بكر يصلِّي بالنَّاس، فلمَّا رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّر فأومأ إليه النَّبيُّ ﷺ ألَّا تتأخَّر وقال لهما: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه، فكان أبو بكر يُصلِّي

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٧٣)، وقال: حديثٌ غريبٌ.
(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٦٤)، ومسلم، رقم: (٤١٨).
(٣) سجف: السِّتر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٣/ ٤١٤).
(٤) رواه البخاري، رقم: (٤٤٤٨)، ومسلم، رقم: (٤١٩).

وهو قائم بصلاة النَّبيِّ ﷺ والنَّاس يُصَلُّون بصلاة أبي بكر[١].

هذا ما ورد من أخبار أجبت السَّائل عنها والله الموفِّق.

عليُّ بن أبي طالب

السُّؤال:

أين ولِدَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه ومتى؟

الجواب:

عليٌّ رضي الله عنه وكرَّم وجهه هو: ابن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف، وهو ابن عمِّ رسول الله ﷺ شقيق والده، وأمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

ولِدَ رضي الله عنه في مكَّة المكرَّمة قبل البعثة بعشر سنين، وقيل قبل البعثة بثماني سنين، ولم يسجد لصنم قطُّ ولم يرتكب إثمًا؛ لأنَّه أسلم ولمَّا يبلغ الحلم، وهو ثاني من آمن برسول الله ﷺ بعد خديجة زوج الرَّسول، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة.

أمَّا دار ولادته، فإنَّه وُلد في دار أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، وقيل في الكعبة، ولا أدري أين كانت دار أبي طالب، كما أنِّي لا أدري أين مكان الدَّار الَّتي شَرُفَت بولادة رسول الله ﷺ.

(١) رواه مسلم، رقم: (٤١٨).

جعفر الصادق رضي الله عنه

السُّؤال:

من هو الإمام جعفر الصَّادق؟ قيل: إنَّه كان أستاذًا لأبي حنيفة، فهل هذا صحيح؟ وفي أيِّ عصرٍ مات؟ ولماذا لا يُذكر في الخلافات المذهبيَّة مذهب الإمام جعفر؟

الجواب:

أجبت عن كثيرٍ من الأسئلة على المذهب الجعفريِّ، وكنت إذا علمتُ من نصِّ السُّؤال أنَّ السَّائل جعفريُّ المذهبِ أجبته على مذهبه حسب ما أعتقده الصَّواب، وهذا ما لا شكَّ فيه.

وإذا شككت في مذهب السَّائل أجبته بما يفيد عن المذاهب كلِّها وربَّما ذكرت اختلافها تيسيرًا للسَّائل، أمَّا الإمام جعفر الصَّادق فهو: ابن محمَّد الباقر بن عليِّ زين العابدين بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، وأمُّه أمُّ فروة بنت القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق، فجعفر رضي الله عنه وريث الشَّرف، وَرِثَه من آبائه من بيت النُّبوَّة ومن أخواله من بيت الصِّدِّيق.

وقد وُلِدَ رضي الله عنه سنة (٨٠هـ)[١]، وتُوفِّي في شوَّال سنة (١٣٨هـ)[٢]؛ أي: أنَّه عاش (٦٨) سنة، وكان رضي الله عنه قد اغترف من علم أبيه الباقر وجدِّه

(١) أي: سنة (٦٩٩م).
(٢) أي: سنة (٧٥٥م).

عليِّ زين العابدين بن الحسين؛ لأنَّ الصَّادق رضي الله عنه أدرك جدَّه عليًّا الَّذي تُوفِّي والصَّادق في الرَّابعة عشرة من عمره، وكان قد استيقظ فكره منذ صغره، فكان رضي الله عنه قد اغترف من ثلاثة مناهل: من جدِّه لأبيه زين العابدين، ومن أبيه محمَّد الباقر، ومن جدِّه لأمِّه القاسم بن محمَّد، وكان القاسم علمًا من أعلام الأُمَّة الإسلاميَّة.

لم يكن جعفر أستاذًا لأبي حنيفة، بل كان إذا حضر مجلس الإمام الباقر في غير أوقات الدَّرس جثا على ركبته، وكان الباقر إمامًا للعلماء في زمنه، يحضرهم إليه ويحاسبهم على ما يبلغه عنهم، أو يبدر منهم، وإنَّه الرَّئيس يحاكم مرؤوسيه، وهم يقبلون عليه طائعين تلك الرِّئاسة.

ومن وصايا الإمام الباقر لابنه جعفر الصَّادق: «يا بنيَّ إيَّاك والكسل والضَّجر، فإنَّهما مفتاح كلِّ شرٍّ، إنَّك إن كَسِلتَ لم تؤدِّ حقًّا، وإن ضَجِرتَ لم تصبر على حقٍّ»[1]، و«لا تصحبنَّ خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق؛ لا تصحبنَّ فاسقًا فإنَّه بائعك بأكلة فما دونها، ولا تصحبنَّ البخيل، فإنَّه يقطع عنك ماله وأنت أحوج ما تكون إليه، ولا تصحبنَّ كذَّابًا فإنَّه بمنزلة السَّراب، يُبعِدُ عنك القريب، ويُقَرِّبُ منك البعيد، ولا تصحبنَّ أحمق، فإنَّه يريد أن ينفعك فيضرُّك، ولا تصحبنَّ قاطع رحم، فإنِّي وجدته ملعونًا في كتاب الله»[2]، انتهت وصيَّةُ الإمام الباقر.

ولعنة قاطع الرَّحم في كتاب الله في الآيتين الكريمتين من سورة محمَّد: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصبهاني (٣/ ١٨٣).
(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٤/ ٢٩٣).

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ [محمَّد: ٢٢-٢٣].

الحُبُّ فِطرةٌ

السُّؤال:

هل للمسلم أن يُحبَّ؟

الجواب:

إنَّ الحديثَ عن الحبِّ شائقٌ، والبحث فيه شائكٌ، وإنَّ أوَّل ما يمنحهُ الخالق للإنسان حين يهبه الحياة هو الحبُّ، فالحبُّ فطرةٌ يهبها الله للمخلوقات كلِّها، فالحيوانات تُحبُّ صغارَها بالفطرة وتُدافع عنهم، وقد تَهلَكُ في سبيل هذا الحبِّ، والإنسان يحيا بالحبِّ، وصدق من قال: الحياةُ حبٌّ والحبُّ حياةٌ، وإنَّ في لحظات الحبِّ الَّتي يعيشها الإنسان مع محبُوبه يحسُّ بمعنى الحياة، فيشعرُ بالغِبطة[1]، ويتذوَّق لذَّة السَّعادة وحلاوة النَّعيم.

والمثل الأعلى لأنواع الحبِّ كلِّها وأصنافه حبُّ الأمِّ؛ فحين تحمل الأمُّ جنينها وهنًا على وهنٍ تحسُّ كأنَّه جزءٌ من جسمها، بل أعزُّ جزءٍ في جسمها، وبعض الأمَّهاتِ تراها قد ذاب وجودها في حملها، وكأنَّ ذاتها في ذاته، ومتى أحسَّت بحركة جنينها بدأت تهيِّئ له ما يحتاجه بعد ولادته، فتراها تقضي أوقاتها كلَّها في لوازم هذا الطِّفل المُنتَظر.

(١) الغبطة: السُّرور. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٩/ ٥٠٥).

وحبُّ الطِّفل لأمِّه بالفطرة، فالطِّفلُ الَّذي تحنُو عليه أُمُّه بالحُبِّ وتُلقِمه ثديها بالعطف تطمئنُّ نفسهُ، ويبتسمُ لها حين تضمُّه إليها وتُقبِّله، ثمَّ ينام هانئ البال مرتاحًا؛ لأنَّهُ أحسَّ أنَّه غُذِّيَ بالحبِّ، وسينام وهو في حِمَى الحبِّ.

والحبُّ بين أفراد الأسرة وعمِيدها يجعل من البيت جنَّةً، هو يُحبُّهم، ويُذلِّل الصِّعاب في سبيل سعادتهم، وهم يُحبُّونه ويفدونه بالمهج والأرواح.

والحبُّ بين الزَّوج وزوجته يجعل منهما روحًا واحدةً في جسدين، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]، وهي له سكنٌ، وهو لها حِمًى، ويجعل الحبُّ في قلب كلِّ واحدٍ منهما مودَّةً ورحمةً للآخر.

وحبُّ القريب للقريب سمَّاهُ الإسلام صلة الرَّحم، وأوجبها على كلِّ قريبٍ لقريبه، وحذَّر من قطيعتها، وهي واجبةٌ في كلِّ دين، وقال جلَّ شأنه في كتابه في سُورة النَّحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النَّحل: ٩٠]، وفي سُورة الإسراء: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسرَاء: ٢٦]، وفي قول الرَّسول ﷺ الَّذي رواه الشَّيخان: «**ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليصِل رحِمهُ**»(١)، وفي الحديث: «**تعلَّمُوا من أنسابكُم ما تصلُون بِه أرحامكُم، فإنَّ صلة الرَّحم محبَّةٌ في الأهل، مثراةٌ(٢) في المال، منسأةٌ(٣) في الأثر**»(٤)، وإنَّ الله ﷻ قال في الحديث القُدسيِّ: «**أنا**

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦١٣٨)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).
(٢) مثراة: مفعلة من الثَّراء: الكثرة. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٢١٠).
(٣) النَّسء: التَّأخير. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٤٤).
(٤) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٧٩)، وقال: حديثٌ غريبٌ.

اللهُ، وأنا الرَّحمنُ، خلقتُ الرَّحم وشققتُ لها من اسمِي، فمن وصلها وصلتُهُ، ومن قطعها بتتُّهُ»، رواه التِّرمذيُّ عن عبد الرَّحمن بن عوف(١).

وحبُّ المسلم للمسلم حبُّ الإخوة؛ فقد قال جلَّ شأنه في سُورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]، وجعل هذه الإخوة قرابةً أولى بالصِّلة من قرابة النَّسب، وقال تعالى في سُورة آل عُمران: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، ومن كمال إيمان المؤمن أن: «**يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**»(٢)، ولا ننسى قوله ﷺ في الحديث الَّذي رواه الشَّيخان في «صحيحيهما» حين ذكر السَّبعة الَّذين يظلُّهم الله في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: «**ورجُلان تحابَّا في اللَّهِ اجتمَعَا عليهِ وتفرَّقا عليهِ**»(٣)، وبهذه المحبَّة تصبح الأُمَّةُ واحدةً يتفانى كُلُّها في كلِّها، وهذا ما أراده الله لها بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وحبُّ الصَّداقة لها في الإسلام مكانةٌ ما لم تكن هذه الصَّداقة لجلب منفعة، إنَّما لله وحده، وجعل رسول الله ﷺ هذه الصَّداقة من الإيمان، فقال عليه السلام: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمانِ: أن يكُون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهُما، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأن يكره أن يعُودَ في الكُفر كما يكرهُ أن يُقذفَ في النَّارِ**»، رواه البخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك(٤).

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩٠٧)، وقال: حديثٌ صحيحٌ.
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١٣)، ومسلم، رقم: (٤٥).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٦٠)، ومسلم، رقم: (١٠٣١).
(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (١٦)، ومسلم، رقم: (٤٣).

والله جلَّ شأنه يحبُّ خلقَه جميعَهم، خَلَقَهم ومنَّ عليهم بالنِّعَمِ الكثيرة؛ منها: العقل، والحياة، والرِّزق، والهواء، والماء، والغذاء، ونعمة إرسال الرُّسل ليدلُّوا النَّاسَ على طريق الحقِّ، وينقذوهم من الضَّلال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الحِجر: ١٠] وقالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحَديد: ٢٥]، يأمرهم بما فيه خيرُهم وجمعُ شملِهم، وينهاهم عن كلِّ ما يضرُّهم في أفرادهم ومجتمعاتهم، ولكنَّه - جلَّ شأنه - يخصُّ بمحبَّته الصَّالحين، المتطهِّرين، التَّوَّابين، المحسنين، المتَّقين، المقسطين، الَّذين يحبُّون النَّاس ويجاهدون في إعلاء كلمة الله ويقاتلون في سبيله، ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

وحبُّنا لله تعالى هو الَّذي دفعنا لعبادته، وطمعنا في حبِّه هو الَّذي حذَّرنا من معصيته، فهو لا يحبُّ الكافرين، ولا العاصين، ولا الظَّالمين، ولا المتكبِّرين.

وحُبُّ الإنسانِ لأُمَّتِه يُصلح أخلاقها، ويبعث في نفوس أفرادها الإخلاص بينهم، فتراهم متضامنين، يسعى النَّاسُ كلُّهم في مصلحة المجموع، يرحمونَ صغيرَهم، ويوقِّرونَ كبيرَهم، قال رسول الله ﷺ: «**ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صغيرنا وَيُوَقِّرْ كبيرنا**»(١)، فتراهم كتلةً متماسكةً، وقوَّةً هائلةً، لا ينفذُ إليها عدوٌّ، كما قال الله تعالى في وصف مُحمَّدٍ ﷺ وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، وكما قال في وصف صنف من عباده المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المَائدة: ٥٤].

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٩١٩)، وقال: حديثٌ غريبٌ.

أمَّا الحبُّ الطَّائِش، أو حبُّ الجسد، أو الحبُّ الجنسيُّ، وأعني بذلك: الحبَّ الَّذي غايته الشَّهوة فهو حبٌّ حرامٌ، وهناك حبٌّ يُسمَّى العشقَ أو الحُبَّ العُذْرِيَّ، وهو حبٌّ مكتوم، يُغطِّيه الصَّبر، وتكتُمُه العفَّة، ويبقى العاشق المحبُّ مُتَيَّمًا فيه، يمنعه الحياء من إفشاء سِرِّه، ويمنعه الإيمان من استهتاره في حبِّه، فيبقى صابرًا، والله - جلَّ شأنه - أعدَّ للصَّابرين أجرًا عظيمًا وعدَهم به، والله لا يخلُف الميعاد، وأذكر أنِّي قرأت حديثًا، قال راويه: قال رسول الله ﷺ: «**من عَشِقَ فكتَمَ وعَفَّ فمات فهُو شهيدٌ**»(١).

المَهرُ في النِّكاح

السُّؤال:

ما رَأي الدِّين في غلاء المُهور؟

الجواب:

لم تجعل الشَّريعة الإسلاميَّة حدًّا لقلَّة المهر ولا لكَثرته؛ لأنَّ النَّاس يختلفون في اليُسر والعُسر، وراعى الإسلامُ هذه الحالة، وترك لكلٍّ ما يستطِيع، وجعل أيسرَ المهر: «**التمِس ولو خاتمًا من حديدٍ**»(٢)، أو قدحًا من تمر، أو تعليمًا ولو آيةً من كتاب الله: «**أَمْلَكْنَاكَهَا بما مَعَكَ من**

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، رقم: (٧٠٠٠).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥١٣٥)، ومسلم، رقم: (١٤٢٥)، واللَّفظ للبخاريِّ.

القرآن»[١]، ورضي لامرأةٍ تزوَّجها رجل بنعلين، وقال لها الرَّسول ﷺ: «**أرضِيت من نَفسكِ ومالك بنعلين؟ قالت: نعم، قال: فأجازهُ**»[٢]، هذا إذا ارتضى به المُتعاقدان، وجعله أيضًا قنطارًا[٣] من الذَّهب، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّسَاء: ٢٠]، وأخبرنا الرَّسول عليه السلام بأنَّ: «**أعظم النِّساء بركةً أيسرهُنَّ صداقًا**»[٤]، وفي رواية: «**إنَّ أعظم النِّكاحِ بركةً أيسره مؤُونةً**»[٥].

وأمر الرَّسول عليه السلام بالزَّواج، وجعله من سُنَّته، وقال: «**النِّكاحُ من سُنَّتي، فمن لم يعمل بسُنَّتي فليس منِّي**»[٦]، وحرص كلَّ الحرص على إتاحة فرصة الزَّواج لأكثر عددٍ ممكن من الشَّباب والشَّوابِّ، ليستمتعَ كلٌّ منهم بالحلال الطَّيِّب، فلا يرفعوا أبصارهم أو ينقادوا للحرام، ولا يتمُّ ذلك إلَّا إذا كانت الطَّريقة مُيَسَّرَةً، بحيث يقدر على الزَّواج الشَّابُّ الكُفء المستُور الحال، والموظَّفُ صاحب الرَّاتب القَليل الَّذي يجهده بذل المال، فلا يستطيع أن يغالي، فيجهد نفسه بما لا يقدر عليه، أو يستدين فيكون الوبال عليه أكبر، ويصبح الزَّواج نقمةً بدل أن يكون نعمةً ورحمةً، وهذه الطَّبقة هي أكثريَّةُ النَّاس.

وكره الإسلام التَّغالي في المُهور، وجعل التَّغالي فيها من شؤم

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥١٢١).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١١١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) القنطار: مئة مثقَال، المثقال عشرون قيراطًا. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ١١٩).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم: (٢٧٣٢).

(٥) رواه أحمد، رقم: (٢٤٥٢٩).

(٦) رواه ابن ماجه، رقم: (١٨٤٦).

الزَّوجة، والشُّؤم يجعل البيت جحيمًا بدل أن يكون جنَّةً؛ قال ﷺ: «**يُمنُ المرأة تيسيرُ خطبتها، وتيسيرُ صَداقِها**»(١)، ولكنَّ النَّاس جَهِلوا هذه التَّعليماتِ وحادوا عنها، وتعلَّقوا بعادات ليست من الإسلام، فغالوا في المُهور وكأنَّ المرأة سِلعةٌ يُساوَمُ عليها ويُتاجَر بها، ألا فليعلم الآباء أنَّ المهرَ ليس ثمنًا للمرأة، وإنما هو نِحلةٌ كما قال تعالى، ومعنى النِّحلَة: العطاء أو التَّمليك، وهذه النِّحلة للزَّوجة، وليست للأب ولا للأمِّ، ولا لأيِّ أحدٍ من أقرباء البنت، فهو ملكٌ لها، ولها الحقُّ بالتَّصرُّف المطلق فيه.

وبسبب التَّغالي في المهور، أصبحت بَلدُنا تعيش أزمَةَ الزَّواج الَّتي أضرَّت بكثيرٍ من بناتنا وأبنائنا؛ ما جعل شبابنا يبحثون عن زوجات من خارج بلدِنا، ونسينا مثلنا القائل: حلاة الثَّوب رقعته منه وفيه.

وإنَّي أقول للآباء والأمَّهات: غاليتم، فَضَرَرتُم، فلا تتركوا أبناءنا يبحثون عن بناتٍ غير بناتنا.

موافقةُ الأمِّ على الزَّواجِ

السُّؤال:

أحبُّ ابنة عمِّي، وأرجو أن تكون زوجتي، وأُمِّي تريد لي زوجةً غيرها، فهل أقبل رأي أُمِّي؟

الجواب:

الزَّواجُ مستقبلُ حياةٍ، والتَّوفيقُ فيه في علم الغيب، قد يسعد الإنسان

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٤٦٠٧).

فيه من غير رؤيةٍ سابقةٍ، فيعيش بهناءٍ وسعادةٍ مُدَّة ما قدَّر الله له من عمرٍ مع زوجةٍ لم يرها من قبل، وربَّما تزوَّجَ امرأةً عَرَفها قبل الزَّواج، وأمل أن يعيش معها سعيدًا طوال حياته، غير أنَّ الواقعَ أخلف ظنَّهُ، فعاشا في نكدٍ وكيدٍ وجحيمٍ لا مخرج منهُ إلَّا بالطَّلاق.

وأنت حرٌّ في زوجتك الَّتي تختارها، وأمُّك لا أعرف عنها شيئًا؛ هل هي ذات رأيٍ وتفكيرٍ في مستقبلك، أم ذات عاطفةٍ لا تفكِّر إلَّا في الحاضر! أنت أعلمُ بها مِنِّي.

فكِّر أوَّلًا، ولعلَّك تستطيع إقناع أُمِّك، وتستجلب رضاها فيمن تودُّ، وإلَّا فتدبَّر أمر نفسك.

اجتماعُ الخطيبين قبل العقد

السُّؤال:

طلبت إلى خطِيبتي أنَ تخرج معي في السَّيَّارة، فامتنعت مُحتجَّةً أنَّ أباها لا يرضى بذلك، فهل هما على حقٍّ؟

الجواب:

نعم يا ولدي؛ إنَّها وأباها على حقٍّ، والخلوةُ بالمخطُوبة قبل العقد تقلِيدٌ أجنبيٌّ حرَّمهَ الإسلام، والخطبةُ وعدٌ بالزَّواج فقط، فلا تمتُّع ولا خلوة قبل العقد، والمخطُوبة قبل حصول العقد أجنبيَّة عنك، والخلوة بها حرام، والنَّظر إليها نظرةَ شهوةٍ حرام، فكيف بغير ذلك؟

وقد أساء الَّذين أباحوا الخلوة للخاطبين والخروج في نزهة، فقد

يعدلُ الخاطب عن خطبته، فيكون بعد ذلك ما يكون من عواقب وخيمةٍ وأليمةٍ لا ندري ما تكون ثمارها، وأقلُّها الكَدَرُ[١] والألمُ الَّذي يُصيب المخطُوبة من جرَّاء هذه الخلوة، وقد يستغلُّها الأعداءُ الَّذين لا أخلاقَ لهم، فيتَّخذونَ مِنها حديثًا لمجالسهم، وطعنًا في الأعراض، ونهشًا للُحُوم النَّاس.

أمَّا من اتَّخذ إباحة النَّظر إلى المخطُوبة دليلًا على إباحة هذه الخلوة فقد أساء الفهم، وكذب على الله ورسوله، والحديثُ الَّذي أباح الرَّسولُ فيه النَّظر هو ما رواه النَّسائيُّ والتِّرمذيُّ عن المُغيرة بن شُعبة أنَّهُ خطب امرأة، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**فانظر إليها، فإنَّهُ أحرَى أن يُؤدمَ بينكُما**»[٢]، والأُدمة: الامتزاج والاتِّفاق، وشبَّهَ رسول الله ﷺ النَّظر إلى المخطوبة بالأُدمةِ الَّتي تمازج الطَّعام، فيلذُّ بها الأكل، ورُوِيَ أنَّ رجلًا أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّهُ تزوَّج أو خطب امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**انظُر إليهَا، فإنَّ في أعين الأنصارِ شيئًا**»[٣].

وإنَّي أنصح أبناءنا الشَّباب القادمين على الزَّواج ألَّا يختلي أحدهم بمخطُوبته حتَّى يتمَّ العقد، وإذا أراد ذلك قبل العقد فليكن معهما من أهل البيت ثالثٌ، فإذا عزم على الزَّواج فليسارع إلى العقد؛ ليتمتَّع بالحلال، وفي تعليمات الدِّين سعادةٌ، وفي الابتعاد من الحرام توفيقٌ ونجاحٌ، والله الهادي.

(١) الكدر: نقيض الصَّفاء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٣٤).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٠٨٧)، وقال: حديثٌ حسنٌ. والنَّسائيُّ، رقم: (٥٣٢٨).
(٣) رواه مسلم، رقم: (١٤٢٤).

خلافٌ مذهبيٌّ في الزَّواج

السُّؤال:

خطبت فتاةً من أهلها، فرفضوا تزويجي إيَّاها؛ بحجَّة أنَّ مذهبينا مختلفان، فأحدنا شِيعيٌّ والثَّاني سُنِّيٌّ، فما الفرق بين الشِّيعة والسُّنَّة؟

الجواب:

الإسلامُ بُنِيَ على خمسٍ: «**شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان**»[(١)]، وجعل حجَّ البيت ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، هذا هو الإسلامُ وهذه أركانهُ الَّتي بها يتميَّزُ المسلم من غير المسلم.

والسُّنَّة والشِّيعة - وإذا قلتُ الشِّيعة فإنَّما أعني بهم الجعفريِّين الإماميِّين - مُتَّفقونَ على ذلك؛ كُلُّهم يشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ويؤدُّون الأركان الأربعة الباقية، فهم بهذا الحكم مسلمون وإن اختلفوا في بعض أحكام الدِّين، وهناك مذاهبُ شيعيَّةٌ مُنحرِفةٌ؛ كالباطنيَّة والإسماعيليَّة وغيرهما، يدَّعونَ أنَّهم شِيعة مسلمون، ويُخالفوننا في كيفيَّة الصَّلاة والقِبلَة وفي كثيرٍ من الأحكام، فهم بذلك ليسوا مسلمين، مثلما أنَّ في السُّنَّة مذاهبَ منحرفةً يخالفون في كثيرٍ من الأركان والأحكام مخالفة تبعدهم من الإسلام، وقد تشدَّد كثيرٌ من أئمَّة الشِّيعة، وكثيرٌ من أئمَّة السُّنَّة، فكفَّرَ بعضهم بعضًا، واستغلَّ العدوُّ هذه الشِّدَّة

(١) رواه مسلم، رقم: (١٦).

ففرَّقَ، وللسِّياسة أحكامها ودسائِسها، ويجب ألَّا ننسى المثل السِّياسيَّ القائِل: فَرِّقْ تَسُدْ.

فأغلظ بعضهم في بعض القول، وكفَّروا مسلمين، وما زالت هذه الغلظةُ باقيةً، وسيأتي يوم وتزول، ولكنْ متى؟! لا أدري، والغيبُ لا يعلمهُ إلَّا الله.

نعم؛ تزولُ كما زالت قضيَّة الطَّبقاتِ، فقد كُنَّا إلى عهدٍ قريبٍ لا يُزوِّج الأصيلُ العامِّيَّ، ولا يستطيع عامِّيٌّ أن يخطب من أصيلٍ، فزالت، وتزوَّج عوَّامُّ أصيلاتٍ، وتزوَّج أُصُلٌ عامِّيَّاتٍ، وقريبًا سيتزوَّج الشِّيعيُّ السُّنِّيَّةَ والعكس صحيحٌ، كما جرى في العراق، ولا يخفى على القارئ أنَّ للتَّقاليدِ قوانينها، قال الرَّسول ﷺ: «**رحِم الله امرأ جبَّ الغِيبة عن نفسه**»[1]؛ لهذا أقولُ للأخ السَّائل: اصبر أو ابتعد، والله يرعى النَّاسَ جميعًا.

مَسيحيٌّ يريدُ الزَّواج من مُسلمةٍ

السُّؤال:

شابٌّ مَسيحيٌّ يبلُغ من العمر (٢٧) سنةً، أحبَّ فتاةً شابَّةً تبلُغ من العمر (٢٤) سنةً، يدَّعي أنَّها بادلتهُ حُبًّا شريفًا عفيفًا صادقًا مُلتهبًا إلى آخر ما هنالك من أوصاف، وأنَّ الدِّين يُفَرِّقُ بينهما، ويسألُ: هل يَصِحُّ تبديل دِين الشَّابِّ بدين الشَّابَّةِ، أو تبديل دين الشَّابَّةِ بِدِين الشَّابِّ؟! وفي آخر الرِّسالة

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، رقم: (١٣٦٧).

يطلب إليَّ نسخةً مكتوبةً من الإجابة ليُريها للشَّابَّة، ويرجوني أن أكتب إليهما الجواب الَّذي يجعلهما أسعد مخلوقين على وجه البَسِيطة[(١)].

الجواب:

كتَبَ رسالته ولم يكتب عنوانه، وأرسل الرِّسالة موقَّعًا عليها برموزٍ، وأحبُّ أن يفهم السَّائل أنَّني لستُ طبيبَ القلوبِ، وأنَّ الدِّين ليس ثوبًا يخلعهُ الإنسان أو يلبسه متى أراد، ولا هو ريشة صبَّاغٍ متى أراد أن يُلَوِّنَ نفسه بها تلوَّن، وإنَّ دينًا يدخله الإنسان من أجل امرأةٍ أو لمصلحة دنيويَّة ليس بدين، يكفي بذلك قول الرَّسول ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دُنيا يُصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحُهَا، فهِجرتهُ إلى ما هاجر إليهِ**»، رواه البخاريُّ ومُسلم[(٢)]؛ لهذا فإنَّ إسلامَك ليس بصحيحٍ، وتنصُّرَها ليس بصحيحٍ.

وأقولُ في الأخير: أسأل الله للنَّاسِ جميعًا الهِداية والرَّجوع إلى العقل السَّليم، حتَّى نصبح بهذه الهِداية والعقل أُمَّةً صالحةً، كما كُنَّا في ماضينا؛ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠]، نعملُ لمستقبلنا، ونَثْبُتُ على المبادئ السَّليمة الصَّالحة لنا ولمجتمعنا ولمستقبل هذه الأُمَّة المِسكينة، يقول الشَّاعر أحمد شوقي:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا[(٣)]

(١) البسيطة: اسم الأرض. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٢٥٩).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١)، ومسلم، رقم: (١٩٠٧)، واللَّفظ للبخاريِّ.
(٣) انظر: وحي القلم، للرَّافعيِّ (٣/ ٢٧٨).

خواطرُ زوجةٍ نحو زوجها

السُّؤال:

مضى على زواجي به ثلاثون سنةً، أنجبت منهُ بنين وبنات، وكنَّا في فقر منذُ تزوَّجنا، أساعدهُ وأصبر، وإذا قصَّر واعتذر أغفر؛ لأنَّهُ فقيرٌ، والمرأة الَّتي تحبُّ زوجها تصبر على كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ كُلَّ قبيحٍ يصبح مع الحبِّ حسنًا، ولأنَّ كُلَّ ناقصٍ مع الحبِّ كاملٌ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يقول:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا[1]

لم أرَ فيه هفواتٍ؛ لأنِّي أحبُّهُ، ولكنَّ قلب المرأةِ رقيقٌ، فقد تجاهلت أكلَه وشربه، ودخوله وخروجه، ونومه ويقظته، وكثرةَ أسفاره إلى العراق، وتجاهلت تقصيره في الحديث معي ومع أولاده، وأخيرًا عَلِمتُ أنَّهُ متزوِّجٌ في العراق.

أَبَعْدَ الصَّبر وعيشِ الفقر والعفو عند المقدرةِ - وقد أنعمَ اللهُ عليه بعملٍ يدرُّ كلَّ خيرٍ، وراتبٍ عالٍ يكفي ويزيد - أعيش معه؟! ما قولك؟ هل أطلب الطَّلاق؟ هل أفرُّ من هذه الحياة؟ أيكون هذا جزاء الحبِّ؟!

لا أدري، أرشِدني؛ إنَّني مريضةٌ في نفسي وفي بدني، وقد كرهت الحياة، والله كرهتُ الحياة.

---

(١) انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربِّه الأندلسيِّ (٢/ ١٩٤).

الجواب:

للسَّائلة ولغيرها ممَّن يشكُو شكواها وأُصِيب بمثل مُصيبتها أقولُ: اصبري يا أُختي؛ ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، واغفري؛ فالله يحبُّ العفو و﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣]، ولا تتسرَّعي؛ فسيندم زوجك، لكن حين لا ينفعه النَّدم؛ إنَّك بنيت البيت في سنين طويلة، فهل ترضين أن تهدمي ما بنيت في لحظات؟!

أظُنُّك لا تُوافقين على ذلك، وليس الهدمُ من صالحك ولا من صالح أولادك، ولا يفيد سمعتك، ثمَّ إنَّ البناءَ محبوبٌ والهدمَ مكروهٌ، والهدم موتٌ والبناء حياةٌ، وطلبُ الطَّلاق ليس من العقل، والطَّلاقُ يكرهه الأولاد والأحباب، حتَّى أنت تكرهين الطَّلاق وتنكرينه.

أنت الآن في ثورة غضبٍ، لكن عند وقوع الطَّلاق ستندمين - لا شكَّ في ذلك - على تسرُّعك، فنصيحتي لك أن تتَّقي الله في نفسك وبيتك وأولادك.

ومن ثمَّ أتوجَّه بكلمةٍ إلى الرِّجال الَّذين لا يهتمُّون بزوجةٍ ولا بأولادٍ، وهمُّهُم قضاء مآربهم وتلبية نداء شهواتهم، فأقول:

لماذا لا تُراعِي - أيُّها الزَّوج - شعور زوجتك الَّتي عاشت معك السِّنين الطِّوال، تلك الزَّوجة الَّتي صبرت على الفقر فلم تأنَف، ونامت على التُّراب فلم تجزع، وأكلت الجافَّ فلم تضجر، تعبت معك، وحاكت، وخاطت، وحلبت، وخبزت، وربَّت الصَّغير، وخدمت الكبير، وراعت، ورعت، أيكون بعد هذا اليسر كلِّه هُجران، وبعد الغنى نكران؟! والله إنَّ هذا ليس من المروءة والوفاء والإحسان.

اتَّقوا الله يا رجال! واستمعُوا قول الرَّسول الكريم مُحمَّد بن عبد الله ﷺ: «**ألا واستوصُوا بالنِّساء خيرًا، فإنَّما هُنَّ عوانٌ عِندكُم، ليسَ تملكُون منهُنَّ شيئًا غير ذلك**»(١).

لماذا تنكَّرت(٢) له زوجته

السُّؤال:

عندما كنت في ضيقٍ في مالي تنكَّرت لي زوجتي، وطلبت إليَّ الطَّلاق أمام القضاء، فغادرتُ وطني إلى الكويت، وعملت، ولمَّا أيسرتُ أخذت تتودَّد إليَّ، وتضفي عليَّ من آيات الثَّناء والحمد كلماتٍ لم أكن أسمعها منها من قبل.

الجواب:

إنَّ زوجتك لم تتنكَّر لك إلَّا بعد أن صِرتَ أبًا لأولادِها الثَّلاثة وتركتَ مسؤوليَّتهم عليها، وأصبحت تنظر إلى هذه العيون الَّتي تنظر إليك فلا تجد فيك الأبَ المكافح في سبيل عيش أطفاله، الخائِض من أجلهم معركةَ الحياة، ثمَّ تنظر إلى الأفواه الَّتي تطلب قوتًا فلا تجد ما يُشبعها، وكلُّ إنسانٍ إذا جاع ثار، وأمُّ الحيوان تلقي نفسها في التَّهلُكة لتُشبع صغيرَها الجائع، فكيف بأمٍّ في حِجْرِها ثلاثة أطفال يسألونَ قوتًا فلا تجده؟!

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١١٦٣)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) التَّنكُّر: التَّغيُّر، وتنكَّرَ لي فلان: لقيني لقاء بشعًا. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٤/ ٢٩٢).

ولعلَّ تلك الثَّورة الَّتي ثارتها ضِدَّكَ هي الَّتي أجبرتك على الكفاح، ودفعت بك إلى الميدان، وهيَّأتك لتخوض معركة الحياة، فصيَّرتكَ من كَسِلٍ إلى نشيطٍ، ومن جبانٍ إلى شجاعٍ، ومن مُقعَدٍ إلى فارسٍ.

حافظ على أولادك بالمحافظة على أُمِّهم، واقصر نظرك، ولا تلتفت إلى الخلف، ولا تنظر إلى اليمين والشَّمال لترى البهرجَ البرَّاق؛ كتلك الَّتي تطمع بما في يدك، ثمَّ تسيء إليك بعد أن تنال منك ما تريد، ولا تمنع أولادك من النَّظر إليك كلَّ صباحٍ ومساءٍ، حتَّى يعيشوا في رعاية أُمِّهم قريري العيون بالنَّظر إلى أبيهم وببسماته في وجوههم، آمنين مطمئنِّينَ إلى برِّ والديهم.

واللهُ وحدهُ الَّذي يُعِين ويهدي النَّاسَ جميعًا إلى الصَّواب.

أبوَّة، بُنوَّة، يُتْم

البُنوَّة الرَّحيمة

السُّؤال:

طلَّق أبي أُمِّي منذ ثلاث سنوات، وحرمَنا من رؤيتها عامين، إلى أن أعادنا إليها، وتركني وشقيقتي مع والدتي، وقد وفَّقها الله في ميدان العمل، فربَّتنا ورعتنا أحسن رعاية، لكنَّ ظروفها كانت قاسية تعيسة.

والآن والدي مريضٌ يعاني أشدَّ حالات العسر والإفلاس وضنك العيش، فكنت أَصِلُهُ بمصروفي الَّذي أحصِّله من أُمِّي؛ لأنَّني ما زلتُ طالبًا في المدرسة، وكان والدي أنانيًّا مُسرفًا لا يتورَّع عن حرام، تزوَّج ثماني مرَّات، وعاشر بالحرام العشرات، وأظنُّ لو أنَّ والدتي عَلِمت بوصلي له لقطعت عنِّي المصروف، وربَّما حرمتني حنانها، وأبي هذا له أولادٌ غيري من زوجاته الأُخريات، لكنَّهم لا يرعونه ولا ينفقون عليه، إذ إنَّه عاملهم كما عاملنا تمامًا، إذ تَرَكَهم بلا نفقة ولا رعاية، فهل يعدُّ عملي هذا برًّا بوالد مثلِ والدي لم يربِّ أبناءه على البرِّ والإحسان؟

الجواب:

على السَّائل أن يشرح لأُمِّه واقع حال أبيه بصراحةٍ، فيجب عليه أن يستأذنها فيما يدفعه لأبيه؛ لأنَّ الَّذي يحصِّلهُ هو من كسبها، وأنا على يقين أنَّ الأمَّ الَّتي ضحَّت بشبابها، وشقَّت طريقها في المجتمع، وأعانها الله بالتَّوفيق في ميدان العمل، وبرَّت بأولادها، وربَّتهم التَّربية الصَّالحة؛ أُمٌّ بارَّةٌ، ما كان الدَّافع لها إلى ذلك إلَّا سُوء معاملة الوالد وحُبَّ أولادها، وأظنُّ أنَّ رؤيتَها لابنها برًّا بأبيه الَّذي حطَّمه الدَّهر تسرُّها.

وقد تأخذها عاطفةُ الأمومة، وقد يمنعها حسنُ الخُلُق من الحقد، فإن أذنت ففضلٌ منها، وهذا ظنِّي بها، وإن منعت فحقٌّ لها، ولا تُلام، لكنِّي أُرجِّح أنَّها تدفع بالَّتي هي أحسنُ السَّيِّئةَ، وأنَّها من العافيات المحسنات، والأبُ في كِلتا الحالتين شريكُ الأمِّ في الأولاد، فكما أنَّها والدةٌ فهو والـد، قـال تـعـالـى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، لم يُفَضِّلْ أبًا على أمٍّ، ولا أمًّا على أبٍ إلَّا بزيادة الرَّحمة، ولو كان للولد كسب لقلتُ له يجب عليك أن تساعد أباك.

ولا ينسى السَّائل أنَّ وزارةَ الشُّؤون الاجتماعيَّة فيها بابٌ لمساعدة المحتاجين من المواطنين، فلعلَّهُ يستطيع الحصول على مساعدةٍ لهذا الوالد لا سيَّما إذا شرح للمسؤولين ظُروف أبيه، وأعتقدُ أنَّهم لن يمانعوا من تلبية طلبه.

إذن: فَلْتَعُدَّ تلك النَّقمةَ منه نعمةً، وتلك الإساءةَ منه إحسانًا، وأسأل الله للنَّاسِ جميعهم حسن المستقبل.

الذَّنبُ يغضب الرَّبَّ

السُّؤال:

سمعت حديثًا معناه: «ملعونٌ من لعن والديه، ومن آوى مُحْدِثًا...»، أرجو أن أسمع لفظ الحديث كاملًا، وما درجته من الصِّحَّة؟ وما معناه؟

الجواب:

الحديثُ صحيحٌ، رواه الإمام أحمد عن ابن عبَّاس ﵄ بهذا اللَّفظ:

«**ملعُون من سبَّ أبَاهُ، ملعُونٌ من سبَّ أُمَّهُ، ملعُونٌ من ذبحَ لغيرِ الله، ملعونٌ من غيَّر تُخُوم**[١] **الأرض، ملعونٌ من كمَّه أعمى عن طريق، ملعونٌ من وقع على بهيمةٍ، ملعونٌ من عمل بعمل قوم لُوط**»[٢]، ورواه الطَّبرانيُّ والحاكم عن أبي هُريرة بهذا القول: «**لعن اللّهُ سبعةً من خلقه من فوق سبعِ سمواته**»[٣]، وفي رواية ابن عبَّاس: «**لعن الله من والى غير مواليه، لعن الله من غيَّرَ تخوم الأرض، لعن الله من كمَّه أعمى عن الطَّريق، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من وقع على بهيمة، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط**»[٤]، وفي روايةٍ للإمام أحمد في «مُسنده» ومُسلم والنَّسائيِّ عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لعن اللهُ من لعَنَ والدهُ، ولعن الله من ذبحَ لغير الله، ولعن الله من آوى مُحدِثًا، ولعن اللهُ من غيَّر مَنار الأرض**»[٥]، وتعدُّدُ الرِّوايات والرُّواة دليلٌ على صحَّةِ الحديث.

أمَّا معناه: فإنَّهُ لا يليق بالمسلم أن يلعن أبويه، وإنَّ الإنسانيَّة تأبى للإنسان أن يشتم أبويه، وشرح لنا الرَّسول عليه السلام ذلك، روى البُخاريُّ ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرَّجُلُ والديه، قيل: يا رسولَ الله وكيف يلعن الرَّجُل والديه؟ قال: نعم يسُبُّ الرَّجلُ أبا الرَّجلِ، فيسُبُّ أباهُ، ويسُبُّ**

---

(١) قال أبو عبيدة: التُّخوم هنا الحدود والمعالم، وقيل: أراد حدود الحرم خاصَّة. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣١/ ٣٢٣).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٩١٤).

(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسط، رقم: (٨٤٩٧)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٨٠٥٣).

(٤) أورده المتَّقي الهنديُّ في كنز العمال، رقم: (٤٤٠٤٢).

(٥) رواه مسلم، رقم: (١٩٧٨)، والنَّسائيُّ، رقم: (٤٤٩٦)، وأحمد، رقم: (٨٥٥).

أُمَّهُ»[١]، معنى هذا أنَّه يتسبَّب في شتم أبويه في نزاعه مع الآخر، وهو أمرٌ يمكن وقوعه كثيرًا.

أمَّا عن إيواء المُحدِث فالمحدثُ هو من ابتدع بدعةً تخالف الدِّين، وتشقُّ الوحدة بين المسلمين، أو الَّذي يحدث الفوضى في البلاد، أو يُخِيف النَّاس بغير حقٍّ، فإذا طلبه رجال الأمن أو طلبته السُّلطات لعقوبته ذهب إلى من يُؤويه، وإيواء مثل هذا حرام، ومن آواه فهو ملعونٌ بلعنة الله ورسوله.

وأمَّا الذَّبحُ لغير الله فشركٌ؛ لأنَّ الذَّبح عبادةٌ، والمقصود بذلك ذبح الضَّحايا أو النُّسُك في الحجِّ، يقول ﷺ: «**إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين**»[٢]، وما ذُبح لغير الله مُحَرَّمٌ أكله أيضًا.

وأمَّا من غيَّر منار الأرض فملعونٌ، والمنار معناه: الحدود أو المعالم الَّتي تكون بين الجيران، فتضيع في هذا التَّغيير حقوق النَّاس، وربَّما تكون فتنةٌ فتسفك فيها دماء.

وأمَّا تكميه الأعمى عن الطَّريق وتضليله فهو ضلالٌ؛ إذ يجب على المسلم أن يدُلَّه لا أن يُضِلَّه.

وأمَّا عمل قوم لُوط فهو انحرافٌ خُلقِيٌّ، وطبعٌ خبيثٌ، وشذوذٌ تأباه حتَّى الحيوانات، وفاعله يستحقُّ اللَّعنة.

هذا ما ظهر لي من معنى الحديث.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩٧٣)، و مسلم، رقم: (٩٠).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٧٢٩).

الرقيقات وأمَّهات الأولاد

السُّؤال:

في سُورة المؤمنين وسُورة المعارج جاءت الآيات الكريمات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، هل كانت الجارية حلًّا لسيِّدها بعدما بلغ الإنسان من الحضارة والسُّموِّ ما بلغ؟ وهل للرِّقِّ وجود في الإسلام؟

الجواب:

هذا موضوعٌ طويلٌ يحتاج إلى بحثٍ دقيقٍ، ولكنِّي أختصره، فأقول: كان الرِّقُّ منتشرًا يوم جاء الإسلام في بقاع الأرض معمورها ومهجورها، فكان في أوروبَّة واليونان والرُّومان وغيرها، وفي آسيا عند الهُنُود والصِّينيِّين وغيرهما، وفي اليهُوديَّة والمسيحيَّة.

وجاء الإسلام وجعل للرِّقِّ شروطًا، فلا يكون السَّبيُّ عبدًا حتَّى تتوفَّر هذه الشُّروط:

أوَّلها: أن يكون القِتال لإعلاء كلمة الله لا إشباعًا لسيطرةٍ، ولا إرضاءً لسلطةٍ، ولا طمعًا في مزيدٍ من الدُّنيا، وأن يكون السَّبيُّ قد أخذ وقت التِحام لا وقت وضع السِّلاح، وأن يخيِّر المسلمون أعداءهم قبل الحرب في ثلاثةٍ: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب ومعلوم أنَّ الحالة هذه لا تكون إلَّا مع من اعتدى علينا؛ لأنَّ الدِّفاع عن النَّفس يُوجب علينا الحرب؛ لحفظ كياننا والاحتفاظ بمقدَّساتنا وأعراضنا، والحربُ في

الإسلام لم تُشرع للاستيلاء أو السَّيطرة، وإنَّما جاء التَّشريع بها بهذا الأمر: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٠]، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: ١٢٣]، والأسرُ من ضرورات الحرب، ضرورةٌ تُمليها حالة الحرب يومئذٍ؛ لئلَّا يطمع الأعداء في المسلمين.

والإسلامُ عالج مشكلات الرِّقِّ في وقتٍ كان الرِّقُّ فيه مصدرًا من مصادر الاقتصاد، تقوم عليه ثروة الأُمم في كلِّ مكانٍ، عالجها بحلولٍ لم تسبقه شريعةٌ من الشَّرائع إلى مثلها، فجعل عتق الرَّقبة كفَّارةً لكثيرٍ من الآثام، وجعل المكاتبة وسيلةً من وسائل الحرِّيَّة، وجعل من استولدها سيِّدها حرَّةً وقت الولادة، وإذا اشترى السَّيِّد أباه أو ابنه أُعتق، ومن أعتق بعضه فهو حرٌّ،كما لو اشترك جماعةٌ في عبدٍ فأعتق بعضهم نصيبه فيه فإنَّ الحرِّيَّة تسري إلى كُلِّه، ومن يزعم أنَّ القرآن شرع الرِّقَّ فقد أتى ببهتان عظيم، فالقرآنُ جاء لتحرير الرَّقيق، والقضاء على نظام الرِّقِّ الَّذي كان سائدًا يوم نزول القرآن.

وما حثَّ القرآن على طاعةٍ من الطَّاعات مثل حثِّهِ على تحرير الرِّقاب، وفكِّها من قيود الرِّقِّ، حتَّى قبل أن ينشئ الإسلام دولته؛ فهذه سُورة البلد مكِّيَّة جاء فيها ذكر ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البَلَد: ١٣]، وفي قوله تعالى ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النِّسَاء: ٣] بابٌ من أبواب التَّحرير، فقد قلنا أنَّ الأَمَةَ إذا ولدت من سيِّدها أصبحت سيِّدةً.

وكانت البشريَّة قبل نزول القرآن في ظُلمات يغشى بعضها بعضًا، وكانت القوانين مجحفة[1] جائرةً على الضُّعفاء الَّذين لا حول لهم ولا

(١) أجحفت بهم: كلَّفتهم مالا يطيقون، انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٣/ ٦٩).

قوة، فنصر القرآن الضَّعيف، وخلَّصهم من طُغيان القويِّ، حتَّى سادت تعليمات كتاب الله، وأشرقت محاسنها، وانتشرت أضواؤها في الشَّرق والغرب.

وفي أيَّامنا هذه نرى بعض المجتمعات الإسلاميَّة المنحرفة عن تعليمات الإسلام تنوء بأغلال الجهل والفقر والمرض، نراها معرضةً عن الإسلام جاهلةً تعليماته لا تعرف مِنه إلَّا الاسم.

نسأل الله أن يفتح بصائرهم وأبصارهم بنور العلم، ويرشدهم إلى سواء السَّبيل.

أما السُّؤال: هل كانت الجارية حلًّا لسيِّدها؟

فالجواب:

نعم، لهُ أن يعاملها بوصفِها زوجةً، وإذا أراد الأمرَ الأفضل والأحسن والأكرم عند الله، والأعظم ثوابًا يجعل صَداقها حُرِّيَّتها، فليمهرها حرِّيَّتها، ثمَّ ليعقد عليها عقد الحرائر، ويتزوَّجها حُرَّةً.

ومنذ فقَدَ الإسلام سُلطانهُ وفَقدَ معه الجهاد في سبيل الله فقَدَ التَّملُّك، فليس ثمَّةَ عبدٌ منذ مئات السِّنين، أمَّا ما يتبجَّح[1] به الغربيُّون من أنَّهم أبطلوا الرِّقَّ، وابتدعوا شيئًا حديثًا، فإنَّنا نقول: إنَّ الغربيِّين لم يلغوا الرِّقَّ إلَّا بعد أنَّ ضعفَ إنتاج العبيد، وإلَّا فما معنى الاستعمار والاستعباد؟! فقد أبطلت أوروبَّة وأمريكا تبعيَّة فرد لفردٍ، وحقَّقت تبعيَّة أُمَّة لأُمَّةٍ، وحرَمَت طائفةً من البشر من حقوقٍ، وهي مباحةٌ للآخرين.

(١) يتبجَّح: يفخر. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٠٦).

أمَّا الإسلام فإنَّه يقول في حقِّ العبيد: «**إخوانكم خولكم، جعلهُمُ اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخُوهُ تحت يده فليطعمهُ ممَّا يأكُلُ، وليُلبِسهُ ممَّا يلبسُ، ولا تُكلِّفُوهُم ما يَغْلِبُهُم، فإن كلَّفتموهم فأعِينُوهُم**» رواه البُخاريُّ ومُسلم وأحمد وغيرهم عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ[١].

مشكلة العوانس

السُّؤال:

هل لمشكلة العوانس في بلدنا أسبابٌ؟ وهل من هذه الأسباب غلاء المهور أم الاختلاف الطَّبقيُّ بين أصيلٍ وعامِّيٍّ أم تَعَسُّف[٢] الأولياء بالفتيات؟ وهل لهذه المشكلة من حلٍّ؟

الجواب:

أسئلةٌ تحتاج إلى جوابٍ، ولنبدأ قبل الجواب بشرح كلمة عانس: هي فتاةٌ جاوزت سنَّ الشَّباب ولم تزل بلا زوجٍ، وسنُّ الشَّباب في عُرفنا - أهل الكويت - ثلاثٌ وثلاثون سنةً، فإذا ذهبت ذهب شبابها.

والعُنوس بضمِّ العين أو العِناس بكسر العين: داءٌ ابتُلينا به، ولم نستطع الخلاصَ منه، فهو بلاءٌ قد يجرُّهُ الأولياء على الفتاة، أو تجرُّه الفتاة على نفسها.

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٠)، ومسلم، رقم: (١٦٦١)، وأحمد، رقم: (٢١٤٣٢).
(٢) التَّعسُّف: الظُّلم. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٤٦).

وللعُنوس أسبابٌ: وشرُّها غلاءُ المَهر، أو شروطٌ تشترطها الأمُّ في الخطبة، فالأمُّ تريد لابنتها سيَّارةً فارهةً، وخادمًا مطيعًا، وبيتًا مستقلًّا، وصالونًا فخمًا، وكلُّ ذلك طلباتٌ لا يسعها دخل الخاطب؛ لأنَّهُ من أوساط الموظَّفين، ودخلهُ لا يكفي لمثل هذه الأشياء، ويجهده الإنفاق في هذه الرَّغبات، والبنت تشترط في خطيبها أن يكون ذا جمال، يلفت الأنظار، ويحمل شهادةً جامعيَّةً، وذا وظيفة عالية، وجاه عريض، ومكانة مرموقة.

كنَّا فيما مضى نعرف - وذلك شيءٌ طبيعيٌّ في كلِّ أنثى - أنَّ البنت ترجو أن تكون زوجةً سعيدةً لرجل يسكن إليها وتسكن إليه في بيتٍ سعيدٍ، وأُمًّا موفَّقة بأولادٍ صالحين، أمَّا اليوم فلا أدري ماذا أقول! هل تطوَّرت الحال أم تدهورت؟! فقد أصبح كلٌّ من الخاطب والمخطوبة يشترط، ولا نظرة إلى المستقبل، والإسلام قال لنا على لسان رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دِينَهُ وخُلُقَهُ فأنكِحوه، إلَّا تَفعلُوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ، قالوا: يا رسولَ اللّهِ، وإن كان فيه؟ قالَ: إذا جاءكُم من ترضون دِينَهُ وخُلُقهُ فأنكِحُوهُ**»، رواه التِّرمذيُّ وسنده حسنٌ(١).

يمدُّ اليوم الشَّباب المتعلِّم الصَّالح يده إلى رجلٍ يثق به يطلب مُصاهرته، فيستمهله لمراجعة البنت وأُمِّها، فإذا بهما تطلبان ما لا يستطيع الخاطب امتلاك بعضه بل كُلِّه، ثمَّ تتكرَّر الطَّلبات مع الخاطبينَ، وربَّما كان اللَّاحق أضعف يدًا من السَّابق، وهكذا يأتي الشَّباب ويذهبون، وقد قالت العربيَّة كلمتها الَّتي ذهبت مثلًا: زوجٌ من عود خيرٌ من قعود.

والشَّابُّ لا يتأخَّر؛ لأنَّه سيجد بُغيته في بلده أو خارج بلده مع زوجةٍ

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٠٨٥)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

تجعله أبًا، أمَّا البلاء والبقاء وسوء العُقبى - أو إن شئنا قلنا: الخسارة - فإنَّها تقع على البنت وحدها، وإنِّي بصفتي قد عشت عصرين في الكويت وجرَّبت كثيرًا من الأمور وعايشت القضاء أكثر من ثلاثين عامًا موظَّفًا ومحاميًا أقول: ويل للعاضلين[١] الَّذين خالفوا نهي الله ﷻ حين قال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٢].

كانت المرأة في الجاهليَّة تلاقي من العَنت[٢] ما تلاقيه، هي طفلةٌ بالوأد، وشابَّةٌ بالهوان، وكهلةٌ بالذِّلَّة، شأنها في ذلك شأن الحيوان لا يؤبه[٣] له، حتَّى جاء الإسلام فأصلحَ حياتها بنسماته، ورفع إنسانيَّتها وكرامتَها، وجعلها ندًّا للرَّجل؛ لها مثل ما له، وعليها مثل ما عليه، كرامةٌ لم تعرفها المرأة في تاريخها البعيد إلَّا من هذا المصدر.

أرجو من أولياء الأمور أن يعطوا للبنت كرامتها الَّتي كتبها الله لها ومنحها الإسلام إيَّاها، فلا يحرموها منها؛ لأنَّها هي الَّتي ستعيش في بيت الزَّوجيَّة، إذن فلها حقُّ الرِّضا في اختيار الزَّوج، فإن كان كفؤًا صالحًا فلا داعي للالتفاتِ إلى ماله أو عمله والتَّشديد فيه؛ فالزَّواجُ مصدرُ رزقٍ، والله هو الرَّازق لمن طلب إليه الرِّزق.

(١) العضل: منع المرأة من التَّزوُّج ظلمًا. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٠/ ١).
(٢) العنت: دخول المشقَّة على الإنسان، ولقاء الشِّدَّة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٦١).
(٣) لا يؤبَه له: لا يحتفل به لحقارته. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٦/ ٣١٧).

تبرُّع غريب

السُّؤال:

تعرَّضتُ لحادثٍ قبل سنةٍ ونصف، أُصبت إثره بكسرٍ في رجلي، وكنتُ حُبلى، فنمت في مستشفى العظام، وإلى جانبي امرأةٌ مكسورةٌ، قلت لها: إذا شُفيت سأعطيك المولود الَّذي في بطني، ثمَّ شُفِيتُ، وخرجت من المستشفى، ونسيت ما كنت قد وعدت به جارتي، وطفلي مريضٌ دائمًا.

فهل سبب مرضه وعدي الَّذي أخلفته؟ وهل أنا مدِينةٌ بالوعد للمرأة؟

الجواب:

وعدٌ غريبٌ عجيبٌ ما سمعت مثله طوال عمري، فقد تلقَّيت الأسئلة الكثيرة مدَّةً طويلةً، لكنَّني لم أسمع مثل هذا السُّؤال، ولا مثل هذا الوعد، أين حنان الأمِّ، وحنانها مضرب المثل؟!

إنَّ الأُمَّ في الحيوانات تقاتل من أجل ولدها، وقد تموت وهي تنظر إلى ولدها الَّذي دافعت عنه، والطَّير يقاتل دون عُشِّه دفاعًا عن بيضه وفراخه، والعصفور - وهو أضعف الحيوانات - يستنجد ببني جنسه عندما تهجم الحيَّة على فراخه، ولا تسلم الحيَّة من هجمات هذا الحيوان الضَّعيف، فعجيبٌ أن تهب امرأةٌ ولدَها لامرأةٍ غريبةٍ عنها! تلك امرأةٌ تخلو من حنان الأُمومة، وإلَّا فكيف تجرَّأت على هبة ابنها الجنين؟!

أين أبوه؟! هل تملك ابنها وحدها؟! فإن قُلنا: إنَّه ميِّتٌ. فأين عُصْبة

هذا الطِّفل؟! أليس لهُ أخٌ أو عمٌّ أو ابن عمٍّ؟! هل خلا هذا الطِّفل من أُسرةٍ يُنسَب إليها؟! إنَّ في الأمر غموضًا، وأعوذُ بالله من سوء الظَّنِّ؛ ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

الأولادُ هبةُ الباري ﷻ وهديَّته، فهي غريزةٌ محبوبة فطر عليها الوالدان، وإنَّ الإنسان ليُهدِيه صديقُه هديَّةً فيحفظها بوصفها ذكرى ثمينة من المُهدِي، فكيف بهديَّة الله؟!

وهذه السَّائلة تريد أن تهبَ ولدها لامرأةٍ غريبةٍ عنها لم تعرفها إلَّا في المستشفى، وهي لا تعلم إن كان هذا الَّذي وهبته ذكرًا أو أنثى، ولا تعرف مصيره عند هذه المرأة؛ هل هي خيِّرةٌ أم شرِّيرةٌ؟! هل ستربِّيه أم ستستخدمه؟! هل سَتُحسِنُ تربيته أم تهمله؟! تالله ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

الطِّفل مات بأجله

السُّؤال:

دخلت صفَّارةٌ في حلق طفلٍ يبلغ من العمر خمس سنوات، ونُقل إلى المستشفى فمات في الطَّريق قبل الوصول إلى الطَّبيب، وتشعر الأمُّ أنَّها مُقَصِّرةٌ في إنقاذه.

الجواب:

إنَّ الله ﷻ كتب الآجال، فقال في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، وابنكِ قد توفَّاه الله بأجله، فأنت لم تقصِّري في إنقاذه، إذ نقلتِهِ إلى المستشفى، وجاهدتِ في سلامته، ولم يُرِدِ الله له ذلك؛ لأنَّ العمر انتهى، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن أطفال المؤمنين بأنَّهم في الجنَّة بقوله: «**أولادُ المُؤمنين في جبلٍ في الجَنَّة يكفُلُهُم إبراهيم وسارة حتَّى يرُدَّهم إلى آبائهم يومَ القيامة**»[(١)]، وإنَّ الأطفالَ فرَطٌ[(٢)] في الجنَّة لوالديهم، ومَن صبرَ فسيلقى فرطه ما لم يرتكب إثمًا أو يجزع مِمَّا قدَّرَه الله.

ابنتها هجرتها بعد الزَّواج

السُّؤال:

ربَّت ابنتَها فهجرتها البنتُ بعد الزَّواج، والأمُّ تتَّهمُ الزَّوج بهذا الهِجران، فماذا تفعل الأمُّ لتصل ابنتها؟

الجواب:

كلُّ بنتٍ لا بُدَّ لها من زواجٍ، ونسأل الله ألَّا يحرم بناتنا من زواجٍ سعيدٍ، والأمُّ مهما ربَّت فلا بُدَّ أن تخرج البنت من كيانها إلى كيان زوجٍ تعيش معه، وهذه سُنَّة الله في خلقه، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم: (١٤١٨).

(٢) الفرط: ما تقدَّمك من أجر وعمل. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٩/ ٥٣١).

والمرجوُّ من الأمِّ أن تحاول بكلِّ ما لديها من تجارب أن تجمع شمل الزَّوجة بزوجها، وتبعد منها دسائس الشَّيطان، وتحسن الظَّنَّ بالبنت وبزوجها، وتُعاوِنَ الاثنين على بناء العُشِّ الَّذي يقيمانه، فلا تُفرِّق بين زوجين تحابَّا في الله واجتمعا على كلمة الله، ولو كان في ذلك حرمانها من ابنتها.

ونطلب إلى البنت أن تُقنِعَ زوجَها بأنَّ هذه الأُمَّ لا تريد بهما شرًّا، والزَّوجة اللَّبِقة[1] إذا أرادت أمرًا وصلت إليه؛ لأنَّ لها طريقتها الفطريَّة الخاصَّة بها، وتستطيع أن تصل بها إلى ما تريد من زوجها.

والمرجوُّ من الأمِّ أن تسعى بجهدها لمساندة ابنتها على تقوية العُشِّ الَّذي تبنيه مع زوجها، عُشِّ المحبَّة والمودَّة، وأن تكون جامعةً لا مُفَرِّقة، مُصلِحةً لا مفسدة، مُحِبَّةً لا مبغضة.

وأنصح الزَّوجين أن يرعيا هذه الأمَّ بالمعروف والإحسان، فهي غنيَّةٌ عنهما، لا تريد منهما إلَّا برَّ الآباءِ الَّذي أمر الله به الأولاد، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣].

مَن اليتيمُ؟

السُّؤال:

عندي يتامى، ربَّيتهم وحرَّمت على نفسي أن آكل من أموالهم، والآن كبروا وعملوا، يسافرون ويأتون إليَّ بالهدايا من ملبوسات ومأكولات،

(١) اللَّبق: الحلو اللَّيِّنُ الأخلاق. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٦/ ٣٤٧).

فلا ألبس من هداياهم شيئًا، ولكنِّي آكل أمامهم بعض الشَّيء ممَّا يهدونه لي؛ تطييبًا لخاطرهم، وظننت أنَّ عليَّ كفَّارةَ يمينٍ، فصمت ثلاثةَ أيَّامٍ، فهل عليَّ بعد ذلك شيء؟

الجواب:

اليتيم: إنسانٌ مات أبوه ولم يبلُغ سِنَّ الرُّشد، فمتى رشَد الطِّفل انتهى اليُتم، وفي الحديث: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ**»[1]، ومعناه: ينتهي يُتمُ الطِّفْلِ سواء كان ذكرًا أم أُنثى بعد بلُوغه مبلغ الرَّجل إن كان ذكرًا، أو مبلغ النِّساء إن كانت أُنثى.

إنَّك حرَّمتِ على نفسك أكل أموال اليتامى، فلم تأكلي من أموالهم حتَّى كبروا، وذهبت عنهم صفة اليتم، وأصبحوا يسافرون ويكتسبون ويأتونك بالهدايا من أطعمة وألبسة، فكُلي والبسي ممَّا يهدونك من مأكل وملبس، واحمدي الله الَّذي وفَّقك إلى تربيتهم، ووفَّقهم إلى حبِّك.

كفالة اليتيم

السُّؤال:

تزوَّجت منذُ عشرين عامًا، ولم يرزقني الله مولودًا؛ ولأنَّني سعيدٌ مع زوجتي لا أريد أن أُكَدِّرَها بزواجٍ بأُخرى، فالتقطنا طفلًا ربَّيناه، وقد بلغ من العمر سبعًا، عَرَفَهُ النَّاس باسمي، فهل يُباح إلحاق نَسَبِهِ بي بصُورةٍ رسميَّة؟

(١) رواه أبو داود، رقم: (٢٨٧٣).

الجواب:

جاء في الآيتين الكريمتين من سُورة الأحزاب: ﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤-٥].

كان في مجتمع الجاهليَّة أبناءٌ لا يُعرَفُ لهم آباءٌ، وكان الرَّجل يُعجبه أحدٌ من هؤلاء فيتبنَّاه ويلحقه بنسبه، فيتوارث وإيَّاه توارث النَّسب، وقد يأخذ يتيمًا معروف الأبِ فيتبنَّاه، وأحيانًا يؤخذ الأطفال في الحروب والغارات فيختار السَّابي أحدهم فيدَّعيه ويُطلق عليه اسمه، ومتى أطلق عليه اسمه عُرف به وصارت له حقوق البُنوَّة وواجباتها.

وجاء الإسلام ليُنَظِّمَ علاقات الأسرة، ويجعلها خالصةً صريحةً لا تشويه فيها ولا خلط، فأبطل عادة التَّبنِّي، وردَّ علاقة النَّسب إلى أسبابها؛ إلى الأبوَّة والبُنوَّة الصَّحيحة، وقالها بصريح العبارة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ﴾ [الأحزاب: ٤]، وكلام الأفواه كذبٌ مُخالفٌ للواقع، وعلاقةُ الوِراثة شرعيَّةٌ، تحملها النُّطفة الَّتي هي بضعة من الأب، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥]، والقِسطُ: العدلُ: وهو أن يُدعى الولد لأبيه الَّذي يرثه، ويكون امتدادًا له بوِراثة الخصائص والمشاعر الطَّبيعيَّة، ثمَّ يقول الباري ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الأحزاب: ٥].

وأقول للسَّيِّد السَّائل تكملةً للجواب: هُناك مكرمةٌ لا بأس بها يحبُّها

الإسلام ويُشِيد بفاعليها، هي كفالةُ الطِّفل الَّذي فَقَدَ من كان يعوله، سواء كان هذا الطِّفل يتيمًا فَقَدَ أباه الَّذي يرعاه ويحنُو عليه، أم لقيطًا[1]، واللَّقيط كاليتيم، والرَّسول ﷺ يقول: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة هكذا. وأشار بالسَّبَّابة والوُسطى**»[2]، وذلك لما في كفالته من إحياء نفسٍ وتربيتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائدة: ٣٢]، ولكنَّ ذلك دون إلحاق نسبٍ، وقال بعض فقهاء المسلمين: إنَّ الكفالة بهذه الصُّورة واجبةٌ شرعًا، ولا مانع من أن تهب لهذا الَّذي ربَّيته بعضَ مالِك، - إن كنت ذا مال - فتحفظ به مستقبله.

وفي زماننا هذا يجب على أولياء الأمر في مثل الظُّروف الَّتي تمرُّ بنا أن يكفلوا المشرَّدين جميعهم، ولِمَن قام بذلك الثَّواب العظيم؛ لأنَّ في هذه الكفالة حمايةً للذُّكور من الانحرافات الَّتي قد توصلهم إلى الإجرام، وحماية للإناث من السُّقوط في مهاوي الرَّذِيلة.

وكويتنا - بحمد الله وتوفيقه وفضله - قد فتحت لأمثال هؤلاء ولغيرهم مجامع وأماكن يأوي إليها كلُّ مُشرَّدٍ، سواء كان طفلًا أم حدثًا، وأهيب بالمسؤولين الَّذين اؤتمنوا على رعاية هؤلاء الأطفال ألَّا يفرِّطوا فيهم، فلا يُسَلِّمونَ الطِّفل إلى كلِّ طالبٍ أو طالبةٍ، بل عليهم أن يتحقَّقوا من هذا الطَّالب وأمانته ودِينه وصلاحه وقدرته، حتَّى ينشأَ الطِّفل عضوًا صالحًا في المجتمع ينتفع وينفع.

(١) اللَّقيط: الطِّفل الَّذي يوجد مرميًّا على الطُّرق لا يُعرَف أبوه. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٣٩٢).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٣٠٤)، ومسلم، رقم: (٢٩٨٣).

الحِنث باليَمين

الحلف بالله

السُّؤال:

حلفت يمينًا بالله ألَّا أدخل مكانًا، فدخلته، وحلفت يمينًا آخر ألَّا أُكلِّمَ شقيقتي فكلَّمتُها، فماذا عليَّ بهذا اليمين؟

الجواب:

يمينك الأوَّل يجب عليك الوفاء به؛ لأنَّ المكان الَّذي حلفت ألَّا تدخله مكان شرٍّ، ويقودك إلى شرٍّ، فعليك الابتعاد منه ولو لم تحلف يمينًا؛ لأنَّ دخولك فيه يجرُّك إلى الإثم، فكيف وقد حلفت ألَّا تدخله؟!

أمَّا اليمين الثَّاني فهو قطيعةٌ، والله جلَّ شأنه أمرنا بصلة الرَّحم لا بقطيعة الرَّحم، وأمرنا رسوله ﷺ أن نُكَفِّرَ عن أيمان القطيعة، وكلِّ يمينٍ حلفناه على شرٍّ بقوله: «**مَنْ حلفَ على يمينٍ، فرأى غيرها خيرًا منها، فليَأْتِهَا، ولْيُكَفِّرْ عن يمينه**»[1]؛ امتثالًا لأمر الله تعالى الَّذي أمرنا أن نكفِّر عن أمثال هذه الأيمان: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [المَائدة: ٨٩]، فعليه أن يصوم ثلاثة أيَّامٍ، ولا يكفي الصِّيام مع القدرة على الإطعام أو الكسوة.

(١) رواه مسلمٌ، رقم: (١٦٥٠).

تجرَّأت على ربِّي

السُّؤال:

حصل بيني وبين زوجي شجارٌ؛ لأنَّني لم أُنجب له ابنًا، وأنا في حالٍ لا أستطيع فيها الإنجاب، وتكلَّمت بكلامٍ ظننت أنَّني تجرَّأت على ربِّي، وقد خفت من ذلك، ثمَّ كلَّمتني ابنتي وكنت في حالة طيشٍ، وحلفتُ ألَّا أُخيِّط لها أبدًا، وأنا أقوم بخياطة ملابس بناتي؛ لأنَّ زوجي لا يستطيع دفع أجرة الخيَّاط، فما كفَّارة أعمالي هذه؟

الجواب:

استغفري الله من الكلمات الَّتي بدرت منك، واغتسلي كالغسل من الجنابة والحيض، وتوبي إلى الله ولا تعودي إلى مثلها، واعلمي أنَّ التَّوبةَ معناها: النَّدم وعدم العودة إلى الذَّنب.

ويمينكِ الَّذي حلفتِهِ في عدم خياطة الملابس لبناتك كفَّارته أن تُطعمي عشَرة مساكين، وإذا كنت لا تستطيعين الإطعام؛ لأنَّ زوجك - حسبما تقولين - فقيرٌ، فصومي ثلاثة أيَّامٍ، ثمَّ أُكرِّر قولي لك: إنَّ التَّوبة معناها: النَّدم والإقلاع عن الذَّنب وعدم العودة إليه.

سبُّ الدِّين

السُّؤال:

شَتمت دِين رفيقتها، ورفيقتها مسلمةٌ، وتعتقد أنَّها كفرت بكلامها هذا، وهي نادمةٌ جدًّا على ما قالت.

الجواب:

شتمُ الدِّين كبيرةٌ من الكبائر، وقد تقود صاحبها إلى الكُفرِ، والعياذُ بالله، عليك أن تتوبي إلى الله، واستغفريه، ولا تعودي إلى مثل هذه الكلمات، والرَّسول ﷺ قال: «**إنَّ الإسلام يجُبُّ**[(١)] **ما كان قبله**»[(٢)]، يعني: يستر ما قبله، وقال: «**التَّائب من الذَّنب كمن لا ذنبَ لهُ**»[(٣)].

وإنَّ شتم دين غير المسلم منهيٌّ عنه في كتاب الله في الآية الكريمة من سُورة الأنعام: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وأقول للسَّائلة أخيرًا: عاملي النَّاس بما تُحبِّين أن يعاملوك به.

(١) يَجبُّ: يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر والمعاصي والذُّنوب. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٢٣٤).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٧٨١٣).

(٣) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٥٠).

الخمرُ والمُحرَّمات

الخمر بين المنفعةِ والضَّررِ

السُّؤال:

في مجلس الأُمَّة هذه الأيَّام جدالٌ في الخمر بين من يريد إباحتها؛ لما فيها من منافع اقتصاديَّة، ومَن يريد بقاء حظرها؛ لضررها، فأرجو أن تُفيدنا بما ينفع؟

الجواب:

الخمرُ: مادَّةٌ خُمِّرَتْ فتكوَّنت فيها كحولٌ تُحدِثُ لِشَاربها الإسكار، ولا يخفى ضرر الكُحول في العقل والجسم، وإذا فسد العقل فسدت المعاملة، فعندما يشرب العاقلُ الخَمرة يفقد عقلهُ، ومن فَقَد عقله فقَدَ توازنه، فيقتل ويهتِك عرضًا ويعتدي ويكون وحشًا لا يبالي، وكم من عداء حصل بين صديقين حميمين بسبب الخمر! وطلاقٍ حصل بين زوجين سعيدين بسببه! وأُسرةٍ تفكَّكت وأطفالٍ تشتَّتوا بسببه!

والخمرُ مُحَرَّمٌ بنصِّ القرآن في آيةٍ صريحةٍ يقول الله فيها: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المَائدة: ٩٠-٩١]، حَرَّمها بكلمة: اجتنبُوه، كما حرَّم الأوثان وشهادة الزُّور بكلمة اجتنبُوه في الآية الكريمة: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠].

آمنَ كثير من رجال الإصلاح في مختلف الأُمم بأضرار الخمر على

الأفراد والأسرة والمجتمعات، فحاولوا مقاومتها وأخفقوا، ولكنَّ الإسلام نجح في محاربتها وكان موقفه صارمًا؛ فقد حرَّم قليلها كما حرَّم كثيرها، فقال ﷺ: «**ما أسكَرَ كثِيرُهُ فقلِيلُهُ حرامٌ**»، رواه أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص[١]، وقال أيضًا صلوات الله عليه: «**ما أسكرَ مِنهُ الفرَقُ**[٢] **فمِلءُ الكفِّ مِنهُ حرامٌ**»، رواه أحمد أيضًا عن عائشة[٣]، والفرَق مفتوح الرَّاء: إناءٌ يكتالُ؛ كالدَّلو المتوسِّط.

والخمر أمُّ الخبائث والكبائر، يفقد شاربها عقله فلا يعي ممَّا يفعل شيئًا، حتَّى إذا صحا من خماره عرف أنَّه أساء، فحزن ولا يفيده حزنه شيئًا حتَّى يعود إلى كأسه يتجرَّعها، يقول أبو نواس:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِيْ فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِيْ بِالَّتِيْ كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ[٤]

وحاربت الأُمم المُخدِّرات بأصنافها وأوصافها جميعها، فهل الخمر أخفُّ ضررًا مِنها، وحكم الخمر والمخدِّرات في الإسلام سواء؟!

إنَّني لست طبيبًا حتَّى أُحَلِّلَ هذا وهذا وأعرف أَيَّهما أكثر ضررًا في البدن والعقل وعلى المجتمع، ولكن أقولُ رضي الله عن عُمر بن الخطَّاب حين قال: «**الخمرُ ما خامرَ العقلَ**»[٥]، فالخمرُ مذهبةٌ للمال، سالبةٌ

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٦٥٥٨).

(٢) الفرق: مكيال يسع ستَّة عشر رطلًا، وهي اثنا عشر مدًّا، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز، وقيل: خمسة أقساط، والقسط: نصف صاع. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٤٣٧).

(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٤٤٣٢).

(٤) انظر: الجليس الصَّالح الكافي والأنيس النَّاصح الشَّافي، للنَّهروانيِّ (١/ ٣٠).

(٥) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٦١٩)، ومسلم، (٣٠٣٢).

للعقل، تفسد الصَّالح، وتخرِّب العامر، وتوقع بين المُتحابِّين العداوة والبغضاء، والمخدِّرات تذهل[١] الإنسان عن واقعه، وتُخلخِل إرادته، وتُضَعْضِعُها، وتضعف شعوره بالواجب عليه، وتُخَدِّرُ جسمَه حتَّى يكون عضوًا لا حركةَ له في مجتمعه، وإنَّ المخدِّر والخمر في الضَّرر سواء.

أمَّا المنافع الَّتي ذكرها الأخ في رسالته وقال عنها: إنَّها منافعُ اقتصاديَّةٌ، فلا أظُنُّ أنَّ هناك منافع تفيد الأُمَّة جميعها، وإنَّما هي منافعُ فرديَّةٌ تعود على أشخاص معيَّنين.

وإنَّ المال الَّذي يُصرَفُ في استيراد الخمر ويَذهب إلى أُمم أجنبيَّةٍ أضعافُ ما يستفيده الأشخاص المعيَّنون، فضلًا على الأضرار الَّتي تُصيب المجتمع، والانهيار الخُلقيِّ الَّذي تُبتلى به الأُمَّة، والأمراض الَّتي يشكو منها شاربو الخمر، والضَّحايا الَّتي تهلك بسببه، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**الخمرُ أُمُّ الفَواحشِ وأكبرُ الكبائِرِ**»[٢].

ولعلَّ قائلًا يقول: إنَّ الله ﷻ قال في كتابه العزيز: إنَّ في الخمر ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩]، فأقول: جاء في الآية الكريمة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩]، والإثمُ: هو الضَّرر، والإثم الكبير: هو الضَّرر الضَّخم، والشَّرُّ بعينه، وبعد أن ذكر الله المنافع للنَّاس، استدرك بأنَّ الإثم أكبر من النَّفع، وغلبة الشَّرِّ على الخير وسيلةٌ من وسائل المنع، والمنع في كتاب الله حُرمة.

---

(١) الذَّهلُ: تركك الشَّيء على عمدٍ، أو يشغلك عنه شغل. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٩/ ١٨).

(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (١١٣٧٢).

وقد ذكر المفسِّرون لكتاب الله بعض هذه المنافع الَّتي ذكرتها الآية الكريمة؛ مِنها ما يقبله العقل، ومنها ما يرفضه، والمقبول منها هو أنَّ النَّاس كانوا قد ألفوا شرب الخمر واللَّعب واعتادوهما، ومن أَلِفَ شيئًا استحسنه، وكانت الخمرة مَورِد رزقٍ للعاصر والمعتصر والتَّاجر، وكان على لاعبِ الميسر عادة تقسيم ما يربحه على المحتاجين من أصحابه وعشيرته، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩]، والعَفو: هو ما يفضل من كسب الإنسان بعد النَّفقة على النَّفس والعيال.

والإسلام حرَّم الخمرة ولعن معها عشرةً، قال رسول ﷺ: «**لعنَ رسولُ اللّه ﷺ في الخمر عشرةً: عاصِرها، ومُعتصِرها، وشارِبها، وحامِلها، والمحمُولة إليهِ، وساقِيها، وبائِعها، وآكل ثمنها، والمُشترِي لها، والمشتراة لهُ**»، رواه التِّرمذيُّ[1].

وحرَّم الإسلام شرب الخمر والتَّداوي به وعدَّهُ من المحرَّمات، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لم يجعل شِفاءكُم فيما حرَّم عليكُم**»، رواه الطَّبرانيُّ عن أُمِّ سَلمة[2]، و«**جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ وقال: إنَّه يصنعها للدَّواء، فقال ﷺ: إنَّهُ ليس بدواءٍ ولكنَّهُ داءٌ**»، رواهُ مُسلم[3].

أمَّا إذا أرادت السُّلطة أو شورى الأُمَّة أن تُبيح محظورًا أو تحرِّم مباحًا فليس لنا في الأمر شيء، وإنَّما أمره إلى الله، وكلُّ ما في الأمر أن نسأل الله لأولياء الأمور الهداية واتِّباع الحقِّ، والعون منه على إقامة الحقِّ

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٢٩٥)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٧٤٩).
(٣) رواه مسلم، رقم: (١٩٨٤).

ونصرته، والأخذ بيدهم إلى ما يجلبُ للأُمَّة خيرًا ويدفع عنها الشَّرَّ.

اجتناب الخمر أو تحريمها

السُّؤال:

هل ورد في كتاب الله الكريم تحريم الخمر بلفظ التَّحريم؟ أرجو الإفادة.

الجواب:

التَّحريم الَّذي جاء في كتاب الله ثلاثةُ ألفاظٍ: الحرَام، واجتنبُوا، ولا تقربوا.

وأكبر الكبائر وأشدُّها تلك الكبيرة الَّتي لا يغفرها الله لعباده، وهي الشِّركُ الَّذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

وفي شهادة الزُّور الَّتي تبطل حقًّا وتحقُّ باطلًا، فقد قال فيها جلَّ جلاله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠].

وفي ظنِّ السُّوء قال تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

وجاء في الحديث الشَّريف الَّذي رواه البُخاريُّ ومُسلم وأبو داود والنَّسائيُّ وغيرهم قوله ﷺ: «**اجتنبُوا السَّبع المُوبقَات وهي: الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقتل النَّفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، و أكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ**

اليتيم، والتَّولِّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المحصنات المُؤمنات الغافلات»[1]، ولم يقل: إنَّها حرامٌ عليكم، أو حُرِّمت عليكم.

أمَّا كلمة التَّحريم فجاءت في آياتٍ كثيرةٍ، وفيها للمضطرِّ سبيل:

ففي البقرة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٣]، أي: ما ذكر عليه اسمٌ غير اسم الله، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٣]، ومعناه: من خاف الهلاك جوعًا جاز له أن يأكل من هذا ما يسدُّ به رمقه أو يدفع به الهلاك عن نفسه.

وفي سُورة المائدة عند ذكر المحرَّمات قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ [المَائدة: ٣] - أي: مجاعة - ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المَائدة: ٣]، مُتجانِف: متعمِّد.

وفي سُورة النَّحل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النّحل: ١١٥]، والبغي: هو العزم على الإثم، أو كما يقولون في زمننا هذا: الإثم مع سبق الإصرار.

من هذا نفهم أنَّ كلمة اجتنبوا في كتاب الله أقوى من كلمة التَّحريم، والله يهدي عباده إلى الخير.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم، رقم: (٨٩)، وأبو داود، رقم: (٢٨٧٤)، والنَّسائيُّ، رقم: (٦٤٦٥).

رأي الشَّرعِ في الميسر

السُّؤال:

انتشرت لعبة اسمها الرُّوليت، وأخرى اسمها دمبلة، وأشغلت هاتان اللُّعبتان شبابنا وأطفالنا، وهي لعبٌ فيها رابحٌ وخاسرٌ، فما رأي الشَّرعِ في هذه الألعاب؟ وإن كانت منكرًا فأين الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر؟! أرجو إيضاح الجواب.

الجواب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وكلُّ لعبةٍ فيها ربحٌ وخسرانٌ هي ميسرٌ، والميسرُ قمارٌ يأثم صاحبه، وكسبه حرام؛ كحرمة الرِّبا، وحرمة أكل أموال النَّاس بالباطل، وكلُّ لعبةٍ - أيَّة لعبة كانت - فيها كسبٌ وخسارةٌ هي قمارٌ؛ فمثلًا: النَّرد، والطَّاولة، والدَّامة، والورق، كلُّ هذه لعبٌ اتَّخذها النَّاس للتَّسلية، فإذا حصل مع التَّسلية خسارةٌ على بعضٍ وكسبٌ لآخرِينَ صارت قمارًا.

أمَّا لعبة الدُّمبلة والرُّوليت وغيرهما من الألعاب - الَّتي أصبحت مَلهاة لشبابنا وأطفالنا، وانتشرت في الأسواق والمراكز العامَّة كلِّها في الشَّرق - فلا أدري ماذا ستكون عاقبتها على رصيد أُمَّتِنا من شبابها وأبنائها.

وإنَّي لأرجو من أُولي الأمر أن يتنبَّهوا على مستقبل هذه الأُمَّة العربيَّة المسلمة، فيحفظوا لشبابها أخلاقهم، ولشعبها كرامتهم.

أقول هذا وأستشهد بقول الشَّاعر :

لِكُلِّ نَقِيْصَةٍ فِي النَّاسِ عَارُ وَشَرُّ مَعَايِبِ الْمَرْءِ الْقِمَارُ

هو الدَّاء الَّذي لا برءَ منه وليس لذنب صاحبه اغتفار(١)

وصدق الشَّاعر؛ فالقمار داءٌ لا برء منه إلَّا بالموت، فالمدمن على الخمر له مفرٌّ، فقد يصيبه داءٌ أو ينهاه الطَّبيب، وللسَّارق توبةٌ؛ لأنَّهُ سرق لحاجةٍ، فمتى توفَّرت حاجته ترك السَّرِقة، ولكلِّ مُنحرفٍ توبةٌ يُجبِرُه الزَّمن عليها، أمَّا المُقامرُ فلن يترك عدَّته وولعه بها حتَّى يموت.

أمَّا سؤال السَّائل عن الآمرين بالمعروف، والنَّاهين عن المنكر فجوابي له الآتي:

هؤلاء كثيرون، ووسيلتهم في أمرهم ونهيهم القول والكتابة، ففي المسجد لهم ميدانٌ، ولكن أين المُصلَّون؟! وفي الصُّحف لهم مكانٌ، ولكن أين القارئون؟! والنُّصح لهم وسيلةٌ، فأين السَّامعون؟!

إنِّي أرجو وأُكرِّرُ الرَّجاء من كلِّ ناصحٍ ومُنصفٍ وحريصٍ على مستقبل هذه الأُمَّة أن يتنبَّه على الخطر الَّذي تجرُّه عليه هذه الألعاب؛ إنَّها ألعابٌ لا تُفتح إلَّا بثمنٍ، ولا يُلعب بها إلَّا بثمنٍ، فهي ليست كالدَّامة أو الدُّومنة أو الطَّاولة أو الورق؛ لأنَّ هذه ألعاب قد تكون لتسلية لا يدخلها قمار، أمَّا تلك فإنَّها لا تكون إلَّا للقمار.

(١) لم أقفْ عليه ولم أجدْه فيما توفَّرَ لي من مصادِرَ، ويُنسَب إلى نجيب الحدَّاد.

التَّوبة، المَوت، الآخرة

توبةُ شابٍّ طائشٍ

أنا شابٌّ مسلمٌ، عِشتُ في حياتي مرحلتين؛ المرحلة الأولى: مرحلة الشَّابِّ الطَّائش، اقترفت فيها من السَّيِّئات ما يُخجل ويَندَى من ذكره الجبين، وما أزال أخجل من نفسي كُلَّما ذكرت حالتي تلك، أمَّا المرحلة الثَّانية: فمرحلةُ الرَّجل العاقل المسلم التَّائب، يخاف الله ويصلِّي الصَّلوات الخمس في أوقاتها جماعةً، ويصوم رمضان، ويؤدِّي زكاة ماله، يعامل زوجته بالحُسنى، وأولاده بالَّتي هي أحسن، يذكر في معاملتهم الحديث الشَّريف: «كلُّكُم راعٍ، وكلُّكُم مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ»[(١)]، وكنت أسعى بجهدي كلِّه إلى معاملة النَّاس بالدِّين، فأقضي حاجة المحتاج، وأمهل المعسر المدين، وكنتُ سمحًا في الوفاء وفي الاستيفاء.

فهل يا تُرى رضي الله عنِّي وقبل منِّي؟ أرجو إفادتي؛ ما التَّوبة النَّصوح؟

الجواب:

أخي التَّائب! أرجو الله أن يهديك صراطًا مستقيمًا، أمَّا التَّوبة النَّصوح فهي النَّدم، أو ما يُسمَّى توبيخ الضَّمير، فإن كنت كذلك فأبشر بالخير، فالرَّسول ﷺ يقول: «**التَّائب من الذَّنب كمن لا ذنب له**»[(٢)]، ويُبَشِّرنا عليه السلام

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٨٩٣)، ومسلم، رقم: (١٨٢٩).
(٢) سبق تخريجه.

بقوله: «**إنَّ الإسلامَ يجُبُّ ما كان قبله**»(١).

وأحبُّ لك أن تقرأ آخر خمسَ عشرةَ آية من سُورة الفُرقان، فهي وصفٌ لعباد الرَّحمن، ولا سيَّما في الآيتين: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفُرقان: ٧٠-٧١].

وفتح الله باب التَّوبة لمن أراد أن يتخلَّص من سيِّئاته، ولكلِّ من استيقظ ضميره، لا يُرَدُّ عنه قاصد، ولا يُغلَق في وجه لاجئ، بدليل ما أخبرَنا به الرَّسول ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ يبسُطُ يدهُ باللَّيلِ ليتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، ويبسُطُ يدهُ بالنَّهار ليتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حتَّى تطلُع الشَّمسُ من مغربها**»(٢).

فيا أخي التَّائب، ويا كلَّ تائبٍ! أسأل الله ﷻ أن يُعيذك من نزغات الشَّيطان وهمزاته ولمزاته، ومن شرِّ قُرناء السُّوء، وأسأله أن يهديك سواء السَّبيل.

التَّوبة النَّصوح

السُّؤال:

رجلٌ أساء إلى نفسه في حياته، وتاب إلى الله ﷻ توبةً نصوحًا، وعزم على الحجِّ في هذا العام، ولمَّا وصل إلى الدَّمَّام مات، علمًا أنَّ الرَّجل

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٧٥٩).

حجَّ مرتين من قبل، فماذا يكون حاله عند الله؟ وهل قُبلت توبته؟

الجواب:

خفايا القُلوب لا يعلمها إلا الله، فهو وحدَه الَّذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غَافر: ١٩]، ولَمَّا أقلعَ الرَّجل عن سيِّئاته فأرجو أن يختم الله له بخيرٍ، كما وعد جلَّ جلاله بذلك، فقد قال عند ذكر عباد الرَّحمن: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفُرقان: ٧٠-٧١].

ويعجبني أن أذكر هذا الحديث الَّذي رواه البُخاريُّ ومسلم عن أبي هُريرة عبد الرَّحمن بن صخر الدُّوسيِّ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ عبدًا أصابَ ذنبًا - ورُبَّما قال أذنبَ ذنبًا - فقال: ربِّ أذنبتُ - ورُبَّما قال: أصبتُ - فاغفِر لي، فقال ربُّهُ: أَعَلِمَ عَبدي أنَّ لهُ ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخُذُ به؟ غفرتُ لِعبدي، ثُمَّ مَكثَ ما شاء اللّهُ، ثُمَّ أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ أو أصبتُ آخر، فاغفرْهُ لي، فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ لهُ ربًّا يَغفرُ الذَّنب ويأخُذُ به؟ غفرتُ لِعبدي، ثُمَّ مكث ما شاء اللّهُ، ثُمَّ أذنب ذنبًا، ورُبَّما قال: أصاب ذنبًا، فقال: ربِّ أصبتُ، أو قال أذنبتُ آخر، فاغفِرهُ لي، فقال: أَعَلِمَ عبدِي أنَّ لهُ ربًّا يغفِرُ الذَّنبَ ويأخُذُ بِه؟ غفرتُ لِعَبدِي ثلاثًا، فَليَعمَل ما شاء**»[1]، ومعنى هذا الحديث أنَّ العبدَ ما دام يستغفر ويتوب بنيَّة الإقلاع عن الذَّنب فيرجى له الخير، أمَّا إذا كانت توبته بلسانه كتوبة الكذَّابين، - والله أعلم بالنِّيَّات والسَّرائر -

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٥٠٧)، ومسلم، رقم: (٢٧٥٨).

فهذا كالمستهزئ أو المُستهتر، والأعمال كما يقول الرَّسول ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بخواتيمها**»(١)، وروى البُخاريُّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**قال الله ﷻ: أنا عِندَ ظنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذكرني**»(٢)، ومثل هذا الرَّجل يرجى له الخير إن كانت نيَّته صادقة.

أمَّا الحجُّ الأوَّل فإن كان من مال حلال، وأدَّى فاعلُه أركانه وواجباته، فهو حجٌّ صحيحٌ تسقط به حجَّة الإسلام.

التَّوبة من الذُّنُوب

السُّؤال:

أذنبت ثمَّ ندمت وقرأت القرآن ألتمس آيةً كريمةً تفتح لي باب أملٍ لقبول التَّوبة، فوجدتها في سُورة الفُرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفُرقان: ٧٠].

وأحسستُ بالنَّدم، ورجوت واسع المغفرة والرَّحمة أن يكفِّر عن سيِّئتي، وإنَّ ذنبي لَعظيمٌ، فهل من قبول لتائبٍ؟

الجواب:

قال رسول الله ﷺ: «**التَّوبةُ ندمٌ**»(٣)، ولَمَّا كُنتِ نادمةً، وعندك ضمير

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٤٩٣).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٥).
(٣) أورده أبو شيبة في مصنفه، رقم: (٢٧٧٥١).

يؤنِّب، وعقل يوبِّخ، واتِّجاه صادقٌ إلى الله جلَّ شأنه فأرجو أن تبدَّل السَّيِّئة بحسنةٍ كما وعد ربُّ العالمين.

والنَّدم: هو أن تسنح الفرصة للتَّائب بتيسير الطَّريق إلى مثل ذنب ارتكبه، فيعرض عنه ولا يسلكه، فمتى سلكه كان كاذبًا في توبته غير نادمٍ على فعلته، ومتى منع نفسه وانتصر عليها فهو تائبٌ صادقٌ، وهذا هو الحقُّ في صدق التَّوبة؛ قال الرَّسول ﷺ: «**التَّائبُ من الذَّنب كمن لا ذنبَ له**»، رواه ابن ماجه عن ابن مسعود[1].

ضعفُ الإرادة عند التَّوبةِ

السُّؤال:

أنا إنسانٌ كثيرُ الخطأ، وأشعر بخطئي بعد ارتكابه، فأعود إلى نفسي ألُومها، ولكن متى رأيت باب الذَّنب مفتوحًا أمامي ضعفت إرادتي ودخلته، فهل من طريقٍ أُعالج بها نفسي من استمراري على ارتكاب الذَّنب؟

الجواب:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧].

---

(١) سبق تخريجه.

وقال أيضًا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحَشر: ١٩]، وفي الحديث الَّذي رواه التِّرمذيُّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنَّهُ قال: «**إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِر**»(١)، ومعنى يغرغر: يكون في آخر ساعةٍ من حياته، فتكون روحه في حلقه يغرغر بها.

ونصيحتي للسَّائل أن يجاهد نفسه بكلِّ وسيلةٍ، وخيرُ الجهاد الابتعاد من مواطن الرِّجس، واجتناب قرناء السُّوء، وتلاوة القرآن، والمواظبة على صلاة الجماعة، والله الهادي.

تمنِّي الموت بسبب الضَّرر

السُّؤال:

أصابتنِي ضائقة شديدة، لازمت بسببها بيتي، فلم أخرج إلَّا إلى المسجد، وذات يومٍ وأنا في المسجد رفعت يدي أسأل الله ﷻ أن يُعَجِّلَ موتي ويريحني من هذه الحياة، وأَلْحَحْتُ في الدُّعاء، فسمعني الجالس إلى جانبي، وقال لي: يا أخي! حرامٌ عليك، هذا لا يجوز في الإسلام، ادع الله أن يُفَرِّجَ كربك، ويصلح شأنك، ولا تتمنَّ الموت، ولا تدعُ على نفسك به.

فهل ما قاله الرَّجلُ صحيحٌ؟

---

(١) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٥٣٧)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

الجواب:

نعم؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يتمنَّينَّ أحدُكُم الموتَ لضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بُدَّ مُتمنِّيًا، فليقل: اللَّهُمَّ أحيِنِي ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**»، رواه البُخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك[(١)]، وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد ومسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يتمنَّ أحدُكُم الموتَ، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيَهُ، إنَّه إذا مات أحدكُم انقطعَ عملُه، وإنَّهُ لا يزيدُ المُؤمنَ عمرُه إلَّا خيرًا**»[(٢)]، من هذين الحديثين ومن غيرهما نفهم أنَّ تمنِّي الموت حرام؛ لأنَّ الإنسان إن كان صالحًا ازداد أجره، وإن كان غير ذلك فلعلَّ يومًا يأتيه يفيق إلى نفسه، فيلجأ إلى ربِّه في تفريج كربه، وليكن للمسلم في نبيِّ الله أَيُّوب أُسوةٌ حسنةٌ؛ فإنَّه حين مسَّه الضُّرُّ لجأ إلى ربِّه تعالى وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٣]، فاستجاب الله له وكشف ضرَّه.

الأفضل عند الله

السُّؤال:

من الأفضل عند الله الحيُّ أم الميِّت؟

الجواب:

قال الله تعالى في كتابه العزيز في سُورة الحجرات: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٦٧١)، ومسلم، رقم: (٢٦٨٠).
(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٨٢)، وأحمد، رقم: (٨١٨٩).

ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، ومِنها نفهم أنَّ الأفضل والأكرم عند الله هو الأتقى، سواء كان حيًّا أم ميِّتًا.

وكثيرٌ من الأشقياء حيٌّ، فليس هو أفضل من الأنبياء، أَفَإبليسُ الحيُّ أفضل من عباد الله الصَّالحين؟! فاعرفْ - يا أخي - أنَّ أكرم النَّاس عند الله وأفضلهم وأزكاهم هم المتَّقون.

وليست مغنِّيةٌ حيَّةٌ أفضل من فاطمة بنت رسول الله وهي ميِّتةٌ، ولا أنا أو أنت أفضل من صحابة رسول الله ﷺ، وصدق الله العظيم؛ إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجرَات: ١٣].

الحُزن على الميِّت

السُّؤال:

مات لي أخٌ شابٌّ فقصصت شعري، فقيل لي: إنَّ هذا حرام. فهل ذلك صحيح؟

الجواب:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٦]، فهنا ابتلاءٌ بالخوف وعدم الطُّمأنينة، وهنا ابتلاءٌ بالجوع؛ والجوعُ عذابٌ داخليٌّ، وهنا ابتلاءٌ

بالخسائر؛ كذهاب الأموال بالحرق أو بالغرق أو بالمعاملات أو بالسَّرقات، وهنا ابتلاءٌ بالأنفس؛ بالموت قتلًا أو بالأمراض المتنوِّعة، وهنا ابتلاءٌ بالثَّمرات؛ بالآفات أو بمَحق[١] البركة.

ولكن هناك إيمانٌ، وبالإيمان يوزن المبتلى، والابتلاء: هو المحكُّ الَّذي يظهر جوهر المؤمن، فالَّذين إذا أصابتهم مصيبة من هذه المصائب صبروا حال وقوع المُصيبة، يقول رسول ﷺ: «**إنَّما الصَّبرُ عند الصَّدمة الأولى**»[٢]، فكانت عليهم ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٥٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**الصَّبر نصفُ الإيمانِ**»[٣]، وقال في الصَّابر: «**إن أصابتهُ سرَّاءُ شَكَرَ فكان خيرًا لهُ، وإن أصابتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكان خَيرًا لهُ**»[٤]، والله ﷻ هو المحمود وحده في السَّرَّاء والضَّرَّاء، فإذا رأى ما يكره رفع رأسه إلى السَّماء وقال: الحمدُ لله إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. وثوابُ هذا وأمثاله: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٧].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**عظم الجزاءِ مع عظم البلاءِ، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فلهُ السُّخْطُ**»[٥]، يعني ذلك أنَّ الصَّابر له ثواب الصَّبر، وأنَّ السَّاخط عليه إثم السُّخْط والجزع.

وفي حديثٍ رواه البخاريُّ عن رسول الله ﷺ أنَّه: «**برئ من الصَّالقة**

(١) المحق: النُّقصان وذهاب البركة. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٣٨).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (١٢٨٣)، ومسلم، رقم: (٩٢٦).
(٣) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٨٥٤٤).
(٤) رواه مسلم، رقم: (٢٩٩٩).
(٥) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٠٣١).

والحَالقة والشَّاقَّة»[١]، أمَّا الصَّالقة: فهي الَّتي ترفع صوتها بالنَّدب على الميِّت، والحالقة: الَّتي تحلق رأسها، والشَّاقَّة: الَّتي تشُقُّ ثوبها، وقال أيضًا ﷺ: «**ليس منَّا من حَلَقَ، ولا خَرَقَ، ولا سَلَقَ**[٢]»[٣]، وعن أيُّوبَ عن بكر بن عبد الله قالَ: «أخذ رسولُ الله ﷺ في البيعة على النِّساء ألَّا يَشْقُقْنَ جَيْبًا ولا يَدْعِيْنَ وَيْلًا ولا يُخَمِّشْنَ وَجْهًا ولا يَقُلْنَ هَجْرًا»[٤].

وهكذا علَّمَنا رسول الله ﷺ سُنَّته وهديه، فقد رُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته بعد التَّشَهُّدِ: «**أحسنُ الكلام كلامُ اللهِ، وأحسنُ الهَدي هَدْيُ محمَّدٍ**»[٥]، وقالَ ﷺ: «**إيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ**[٦] **الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ**»[٧].

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٢٩٦)، ومسلم: رقم: (١٠٤).

(٢) سلق: أي رفع صوته عند المصيبة. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٣٩١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: الطَّبقات الكُبرى، لابنِ سعدٍ البصريِّ البغداديِّ (٨/ ٩).

(٥) رواهُ النَّسائيُّ، رقم: (١٢٣٥).

(٦) الحدث: الأمر الحادث المنكر الَّذي ليس بمعتاد ولا معروف في سُنَّة ولا كتاب ولا إجماع. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٣٥١).

(٧) رواه أبو داود، رقم: (٤٦٠٧).

الإنسانُ بعدَ الموتِ

السُّؤال:

أنا سيِّدةٌ مُؤمنةٌ بالله، ولا أخاف الموت، ولكن بعد دفن أمير الكويت عبد الله السَّالم أصبحت أخاف الموت وأكرهه؛ لأنَّ طريقة الدَّفن في الكويت من أبشع صور الحياة، فإلى أيِّ أساسٍ تستنِدُ طريقةُ الدَّفن في الكويت؟!

إنَّ الأنبياء والرُّسل - على حدِّ قول السَّائلة - لم يدفنوا بهذه الطَّريقة، فلكلٍّ مِنهم مقامٌ، بالله عليك كيف أنقذ نفسي من هذا الدَّفن غير الإنسانيِّ؛ إذ يوضع الإنسان هكذا في الأرض، ويُهالُ عليه التُّراب، ثمَّ يدفن ابنه وزوجته في مكانٍ آخر بعيدٍ منه؟!

ثمَّ تستمرُّ الكاتبة في رسالتها على هذا المِنوال وتقول: ماذا أصنع حتَّى أستطيع بناء مقبرة متواضعة تضُمُّ الأسرة جميعًا؟ ثمَّ تقول: أرجو أن تهتمَّ برسالتي هذه. ووقَّعت السَّائلة رسالتها بكلمتي: مُخلِصة مؤمنة.

الجواب:

يقول الله ﷻ في الإنسان والأرض: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، وفي الكتب السَّماويَّة المُنَزَّلة على أنبياء الله قبل القرآن كلمة من التُّراب خلقت وإلى التُّراب تعود، ثمَّ متى مات الإنسان أصبح جثَّةً هامدةً لا يعي شيئًا، ولا يحسُّ بألمٍ، وأصبح بروحه رهن عمله، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٣٨].

فإن كان من أهل الخير فليس يضرُّه أن يُدفَن في التُّراب، أو يُرمى في البحر، أو يصلب في الهواء، أو يذهب في بطون السِّباع أو الطُّيور، أو يحرق ويذرَّ[1] رمادًا، وإن كان من أهل الشَّرِّ فليس يفيده أن يُدفن في صندوق من ذهب، وكفن من حرير، وقبَّة مُشيَّدة من الرُّخام والفُسيفساء، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقِعَة: ٨٨-٩٥].

ثمَّ متى كانت الحاقَّة ونفخ في الصُّور بعث الله من كان في القصور والقبور والبحور وفي بطون السِّباع وحواصل الطُّيور، والنَّاس كُلُّهم بعد ذلك ينتظر مصيره؛ يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩]، ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعَارج: ١٠]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عَبَسَ: ٣٤-٣٧].

وجوابي الأخير: إنَّ العمل الصَّالح نجاةٌ، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزّلزَلة: ٧]، والله ﷻ لا ينظر في الحياة إلى غنى فاحش ولا إلى لباس فاخر، ولا إلى قصر مُشَيَّد، ولا إلى رصيد ضخم في البنك، ولا إلى سيَّارة فخمة، ولا إلى رياش ثمين، وبعد الممات لا ينظر إلى قبر يُشاد، ولا إلى قبَّة تُرفع، ولا إلى مكان مقدَّس يُدفن فيه الميِّت، وإنَّما في هذا وذاك ينظر إلى العمل فقط، وفي الحديث

(١) ذرَّهُ: أخذه بأطراف أصابعه، ثمَّ نثره على الشَّيء. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣٠٣).

الشَّريف الَّذي رواه البُخاريُّ ومُسلم والإمامُ أحمد وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**يتبع الميِّتَ ثلاثةٌ، فيرجعُ اثنانِ ويبقى معهُ واحدٌ: يتبعُه أهلُه ومالُه وعَمَلُه، فيرجع أهلُه ومالُه ويبقى عَمَلُه**»(١)، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

يوم القيامة

السُّؤال:

في أيِّ مكانٍ سيكون الحشر يوم القيامة؟ وكيف يكون شكل البشر يومئذٍ؟

الجواب:

العقيدة السَّليمة أساسُ هذا الدِّين، والتَّوحيد جوهر هذه العقيدة، وقد تعلَّمَ المسلمون من كتاب ربِّهم وسُنَّة نبيِّهم أنَّ الإيمانَ توحيد الله تعالى وتصديق رسوله بكلِّ ما جاء به، فلَمَّا سُئِلَ رسول الله ﷺ عن معنى الإيمان قالَ: «**أن تُؤمن بالله وملائكتِه، وكتُبه، ورسُلِه، واليوم الآخر، وتُؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه**»(٢).

واليوم الآخر والملائكة والقدر أمورٌ غيبيَّة يجب علينا الإيمان بها،

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٥١٤)، ومسلم: رقم: (٢٩٦٠)، وأحمد، رقم: (١٢٠٨٠).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٩).

والله جلَّ شأنه أثنى في كتابه العزيز على عباده المتَّقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البَقَرَة: ٣]، والتَّقوى: شعورٌ في الضَّمير كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**التَّقوى هاهُنا**»[(١)]، ويشير إلى صدره الشَّريف.

والإيمان بالغيب ثمرة ذلك الشُّعور؛ لأنَّ الغيب شيءٌ لا تُدركه الأبصار ولا الحواسُّ، ولا يحيط به عقل؛ ولكنَّه الإيمان المستكنُّ في الضَّمير المستقرِّ في كيان المؤمن، هو الَّذي يضيء بصيرة المؤمن، فيدرك بها عالم الغيب والشَّهادة.

أمَّا يوم القيامة أو اليوم الآخر، ويُسمَّى أيضًا: يوم الدِّين، والحاقَّة، والقارعة، والواقعة، والسَّاعة، والصَّاخَّة كما جاء في كتاب الله؛ فعلمه عند الله كما قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمَان: ٣٤]، وقالَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعرَاف: ١٨٧]، ولَمَّا سُئِلَ رسول الله ﷺ عنها قال: «**ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائل**»[(٢)].

أمَّا مكانها فغيبٌ، والله جلَّ شأنه قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ولا أدري - والله أعلم - أهو تبديل حقيقيٌّ أم تبديلُ تهويلٍ؟ لكنَّ البُخاريَّ روى حديثًا عن سهل عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يحشرُ النَّاسُ يومَ القيامة على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ، كقُرصة النَّقِيِّ**[(٣)]،

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٩).

(٣) النقي: يعني الخبز الحوَّاري. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١١٢).

ليس فيها معلمٌ لأحدٍ»[١]، والمعلم: هو الأثر أو الملك.

أمَّا حال البشر فقال الله في ذلك: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وفي الحديث الَّذي رواه البُخاريُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا فقال: «**يا أيُّها النَّاسُ! إنَّكُم تحشرون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرلًا، ثمَّ قرأ**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[٢]، وفي حديثٍ رواه البُخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يحشرُ النَّاس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلًا» قُلت: يا رسول الله! النِّساء والرِّجال ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ؟ قال** ﷺ: «**يا عائشةُ الأمرُ أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعضٍ**»[٣]، والغُرل: جمع الأغرَل، وهو الَّذي لم تُقطع غرلته، وهي القُلفة الَّتي يقطعها الخاتن، فيقال: صبيٌّ أغرل: أي لم يختن.

هذا ما عَلِمْتُه عن يوم القيامة وشكل البشر فيه، ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٢].

شرط السَّاعة

السُّؤال:

هل هناك شروط لقيام السَّاعة؟

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٥٢١).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٤٦٢٥)، ومسلم، رقم: (٢٨٦٠).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٥٢٧)، ومسلم، رقم: (٢٨٥٩).

الجواب:

أظُنُّ - والله أعلم - أنَّها ليست شروطًا، وإنَّما أشراطٌ، كما قال ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمَّد: ١٨]، ومعنى الأشرَاط: العلامات.

للسَّاعة أشراط وعلامات، وخيرُ ما نستدلُّ به على أشراط السَّاعة ما رُوي في حديث البُخاريِّ ومُسلم عن أنس بن مالك ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أشراطِ السَّاعةِ أن يرفع العلمُ، ويكثر الجهل، ويكثر الزِّنا، ويكثُر شُرب الخمر، ويقلَّ الرِّجال، ويكثر النِّساء**»(١).

ورُوِيَ في حديث رواه مسلم عن جابر بن سمُرة قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ بين يدي السَّاعة كذَّابين فاحذرُوهم**»(٢)، والكاذبون مِمَّنِ ادَّعوا النُّبُوَّةَ كثيرون، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وادَّعَوا الوِلاية وهم دجَّالونَ، وادَّعَوا الصِّدق والإخلاص وهم مفترون أنانيُّونَ.

وفي حديثٍ رواه البُخاريُّ عن أبي هريرة قال: «**بينما كان النَّبيُّ ﷺ إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله! متى السَّاعة؟ قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر السَّاعة»، قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّد**(٣) **الأمرُ إلى غير**

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٢٣١)، ومسلم: رقم: (٢٦٧١).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٨٢٢).

(٣) وُسِّد: أي أُسنِدَ وجُعِل في غير أهله. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١٨٣).

أهلِه فانتظِر السَّاعَةَ»[١].

ومن أحاديث أشراط السَّاعة أنَّ الرَّسول ﷺ قالَ: «**لا تقُومُ السَّاعةُ حتَّى يكثُر المالُ ويفيضَ**»، رواه مسلمٌ[٢].

ورُوي أيضًا أنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: «**تقيءُ**[٣] **الأرضُ أفلاذَ كبدها، أمثال الأسطُوَان من الذَّهب والفضَّة**»، وهذا الخبر رواه مسلمٌ أيضًا[٤].

وأخبرَنا ﷺ: «**لا تقومُ السَّاعةُ إلَّا على شِرارِ النَّاس**»[٥].

وهذه العلامات كلُّها ظاهرة فينا، نراها رأي العين، ونحسُّ بها، ونتألَّم من آثارها، نسأل الله أن يلطف بعباده المؤمنين.

شجرة الزَّقُّوم[٦]

السُّؤال:

ما شجرةُ الزَّقُّوم؟

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٩).

(٢) رواه مسلم، رقم: (١٥٧).

(٣) تقيء: أي تُخرِج كنوزها وتطرحها على ظهرها. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ١٣٠).

(٤) رواه مسلم، رقم: (١٠١٣).

(٥) رواه مسلم، رقم: (٢٩٤٩).

(٦) أجبت عن مثل هذا السُّؤال في الصَّحيفة (٣٢) من الجزء الأوَّل من «سألوني» تحت عنوان: الشَّجرة الملعونة في القرآن.

الجواب:

شجرةُ الزَّقُّوم شجرة تُخرج في أصل الجحيم، تنبت في النَّار، معدَّة لتعذيب الظَّالمين والضَّالِّينَ والمُلحدين[١] والمارقين[٢]، وجاء ذكر شجرة الزَّقُّوم في القرآن في مواضع، أذكر مِنها أربعة:

في سُورة الدُّخان قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدّخان: ٤٣-٤٦].

وفي سُورة الصَّافَّات قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الصَّافات: ٦٢-٦٧].

وفي سُورة الواقعة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقِعَة: ٥١-٥٥].

وفي سُورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسرَاء: ٦٠][٣].

---

(١) الملحد: العادل عن الحقِّ المدخل فيه ما ليس فيه. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٩/ ١٣٥).

(٢) المروق: سرعة الخروج من الشَّيء، والمارقون: الخوارج. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٤١).

(٣) هنا ذكرت كلامًا كتبه أحدهم في إحدى صحفنا الكويتيَّة يعترض فيها على إجابتي عن سؤال وجَّههُ إليَّ سائلٌ عن معنى الشَّجرة الملعونة في القرآن، وأراد - هداه =

نفهم من هذه الآيات الكريمة أنَّ شجرة الزَّقُّوم سيِّئة المنظر، خبيثة الرَّائحة، كريهة الطَّعم، شديدة الخُشُونة، تنبت في قعر الجحيم، ثمراتها مُخيفة مرعبة، قال تعالى في ثمرها: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصَّافات: ٦٥]، وهذا الثَّمر يكون طعامًا للكافرين لا يغنيهم من جوع، ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدّخان: ٤٥-٤٦].

نسأل الله العفو والعافية، والنَّجاة من سخطه وعذابه، ونعوذ به أن نكون من أصحاب النَّار.

= الله - تفسير هذه الآية الكريمة، فقال ما معناه: إنَّ الرُّؤيا الَّتي رآها النَّبيُّ ﷺ جعلها الله فتنة للنَّاسِ وللشَّجرةِ الملعونة في القرآن، الَّذين هم بنو أميَّة، ونسي صاحبنا أنَّ لفظ الشَّجرة منصوب لا مجرور، وأنَّ المعنى هكذا: وما جعلنا الرُّؤيا الَّتي أريناك وما جعلنا الشَّجرةَ الملعونة في القرآن إلَّا فتنة للنَّاس، ونصيحتي لهذا الأخ الفاضل أن يتعلَّمَ مبادئ قواعد اللُّغة، حتَّى يعرف المنصوب من المجرور، والله الهادي.

الأعداء وموالاتهم

تهجُّمُ أعداء الإسلام على أحكامه

السُّؤال:

يهاجم بعض أعداء الدِّين فيما حدَّده الشَّرع من عقوبات، لماذا شرع الله العقوبة في الإسلام؟ ولم كانت قاسية؟

الجواب:

العقوبات في الإسلام تُسمَّى الحُدُود، وواحدها: الحدُّ، وكلُّها منصوص عليها في القرآن، وهي كما يأتي:

١- حدُّ الزِّنا.

٢- حدُّ القذف.

٣- حدُّ الرِّدَّة.

٤- حدُّ الإخلال بالأمن.

٥- حدُّ البغي.

٦- حدُّ السَّرقة.

٧- حدُّ القِصاص.

أمَّا حدُّ السُّكر فمأخوذ من السُّنَّة، ولكلٍّ من هذه الحدود دليله؛ آية من كتاب الله.

فالزِّنا مفسدةٌ، والقرآن سَمَّاها: فاحشة. وهي عدوان على الخلق والكرامة، وانتشارها في البلاد يقوِّض[1] نظام الأسرة ويروِّج الشُّرور

(١) قوَّضَ: هدمَ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٩/ ٣٤).

والمفاسد والانحراف، والإسلام مع كونه شدَّد عقوبة هذه الجريمة شَرَط شروطًا يكاد يكون من المستحيل توفُّرها، فإذا توفَّرت الشُّرُوط كان عقاب المُحصن الرَّجم حتَّى الموت، وغير المُحصن مئة جلدة على ملأ من النَّاس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: ٢].

والقذف: اتِّهام المحصن أو المحصنة بالفاحشة، وهو جريمة قد تُفَرِّقُ بين الرَّجل وأهله إذا سمع بها أحدهما عن الآخر، وبهذا التَّفريق تُهدَم أركان البيت الَّذي هو الأُسرة، والأُسرة لبنةٌ في عمارةِ المجتمع، يصلح بصلاحها، ويفسد بفسادها؛ لهذا كانت عقوبة هذه الجريمة ثمانين جلدة ما لم يأت بأربعة شهود يؤيِّدونه فيما قال، وحينئذٍ يُدرَأُ عنه الحدُّ، وتتحوَّل العقوبة إلى غيره.

والسَّرقة اعتداءٌ على أموال النَّاس، وإذا انتشرت في بلد ما سادت فيه الفوضى، وأحبُّ شيءٍ إلى الإنسان وأعزُّ على نفسه ماله، فإذا فقد الأمن عليه فقد راحته، وتقرير عقوبة قطع يد السَّارق بسيطة بالنِّسبة إلى ما تنتجه السَّرقة من مضايقةٍ، وعدم استقرار النَّاس، وقبل تنفيذ الحدِّ يُنظر إلى هذا السَّارق لماذا سرق، فإن كان سرق لجوعٍ في نفسه، أو لأكبادٍ جياعٍ يعولهم، أو لخللٍ في عقله، رُفع عنه الحدُّ، وسنةَ المجاعة في عهد عمر سرق النَّاسُ، فلم يقطع عمرُ يدَ سارقٍ، وقال ﷺ: «**لا تُقطَع اليدُ في عذقٍ**[1] **ولا عَامِ سَنَةٍ**»[2]؛ وذلك لأنَّه علم أنَّ الدَّافع لهم على السَّرِقة الجوع الَّذي لا يرحم.

---

(١) العَذق بالفتح: النَّخلة، وبالكسر: العرجون بما فيه من الشَّماريخ، ومنه حديث عمر: «لا قطع في عذقٍ معلَّق» لأنه ما دام معلَّقًا في الشجرة فليس في حرز. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ١٩٩).

(٢) أورده سراج الدين الشافعي المصري في البدر المنير (٨/ ٦٧٩).

أمَّا السَّاعون في الأرض فسادًا، الَّذين يزعجونَ الأمنَ، ويثيرونَ الاضطرابات فلا أقلَّ من أن ﴿تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المَائدة: ٣٣]؛ ليهدأ النَّاس ويستريحوا ويطمئنُّوا، وتضحية يد ورجل أو قتل نفس في سبيل راحة مجتمع شيءٌ بسيطٌ، والمُخِلُّونَ في الأمن قلائل، والمفسد يجب أن يُقطع دابره[(١)]؛ لترتاح منه الأُمَّة ويسود فيها النِّظام والطُّمأنينة، والإخلال بالأمن مرضُ الأوطان، يجب أن يجتثَّ[(٢)] باجتثاث جرثومته، والقضاء عليها شيء سهل في سبيل راحة المواطنين، وما أحسن قول الرَّسول ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قُوتُ يومه، فكأنَّما حيزت له الدُّنيا**»[(٣)].

والبغي إثارةُ حربٍ بين طائفتين من الأُمَّة، فإن استطاع أولو الرَّأي وقادة الإصلاح التَّوفيق بينهما والصُّلح فذلك ما يريده الإسلام، ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [الحُجرَات: ٩] وجب على أهل السُّلطة قتال الجهة الباغية، ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحُجرَات: ٩].

والقِصاص أمرٌ أقرَّته الشَّرائع السَّماويَّة والقوانين الوضعيَّة جميعُها؛ حقنًا للدِّماء، وانتقامًا من الجناة المعتدين، والقتل مع سبق الإصرار اعتداءٌ، والمعتدي فاسد، ولا يردُّ الفسادَ إلَّا عقوبةٌ صارمةٌ.

أمَّا الرِّدَّة فَحَدُّها القتلُ، وذلك أن يكفر الإنسان بعد إيمان، ويرتدَّ عن الإسلام بعد إقراره به واعتناقه، فيستَتَاب أوَّلًا، ويُمهَل ثلاثة أيَّامٍ للعودة

---

(١) الدَّابر: آخر كلِّ شيء. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١١/ ٢٦١).

(٢) الجثُّ: القطع، وقيل: قطع الشَّيءِ من أصله. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ١٦٢).

(٣) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب.

إلى دِينه، فإن لم يعدْ قُتِلَ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**من بدَّل دِينهُ فاقتُلُوه**»(١).

واتَّخذ الإسلام طريقة درء الحدود بالشُّبهات، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ادرؤوا الحُدُود عن المسلمين ما استطعتُم، فإن كان لهُ مخرجٌ، فخلُّوا سبيلهُ، فإنَّ الإمامَ أن يخطئ في العفو خيرٌ من أن يُخطئ في العُقوبة**»، رواه التِّرمذيُّ والحاكم والبيهقيُّ عن عائشة رضي الله عنها(٢).

ومعنى ادرؤوا: ادفعوا، والشُّبهة: عدم ثبوت البيِّنة أو النَّقص فيها، أي أبعدوا الحدَّ إذا نقصت عندكم البيِّنة، أو تساوت في صحَّتها وعدم صحَّتها، أو اشتبه على القاضي الثُّبوت وعدمه.

لهذا جعل الإسلام ثبوت جريمة الزِّنا برؤية أربعة شهود، ومَن ذا يستطيع أن يرتكب الجريمة على مرأى أربعة شهود؟!

وشرطُ إثباتِ جريمة السَّرقة السَّلامةُ من كلِّ سببٍ من الأسباب الَّتي تجبر السَّارق على ارتكابها، كالجوع، والعُري، والخلل في العقل، وأن تكون السَّرقة من حرزٍ؛ أي لا قطع في مال غير محروز، ولا تُقطع يد مَن سرق من بيت المال، ولا الخادم إذا سرق من بيت سيِّده، ولا الزَّوجة إذا سرقت من مال زوجها، ولا مَن سرق من مدينةٍ إذا وعدَ باسترداد دينه، ولا قطع في سرقة المعير من يد المستعير، ولا قطع إذا سرق سارق أداة لهو من مالكها، وهكذا.

والإسلامُ يتعرَّضُ لكثيرٍ من مهاجمةِ الأعداءِ هذه الحدودَ للنَّيل من حدوده وأحكامه، ولكنَّ أعداءه يجدون - والحمدُ لله - من رجال

---

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٠١٧).

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٤٢٤)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٨١٦٣)، وقال: حديث صحيح الإسناد، والبيهقيُّ في السُّنن الكبرى، رقم: (١٧٠٥٧).

الإسلام الغيورين مَن يردُّ عليهم، ويصُدُّهم، ويبيِّن للنَّاس كذب الهجوم، وباطل القول.

والإجابة يجب أن تكون أطول ممَّا قلت، لكنَّ ضيق الصَّفحات اضطرَّني إلى الاختصار.

موالاة الأعداء

السُّؤال:

رجلٌ منتظمٌ مسلمٌ في إحدى المنظَّمات الفدائيَّة رأى والده يتجسَّس للصَّهاينة، وفي يوم تمكَّن الوالد من القبض على ولده، فأراد أن يُسَلِّمَه إلى إسرائيل، ولكنَّ الله لم يُرِدْ ذلك، فتمكَّن الولد من الهرب.

فهل يُباح لهذا الولد قتل أبيه إن مكَّنه الله منه؟

الجواب:

أبدأ جوابي بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المَائدة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

نفهم من هاتين الآيتين أنَّ موالاةَ الأعداء كفرٌ، وتتأكَّد حرمته إذا كان الأعداءُ أقوياء، أو يعدُّهم النَّاسُ أقوياء، فيُسارع الخائن إلى موالاتهم؛ ليتَّخذ عندهم يدًا، كما قال الله ﷻ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ [المَائدة: ٥٢].

ولا شكَّ في أنَّ موالاة الأعداء خيانةٌ، والخائن عضوٌ أشلُّ يجب أن يبتر من جسم الأُمَّة حتَّى لا يُعطِّلَ بقاؤه هذا الجسمَ، فهو جرثومةٌ خبيثة فتَّاكة، يجب القضاء عليها باستئصالها؛ حتَّى يسلم جسم الأُمَّة من فَتْكِها.

ولنا في أبي عُبيدة عامر بن الجرَّاح رضي الله عنه مثلٌ أسمى، فقد قتل أباه في غزوة بدر[1]؛ لأنَّه كان مع الكافرين في حرب رسول الله ﷺ، وأبو عبيدة من السَّابقين الأوَّلين إلى الإسلام، ونال من رسول الله ﷺ لقب أمين هذه الأمَّة: «**إنَّ لكلِّ أمَّةٍ أمينًا، وأميننا أيَّتُها الأمَّةُ أبو عُبيدة بن الجرَّاح**»[2]، وهو أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

إنَّ أيَّ إنسانٍ يساعد أعداء دينه وأعداء أمَّته خائنٌ، والخائن محاربٌ يسعى في الأرض فسادًا، والله جلَّ شأنه أنزل حكمه فيمن يحاربون دينه وأمَّته في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المَائدة: ٣٣]، إلَّا من ندم على فعلته ورجع إلى أُمَّته وتاب، فإن الله يتوب عليه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المَائدة: ٣٤].

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير، رقم: (٣٦٠)، بلفظ: جعل أبو أبي عبيدة يتصدَّى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلمَّا أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله ﷻ فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٧٤٤)، ومسلم، رقم: (٢٤١٩).

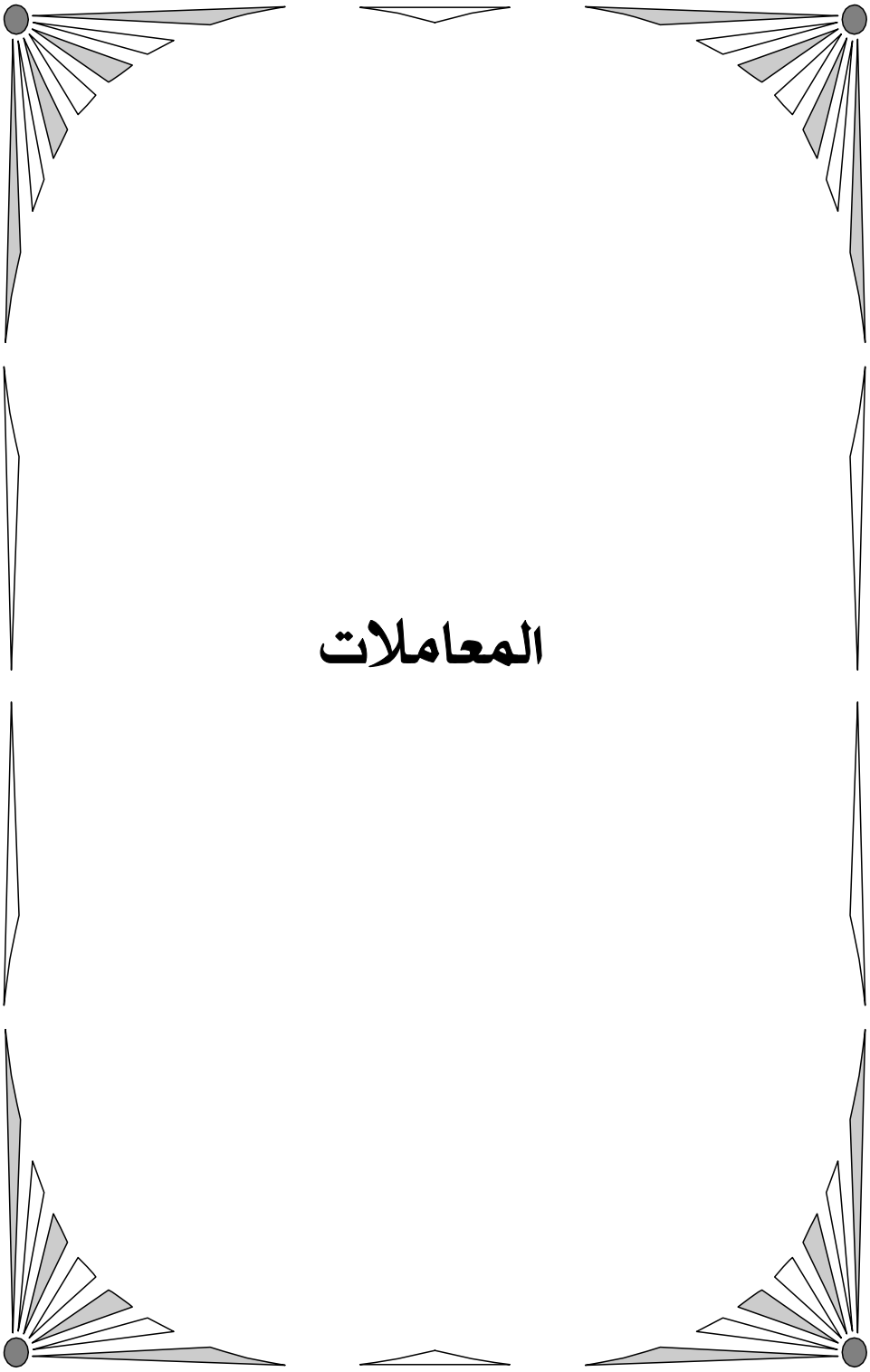

المعاملات

المحاماة

السُّؤال:

هل المحاماة حلالٌ أم حرامٌ؟

الجواب:

المحاماة مهنةٌ كالطِّبِّ والصَّيدلة، ومن تعلَّمَ في كُلِّيَّةِ الحقوق أصبح قاضيًا أو محاميًا، كما أنَّ من تعلَّم في كُلِّيَّةِ الطِّبِّ صار طبيبًا، ومن تعلَّمَ في كلِّيَّةِ الصَّيدلة صار صيدليًّا، ومَن تعلَّمَ في كلِّيَّة التَّربية صار مُدرِّسًا، والقاضي حاكمٌ قاعد على كرسيِّ القضاء يُمَثِّلُ العدالة، والمحامي واقف أمام القاضي الجالس يُمَثِّلُ العدالة أيضًا، والمُهِمُّ في هذه المهنة وفي كلِّ مهنة الشَّرف والنُّصح والإتقان في العمل.

فالطَّبيب إذا نصح لمرضاه شرَّفَ مهنته، والمدرِّس إذا نصح لتلاميذه أحَبُّوه وشرَّفَ مهنته، وكذا المحامي إذا نصح لمهنته ونصح للحقِّ واجتهد أن يوصل الحقَّ إلى أهله، فهو مُخلص لمهنته، وكسبه حلال، أمَّا إذا حاول أن يجعلَ الحقَّ باطلًا أو الباطل حقًّا، أو غَشَّ، أو دَلَّسَ؛ فهذا مبطلٌ، وكسبه حرام، وكلُّ مهنةٍ اتَّصف صاحبها بالتَّدليس والغشِّ والكذب فكسبه منها حرام، والرَّسول ﷺ قال: «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكُم عملًا أن يُتقِنه**»، رواه البيهقيُّ عن عائشة[1].

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان، رقم: (٤٩٢٩).

الاختلافُ على أجرةِ العملِ

السُّؤال:

لي صديقٌ اتَّفقَ مع خيَّاطٍ على خياطة ملابس، وفي الموعد المحدَّد لاستلامها اختلفا على الأجرة، قال الخيَّاط: إنَّهُ اتَّفق معه على (١٥) دينارًا، وصديقي يقول: (٨) دنانير، وحضر أمام ضابط الشُّرطة، وحلف صديقي على المصحف بأنَّ الاتِّفاقَ كان على (٨) دنانير، وعندما حلف صديقي كان غير طاهرٍ، وإنِّي أعلم أنَّه كاذبٌ في يمينه.

فما حكم اليمين؟ وما جزاؤه عند الله؟

الجواب:

صاحبك هذا ارتكب ذنوبًا كثيرةً:

أوَّلًا: أكل مالًا بالباطل، والله جلَّ جلاله نهى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٨]، وتوعَّد الَّذينَ يأكلون أموال النَّاس بالباطل: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٦١].

ثانيًا: إنَّه حلف يمينًا غمُوسًا، واليمين الغمُوس كما أخبرنا الرَّسول ﷺ: «**الَّذي يقتطعُ مالَ امرئٍ مُسلمٍ، هو فيها كاذبٌ**»[1]، فهذه اليمين تغمس صاحبها في جهنَّم.

ثالثًا: كذب بيمينه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٩٢٠).

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ [النّحل: ١٠٥].

وصاحبك هذا لا ينجيه من عمله إلَّا أن يعطي الخيَّاط حقَّه كاملًا، ويلتمس منه الصَّفح، ويتوب إلى الله توبة نصوحًا، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢].

التَّصرُّف في مالِ الأجيرِ

السُّؤال:

لي صديقٌ مسؤولٌ عن أجور عُمَّالٍ في شركة، بعضهم ترك البلاد قبل أن يستوفوا أجورهم، وانقطعت أخبارهم، ومضى على بعضهم مدَّة طويلة.

ماذا يفعل بهذه الأجور؟ هل يدفعها للفدائيِّين، أم يُعطيها لأُسَرٍ فقيرةٍ ينتفعون بها، وثوابها لأهلها؟

الجواب:

الأولى أن يحتفظ صاحبك بهذه الأجور لأصحابها، حتَّى ييأس من العثور عليهم، ثمَّ يتصدَّق بها في جهات يُوقن أنَّها نافعةٌ، ويبقى مسؤولًا عنها، حتَّى إذا ظهر أحد هؤلاء العمَّال أو أحد ورثته غَرِمَ حقَّ العامل من هذه الأجور، إلَّا إذا وافق العامل على ما فعله المسؤول.

المعاملة مع التَّأمين وشركاته

السُّؤال:

ما قول الإسلام في شركات التَّأمين؟ وما حكم المعاملات معها؟

الجواب:

سبقَ أن قُلْنا في حلقاتٍ: إنَّ الإسلام عقيدةٌ وعبادةٌ ومعاملةٌ؛ فالعقيدةُ محدودةٌ، والعبادةُ محدودةٌ أيضًا، وهي: صلاةٌ، وصومٌ، وزكاةٌ، وحجٌّ، وجهادٌ، والأمرُ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكر، ذُكرت في كتب الفقه مفصَّلةً، منصوصًا عليها، مؤيَّدةً بالأدلَّةِ من كتاب الله، ومن أقوال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

أمَّا المعاملة فقد قال عنها علماء الإسلام: الدِّينُ المعاملة. ومعنى ذلك: أن يكون المؤمن في معاملته شريفًا نزيهًا يتحرَّى الحلال، ولا يتعدَّاه إلى الحرام، وقد ألَّفَ العلماءُ فيها كتبًا سَمَّوها فقه المعاملات.

والمعاملة لا تحدُّ؛ لأنَّها تتَّصل بأعمال النَّاس، ولكلِّ زمنٍ أُمَّته، ولكلِّ أُمَّةٍ نظامٌ، والأنظمة تتجدَّد بتجدُّد الأزمنة، والإسلام لا يقف حائلًا دون مصالح النَّاس في شيءٍ لم يرد فيه نصٌّ يُحرِّمُه؛ كالرِّبا، والبيعتين في بيعة، والتَّدليس، والغشِّ.

وعلماؤنا السَّابقون رحمهم الله لم يقصِّروا في بحث ما جدَّ في أزمنتهم من معاملات، استنبطوا لها أحكامًا فيما ألَّفوه من كتب.

وفي عصرنا هذا ظهر التَّأمين بشركاته وأنواعه، والتَّأمين: ضمانٌ

لخطرٍ قد يقع في مال الإنسان من سرقةٍ، أو حريقٍ، أو غرقٍ، فيحتاط لنفسه من ذلك؛ بدفع مالٍ يسيرٍ لهذه الشَّركة؛ حتَّى تضمن الخطر.

وفي شوَّال سنة (١٣٨٠هـ)[١]- أي قبل اثنتي عشرة سنةً - انعقد مجلس في دمشق، ضمَّ رجالًا من علماء الفقه تكلَّموا على موضوع التَّأمين، وكانت نتيجة بحثهم أنَّ التَّأمين شرٌّ لا بُدَّ منه، واتَّفقوا على أنَّ دين الإسلام مبنيٌّ على أساسِ ما قال الرَّسول: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا**»[٢]، وعلى رفع الحرج والعسر، وحكموا بجواز التَّأمين على الحياة والأعضاء، ولم يزل البحث جاريًا في هذا الموضوع.

نسأل الله ﷻ في الختام أن يلهم علماءنا الصَّواب فيما يحكمون به.

(١) أي: سنة (١٩٦٠م).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٦٩)، ومسلم، رقم: (١٧٣٤).

أخلاقٌ وآدابٌ

أدب الإنصات إلى القرآن

السُّؤال:

أسمع في المساجد وفي بعض الأماكن الَّتي يُقرأ فيها كتاب الله ترديد السَّامعين أحيانًا بصوتٍ عالٍ لكلمات التَّعجُّب، أو ما يدلُّ على الطَّرب، وفي كتاب الله الكريم آيةٌ، هي: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعرَاف: ٢٠٤]؛ **ما جعلني أتساءل: هل هذا ينافي أدب الإنصات؟**

الجواب:

الآيةُ الَّتي أشار إليها السَّائل هي في أواخر سُورة الأعراف، وفي أوائل سُورة الأنفال قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفَال: ٢]، وفي آيات القرآن ذكرى وموعظة، ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: ٥٥]، والله جلَّ جلاله حثَّ عباده على تدبُّر آيات القرآن، وتفهُّم معانيه، والتَّفهُّم لا يكون إلَّا بالإصغاء التَّامِّ والتَّأمُّل لمعاني ما يتلى، لا لصوت القارئ.

وقد أدركنا قومًا إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم أنصتوا كأنَّ على رؤوسهم الطَّير، وطأطؤوا رؤوسهم؛ احترامًا لما يتلى، وأرهفوا أسماعهم وعقولهم؛ تدبُّرًا وتفهُّمًا.

أمَّا أولئك الَّذين يهزُّونَ الرُّؤوس ويصرخون ويطربون وكأنَّهم

يصفِّقون؛ فلا تطربهم الآيات ولا معانيها، ولا يتفهَّمونَ من كلماتها شيئًا، إنَّهم يقولون: الله، الله. طربًا لصوت القارئ، ولأنَّ القارئ يقرأ على إيقاع موسيقيٍّ، حتَّى القارئ نفسه قد يقرأ؛ التماسًا للمكافأة، أو ليُعجَبَ به السَّامعون.

والحقيقة أنَّ ما كان لله فهو لله وحده، ومن أشرك مع الله في نيَّته شيئًا آخر فمنه لله، والله ﷻ لا يرضى أن يُشرك معه في طاعته شيء.

وأيُّ عملٍ أفضل من قراءة القرآن؟! فهو في الدَّرجة الثَّانية بعد الصَّلاة؛ لأنَّه كلامُ الله وحده، وما تقرَّبَ إنسانٌ لله ﷻ كتقرُّبِه بسجودِ نافلةٍ كما قال رسول الله ﷺ: «**أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ**»(١)، أو بتلاوة القرآن لا سيَّما بالأسحار: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٨].

أسأل الله الهداية للقارئين والسَّامعين، إنَّه سميع مجيب.

ليس للإنسانِ إلَّا ما سعى

السُّؤال:

قيل لي: إنَّ أعمال المملوك لسيِّده. وكنتُ مملوكةً، وكرَّرت الحجَّ ثلاث مرَّاتٍ، فهل ما قيل لي صحيح؟

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٤٨٢).

الجواب:

أوَّلًا: لا صحَّةَ للخبر الَّذي قيل لك، فكلُّ إنسانٍ مؤاخَذٌ بعمله، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزلة: ٧-٨]، وفي المثلِ الكويتيِّ الدَّارج: كلُّ شاةٍ مجرورةٌ من كراعها. فليطمئنَّ كلُّ إنسانٍ إلى أنَّ عملَه له؛ قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

والواجب على أولياء الأمور أن ينصحوا من هم في رعايتهم؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التّحْريم: ٦].

ثانيًا: ليس في زماننا مالكٌ ولا مملوكٌ، فلا ملك لأحدٍ على أحدٍ، وليس هناك رقبة مسترقَّة، وإنَّما النَّاسُ كلُّهم عبيد الله، وهو وحده الملك المالك جلَّ شأنه.

فلتطمئنَّ السَّائلةُ إلى أنَّ عملها الصَّالحَ لها وحدَها، كما أنَّ عملها السَّيِّئ عليها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النّجْم: ٣٨-٤١].

إهمالُ أوراق المصحف والأحاديث

السُّؤال:

يكتب أطفالي على أوراقٍ ثمَّ يرمونها، وقد يكون في هذه الأوراق آياتٌ قرآنيَّة، أو أحاديثُ نبويَّة، أو اسمٌ من أسماء الله، فماذا أفعل بهذه

الأوراق، وهي تحمل هذا الشَّيء المقدَّس؟

الجواب:

كُنَّا فيما مضى من الزَّمان نجمع هذه الأوراق فنحرقها وندفنها في بعض الأحيان؛ لأنَّ رطوبةَ الأرض وحرارتها تعيد الشَّيء إلى أصله ترابًا، هذا عندما كان النَّاس يقدِّسون المقدَّسات.

أمَّا اليوم فلا أدري ماذا أقول! أفوِّضُ أمري إلى الله، وأقول: الحرقُ أسهل وأفضل.

الرَّائحة الكريهة تؤذي المصلِّي

السُّؤال:

صلَّيتُ العصر جماعةً في مسجدٍ ملتحقًا بالصَّفِّ عند إقامة الصَّلاة، ولكنِّي فوجئت برجلٍ كريه الرَّائحة وقف إلى جانبي لم أستطع إتمام الصَّلاة وهو إلى جانبي؛ لأنَّني شعرت بحاجةٍ إلى الاستفراغ، فقطعت الصَّلاة لأتحوَّل إلى صفٍّ آخرَ، فما رأي الإسلام بمثل هذا الإنسان؟ وهل يأثم الرَّجلُ إذا أخرجه من المسجد أو طرده؟ أرجو إيضاح ذلك.

الجواب:

تذكَّرتُ موضوعًا قرأته منذ زمنٍ بعيدٍ في كتاب «صيد الخاطر» لعلَّامة المسلمين ابن الجوزيِّ المتوفَّى سنة (٥٩٧هـ)[1]، يقول ابن الجوزيِّ في

(١) أي: سنة (١٢٠١م).

كتابه هذا في الفصل (٥٢):

«تلمَّحت على خلقٍ كثيرٍ من النَّاس إهمال أبدانهم، فمنهم من لا ينظِّف فمه بالخلال، ومنهم من لا ينقِّي يديه في غسلهما من الزَّهَم[١]، ومِنهم من لا يكاد يستاك، ومنهم من لا يراعي الإبط، وغير ذلك، فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدِّين والدُّنيا.

أمَّا الدِّين فإنَّه قد أمر المؤمن بالتَّنظُّفِ والاغتسال للجمعة؛ لأجل اجتماعه بالنَّاس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثُّوم، وأمر الشَّرعُ بتنقية البَراجِم[٢]، وقصِّ الأظفارِ، والسِّواك، والاستحداد[٣]، وغير ذلك من الآداب، فإذا أهمل ذلك ترك مسنون الشَّرع، وربَّما تعدَّى بعض ذلك إلى فساد العبادة؛ مثل أن يهمل أظفاره، فيجمع تحته الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل.

وأمَّا الدُّنيا فإنِّي رأيت جماعةً من المهملين أنفسهم يتقدَّمون إلى السِّرار، والغفلة الَّتي أوجبت إهمالهم أنفسهم أوجبت جهلَهم بالأذى الحادث عنهم، فإذا أخذوا في مناجاة السِّرِّ لم يمكن أن أصدفَ عنهم[٤]، فألقى الشَّدائد من ريحِ أفواهِهم، ولعلَّ أكثرهم من وقت انتباههم ما أَمَرَّ

(١) زهمت يده: صارت فيها رائحة الشَّحم. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٢، ٣٤٠).

(٢) البراجم: مفاصل الأصابع الَّتي بين الأشاجع والرَّواجب، وهي رؤوس السُّلاميَّات من ظهر الكفِّ، إذا قبض القابض كفَّهُ نشزت وارتفعت، وقيل: مفاصل الأصابع كلُّها. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٤٦).

(٣) الاستحداد: حلق العانة بالحديد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٤٢).

(٤) صدفَ عنه: أعرضَ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٤/ ٩).

إصبعَه على أسنانه! إلى آخر ما جاء في الفصل الَّذي كتبه العلَّامة ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «صيد الخاطر»(١).

وفي ذلك ما يكفي للجواب على سؤال السَّائل، لكنِّي أُعلِّقُ على الموضوع، فأقول: إنَّ الله جلَّ شأنه قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التِّين: ٤]، وزيَّنه بأحسن صفةٍ، وكرَّمَه بأن جعله أفضل المخلوقات، فوهبه عقلًا وتفكيرًا وتدبيرًا، ومَن تأمَّلَ وجه الإنسان وحسن خلقته علم أنَّ الله تعالى خلق الإنسان في أحسن خلقه، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، والخالق الَّذي أحسن خلق الإنسان وكرَّمَهُ أمره بتكريم نفسه؛ فأمره بالوضوء عند كلِّ صلاةٍ، وقال عليه السلام: «**وإذا اغتسل من الجنابة غسل يديه، وتوضَّأَ وضوءه للصَّلاة، ثمَّ اغتسل، ثمَّ يُخلِّل بيده شعره، حتَّى إذا ظنَّ أنَّهُ قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرَّات، ثمَّ غسل سائر جسده**»(٢)، وأمر أُمَّته بالغسل يوم الجمعة «**الغسل يوم الجمعة واجبٌ**»(٣)، وغسل العيدين، وأمرهم بالسِّواك، وقال عليه السلام: «**لولا أن أشقَّ على أُمَّتِي لأمرتُهم بالسِّواك عند كُلِّ صلاةٍ**»(٤).

والنَّظيفُ قريبٌ من قلوب النَّاس دائمًا، تحبُّه النُّفوس؛ لنظافته وطيب ريحه، وقد ثبت في السِّيرة أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان أنظف النَّاس، وأطيبهم، لا يفارقه السِّواك(٥). ويعيب الرَّسولُ أحيانًا على بعض النَّاس عدمَ

(١) انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزيِّ (١/ ١٠٣).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٧٢)، ومسلم، رقم: (٣١٦).
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٨٥٨)، ومسلم، رقم: (٨٤٦).
(٤) رواه البخاريُّ، رقم: (٨٨٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٢).
(٥) انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزيِّ (١/ ١٠٤).

استياكهم؛ فيقول: «**مالي أراكُم تأتُوني قُلحًا**[١]**؟! استاكُوا**»[٢].

ولو أردت أن أطيل في التَّعليق لضاقَ الوقت، ولكن أختم جوابي بهذه الكلمات الحكيمة:

من طال ظفره قصرت يده.

ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرِّمه النَّاس.

ومن نظَّف ثوبه قلَّ همُّه.

ومن طاب ريحه زاد عقله.

أمَّا سؤاله: هل يأثم من أهان الوسخ أو طرده من المسجد؟

فالجواب على ذلك الآتي:

نهى الإسلام عن إهانة المسلم، ولكنَّه حثَّ على الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والأمر بالمعروف يجب أن يكون بمعروفٍ ولطفٍ وموعظةٍ، فليفهم هذا وأمثاله أنَّ الوسخ ممقُوت[٣] وثقيل، والنَّفس تشمئزُّ من كلِّ كريهٍ، وإنَّ وسيلة النَّظافة الماء، والماء أيسر شيء في الوجود، ويكفي أنَّ ثلاثةَ أرباع الدُّنيا ماء.

(١) القلح: صفرة تعلو الأسنان، ووسخ يركبها. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ٩٩).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٨٣٥).

(٣) المقت: أشدُّ الإبغاض. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٩٠).

الكذب الأبيض

السُّؤال:

عندما يحصل خلافٌ بين أبي وأُمِّي أضطرُّ إلى أن أكذب على أُمِّي وأبي؛ لأُوفِّقَ بينهما، فهل هذا من الكذب الأبيض الَّذي لا إثمَ فيه؟ وما هي الكذبة البيضاء الَّتي درجت على ألسنة النَّاس؟

الجواب:

نعم، هذه هي الكذبة البيضاء، وهي أن يحصل خلافٌ بين أُسرتَين أو صديقين، فيخفِّفُ الثَّالث من سعة الخلاف بينهما، فيتقوَّل بما يصلح بين الطَّرفين، ويمحو سوء التَّفاهم، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النِّسَاء: ١١٤]، والإسلام حثَّ على ذلك؛ لأنَّ الإصلاح بين النَّاس أفضل بكثيرٍ من أعمالٍ حسنةٍ أخُرى.

وإنَّ الشِّقاق قد يجرُّ إلى بغضاء، والبغضاء تولِّدُ الحقد، وتوغِّرُ القلوب، وتزرع فيها الضَّغائن[1]، وتسيء إلى مكارم الأخلاق، أمَّا الإصلاحُ فرحمةٌ، والمؤمنون أينما كانوا إخوة، والإسلام دعا أُمَّته إلى الإصلاح بين الإخوة، وجعله وسيلةً لنزول الرَّحمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجرَات: ١٠].

(١) الضِّغن: الحقد الشَّديد والعداوة والبغضاء. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٥/ ٣٣٠).

تقليد الرَّجل للمرأة في اللِّباس

السُّؤال:

نعلم يقينًا أنَّ الإسلام حرَّم على رجال أُمَّتِه الحرير والذَّهب، وفي الأسواق الآن ملابس حريريَّة للرِّجال، فهل يشملها التَّحريم؟ وهل خاتم الذَّهب والسَّاعة الذَّهبيَّة محرَّمان؟ وهل يُباح للرَّجل تصفيف شعره وتنسيق حاجبيه وتقليم أظفاره؟

الجواب:

إذا كان الحرير المنتشر في الأسواق حرير القزِّ فهو حرامٌ، أمَّا الحرير الصِّناعيُّ أو النَّسيج الَّذي أقلُّ من نصفه حرير فلا بأس من استعماله للرِّجال.

والذَّهب والحرير حِلٌّ للنِّساء؛ لأنَّ المرأة رقيقة فُطِرَت على حبِّ الزِّينة، أمَّا الرَّجل فلا يليق به ذلك؛ لأنَّه خُلِق ليكون قيِّمًا على أهله، والقوامة تحتاج إلى قوَّةٍ، ومدافعًا عن مبدئه وعقيدته الَّتي هي دِينه، والدِّفاع يحتاج إلى خشونة.

إنَّ الإسلام لم يحرِّم زينة الله الَّتي أخرجها لعباده، ولم يحرِّم الطَّيِّبات، وإنَّما أحبَّ أن يصون رجولة الرَّجل من مظاهر الضَّعف والتَّكسُّر والتَّميُّع والانحلال، فالرَّجل قويٌّ في تركيبه، خشنٌ في مظهره وصوته وأعضائه؛ لذا يجب أن يكون خشنًا في لباسه، وفي لبس الحرير ترفٌ، والتَّرف في نظر الإسلام مظهر من مظاهر الانحلال الَّذي حذَّر منه

القرآن، فقد قال جلَّ جلاله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، والمترفون: هم القلَّة المنحلَّة المتخمة الَّتي تُنَعَّم وتضعف، وحرَّم النَّبيُّ ﷺ مظاهر التَّرف كلَّها في حياة المسلم قائلًا: «**إيَّاكَ والتَّنعُّم؛ فإنَّ عباد الله ليسُوا بالمتنعِّمين**»(١)، وأوَّل التَّرف: حرير وذهب، فلا يلبس الرَّجل الحرير، ولا ينام عليه، ولا يتوسَّده، ولا يفترشه، ولا يتحلَّى بالذَّهب، ولا يستعمله في مأكله ومشربه وزينته، رُويَ عن حُذَيفةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ**(٢)، **وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**»(٣)، وقد ثبت في الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّمَ وجهه، قال: «**إنَّ نبيَّ الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا وجعله في شماله، قال: إنَّ هذين حرام على ذكور أُمَّتي، حِلٌّ لإناثهم**»(٤)، ورواه ابن ماجه بلفظه عن ابن عمرو: «**إنَّ هذين محرَّمٌ على ذكور أمَّتي، حلٌّ لإناثهم**»(٥).

أمَّا جوابنا عن السُّؤال الثَّاني فإذا كان المقصود من صفِّ الشَّعر وتنسيقِ الحاجبِ وغيرهما إزالةَ تشويهٍ ثابت يبدو به الرَّجل دميمَ(٦)

---

(١) رواه أحمد، رقم: (٢٢١٠٥).

(٢) الدِّيباج: الثِّياب المتَّخذة من الإبريسم، فارسيٌّ معرَّب. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٩٧).

(٣) رواهُ البُخاريُّ، رقم: (٥٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود، رقم: (٤٠٥٧)، والنَّسائيُّ، رقم: (٩٣٨٢)، وابن ماجه، رقم: (٣٥٩٥)، وأحمد، رقم: (٩٣٥).

(٥) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٥٩٧).

(٦) دميم: قبيح. انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٠٨).

المنظر؛ فلا بأس به، وهو مباحٌ؛ نظرًا إلى هذا العذر، وطبقًا للقاعدة الفقهيَّة القائلة: «الضَّرورات تبيح المحظُورات»(١).

أمَّا إن كان الفاعل يقصد في ذلك التَّشَبُّهَ بالنِّساء، أو يقصد به زيادة تجميلٍ، فهو تغيير لخلق الله، والرَّسول ﷺ بيَّنَ أنَّ خمسًا من الفطرة، منها تقليم الأظفار: «**خمسٌ من الفطرة: الخِتان، والاستحداد، ونتفُ الإبطِ، وتقليمُ الأظفار، وقصُّ الشَّارب**»(٢).

أمَّا ما يُسمَّى اليوم المناكير وهو لون يوضع على الظُّفر بعد تطويله، بقصد التَّجميل المصطنع؛ فإنَّه منكر وتشبُّهٌ بالحيوانات، وإنَّ «**مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»(٣).

(١) أورده العجلونيُّ في كشف الخفاء، رقم: (١٦٤٠).
(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٥٨٨٩)، ومسلم، رقم: (٢٥٧).
(٣) رواه أبو داود، رقم: (٤٠٣١).

بدع وعادات جاهليَّة

مزارات الخضر والأولياء

السُّؤال:

عندنا في فيلكا مزاران[١]، أحدهما: يُسمَّى الخضر، والثَّاني سعد وسعيد، أرجو إفادتي فيهما، وهل لهما أصل في التَّاريخ أو في الشَّريعة؟

الجواب:

لم أجد في التَّاريخ بين رجال الإسلام مَن يحمل اسم سعد وسعيد - من الصَّحابة والتَّابعين والعلماء المعروفين - ودُفِن في فيلكا.

أمَّا الخَضِر فقد حُكيت فيه خرافات كثيرة، والَّذي قرأناه عن الخضر أنَّه العبد الصَّالح الَّذي جاء ذكره في سُورة الكهف، والتقى مع موسى عند الصَّخرة عند مجمع البحرين ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦١-٦٥].

وقال كثيرٌ من الفقهاء: إنَّ العبد الصَّالح هو رجلُ علمٍ، وللخضر أماكن كثيرة ابتدعها النَّاس، كثيرٌ مِنها في العراق، وفي الموصل وحدَها له مكانان أو ثلاثة، وفي الكويت له مكانان؛ مكان في فيلكا وهو الَّذي

---

(١) مزار: مصدر ميميٌّ من زَارَ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١١/ ٤٦٠).

تسأل عنه، ومكان في الكويت القديمة في منطقة القبلة في محلَّة الوطيَّة.

وذكر البخاريُّ: «**إنَّما سُمِّي الخَضِرَ أنَّه جلس على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء**»(١).

وقال بعض العلماء: إنَّ الخضر نبيٌّ من بني إسرائيل، وقيل: هو إلياس، وقيل: هو جرجس أو جريس.

أمَّا كونه حيًّا فهو أمرٌ بعيد من العقل جدًّا؛ لأنَّ الله كتب الموت على كلِّ حيٍّ، إلَّا إبليس الَّذي قال له ربُّه: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، وأخبر الله نبيَّه محمَّدًا باستحالة ذلك بقوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥]، فهل الدُّنيا دار خلود لحيٍّ؟ لو صحَّ ذلك لكان من العجائب، ولذكرت أخباره الكتب السَّماويَّة، أو ذكرها نبيٌّ من الأنبياء.

والحكايات المنقولة الَّتي ليس فيها دليلٌ لا صحَّة لها، وكلُّ خبرٍ لا تؤيِّده بيِّنة فهو خبرٌ كاذبٌ.

يقول بعض النَّاس: إنَّه رأى الخضر في المنام، والعجيب أنَّ أكثر هذه الأخبار مرويَّة عن جهلةٍ أو دعاة سوءٍ أو مجانين، ولو كان الخضر حيًّا لَلَقِيَ رسولَ الله ﷺ، وآمن به، وجاهد معه، وحضر الجمعة والجماعة، وأرشد الجاهلين.

وما يُقال عن هذا الخضر وما يُروى عنه من حكايات كلُّه موضوعٌ لا أساس له، ولا أساس لما يُسمَّى في فيلكا بالخضر أو سعد وسعيد.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٤٠٢).

هل الزَّار يشفي الأمراض؟[١]

السُّؤال:

عندنا امرأةٌ مصابةٌ بمرضٍ يأتيها على نوبات تجعلها في ضيق نفسٍ وآلام شديدة في الصَّدر والبطن، وقالَ الأطبَّاء: إنَّها مصابةٌ بربو وأمراض عصبيَّة، وقال لنا بعض العجائز الجاهلات: إنَّ فيها زارًا، ولا بُدَّ من عمل حفلة زار، فما هو الزَّار؟ وهل يجوز شرعًا أن نعمل مثل هذه الحفلة؟

الجواب:

الزَّار[٢] زورٌ وبهتانٌ وافتراءٌ على الله، والمؤمن يجب أن يؤمن بأن لا فعلَ لغير الله، وأنَّ كلَّ ما يقع في هذا الكون من خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ فهو من الله وحده، يأتي به لتربية الإنسان، هو وحده الَّذي خلق الأسباب والمُسَبِّبات، والأمراض والدَّواء من خلق الله، والرَّسول ﷺ أخبرنا: «**لكُلِّ داءٍ دواءٌ**»[٣]، وقد رُوِيَ في أثرٍ إسرائيليٍّ: أَنَّ إبراهيم الخليل قال: «يا رَبِّ ممَّن الدَّاءُ؟» قال: «منِّي». قال: «فممَّن الدَّواءُ؟» قال: «منِّي».

---

(١) سبق أن أجبت عن مثل هذا السُّؤال في الجزء الأوَّل صحيفة (٢٧٦).

(٢) الزَّار: حفلة راقصة، يقال: إنَّها تقام لطرد الأرواح الخبيثة الَّتي تمسُّ أجسامَ بعض النَّاسِ في زعمهم. انظر: معجم الوسيط، لمجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة (١/ ٤٠٦).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٢٠٤).

قال: «فما بالُ الطَّبيب؟» قال: «رجلٌ أُرْسِلُ الدَّواءَ على يديه»[١].

والإسلام أخبرنا أنَّ الله جلَّ جلاله هو الَّذي خلق الأسباب، وأمرنا بالسَّعي وراء الْمُسَبِّبات، التماس الدَّواء؛ دفعًا لغائلة[٢] المرض، وأمرنا بالسَّعي لاكتساب القوت؛ دفعًا لغائلة الجوع.

أمَّا ما يسمُّونه الآن بالزَّار فخرافةٌ مخالفة لسُنَّة الله في خلقه، ومن صدَّق خرافةَ الزَّار، فقد صدَّقَ بمستحيلٍ، وربَّما كان في عقله أو قلبه مرض.

وقد بلغني أنَّ كثيرًا من المحرَّمات تجري في حفلات الزَّار، مثل ذبح الذَّبيحة دون ذكر اسم الله عليها، وتلطيخ[٣] المريض بدمها، وإكراهه على شرب شيء منه، إلى غير ذلك من أغانيَّ تحتوي كلماتٍ تخالف عقيدة الإسلام، وأفعالٍ كلُّها مآثم ومعاصٍ، أنزِّه لساني وقلمي عن ذكرها، وفوق هذا كُلِّه اعتقاد المريض المداوى بأنَّ لهذا الفعل تأثيرًا فعَّالًا في شفائه.

إنَّ الله جلَّ شأنه خلق الدَّاء والدَّواء، وجعل الطَّبيب وسيلةً يبعث الدَّواء على يديه، ونحن اليوم في عهدٍ فتح الله لنا فيه أبواب معرفة، وكشف ظلام الجهالة عن عقول، فيجب علينا أن نطهِّر عقولنا وأفكارنا وأعمالنا من الخرافة، وأن نلتمس الشَّيء المحسوس؛ لنعالج به أحوالنا دون اللُّجوء إلى ما لا يصلح، وإلى ما لا يُعقل.

(١) انظر: الطِّبُّ النَّبويُّ، لابن قيِّم الجوزيَّة (١/ ١٥).
(٢) الغوائلُ: الدَّواهي. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٠/ ١٣٠).
(٣) لطَّخ: لوَّث. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٧/ ٣٣٥).

التَّشويش على المصلِّين بالقراءة

السُّؤال:

في يوم الجمعة هناك مساجد تُذاع منها الصَّلاة في المذياع، ويرفع قارئ القرآن صوته بالقراءة، فيحصل التَّشويش على من يصلِّي أو يذكر الله، ونحن نعرف أنَّ المساجد لم تُخصَّص لأحدٍ دون أحد، فهل هذه القراءة مشروعة؟

الجواب:

قرأت في فتاوى الشَّيخ محمود السُّبكيِّ نقلًا عن ابن العماد وغيره من أئمَّة الشَّافعيَّة؛ أنَّهُ تُحرَّم القراءة جهرًا على وجهٍ يزعج المصلِّي، سواء كان ذلك يوم جمعة أم غيره؛ لأنَّ المصلِّي يناجي ربَّه ﷻ في بيت ربِّه.

روى الإمام أبو داود، والإمام أحمد، والحاكم عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: «**أنَّ رسول الله ﷺ سمع النَّاس يجهرون بالقراءة في المسجد، فكشف السِّتر، وقال: ألا إنَّ كُلَّكُم مُناجٍ ربَّهُ فلا يُؤذينَّ بعضكُم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعضٍ في القراءة**»[(١)].

ومن قال: إنَّ رفع الصَّوت في القراءة في المسجد سُنَّة فقوله مردود، ثمَّ إنَّ تخصيصًا واحدًا لقراءة القرآن يوم الجمعة بدعة، لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا أمر به أصحابه الأوَّلين ولا التَّابعينَ لهم بإحسان،

(١) رواه أبو داود، رقم: (١٣٣٢)، وأحمد، رقم: (١١٨٩٦)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (١١٦٩).

والرَّسول ﷺ قال: «**من أحدثَ في أمرنَا هذا ما ليسَ منه، فهُو ردٌّ**[١]»[٢]، وقال عليه السلام: «**ليس مِنَّا من عملَ بسُنَّة غيرِنَا**»[٣]، وقال أيضًا: «**إِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٤]، والبدعة: هي كلُّ أمرٍ يشيع في النَّاس يحسبه الجاهل دينًا، وعرَّفَ العلماء البدعة فقالوا: هي طريقةٌ في الدِّين مخترعةٌ فيها تعبُّدٌ لله سبحانه تضاهي الطَّريقة الشَّرعيَّة، وليست هي بشرعيَّة. وقال آخرون: هي حادثٌ حدث يخالف الكتاب والسُّنَّة، يحسبه الجاهل دينًا وما هو بدين.

وعلى أيَّةِ حالٍ حذَّرنا رسول الله ﷺ من هذه المحدثات والبدع، فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٥]، فكلُّ طريقٍ لم يسلكها الرَّسول ﷺ ولا أحد من أصحابه هي طريقٌ مخالفةٌ للسُّنَّة، ومن سلكها كان مبتدعًا يشمله الحديث الَّذي ذكرناه.

استعمال السُّبحة[٦]

السُّؤال:

ولع النَّاس بجمع السُّبحات في هذه الأيَّام، ورأينا كثيرًا من النَّاس مَن

---

(١) ردٌّ: أي مردود عليه، ويقال: أمر ردٌّ، إذا كان مخالفًا لما عليه أهل السُّنَّة. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢١٣).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، رقم: (١٧١٨).

(٣) أورده الدَّيلمي في الفردوس، رقم: (٥٢٦٨).

(٤) رواهُ ابن ماجه، رقم: (٤٢).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) السُّبحة: خرزات تُنظم في خيط للتَّسبيح بها، وقيل: إنَّها ليست من اللُّغة، وإنَّما =

يستعمل السُّبحة للتَّسبيح.

فهل استعمالها هذا مشروع؟ ومتى بدأ استعمالها؟ ولِمَ كان عددها (٣٣) أو (٩٩)؟

الجواب:

لم يستعمل الرَّسول ﷺ السُّبحة ولا استعملها أحدٌ من أصحابه، ولا جاء لها ذكر في كتب السُّنن، وإنَّما هي بدعةٌ ظهرت تقليدًا لرهبان الهند: البراهمة والبوذيِّين؛ لأنَّ السُّبحة ما زالت تأتي من الهند وتُصنَع هناك.

أمَّا كون السُّبحة ثلاثًا وثلاثين حبَّةً أو كونها (٣٣×٣) فقد اتَّخذ تُجَّار السُّبحات هذا العدد من الحديث الآمر بالتَّسبيح والتَّحميد والتَّكبير بعد الصَّلاة ثلاثًا وثلاثين، ولفظ الحديث كما يأتي: «**جاء الفقراء إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثُور[1] من الأموال بالدَّرجات العُلا، والنَّعيم المُقيم، يصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضلٌ من أموال يحجُّونَ بها، ويعتمِرون، ويجاهدون، ويتصدَّقون، فقال ﷺ: أفلا أُعلِّمكم شيئًا تُدرِكُونَ به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلَّا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبِّحون، وتحمدون، وتكبِّرون، خلف كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرَّةً**»، رواه البُخاريُّ ومسلم[2].

= أحدثت في الصَّدر الأوَّل إعانة على الذِّكر. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٦/ ٤٤٩).

(١) الدُّثور: جمع دثر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد والاثنين والجميع. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٠٠).

(٢) رواه البخاريُّ، رقم: (٨٤٣)، ومسلم، رقم: (٥٩٥)، واللَّفظُ لمسلم.

وروى مسلم أيضًا في حديثٍ لفظه: «**مُعقِّباتٌ لا يخيبُ قائلهنَّ دُبُر كُلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، ثلاثٌ وثلاثون تسبيحةً، وثلاث وثلاثون تحميدةً، وأربع وثلاثون تكبيرةً**»(١).

من هذين الحديثين ومن أحاديث غيرها وضع تُجَّارُ السُّبحات السُّبحة بهذين العددين؛ إمَّا (٣٣)، وإمَّا (٣٣×٣).

وقال بعضهم: إنَّ التِّسعة والتِّسعين حبَّةً تبرُّكٌ بالأسماء الحسنى التِّسعة والتِّسعين.

والسُّبحة ليست داخلة في العبادة، ولا هي من الشَّعائر الدَّالَّة على العبادة، وكلُّ إنسانٍ يتَّخذ السُّبحة شعيرة من شعائر العبادة فهو مبتدعٌ.

وأمَّا السُّنَّة في إحصاء ما ورد من الذِّكر في الحديثين معدودًا، فهي العقد بالأنامل؛ يضع رأسَ إصبعِه على كلِّ عقدةٍ، وفي كلِّ إصبعٍ عقدٌ ثلاث، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التَّسبيح كما أنَّه ﷺ أمر النِّساء وقد رآهُنَّ يجمعن حصًى أمامهنَّ يحسبن به، فأمرهنَّ أن يعقدن بالأنامل، وقال: «**اعقدن بالأنامل؛ فإنَّهنَّ مسؤولاتٌ مُستنطقاتٌ**»(٢)، ومعنى مستنطقات: أنَّها تشهد يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النُّور: ٢٤].

نفهم من هذا أنَّ السُّبحة بدعةٌ، دخلت في العبادة، ويجب على كلِّ مسلمٍ أن يبتعد بها من مسجده ومن تعبُّده لربِّه، إلَّا أن تكون آلة يتسلَّى بها الإنسان.

(١) رواه مسلم، رقم: (٥٩٦).
(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (٣٥٨٣).

أقوال عن استعمال السُّبحة

بعد أن أذيع حديثي عن السُّبحة كثر التَّحدُّث في هذا الموضوع بالدَّواوين، وسمعت اعتراضات كثيرة بالهاتف، وكثيرٌ من الإخوة والأخوات تطوَّعوا، فنقلوا أقوالًا لم أقلْها، لا تليق بأمثالهم، على الرَّغم من أنَّني لم أقُل شيئًا ينافي الحقَّ.

لم أقل: إنَّ استعمال السُّبحة حرامٌ. ولا قلت: إنَّها مباحٌ. وإنَّما قلت: إنَّها بدعةٌ لمن اتَّخذها له دينًا أو لمن استعملها فعلًا يثاب عليه عند الله، وقلت: إنَّ من استعملها للتَّسلية فلا بأس عليه أيضًا.

أمَّا أن يحتسب باستعمالها ثواب الله وجزاءه فإنِّي أبرأ إلى الله من هذا الاعتقاد، ولا أقول إلَّا خيرًا، بل أقول ما قاله رسول الله ﷺ: «**كلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(١).

فالسُّؤال أمانةٌ، والإجابة أمانةٌ، والمسلم إذا سُئِلَ يجب عليه أن يقول الجواب الشَّافي الَّذي يدَّخره عند الله ﷻ لمستقبله الأخير عندما يقف أمام الله مسؤولًا، هل نصح لله أم غشَّ العباد؟! والرَّسول عليه السلام قال: «**أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك، ولا تَخُن من خانك**»(٢).

وليعلم الإخوة والأخوات أنِّي لا أبالي هل رضي فلان أو غضب فلان ما دمت قد أرضيت ربِّي وأدَّيت أمانتي.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه التِّرمذيُّ، رقم: (١٢٦٤)، وقال: حديث حسن غريب.

إذن فليقل القائل - كلُّ قائلٍ - ما يقول، والله حسبي ونعم الوكيل، وقد أبرأت كلَّ من تكلَّمَ، وأرجو أن أَدَّخِرَ هذه البراءة لي عند عرضي يوم الحساب، ومع هذا فإنِّي أتحدَّى كلَّ إنسانٍ أن يأتي بدليلٍ على أنَّ استعمال السُّبحة من الدِّين، أو أنَّ في استعمالها ثوابًا، أو أنَّ استعمالها سُنَّةٌ أو مستحبٌّ.

الذَّبحُ فداءً لشراءِ سيَّارةٍ

السُّؤال:

ذبحنا ذبيحةً؛ فداءً للسَّيَّارة الجديدة، حتَّى لا تقع في حوادث، ولطَّخنا أبواب السَّيَّارة وزجاجها بدم الذَّبيحة حسب العادات المتَّبعة، ورآنا بعض النَّاس، وقالوا لنا: هذا حرامٌ، هذا من فعل الجاهليَّة. فهل ما قالوه صحيح؟

الجواب:

أَيُّ عادة متَّبعة تلك الَّتي فعلتها؟! إنَّها عادةٌ جاهليَّةٌ لا أصل لها في الإسلام، والحوادثُ قضاءٌ وقدرٌ، والفدية لا تكون بماضٍ ولا تأتي بمستقبلٍ.

إنَّ ما فعلته أمرٌ منكرٌ وحرامٌ، والدَّمُ نجسٌ، وتلطيخك السَّيَّارة به نَجَّسَ يدك وسيَّارتك، وإذا أردت أن تذبح لبيتٍ تسكنه، أو لسيَّارةٍ تشتريها، أو لزوجةٍ تتزوَّجها، فاذبحها باسم الله، واحمد الله على أن وفَّقك لامتلاك البيت، أو لشراء السَّيَّارة، أو للقدرة على الزَّواج.

وأقول للسَّائل ولغيره: حَكِّموا عقولكم، فالإسلام جاء ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العَنكبوت: ٣٥]، و﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١]، جاء ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣]، و﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٠]، فطهِّروا عقولكم من هذه الخرافات؛ حتىَّ تكونوا كما أراد الله لكم.

الذَّبح لبناء مضافةٍ

السُّؤال:

بنينا مَضْيَفَةً[1] جديدةً، وذبحنا لها ذبيحة، ولطَّخنا من دمها بابَ المُضافة، واعترض علينا بعض النَّاس، فهل كان اعتراضهم صحيحًا؟

الجواب:

عملكم هذا من فعل الجاهليَّة وهو من الشِّرك؛ إذ لو أنَّكم تصدَّقتم بلحم الذَّبيحة على المحتاجين لكان أفضل من تلطيخ باب المضافة بدمها؛ لأنَّ الدَّمَ المسفوح نجسٌ، وأنتم نَجَّسْتم الباب بالدَّم.

وكان الأولى بكم أن تسألوا قبل أن تفعلوا؛ ولهذا يجب عليكم أن تُطَهِّروا الباب بغسله من أثر الدَّم، وأن تستغفروا الله من هذا الذَّنب الَّذي لم يكن لكم به علم، والله يرعانا وإيَّاكم.

(١) المَضْيَفَةُ: المَفْعَلَةُ، وهي موضعُ الضِّيافة. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٢٤/ ٦٥).

المرأة الحامل وأكل اللَّحم

السُّؤال:

تقول السَّائلة: هل صحيح أنَّ الرَّجل إذا أكل لحم بعيرٍ وزوجته الحامل لم تأكل معه من هذا اللَّحم تزيد مدَّة حملها إلى عشَرة أشهر بدلًا من التِّسعة؟

الجواب:

من الواجب أن يُحال هذا السُّؤال إلى الطَّبيب المختصِّ، ولكنْ لطرافته أحببت أن أذكر السُّؤال وجوابه.

أحبُّ أن تعلم السَّائلة أنَّ للحمل أجلًا مقدورًا وسُنَّة سنَّها الله ﷻ في خلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحجّ: ٥].

نفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ أجل الحمل مُسَمًّى عند الله، ومقدَّر بقدرٍ لا يتغيَّر، ولكنَّ المسألة لا تخلو من شواذَّ، ولا عِبرة للشَّاذِّ، ولا دخل له في الأحكام، وأكل لحم البعير لا يُقَدِّمُ أجلًا ولا يُؤَخِّره، ومدَّة الحمل المعروفة عند الأطبَّاء تتراوح بين (٢٨٣) أو (٢٨٧) يومًا بين الزِّيادة والنُّقصان. هذا ما أعلم، والله أعلم.

حبُّ الأصدقاء

السُّؤال:

لي صديقٌ بمنزلة أخٍ، عَلِمت أنَّهُ ليس ابن أبيه الَّذي ينتسب إليه، وأنا أشفق عليه؛ لأنَّه صاحب ضميرٍ وقلبٍ رحيمٍ، فما مصيره في الآخرة؟

الجواب:

الإنسان دائمًا مرهون بعمله، إن كان عمله خيرًا فجزاؤه خيرٌ، وإن كان عمله شرًّا فجزاؤه شرٌّ، والله قال في كتابه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النّجْم: ٣٨].

وأقول لك أيُّها السَّائل: يجب عليك أن تقتنع بالظَّاهر، ولا تبحث عمَّا يسيء إلى غيرك، واترك صديقك في اعتقاده؛ إنَّه ابنُ من انتسب إليه، ولا تلتفت إلى كلمات المغتابين الَّذين يتلذَّذون بأكل لحوم النَّاس.

ولو أنَّ صاحبك هذا أقيمت ضِدَّه دعوى لانتزاعه من النَّسب الَّذي ينتسب إليه، فلن تستطيع أقوى محكمة تبرئته من هذا النَّسب، ولَمَّا كنت تعرف في صديقك صفاء ضميره، وحسن طويَّته[1]، ورحمة قلبه؛ فتمسَّك بصداقته، وآخرتُه مرهونةٌ بعمله.

(١) الطَّويَّة: الضَّميرُ والنِّيَّة. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٨/ ٥١٣).

اهتمامُ العربِ بميلاد المسيح

السُّؤال:

يحتفل العرب والمسلمون يوم عيد ميلاد المسيح ويعطِّلون الأعمال، بينما الغرب لا يحتفلون ولا يعطِّلون بعيد ميلاد النَّبيِّ ﷺ، ما الدَّاعي لاهتمامنا بشيءٍ لا يهتمُّون بمثله عندنا؟

الجواب:

المسلمون العرب لا يعطِّلون يوم ميلاد المسيح، وإنَّما يعطِّلون أوَّل يومٍ من دخول السَّنة الشَّمسيَّة بعدِّها بدءًا للأعمال التِّجاريَّة والرَّسميَّة وغير ذلك؛ لأنَّ السَّنة الشَّمسيَّة مدار التَّاريخ كلِّه، وقيد المواليد، ودفع الرَّواتب، وتصفية الحسابات التِّجاريَّة، وتسجيل الحوادث الرَّسميَّة، وإثبات الأعمال كلِّها الَّتي تسير عليها النَّاس.

أمَّا كون العرب المسلمين يحتفلون بمولد المسيح أو مولد غيره من الأنبياء فليس ذلك بصحيح، اللَّهُمَّ إلَّا أن تكون مجاملة؛ كمجاملة الصَّديق يهنِّئُه بالعيد كما يُهَنِّئُ المسيحيُّونَ أصدقاءهم المسلمين بعيدَي الفطر والأضحى.

كلماتٌ شائعةٌ في حياتنا

السُّؤال:

أسمع كثيرًا من النَّاس في مجتمعات البادية إذا خاطبوا إنسانًا محترمًا وجاء ذكر المرأة قالوا: الله يعزُّكَ. فهل يجوز ذلك؟

الجواب:

المرأةُ واحدة من أربعٍ: أمٌّ أو أختٌ أو بنتٌ أو زوجةٌ، ولهنَّ المقام المحبَّب عند الرَّجل.

فللأمِّ الاحترام، وقد وعد اللهُ الجنَّةَ لمن يبرُّها ويُحسِنُ إليها.

وللأختِ المحبَّة والتَّقدير، فإن كانت الأكبر بين أخواتها فلها مقام الأمِّ في الاحترام، وإن كانت الأصغر فلها مكانة البنت في المحبَّة.

والزَّوجة شريكة الحياة، وملكة البيت، وأمُّ الأولاد.

والبنت زهرة الدُّنيا، وهبة الرَّحمن.

ومن قال غير ذلك فقد كذب، والله ﷻ كرَّم بني آدم، وفضَّلهم على سائر مخلوقاته، وجعل منهم أنبياءه ورسله، وجعل منهم خلفاءه في أرضه.

هذا، ولا يجوز لإنسان أن يُفضِّل أحدًا على أحدٍ «**المسلمون إخوةٌ لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى**»[1]، و﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٣٥٤٧).

[الحُجرَات: ١٣]، والتَّقوى محلُّها القلب، ولا يعلم بخفاياها إلَّا الله.

وكم من أنثى أفضل عند الله من ذكرٍ! وكم من أنثى في نظر النَّاس أعظم مقامًا وأكبر جاهًا من رجال!

أغراض الشِّعرِ كما يحبُّه الإسلام

السُّؤال:

إنَّني شاعرٌ من شعراء البادية، لم أمسَّ كرامة أحدٍ في قصيدي، فأكثرُها نصائحُ أو غزلٌ، والغزلُ بريءٌ، ويقول في رسالته: (قصيد شرف على وضح النَّقا)، أرجو إفادتي، هل عليَّ في ذلك ذنب؟

الجواب:

القصيد الَّذي فيه نصائح يثيبك الله عليه؛ لأنَّه وعظٌ، فهو أمرٌ بمعروف ونهي عن منكر، وتقول إنَّك لم تمسَّ كرامة أحد، معنى ذلك أنَّك تجنَّبت الهجاء، ولم تطعن في عرض مسلم، فجزاك الله خيرًا؛ فقد قال الرسول ﷺ: «**المسلمُ من سلم المسلمون من لسانِه ويدِه**»(١).

أمَّا الغزلُ فإنْ كان غير مقصودٍ - بمعنى أنَّك لم تقصد بغزلك امرأة بذاتها - فهذا من خواطر الشُّعراء، وهو من اللَّغو، والابتعاد منه أحسن، وإن كانَ مقصودًا فأنصحك ألَّا تتقرَّب في قصيدك من امرأةٍ مُعيَّنةٍ إن كان لا بُدَّ لك من الغزل.

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (١٠)، ومسلم، رقم: (٤٠).

ضياع وقت الفراغ في اللَّهو

السُّؤال:

نحمد الله ﷻ بأن جعلنا مسلمين، ووفَّقنا لأداء أركانه، ولكنَّنا شبابٌ نجتمع وقت فراغنا، ونلعب الورق للتَّسلية فقط دون مراهنات، فهل علينا بأس؟

الجواب:

إذا لم تشغلكم اللُّعبة عن واجب تؤدُّونه لله أو للوظيفة أو للأُسرة أو للنَّفس، ولم تكن وسيلةً لمطعم حرام ولا مشرب حرام فلا بأس في ذلك.

أمَّا إذا ضيَّعتْ عليكم وقتًا فيه مساس أو مانع لأداء واجب من الواجبات فأظنُّ أنَّ ذلك حرامٌ؛ لأنَّ أداء الواجب فرضٌ، والتَّسلية ملهاة.

الثَّقيل

السُّؤال:

كنت أعمل بحَّارًا أصارع الأمواج، وأسحب الحبال، وأحمل الأثقال، وأسهر اللَّيالي، وعملت في البناء فنقلت الصَّخر، وحملت الطِّين، وربَّما حملت ما هو أثقل من وزني، ولكن لم أجد ثقلًا أنوء به

كمجالسة ثقيل الظِّلِّ أو من يسمُّونه ثقيل الدَّم، فما السِّرُّ في أنَّ الإنسان يتكلَّف ويتضايق من ثقيل الدَّم، بينما يهون عليه حمل الأثقال؟

الجواب:

سؤالك هذا بعيدٌ من برنامجنا، ولكن لا بأس أن أجيب عليه، ففي إجابتي عليه حكمةٌ، وهو في الوقت نفسه طرفة.

أقول للسَّائل: فتح الله علينا وعليك وتداركنا بلطفه وأبعد منَّا الثُّقلاء؛ ثقلاء الظِّلِّ، أو ثقلاء الدَّم.

أيُّها الأخ السَّائل! الحكمة في ذلك أنَّ ثقل الحمل سواء كان من معادن وأحجار وتراب أم من أيِّ شيءٍ تشترك الأعضاء جميعُها فيه؛ فالكفَّانِ تمسكانِ، والذِّراعان تشدَّان، والعضدان يساعدان، والعمود الفقريُّ يُعين، والقدمانِ والسَّاقانِ والفَخِذان تُشارك النَّفس بحمل الثَّقيل، والقلب يمدُّ الجسم بالدَّم لتقويته، والمُخُّ يمدُّ الأعصاب فتشتدُّ؛ فأعضاء الجسم كلُّها تشترك في حمل الثَّقيل، لا يتأخَّرُ منه عضو صغير أو كبير.

أمَّا ثقيل الدَّم فثقله على الرُّوح فقط، والرُّوح شيءٌ لطيفٌ لا يتحمَّل أيَّ ثقل، فإذا اجتمع في الثَّقيل سخف كلام، وسماجة رأي وأسئلة، وتدخُّل فيما لا يعنيه، زاد طينه بِلَّةً، فحينئذٍ نسأل الله العون لمن ابتُلي بمثل هذا، ونسأل الله العافية من أمثاله.

برامج التِّلفاز

السُّؤال:

بم أبدأ مسألتي ونحن نعيش في ظلِّ الذُّلِّ والخذلان والانتكاس في العقيدة والسُّلوك والمعاملة، وكيف يتسنَّى لي أن أسأل؟! فالأسئلة ليست شيئًا واحدًا أو استفسارًا واحدًا، ولكنَّه موضوعٌ يحتاج إلى زمنٍ.

يا فضيلة الشَّيخ! أنت على علمٍ تامٍّ بما يُعرَض على شاشة التِّلفاز من برامج حقيرةٍ غريبةٍ علينا، وافدةٍ إلينا من خارج حدودنا، لا تُناسِبُ قيمنا وأخلاقنا، بل منافية لروح الإسلام، فهل يجوز أن يُعرض الرَّقص والغناء إلى جانب القرآن الكريم والأحاديث الشَّريفة في وقتٍ واحدٍ؟ وهل يجوز أن يعلن الأذان، ثمَّ توضع بعده الموسيقا؟

ثمَّ كيف تسمح لنفسك - وأنت تتربَّع على منبرٍ إعلاميٍّ بالمذياع والتِّلفاز - أن تُسألَ عن اسم أبي بكر فتقول: لا أعلم له اسمًا غير أبي بكر! اتَّق الله يا شيخ، فأبو بكر صفة تقديريَّة منحها له النَّبيُّ ﷺ؛ لأنَّه أوَّل من ابتكر في الإسلام، وهذا شيء بسيط.

ولَمَّا سُئِلتَ عن أهل الكتاب أجبتَ: إنَّهم أهل الأصنام، ولم تقُل: إنَّهم اليهود والنَّصارى! فلماذا هذا الاعتداء؟ اتَّق الله يا شيخ. إلى آخر ما جاء في كتابه التَّهَجُّميِّ من كلمات.

الجواب:

جوابي لكاتب الرِّسالة سلامٌ، ولو أراد حقًّا في ردِّه لذكرَ اسمه في

آخر الرِّسالة، ولكنَّه أراد فتنةً، فباء بالإخفاق، ونكص على عقبيه[١] ذليلًا مدحورًا[٢]، ولو أراد نُصحًا لطلب المقابلة، والنَّصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين وأنا منهم إن شاء الله.

إنِّي وجدت - والحمد لله - منبرًا أُؤدِّي رسالة الله فيه، وأدعو فيه على بصيرة لله، ولست مسؤولًا عمَّا يقوله غيري على هذا المنبر، فالمسؤولون عنه هم أولياء الأمر.

يقول صاحب الرِّسالة: لمَّا سُئِلت عن اسم أبي بكر، أجبتُ: إنِّي لا أعلم له اسمًا غير أبي بكر، وهذا الَّذي أعلم. فأرجو من صاحب الرِّسالة أن يخبرني عمَّا يعلم إن كان له اسمٌ غير ذلك، أمَّا أنا فأؤكِّد أنِّي لا أعلم له ﷺ اسمًا غير هذا في الجاهليَّة والإسلام.

فهو أبو بكر منذ ولادته حتَّى إسلامه، وبقي يحمل هذا الاسم حتَّى لقَّبَهُ رسول الله ﷺ بالصِّدِّيق، وبعدها أصبح النَّاس يسمُّونه أبا بكر الصِّدِّيق.

أمَّا ما ذكره السَّيِّد في رسالته عن أهل الكتاب، واتِّهامي بعدِّهم من أهل الأصنام فأستغفرُ الله العظيم من ذلك، وأرجو ألَّا أفتري كذبًا على الله، وأعوذ به من أن أعتدي على دينه، فأسبَّ أهلَ دينٍ سماويٍّ من غير ما ذنبٍ جنَوهُ، وإنِّي لَأُنَزِّه نفسي أن أسبَّ أحدًا مهما كان، فالله ﷻ أمر نبيَّه ﷺ، فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي

(١) نكص على عقبيه: رجع عمَّا كان عليه من خير. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (١٨/ ١٩٠).

(٢) الدُّحور: الطَّردُ والإبعاد. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٧٨).

هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥]، وقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وأمره أن يدعو أهل الكتاب لعبادة الله فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عِمرَان: ٦٤]، وأخبرنا جلَّ جلاله في كتابه العزيز: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المَائدة: ٨٢]، وأنا ممتثلٌ لأمر الله الَّذي أمر به نبيَّه، ومتَّبعٌ هذا النَّبيَّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله بالحسنى دون تعسير ولا خطأ.

وأمَّا أن أُحمِّلَ مواطنينا جريمة الصَّليبيِّين فهذا مِمَّا لا أقبله، فالصَّليبيُّونَ فئةٌ من النَّاس معتدون، وحزب ظالمٌ جائرٌ؛ كالأحزاب الهدَّامة، أرادوا ملكًا فنالوه، ولم يحسنوا سياسته فخسروه، وظلموا؛ والظُّلم مرتعه وخيم[1]، وبغَوا؛ والبغي يصرع أهله.

وإنِّي لا أخاف في الحقِّ لومة لائم، ولا أريد منك ولا من غيرك بما أقول ثناءً ولا جزاءً ولا شكورًا، وسلامًا لصاحب الرِّسالة مرَّةً أخرى، وليعلم - رعاه الله - أنِّي ما كنت يومًا مِمَّن يُداهن أو ينافق أو يجامل، ولكنِّي أقول كلمة الحقِّ الَّتي أعتقدها، وأدين لله بها، وأسأل الله أن يعصم لساني وقلمي من الزَّلل، وأن يعينني على قول الحقِّ، وأن يجعلني ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: ٣٣]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

(١) وخيم: ثقيلٌ رديءٌ. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٤/ ٣٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملحوظاتٌ فيما جاء في الجزء الأوَّل

استلمت رسالةً من العمِّ الحاجِّ صالح منصور أبا الخيل، فيها ملحوظاتٌ على كتابي «سألوني الجزء الأوَّل»، قال حفظه الله: **تلقَّيت بيد المحبَّة والتَّقدير كتابكم الجزء الأوَّل من سألوني، وتصفَّحته من أوَّله إلى آخره، وكانت أجوبته سديدة إلَّا أنَّني رأيت ملحوظات أحببت أن أُنَبِّهَ عليها؛ لأنِّي أعتقد أنَّها تحتاج إلى نظرٍ لعلَّكم تستدركونها في الطَّبعة الثَّانية إن شاء الله، وأرجو أن تعدُّوا ذلك تنبيهًا من أخٍ لأخيه، والله يرعاكم.**

الملحوظة الأولى صحيفة (١٦٤) قال حفظه الله:

قُلتُم في قصَّة موسى عليه السلام: إنَّه خرجَ من مصر إلى مدين بعد أن نصره الله على فرعون وآمن به السَّحرة؛ هاربًا من مطاردة فرعون وقومه.

والحقيقة غير ذلك، كان خروج موسى من مصر إلى مدين قبل الرِّسالة، وبعد قتلِ القبطيِّ، وأراد فرعون قتله فخرج من مصر هاربًا إلى مدين.

أمَّا إيمان السَّحرة فكان بعد الرِّسالة، والرِّسالة لم ينلها موسى إلَّا بعد عودته من مدين إلى مصر.

هذه الملحوظة وجيهة أصادق عليها؛ لأنَّ موسى عليه السلام خرج من مصر

هاربًا من فرعون وملئه حين قال له قائل: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢٠-٢١] إلى آخر الآية، وكان موسى يومئذٍ في سنٍّ بين الصِّبا والشَّباب.

والملحوظة الثَّانية في صحيفة (١٧٩) قال حفظه الله:

في جوابك عن صلب عيسى ووفاته ذكرت كلمة لا أحبُّها هي قولك: خلافنا مع إخواننا المسيحيِّين في عيسى ابن مريم، والحقيقة أنَّ من لا يؤمن بنبوَّة محمَّد لا يكون أخًا للمسلم، والله ﷻ اشترط في كتابه؛ لهذه الإخوة الإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي أحاديث أخرى: «**المسلمُ أخُو المسلمِ**»(١)، والمسلم: هو من آمن بالله ربًّا وبمحمَّد رسولًا ونبيًّا. والمسيحيُّ لا يعتقد ذلك.

وجوابي عن هذه الملحوظة: الشُّكر للمرسل، وليس لي فيها أيُّ قصد، إلَّا أنَّها كلمة تقال ويستعملها المواطنون بعضهم مع بعض، وذكري لها في كتابي تأليفٌ للقلوب، والرَّسول ﷺ أعطى من المال كثيرًا، وداری خواطر، وتلطَّفَ مع أناس كثيرين تآلفًا وتحبُّبًا، ولا ننسى معاملته لعبد الله بن أُبَيٍّ وغيره مِمَّن هم أشدُّ كفرًا من المشركين، ومِمَّن كانوا في المدينة وهو يعلم أنَّهم مخالفون، وكيف لا يكون كذلك وهو السَّمح الرَّؤوف الرَّحيم؟!

وإنِّي لا أرى فيما قلته شيئًا يُنكَر، والإسلام دين يسر وتبشير، وأشكر

(١) رواه البخاريُّ، رقم: (٢٤٤٢)، ومسلم، رقم: (٢٥٦٤).

للعمِّ ملحوظتَه هذه.

والملحوظة الثَّالثة صحيفة (٢٢٧) قال حفظه الله:

ذكرتم في تاريخ بناء الكعبة أنَّ جُرهُم بَنَت الكعبة ثلاثَ مرَّاتٍ بعد إبراهيم، وأنَّها قبيلةٌ من العرب المُستَعربة.

والحقيقة غير ذلك، فالمستَعربة: هم ذرِّيَّة إسماعيل، أمَّا جُرهُم: فمن العربِ العاربة أو البادئة، وهم الَّذين نزلوا على هاجر أُمِّ إسماعيل بعد أن استأذنوها عندما نبعت زمزم، وإسماعيل نشأ بينهم، وتزوَّج منهم، وأنسل، وذرِّيَّتُه هم العرب المستعربة.

وجوابي عن هذه الملحوظة: إنَّها هي الحقيقة، وأنا أعلم ذلك يقينًا، ولعلَّ ما كُتِبَ سبق قلم حصل، أو كما يقولون: زلَّة لسان.

وجُرهُم: هو ابن قحطان، كما جاء في شرح القاموس للزَّبيديِّ، سكن بنوه مكَّةَ، وحملوا اسمه، وقحطان هو: أبو العرب العاربة.

الملحوظة الرَّابعة صحيفة (٢٥٤) قال حفظه الله:

قلتم في موضوع بعث الحيوانات يوم القيامة: إنَّه لا يعرف أحد شيئًا عن ذلك. والواقع أنَّه ورد في الأحاديث الشَّريفة ذكر اقتصاص الجمَّاء[1] من القرناء، فلولا أنَّها تحاسب ما كان القصاص.

وجوابي عن هذه الملحوظة: إنِّي ذكرت أنَّ بعث الحيوانات كائنٌ، ولكن هل ستحاسب الحيوانات أم لا؟ لا أدري حتَّى الآن، وتتبَّعت

(١) الجمَّاء: الَّتي لا قرن لها. انظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٣٠٠).

حديث اقتصاص الجمَّاء من القرناء، وإذا به رواه مسلم والتِّرمذيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لتُؤدُّنَّ الحُقوق إلى أهلِها يوم القيامة، حتَّى يُقاد للشَّاة الجَلحَاء من الشَّاة القرناء**»(١)، والجَلحَاء: هي الجمَّاء. ولعلَّ هذا الحديث مضرب مثلٍ، والنَّبيُّ ﷺ يعزِّز مواعظه دائمًا بالأمثالِ يضربها للنَّاس، ونحن نعلم يقينًا أنَّ الله جعل الجنَّة والنَّار جزاءً وعقابًا لأهل العقول، والشَّاة وسائر الحيوان لا عقول لها، وقول الرَّسول ﷺ: «**حتَّى يُقاد للشَّاة الجلحاء من الشَّاة القرناء**»(٢) مثلٌ لتحقيق عدل الله ﷻ في خلقه؛ وإنَّه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النَّار في هرَّةٍ ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(٣)، أدخلها اللهُ النَّارَ؛ لأنَّها ظلمت حيوانًا لا يستطيع دفاعًا عن نفسه، وربَّما قصد بالجمَّاء: مَن لاحولَ له ولا قُوَّةَ. وبالقرناء: الظَّالم المسيطر.

راجعت تفسير الآية الكريمة في آخر سُورة النَّبأ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النَّبَإِ: ٤٠]، وتكلَّمَ القرطبيُّ(٤) عليها كلامًا كثيرًا، وذكر كلامًا لأبي هريرة قال: «**يُحشر الخلق كُلُّهم يوم القيامة؛ البهائم، والدَّوابُّ، والطَّير، وكلُّ شيءٍ، ثمَّ يقول: كوني ترابًا**»(٥)، وأخيرًا يقول: إنَّ الكافر يطلب بكلامه هذا شيئًا مستحيلًا مثل قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٨٢)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٤٢٠)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه البخاريُّ، رقم: (٣٣١٨)، ومسلم، رقم: (٢٦١٩).
(٤) انظر: تفسير القرطبيِّ، للقرطبيِّ (٦/ ٤٢١).
(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، رقم: (٣٢٣١).

صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال المراغي في تفسيره: «يقول الكافر من شدَّة ما يلقى، ومن هولِ ما يرى: ليتني كنت ترابًا. يريد بقوله هذا: ليتني كنت حجرًا أو ترابًا لا يجري عليه تكليف»(١).

وفي تفسير ابن كثير قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يودُّ الكافر يومئذٍ؛ أنَّه لم يكن خُلِق، ولا خرج إلى الوجود، ثمَّ يقول: يا ليتني كنت ترابًا، وقيل: إنَّه يتمنَّى أن يكون من الحيوانات حين يقول الله لها: كوني ترابًا»(٢).

وراجعت تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥] فلم أخرج من مراجعتي بما يفيد أنَّ هناك حسابًا يجري على الوحوش.

ورأيي - والله أعلم - أنَّ المحاسبة لا تكون إلَّا على المكلَّف، وشرط التَّكليف العقل، والحيوانات عجماء(٣) بكماء لا عقل لها إلَّا الفطرة الَّتي فُطِرت عليها، والهدى الَّذي هديت به، ولا عقل يحاسب به عند أحدٍ إلَّا الإنس والجانُّ، والله أعلم.

الملحوظة الخامسة صحيفة (٣٩٠) قال حفظه الله:

ذكرتم أنَّ الطِّفل لا يمكث في بطن أُمِّه أكثر من تسعة أشهر كما قرَّر الأطبَّاء، ونحن نعرف شخصًا مكث في بطن أمِّه أربع سنوات، وما ذكره الله في كتابه في مدَّة الحمل والرَّضاع كان على الحكم المعتاد، والنَّادر لا تقدير له، ولله جلَّ شأنه في خلقه خوارق لهذه العادات

(١) انظر: تفسير المراغيِّ، للمراغيِّ (٣٠/ ٢٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، لابن كثيرٍ (٨/ ٣١١).
(٣) العجماء: الخرساء. انظر: تاج العروس، للزَّبيديِّ (٣٣/ ٦٠).

شاهدناها ولمسناها.

وجوابي عن هذه الملحوظة:

إنِّي أَشَرْتُ إلى ما قاله الأئمَّةُ، وذكرت رأي الطَّبيب، وذكرت رأيي، وأشرتُ إلى أنَّ سُنَّة الله لا تُبَدَّل؛ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزَاب: ٦٢]، وما خالف ذلك فهو شاذٌّ، والشَّاذُّ لا حكم له، كمثل مَن يولد بأسنان، أو يولد مختونًا، أو مقطوع السُّرَّة، أو بلا مشيمة.

الملحوظة السَّادسة صحيفة (٢٩٢) قال حفظه الله:

قلتم: إنَّ حسد العين لا أصل له في معتقدات الإسلام الصَّحيحة، وقد ورد في الحديث قول النَّبيِّ ﷺ: «**لو كان شيءٌ سابقَ القدرَ لسبقتهُ العينُ**»(١)، وأمَّا قوله تعالى في سُورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: ٥] فإنَّه جامع لحسد العين وحسد النِّعمة.

وجوابي عن هذه الملحوظة:

الحسد: تمنِّي زوال النِّعمة عمَّن أنعم الله عليهم، وهو خلقٌ مذمومٌ، فالحاسد في قلبه ضيق وحسرة حين يرى في يد غيره ما ليس بيده من خير، فلا يهدأ باله ولا تستريح نفسه ما لم يزل هذا الخير في يد المحسود، ولعلَّ هذا معنى ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤-٢٠٥]، فيسعى الحاسدُ في

(١) رواه مسلم، رقم: (٢١٨٨)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٥٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد، رقم: (٢٧٤٧٠).

إفساد ما صلح حتَّى لا يصل الخير إلى النَّاس، هذا هو معنى الحسد كما ظهر لي.

أمَّا العين فلها قدرتها الخارقة على إظهار ما يكنُّه المرء من حبٍّ أو بغضٍ أو وعدٍ أو وعيدٍ، تنعكس فيها مشاعر الإنسان، فيبدو في نظراتها ما يكنُّه في داخله من رضا أو سخط أو سكينة أو فزع، وتكون العين سلاحًا قاتلًا تصيب بنظراتها ممَّن يضعف أمامها مقتلًا فيزهق، ورُبَّ نظرةٍ من ذي بطشٍ قتلت نفسًا زكيَّةً، وأزهقت حياة بريء.

وللحاقد نظراتٌ مسمومةٌ كأنَّها السِّهام، تنفذ إلى قلب مَن حقدَ عليه، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القَلَم: ٥١].

و تكلَّم القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره الجزء الثَّامن عشر عن معنى هذه الآية، وأتى بأقوال كثيرةٍ، وختمها بقوله: والله أعلم.

وما أشارت إليه الآية الكريمة في سُورة يوسف: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ﴾ [يُوسُف: ٦٧]؛ يُحَذِّرُ الأبُ أولادَه من أن يساء بهم الظَّنُّ؛ لأنَّهم ذوو عددٍ، وقد يلفتونَ الأنظار إليهم بموكبهم الَّذي ينتظم أحد عشَر إنسانًا في سمت واحد وجمال ودلال، فتختلف الآراء فيهم، وتدور الأحاديث عنهم.

أمَّا قوله ﷺ: «**لو كان شيءٌ سابَقَ القدرَ لسبقتهُ العينُ**»، فقد رواه أحمد عن أسماء بنت عُميس، ورواه التِّرمذيُّ عنها وعن ابن عبَّاس[1].

---

(١) رواه مسلم، رقم: (٢١٨٨)، والتِّرمذيُّ، رقم: (٢٠٥٩)، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأحمد، رقم: (٢٧٤٧٠).

وقد ورد أيضًا في الحديث الشَّريف: «**العين حقٌّ**» رواه البخاريُّ ومسلم[١].

أمَّا العلَّة في تأثير العين فهي علَّةٌ نفسيَّة فقط؛ لأنَّ بعض النَّاس لهم تأثيرات في نظرهم على بعض، فقد ترى أحدهم ينظر إلى آخر فيرتعد[٢] المنظور إليه، ثمَّ يأمره بأشياء لا يرى بدًّا من طاعته في تنفيذها، فكُلُّها تأثيراتٌ نفسيَّة تُشبِهُ التَّنويمَ المغناطيسيَّ.

أمَّا تأثير العين الَّذي ورد به الحديث الشَّريف فهو كما في عُرف النَّاس نظرات حاقدة، قد يحصل بها أثر بعد النَّظر، ولكن في أصحاب النُّفوس الضَّعيفة فقط.

الملحوظة السَّابعة صحيفة (٢٤٩) قال حفظه الله:

قلتم: إنَّ الجنِّيَّ لا يمكن أن يدخل ابن آدم ولا أن يتلبَّس به، وإنَّ الأمر لا يعدو أن يكون أمراضًا عصبيَّة وخيالات وأوهامًا، وأذكر أخبارًا عن بعض رجال من سلفنا الصَّالح كانوا يعالجون الجنون بقراءة آيات من القرآن، وكان المريض يبرأ.

وجوابي عن هذه الملحوظة:

إنِّي عاصرت كثيرًا من الصَّالحين الَّذين كانوا يعالجون مرضى الجنون بالرُّقية؛ بآيات من القرآن أو بالأدعيَّة، وقد يأتي أحدهم بكلماتٍ غير مفهومة، وقد يعالج بعضهم بالضَّرب، وعلمت من ذلك أنَّ الأوهام تعالج بالأوهام.

---

(١) رواه، رقم: (٥٧٤٠)، ومسلم، رقم: (٢١٨٧).

(٢) الرِّعدة: الفزع و الاضطراب. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٧٩).

ألا ترى الملدوغ بسمِّ الحيَّة أو الملسُوع بسمِّ العقرب وأشباههما يعالجون بالرُّقية ونحوها؟! تلك تأثيرات نفسيَّةٌ يؤثِّرُ فيها الرَّاقي على نفسيَّة المريض، فيُخيَّل إليه أنَّه بريءٌ، وللتَّأثير النَّفسيِّ منافعُ ومضارُّ.

أمَّا أن يكونَ الجنِّيُّ الَّذي خلقه الله من نار قد دخل في الإنسان الَّذي خلقَه الله من طينٍ فلا يكون، ولله في خلقه سُننٌ لا تُبَدَّلُ ولا تُغَيَّر، هذه هي عقيدتي الَّتي أُدين لله بها[1]، والله أعلم.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه.

(١) هذا رأي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة، وهي مسألةٌ عقديَّةٌ كَثُر الكلام فيها، وللاستزادة يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٦٧/ ٢٤).

فهرس الموضوعات

سألوني الجزء الأول

المُقدِّمة ٥
أسباب نزول آيات القرآن ١١
الحروف المبدوءة بها السُّور ١٢
عروبة القرآن وفضله على العرب ١٣
السُّور وعدد آياتها ١٥
آخر ما نزل من القرآن ١٦
أسئلة عن القرآن ١٨
كتابة ألفاظ آيات القرآن ٢١
ترجمة القرآن ٢١
الخشوع في استماع القرآن ٢٣
كتاب الله له قُدسيَّة ٢٤
الَّذي يحفظ القرآن وينساه ٢٥
وصول ثواب القرآن إلى المَيِّت ٢٦
قراءة القرآن بالأجر ٢٨
أسماء السُّور وطبعات المصحف المختلفة ٢٩
هل المصحف تعويذة؟ ٣١

الموتُ في سبيل الله أُمنيَّة كلِّ مسلم ٣٣
لا تزر وازرة وزر أخرى ٣٤
الشَّجرة الَّتي أكل منها آدم ٣٧
الآيات الَّتي تحدَّثت عن الهجرة ٤٠
الشَّجرة الملعونة في القرآن ٤٣
الله والعرش ٤٤
لون خمرة الجنَّة وطعمها ٤٥
الآيات الأربع الأولى من سورة الذَّاريات ٤٦
الأسماء الَّتي علَّمها آدم للملائكة ٤٨
نقل الدَّم من سليم إلى مريض ٥٠
الحسنات الَّتي تمحو السَّيِّئات ٥٢
تفسيرٌ لغويٌّ في قِصَّة يوسف مع إخوته ٥٤
فرعون والآيات التِّسع ٥٥
معنى التَّوفِّي في قِصَّة عيسى ٥٨
شهادة الرَّجل والمرأة في المعاملات التِّجاريَّة ٦٠
سورة براءة والبسملة ٦١
النَّاسخ والمنسوخ في القرآن ٦٣
جريان الشَّمس والقمر في أفلاكهما ٦٥
نداء الله لعباده المؤمنين ٦٨
الأمانة الَّتي حملها الإنسان ٧١
المشركون ودخولهم المسجد الحرام ٧٤

عمى الأبصار وعمى القلوب ٧٧
المشارق والمغارب ٧٨
قِصَّة الحديبية وفتح مكَّة ٨٠
المادَّة الَّتي خُلِقَ منها الإنسان ٨١
ولاية الله ونصرته للمؤمنين ٨٤
من أكاذيب اليهود ٨٥
إقامة الدِّين لله وحده والتَّحذير من اتِّباع المشركين ٨٦
الأيَّام الَّتي خُلِقَت فيها السَّموات والأرض ٨٨
قيمة الحياة الدُّنيا وقيمة الآخرة ٨٩
منافع الإبل والسَّماء والأرض ٩٢
المواقيت والأهِلَّة ٩٣
أصحاب السَّبت ٩٤
النَّبيُّ وإبلاغ الرِّسالة للنَّاس ٩٦
الاستغفار للمشركين ٩٩
أهل الكتاب والعمل الصَّالح ١٠٠
الَّذي عنده علم من الكتاب ١٠٣
إسماعيل أم إسحاق المفدى بالذِّبح العظيم؟ ١٠٤
الأنعام الَّتي حرَّمها مشركو العرب على أنفسهم ١٠٥
السَّنوات الَّتي مكثها أهل الكهف ١٠٧
أدب الإسلام في دخول البيوت ١٠٨
الرَّقم (٧) في القرآن والحديث وكتب التَّاريخ ١١٠

اسمُ عمِّه أبي طالب ١١٧
خال النَّبيِّ ١١٧
أولاد النَّبيِّ ١١٩
من هم أهل بيت النَّبيِّ؟ ١١٩
أدلَّة الصَّلاة على آل البيت في التَّشهُّد ١٢١
بشارات التَّوراة والإنجيل بالنَّبيِّ محمَّد ١٢٥
أوَّل الأنبياء وخاتمهم ١٢٧
كيفيَّة معراج النَّبيِّ ووصف السَّماء ١٢٨
كيف كلَّم اللهُ نبيَّه محمَّدًا كما كلَّم نبيَّه موسى؟ ١٣٠
موقف النَّبيِّ من الشِّعر والشُّعراء ١٣١
هل أخطأ الرَّسول؟ ١٣٣
وفاة النَّبيِّ ﷺ ١٣٥
رواية الأحاديث بألفاظ مختلفة ١٤٣
من قال لا إله إلَّا الله ١٤٥
المؤمن القويُّ والمؤمن الضَّعيف ١٤٧
مبايعة عبادة بن الصَّامت للرَّسول ١٤٨
الصُّور المُحرَّم اقتناؤها في المنزل ١٥٠
العبد الآبق والمرأة السَّاخط عليها زوجها ١٥٢
حديث الذُّباب ١٥٣
آية المنافق ثلاث ١٥٧
الدِّين النَّصيحة ١٥٩

ثلاثة أحاديث عن العمل الصَّالح ١٦١
شأن المسلم مع عدوِّه من المسلمين والكفَّار ١٦٣
فضل عمر بن الخطَّاب ١٦٥
الأعمال بالخواتيم ١٦٦
الحسن والحسين ١٦٨
التَّفاخر بالجاهليَّة بعد مجيء الإسلام ١٦٩
حديثان عن علامات السَّاعة ١٧٠
أمارات السَّاعة في حديث عمر ١٧٢
هل الإسلام يُفرِّق بين الذَّكر والأنثى ١٧٣
اتَّقِّ شرَّ من أحسنت إليه ١٧٦
من أطاعني رحمته ورحمتي تلحق السَّابع من ولده ١٧٩
من استنجى من الرِّيح فليس منَّا ١٨٠
اتَّقوا القدر ١٨١
لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلِّموهنَّ الكتابة ١٨٢
احرثوا فإنَّ الحرث مبارك ١٨٦
داروا سفهاءكم ١٨٧
صلَّينا وصمنا وغدينا مثل الحنايا ١٨٨
مبعث الأنبياء ١٩١
أسئلة عن نوح عليه السلام ١٩٣
مقدار طوفان نوح ١٩٤
جنسيَّة إبراهيم الخليل ومولده ١٩٥

الَّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه ١٩٦
إبراهيم وإحياء الموتى ١٩٧
يعقوب وأولاده وأخوهم يوسف ٢٠٠
قِصَّة يوسف مع إخوته وامرأة العزيز ٢٠٣
موسى والعبد الصَّالح ٢٠٧
قِصَّة موسى في مدين ٢٠٩
مهمَّة الرُّسل والأنبياء ٢١٠
داود وتحاكم المتخاصمين إليه ٢١٤
قِصَّة أيُّوب والشَّيطان ٢١٧
بين يونس وقومه ٢٢١
مدَّة حمل مريم بعيسى ٢٢٤
خصوصيَّات عيسى ٢٢٥
حديثٌ عن عيسى وصلبه ووفاته ٢٢٦
الأسماء الَّتي أُطلِقَت على أبي بكر ٢٣٣
رواياتٌ عن أبي بكر ٢٣٤
غيرة عمر على رسول الله ﷺ ٢٣٥
ذو النُّورَين رضي الله عنه ٢٣٧
أحاديثُ عن مكانة عليِّ بن أبي طالب ٢٣٨
اسم أبي هريرة ٢٤١
أوَّل فدائيَّين في الإسلام ٢٤٢
أوَّل من رمى بسهم في الإسلام ٢٤٤

هل تزوَّجت خديجة قبل زواجها بالنَّبيِّ ﷺ؟ ٢٤٥
تسابق عائشة مع النَّبيِّ ﷺ ٢٤٧
أم كُلثوم زوجة عمر ٢٤٩
مهابط الرِّسالات السَّماويَّة ٢٥٥
لغات الكتب السَّماويَّة ٢٥٧
الدِّينُ الإسلاميُّ دعوة الأنبياء جميعًا ٢٦٠
لماذا ختم الله بالإسلام دينه؟ ٢٦٢
أمورٌ إسلاميَّة ٢٦٦
الفرق بين الإسلام والإيمان ٢٦٦
مصير أهل الفترة ٢٦٧
الإنسان بين الجبر والاختيار ٢٧٠
كتابة البسملة في أوَّل كلِّ شيءٍ ٢٧٢
سبيل الله يعني الجهاد وغيره ٢٧٤
الاجتهاد في الدِّين وكيف يكون؟ ٢٧٥
مذاهب ٢٧٧
المذاهب الإسلاميَّة عند المسلمين ٢٧٧
تقليد المذاهب ٢٧٩
تاريخ بناء الكعبة ٢٨٥
ما البيت العتيق؟ ٢٨٦
أسئلة عن الحجر الأسود ٢٨٨
صخرة بيت المقدس ٢٩١

أكاذيب حول قبلة بيت المقدس ٢٩٣
الرُّوح ٢٩٩
تَنَاسخُ الأرواحِ ٢٩٩
الحسابُ على الرُّوح أم على الجسد ٣٠٠
الرُّؤى المناميَّة والأحلام ٣٠١
صلاةُ سكَّان القمر وصيامهم ٣٠٣
الغيبيَّات ٣٠٥
المسلمون والكفَّار من الجنِّ ٣٠٥
الإيمان بعالم الجنِّ ٣٠٧
صلة الإنس بعالم الجنِّ ٣٠٩
مسُّ الشَّياطين ٣١٣
بعث الحيوانات يوم القيامة ٣١٧
المطر وكرويَّة الأرض ٣١٨
حجم الشَّمس والأرض ٣٢٠
تبدُّل السَّموات والأرض وفناء المادَّة ٣٢١
أين الأراضي السَّبع؟ ٣٢٢
عرض الجنَّة ٣٢٣
مقدار اليوم في الآخرة ٣٢٥
المعتقدات ٣٢٧
التَّوسُّل بالأولياء ٣٢٧
رأي الشَّريعة في التَّصوُّف ٣٢٩

صوم يحيى وزكريَّا ٣٣٥
الاحتفال بالمولد بدعةٌ ٣٣٦
إقامة ليلة الأربعين للمتوفَّى ٣٣٨
قراءة الفنجان ٣٤٠
الأحجبة والتَّعاويذ ٣٤٢
بدعة الزَّار ٣٤٤
النَّحس والتَّشاؤم ٣٤٥
إفطار الملائكة مع الصَّائمين ٣٤٨
حراسة البنت في ليلة زفافها ٣٤٩
معجزات الكلام في البطن أو في المهد ٣٥٠
الشَّيخ أحمد الدَّجَّال ٣٥٣
دجَّالٌ آخر ٣٥٧
التَّبرُّك بالخرق ٣٥٩
فكُّ السِّحر بالرَّصاص ٣٦١
حسد العين ٣٦٣
وسائل الفدائيِّ في المعركة ٣٦٩
الجهاد أفضل أم الصَّلاة ٣٧٠
هل وصل النَّاس إلى القمر ٣٧٦
مشاهدة التِّلفازِ ٣٧٨
الرَّسم والتَّصوير في نظر الإسلام ٣٧٩
الغناء والطَّرب في الإسلام ٣٨٢

طلبة المدارس وفريضة الصَّلاة ٣٨٣
الحجُّ أم الدِّراسة؟ ٣٨٥
أداء الحجِّ أم إنقاذ الفقير؟ ٣٨٧
الحجُّ أم رعاية الأطفال؟ ٣٨٩
إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا ٣٩٠
رجل الدِّين وميدان الدَّعوة ٣٩٢
تأنيب الضَّمير ٣٩٤
من أولو الأرحام؟ ٣٩٦
الجنَّة تحت أقدام الأمَّهات ٣٩٧
برُّ الوالدين ٣٩٩
معاملة الوالد بالحسنى ٤٠٠
صلة ذي القربى ٤٠١
الفقير المستحقُّ للصَّدقة ٤٠٣
جزاء الإحسان إلى الفقراء ٤٠٨
أجر كافل اليتيم ٤١٠
طفلٌ تعذِّبه زوجة أبيه ٤١١
هل ضربُ اليتيم إهانةٌ؟ ٤١٤
طرد فقيرةٍ مسيئةٍ ٤١٦
البخل في الإسلام مذمومٌ ٤١٧
إذا تخاصم المسلمان ٤١٩
الصُّلح بين المسلمين خيرٌ ٤٢٠

وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ٤٢٣
التَّفاخر بالأنساب ٤٢٥
المساواة في حبِّ الأولاد ٤٢٨
الحبُّ في الإسلام ٤٢٩
السُّخرية من النَّاس إثم ٤٣٤
زيارة من أراد الانتحار ٤٣٦
يائسٌ يريد الانتحار ٤٣٧
من تقصير الآباء نحو أولادهم ٤٤٠
قسوة أبٍ على أولاده ٤٤٠
لا تلعنوه فالله يلعنه ٤٤١
واجب الأب نحو أولاده ٤٤٣
يضيِّع رزق أولاده في المحرَّمات ٤٤٦
إقحام الطَّلاق في الخصومات ٤٤٨
مساوئ كثرة الطَّلاق في المجتمع ٤٥٠
إلى الأزواج الشُّكَّاك ٤٥٥
أمسك عليك زوجك ٤٥٨
رجلٌ يفسد حياة الأزواج ٤٥٩
زوجها يمنعها من طاعة الله ٤٦١
زوجةٌ يائسةٌ تريد الطَّلاق ٤٦٢
زوجها يقسو عليها وعلى أولاده ٤٦٣
شكُّ الرَّجل في زوجه وبيته ٤٦٥

على من يَقَعُ ذنب الانحراف ٤٦٦
عندما تقسو الأمُّ على ولدها ٤٦٨
زوجةٌ تسرق من زوجها ٤٦٩
شؤون المرأة ٤٧١
كلمةٌ من مسلمةٍ مشفقةٍ ٤٧١
لباس المرأة أمام غيرِ محارمها ٤٧٣
تجميل جسم المرأة المشوَّه ٤٧٥
صراع على السُّفور ٤٧٧
حجاب المرأة في الإسلام ٤٨١
مناقشةٌ في السُّفور والحجاب ٤٨٣
حبوب منع الحمل ٤٨٥
مدَّة الجنين في بطن أمِّه ٤٨٧
رأي الدِّين في تعليم البنت ٤٨٨
الَّذين يرمون البريئات بالسُّوء ٤٨٩
لغات العالم المختلفة ٤٩٥
إيمان العرب قبل الإسلام ٤٩٦
أسئلةٌ عن تاريخ العرب ٤٩٩
لماذا قتل قابيل هابيل؟ ٥٠١
كتاب سليمان إلى ملك سبأٍ ٥٠٢
قصَّة أصحاب الفيل ٥٠٤
قصَّة ذي القرنين ٥٠٦

وجود العرب والمسيح ٥١١
اليهود وقيام دولتهم ٥١٢
ما حدث يوم السَّقيفة ٥١٦
الدُّعاء في غير أوقات الصَّلاة ٥٢١
إحياء ليلة نصف شعبان ٥٢٢
التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى ٥٢٥

فهرس الموضوعات

ملحق سألوني الجزء الأول

تقديم ٥٢٩
كتابة المصحف ٥٣٣
ترتيب السُّور والآيات في كتاب الله ٥٣٥
متى جُمِعَ القرآن؟ ٥٣٧
الإعراض عن الذِّكر فشل ٥٣٩
قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ ٥٤١
قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٥٤٣
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٥٤٤
السَّماوات السَّبع ٥٤٦
آيات من سورة التوبة ٥٤٨
ويطعمون الطَّعام على حُبِّه ٥٥٠
عاقبة التَّفرقة في الدِّين ٥٥٣
حكم القانون أو حكم الشَّريعة ٥٥٤
حكم الاستعاذة لقارئ القرآن ٥٥٦
أصل الإنسان ٥٥٧
تطوُّر خلق الإنسان ٥٥٩

وادٍ غير ذي زرع ٥٦١
طيرة الأمم من أنبيائهم ٥٦٣
أصحاب السَّبت ٥٦٥
فليستجيبوا لي ٥٦٧
«كان خُلُقه القرآن» ٥٧٠
مع الرَّسول في بيته ٥٧١
هل حرَّم الرَّسول شيئًا أحلَّه الله له؟ ٥٧٤
موضع السُّجود من الرُّكوع ٥٨٠
فضل بعض الأنبياء على بعض ٥٨١
طالوت ملك بني إسرائيل ٥٨٣
الثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا ٥٨٥
من هم المنافقون ٥٨٦
المنافقون ٥٩٢
نبأ الفاسق ٥٩٤
الرَّفث ليلة الصِّيام ٥٩٥
اسم الله الأعظم ٥٩٧
مع رسول الله ﷺ في أحاديثه حلاوة الإيمان ٥٩٨
السَّبع المحرَّمات ٦٠٠
من هو المسلم ومن هو المؤمن؟ ٦٠٢
الظُّلم في الإسلام ٦٠٥
الخير والشَّرُّ ٦٠٧

الثَّواب على قدر المشقَّة ٦٠٩
ثواب الصَّبر على المكاره ٦١١
الجزع عند المصيبة ٦١٢
العمائم تيجان العرب ٦١٣
الصَّلاة على النَّبيِّ ٦١٤
كيفيَّة الصَّلاة على النَّبيِّ ٦١٥
من هو الشَّهيد؟ ٦١٧
تاريخُ الهجرةِ النَّبويَّة ٦١٩
«الحجر الأسود» ٦٢١
محمَّد.. والأنبياء ٦٢٣
اسم محمَّد في التَّوراة والإنجيل ٦٢٥
هل كان محمَّد يؤمن بالحظِّ ٦٢٦
هل الكون مخلوق من أجل محمَّد؟ ٦٢٦
مع صحابة رسول الله ﷺ ٦٢٧
عليُّ بن أبي طالب ٦٣٠
جعفر الصادق رضي الله عنه ٦٣١
الحُبُّ فِطرةٌ ٦٣٣
المَهرُ في النِّكاح ٦٣٧
موافقةُ الأمِّ على الزَّواجِ ٦٣٩
اجتماعُ الخطيبين قبل العقد ٦٤٠
خلافٌ مذهبيٌّ في الزَّواج ٦٤٢

مَسيحيٌّ يريدُ الزَّواج من مُسلمةٍ ٦٤٣
خواطرُ زوجةٍ نحو زوجها ٦٤٥
لماذا تنكَّرت له زوجته ٦٤٧
البُنوَّة الرَّحيمة ٦٥١
الذَّنبُ يغضب الرَّبَّ ٦٥٢
الرقيقات وأمَّهات الأولاد ٦٥٥
مشكلة العوانس ٦٥٨
تبرُّع غريب ٦٦١
الطِّفل مات بأجله ٦٦٢
ابنتها هجرتها بعد الزَّواج ٦٦٣
مَن اليتيمُ؟ ٦٦٤
كفالة اليتيم ٦٦٥
الحلف بالله ٦٧١
تجرَّأت على ربِّي ٦٧٢
سبُّ الدِّين ٦٧٣
الخمر بين المنفعةِ والضَّررِ ٦٧٧
اجتناب الخمر أو تحريمها ٦٨١
رأي الشَّرعِ في الميسر ٦٨٣
توبةُ شابٍّ طائشٍ ٦٨٧
التَّوبة النَّصوح ٦٨٨
التَّوبة من الذُّنُوب ٦٩٠

ضعفُ الإرادة عند التَّوبةِ ٦٩١
تمنِّي الموت بسبب الضَّرر ٦٩٢
الأفضل عند الله ٦٩٣
الحُزن على الميِّت ٦٩٤
الإنسانُ بعدَ الموتِ ٦٩٧
يوم القيامة ٦٩٩
شرط السَّاعة ٧٠١
شجرة الزَّقُّوم ٧٠٣
تهجُّمُ أعداء الإسلام على أحكامه ٧٠٩
موالاة الأعداء ٧١٣
المحاماة ٧١٧
الاختلافُ على أجرةِ العملِ ٧١٨
التَّصرُّف في مالِ الأجيرِ ٧١٩
المعاملة مع التَّأمين وشركاته ٧٢٠
أدب الإنصات إلى القرآن ٧٢٥
ليس للإنسانِ إلَّا ما سعى ٧٢٦
إهمالُ أوراق المصحف والأحاديث ٧٢٧
الرَّائحة الكريهة تؤذي المصلِّي ٧٢٨
الكذب الأبيض ٧٣٢
تقليد الرَّجل للمرأة في اللِّباس ٧٣٣
مزارات الخضر والأولياء ٧٣٩

هل الزَّار يشفي الأمراض؟ ٧٤١
التَّشويش على المصلِّين بالقراءة ٧٤٣
استعمال السُّبحة ٧٤٤
أقوال عن استعمال السُّبحة ٧٤٧
الذَّبحُ فداءً لشراءِ سيَّارةٍ ٧٤٨
الذَّبح لبناء مضافةٍ ٧٤٩
المرأة الحامل وأكل اللَّحم ٧٥٠
حبُّ الأصدقاء ٧٥١
اهتمامُ العربِ بميلاد المسيح ٧٥٢
كلماتٌ شائعةٌ في حياتنا ٧٥٣
أغراض الشِّعرِ كما يحبُّه الإسلام ٧٥٤
ضياع وقت الفراغ في اللَّهو ٧٥٥
الثَّقيل ٧٥٥
برامج التِّلفاز ٧٥٧
ملحوظاتٌ فيما جاء في الجزء الأوَّل ٧٦٠
فهرس الموضوعات ٧٦٩

قَبَسٌ مِن مُقدِّمةِ الأعمَالِ الكَامِلةِ

لبنةٌ مُبارَكةٌ، تحتوي الأعمالَ الجليلةَ لعالمٍ مِن عُلماءِ النَّهضةِ العلميَّة في كويت الخير... الأعمالُ الكاملةُ لفضيلةِ الشَّيخِ العلَّامةِ عبد الله النُّوري رحمه الله، هي: نِتاجُ حياةٍ مُباركةٍ مَليئةٍ بالجِدِّ والنَّشاطِ، والاجتهادِ والمثابرةِ، وأعمالِ البِرِّ والخير؛ فجاءتِ الأعمالُ ثريَّةً متنوِّعةً بين علميَّة مُنَمَّقة، وأدبيَّة مُشوِّقة، وتُراثيَّة مُدَقِّقَة، واجتماعيَّة مُتَعمِّقة، فيها خُلَاصةُ الفِكر، وزُبدةُ المخضِ، وحُليَةُ الأدبِ، وروائعُ مِنَ التَّاريخ.

تأتي هذه الأعمالُ المُباركةُ ضمنَ سِلسلةِ جمعِ تُراثِ عُلماء الكويت؛ لحفظِ تُراثِ الأجدادِ، وإثراءِ المكتبةِ الإسلاميَّة عمومًا، والمكتبة الكويتيَّة خصوصًا؛ لتكونَ منارة للقُرَّاءِ والباحثينَ والدَّارسينَ على مَرِّ العُصورِ، ينهلونَ مِن مَعِينِهَا بمختلف العلوم والمعارف، لِيَصْدُقَ فيهم قولُ الشَّاعر:

وإنِّي وإيَّاكُم لَكَالنَّحلِ نَصطَفِي ... رَحِيقَ مَجَانِيهِ لأَلسُنِنَا شَهدًا

د. عَبْد المُحْسِن عَبْد الله الجَار الله الخَرَافي